



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 14 جوان 2020



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جوان 2020

الـــعــدد الرابع عشر (14)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.

-أن يكون المقال في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.

- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.

-تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.

-تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.

-هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 X23.5).

-يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية.

-بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.

-تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.

-يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، المؤلف(السنة)، عنوان الكتاب؟، ط(الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد، أما المقال: للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة(الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.

-المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

-المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.

-يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد 2003 أو 2007، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

لا يمكن للبحوث في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية أن تعرف التطور المنشود ما لم تبنى على مقاربات معرفية دقيقة ولعل ذلك ما يجعلها اليوم تخطوا بخطوات واضحة نحو الرقي وهو ما نسعى لتحقيقه من خلال الأبحاث التي يتم نشرها عبر مجلة العلوم الاجتماعية.

إن الأبحاث المنشورة تعبر عن رؤى مختلفة ومقاربات متبانية للظاهرة الانسانية والاجتماعية ذلك أن الظاهرة من هذا المنطلق يمكن أن يتم تناولها من زوايات معينة ومن تخصصات مختلفة، ولعل الطابع الإنساني لها يجعل التناول فريدا من نوعه خاصة وأن النتائج المتوصل إليها تساهم في التأسيس لدراسات لاحقة أين تكون منطلقا لأحد مداخلها.

وقد شمل هذا العدد العديد من الدراسات في جل التخصصات وفق تناولات مختلفة سعى من خلالها الباحثون توضيح ظواهر إنسانية وإجتماعية تستحق تناولها في هذا الإطار.

في هذا المقام لا ننسى أن نتوجه بجزيل الشكر لكل من ساهم من بعيد أو قريب في خروج المجلة في حلتها المعهودة، وإذ تضرب لكم المجلة موعدا في الأعداد القادمة فإنها تبقى تسير وفق منهج واحد وهدف واحد وهو النشر العلمي لمختلف الأبحاث الرصينة التي تقدم إضافة للمعرفة الإنسانية بالدرجة الأولى.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 14 جوان 2020

فهرس المحتويات

صفحة

المشاركة السياسية للشباب وإشكالية تحديث النخب في المجتمعات القبلية: دراسة ميدانية للانتخابات الجماعية بالمغرب سنة 2015 "جماعة الطرفاية أنموذجاً"

د. مصطفى عبدي،..10.

واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر الأكاديميين والإداريين العاملين فيها

د. عامر سعد أحمد جبران،...25.

أثر الكفايات اللسانية والموسوعية في توجيه عملية تعلُّم اللغة وفهمها

د.علـي بـوراس، د.حسن مومني،................................47.

التغير الاجتماعي ودوره في التأثير على القيم والعادات والتقاليد

د.هند البريزات،...63.

مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين بمحافظة طولكرم وعلاقتها ببعض المتغيرات الديمغرافية

د.نظمية فخري حجازي،...75.

اللّيبراليّة بين السّياق وفرض السّياق... رولز مع كانط وضدّ كانط".

د.حراث سومية، د.عمران جودي،..............................93

جريمة اختطاف الأطفال وآليات التصدي لها في الجزائر

د.بن عمار نوال،..113.

تكييف استمارة الكشف عن المخططات المعرفية ل « J. Young »

د.ديب زهيرة،...133.

أثر برنامج تعليمي للتربية البدنية والرياضية في تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ الطور الثانوي
أ.بوخالفة حمزة، أ.بن الشيخ يوسف،.......................149.
التنمية الاقتصادية وأثرها على المرأة القروية بالمغرب: حالة جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز
د الرواص بدر الدين، د زهير النامي،.......................168.
الظواهر السائلة في فلسفة زيجمونت باومان-العيش في زمن الخوف واللا أمن-
د.عبد الغاني بوالسكك،...188.
جيرونتولوجيا الشيخوخة المُسنّ، بين سيكولوجيا النهاية وسوسيولوجيا العمر الثالث
أ.أحمد الدهمي،...200.
دور النظريات الاجتماعية المعاصرة في تنمية المجتمع الجزائري
د. زيوش سعيد،..216.
الإخوة في حداد: بين المعاناة والصمت. أي كفالة نفسية؟
د.بركوش فايزة،..236.
التعاون العربي الأوروبي: التعليم العالي نموذجا
د. عائشة بن النوي،..250.
دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية
أ.محمد ناصر علي الرياشي،.................................269.

أهمية العلاقات الإنسانية في إدارة الاحتراق النفسي في منظمات العمل

أ. تغري إيمان، جامعة باجي،..............................315.

فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا

د.أمل محمد عبد الله البدو،...................................328.

دراسة نقدية لواقع التربية التحضيرية في الجزائر- مدارس مقاطعة عزابة ولاية سكيكدة أنموذجا-

أ.خـــرفان حسين،...343.

الإسلام والمسيحية: نظرات تاريخية

د. المصطفى كبوس،...352.

معوقات جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية دراسة ميدانية بالمستشفى الجامعي ابن رشد عنابة

أ.لعجايلية يوسف،..364.

الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف والانحراف

أ. د ماجدي عاطف محفوظ، أ.د حمود سالم عليمات، أ.د أمل عبد المرضي الجمال،............................376.

الشعور بالسعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل (دراسة مقارنة)

د.ايمان محمد الطائي، د.علاء الدين علي حسين،.........393.

استراتيجيات مقترحة لتطوير كفايات التقويم لدى المعلم

د.خنيش يوسف،..413.

تحولات نمط السكن بواحات درعة الوسطى واحة اكتاوة بالجنوب الشرقي (المغرب)

أ. محمد الدفالي، أ. عبد العزيز احديبي، د. أحمد بوحامد،.........424.

المشاركة السياسية للشباب وإشكالية تحديث النخب في المجتمعات القبلية: دراسة ميدانية للانتخابات الجماعية بالمغرب سنة 2015 "جماعة الطرفاية أنموذجاً"

Political participation of young people and problematic modernization of elites in tribal societies: a field study of local elections in Morocco in 2015 "Tarfaya community as a model"

د. مصطفى عبدي، كلية الحقوق، جامعة الحسن الأول، سطات-المغرب

Dr. Moustafa AABDI, Faculty of Law, Hassan I University, Settat, Morocco

ملخص: تخضع المجتمعات القبلية إلى معايير ومحددات يتحكم فيها أعيان هذه البنيات الاجتماعية العتيقة، فتصبح المشاركة السياسية للشباب محكومة بالمنطق القبلي المبني على رابطة الدم وإرادة ومصالح الأعيان المعمرين، فيفضي هذا الوضع إلى إبطاء تجدد دورة النخبة بما يضمن مصالح ومكانة النخب التقليدية المهيمنة، وإلى إقصاء نخب شابة تحمل أفكاراً حداثية، فينعكس هذا سلباً على العملية الديمقراطية فيفضي إلى تفاقم ظاهرة عزوف الشباب عن الانخراط في تدبير الحياة السياسية في المجتمعات القبلية، وكنتيجة لذلك تتمكن النخب التقليدية من إعادة إنتاج نفسها في شكل نخب شابة تشكل امتداداً لأفكارها وتمثلاتها وتحصين مكتسباتها وتكريس نفوذها وتسلطها.

الكلمات المفاتيح: النخب، مشاركة الشباب، القبلية، الانتخابات، العزوف.

Abstract: Tribal societies are subject to criteria governed by the notables of the old social structures, so that the participation of young people is governed by tribal logic which is based first and foremost on blood ties and the interests of dignitaries and owners of 'money. In this way, young people are excluded from the democratic process and increase political reluctance, in exchange for the reproduction of an elite group of young people, which is an extension of the traditional tribal elite which guarantees that they will benefit from the income which are granted to it by the State to reinforce its hegemony and its domination.

Keywords : Elites: youth participation, tribalism, elections, abstention.

مقدمة

عرفت الانتخابات الجماعية/المحلية ل 4 شتنبر 2015 مشاركة فئة الشباب كمرشحين من أجل المساهمة في تدبير الشأن المحلي للجماعات التي ينتمون إليها، فكانت هذه المشاركة مكثفة حيناً وضئيلة حيناً أخرى، حيث يعزى هذا الاختلاف في نسبة مشاركة الشاب إلى تمايز المناطق واختلاف بنياتها الاجتماعية.

إذا نظرنا إلى بنية المجتمعات القبلية، سنجد أن منطق القبيلة هو الذي يسود خلال الانتخابات بمختلف مستوياتها (المجالس الجماعية، الجهوية، الإقليمية، الغرف المهنية، والتشريعية)، وعلى هذا الأساس فإن أعيان القبائل/العشائر في مثل هذه المجتمعات ظلت لمدة طويلة وما زالت مسيطرة على المشهد السياسي والحزبي والتمثيلي.

مدينة الطرفاية جنوب المغرب لم تكن استثناء من هيمنة وتحكم القبيلة في وصول الشباب إلى مراكز القرار المحلي والجهوي وحتى الوطني، في مقابل إقصاء شباب آخرين ذوي كفاءات ومستويات علمية وتدبيرية عالية تؤهلهم إلى تسلم مهام قيادة وتدبير التنمية في المجتمعات المحلية، كما أن هذا النوع من الهيمنة يضعف من إقبال مشاركة الشباب كمرشحين في الانتخابات بسبب تحكم النخب التقليدية المتمثلة في شيوخ وأعيان القبائل في المشهد السياسي والواقع الانتخابي، وبالتالي تضيق دائرة المشاركة أكثر فأكثر من خلال الترويج لفكرة المنطق القبلي على حساب التمثيلية السياسية وفق قواعد وأسس الديمقراطية المتعارف عليها بمباركة الأحزاب السياسية وانخراطها في تكريس المنطق القبلي.

إشكالية الدراسة:

مفهوم النخبة الذي شكل جدلاً فكرياً واسع النطاق إبان ظهوره، تحكمه معايير ومحددات تختلف من بنية اجتماعية إلى أخرى، ففي المجتمعات التي يسودها المنطق القبلي تبادر النخب العتيقة إلى تطويق دائرة النخبة والتحكم فيها حتى لا تنبثق نخب جديدة تحمل تمثلات وأفكار يمكن أن تحدث تغييراً في التصور السائد لتدبير الشؤون الداخلية لهذا النوع من التجمعات البشرية، فتعمل على تكريس هيمنتها خلال الانتخابات المحلية في المناطق التي يقطن فيها أغلب أفرادها وتابيعيهم، وتحرص النخب التقليدية في المجتمعات القبلية إلى إبراز وتقديم نخب شابة جديدة من حيث الشكل والمنظر وعتيقة من حيث الأفكار والتمثلات، ولا تحمل مشاريع للمساهمة في تدبير الشؤون المحلية، إذ تشكل أفكار وتصورات النخبة الشبابية نسخة طبق الأصل لتفكير النخبة التقليدية المهيمنة، لذلك نجد هذه الأخيرة تحرص على كسب العملية الانتخابية بشتى الوسائل والطرق، وتعبئ كل إمكانياتها وتسخر جميع علاقاتها لحجز مقاعد المجالس المحلية لأنفسهم وللنخب الشابة التي يختارونها، ومن هنا تنبثق الإشكالية المحورية للدراسة التي نتساءل فيها عن إلى أي حد تشكل المشاركة السياسية للشباب في الانتخابات المحلية فرصة لبروز نخب شابة واعية وقادرة على تدبير الشأن المحلي في المناطق

التي يسود فيها المنطق القبلي ويتحكم انطلاقاً من دراسة حالة جماعة الطرفاية خلال الانتخابات المحلية التي أجريت سنة 2015؟

أسئلة الدراسة:

للإجابة عن إشكالية مشاركة الشباب في الانتخابات الجماعية ل 4 شتنبر وإشكالية تجديد النخبة المحلية في المناطق التي تعرف فيها القبيلة كبينة اجتماعية ومجتمعية سائدة ومتحكمة، قمنا بإجراء دراسة لواقع مشاركة فئة الشباب كمرشحين في الانتخابات الجماعية بمدينة الطرفاية، وذلك من خلال إجراء مقابلات مع بعض الشباب الذين شاركوا كمرشحين في الانتخابات الجماعية لمعرفة أسباب الفشل، وأسباب النجاح في الانتخابات، وكيف تم استيعابهم من قبل النخبة المحلية التقليدية؟ وما هي كيفية تشكل النخبة المحلية في المجتمعات القبلية؟ وكيف تتم دورة النخبة المحلية التي تدبر الشأن المحلي عبر وسيلة ديمقراطية حديثة تتجسد في الانتخابات؟ وما مدى أحقية فئة الشباب في تدبير الشؤون المحلية واختراق النخبة المحلية التقليدية؟، وإلى أي حد ستكون المشاركة فعالة وناجحة بمعزل عن المنطق القبلي؟ وكيف تدير النخب التقليدية المتشبعة بالمنطق القبلي الانتخابات المحلية لتضمن فوز الوجوه الشابة التي باركت ودعمت مشاركتها في العملية السياسية؟

منهج الدراسة:

سنعتمد المنهج الوصفي التحليلي في الشق الأول من الدراسة الذي خصصناه للإطار النظري العام للنخب ودورة تجددها، كما اعتمدنا في الشق الميداني على المقابلة الشخصية التي تعتبر استبياناً شفويا وتعني الالتقاء بعدد من الناس وسؤالهم شفوياً عن بعض الأمور التي تهم الباحث بهدف جمع إجابات تتضمن معلومات وبيانات يفيد تحليلها في تفسير المشكلة أو اختيار الفروض (مروان عبد الحميد ابراهيم، 2000، ص115-121)، إضافة إلى تقنية تحليل المضمون التي سنعمل من خلالها إلى تفكيك وتحليل التصريحات التي أدلى بها المعنيون بالدراسة.

مجال الدراسة:

أنجزت الدراسة بمدينة الطرفاية الواقعة جنوب المغرب على المحيط الأطلسي، وهي مدينة يتشكل مجلسها الجماعي/المحلي من 17 عضواً وعضوة، ويبلغ عدد سكانها حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 حوالي 8000 نسمة.

عينة الدراسة:

همت الدراسة مجموعة من الشباب الذين لم تتراوح أعمارهم بين 20 إلى 35 سنة من الذين خاضوا تجربة الانتخابات الجماعية كمرشحين لنيل مقعد في المجلس الجماعي/المحلي لمدينة الطرفاية.

أداة الدراسة:

اعتمدنا في الدراسة على مقابلة مجموعة من الشباب الذين شاركوا في العملية الانتخابية التي نظمت بتاريخ 4 شتنبر 2015 كمرشحين، وركزت المقابلة على حزمة من الأسئلة

همت التأطير الحزبي لهؤلاء الشباب وأبرز المعيقات التي واجهت نجاح تجربتهم الانتخابية.

محاور الدراسة:

لمعالجة هذه الدراسة، سنقسم الموضوع إلى محورين: المحور الأول سنعالج فيه مفهوم نظرية النخبة وكيفية تجددها على المستوى النظري، وذلك بالتطرق إلى أهم المدارس والاتجاهات والمفكرين الذين تناولوا مسألة النخب وتجددها، أما المحور الثاني فسنخصصه لدراسة ميدانية عبر إجراء مقابلات لدراسة واقع مشاركة الشباب في الانتخابات الجماعة بالطرفاية وإشكالية تجديد النخبة المحلية.

المحور الأول: مفهوم نظرية النخبة وكيفية تجددها

عرف مفهوم النخبة جدلاً فكرياً واسع النطاق حين تم الاهتمام بدراسته، فتمخض عن هذا الجدل العديد من النظريات التي كان لها فضل كبير في التقعيد المفاهيمي لهذا المصطلح رغم تباين وجهات نظر رواد نظرية النخبة.

1. مفهوم النخبة لغة واصطلاحاً

ورد في لسان العرب لابن منظور لفظ نخب، أي انتخب الشيء، بمعنى اختاره، ونخبة القوم خيارهم. قال الأصمعي: يقال هم نخبة القوم، بضم النون وفتح الخاء (نُخَبة)، وقال أبو منصور وغيره: يقال نخبة، بإسكان الخاء (نُخْبة)، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي (إبن منظور، 2003، ص216). ويقصد بالنخبة في معجم المعاني الجامع: المختار من كل شيء، فنخبة المجتمع تعني: المختارون من المجتمع الذين لهم مؤهلات معينة، بينما تعني سياسة النخبة: سياسة الانتقاء (معجم المعاني).

ظهرت كلمة (Elite) في اللغة الإنجليزية أول مرة في قاموس أوكسفورد سنة 1823 حيث أشارت إلى فئات اجتماعية معينة، إلا أن هذه العبارة عرفت انتشاراً كبيراً في كتابات (Velfredo Pareto) (محمد علي حمود وعلي السعدي ، 2013، ص349). بالمقابل، يفضل البعض مرادفات أخرى لمفهوم النخبة في كتاباتهم مثل (Bottomore) الذي يتحدث عن **"نخبة قائدة"**، و (Wrigh Mills) الذي يوظف **"نخبة السلطة"**، كما أن البعض يستعمل كلمة طبقة، لكن إن كانت هذه المرادفات مجتمعة قد تفضي غالباً إلى المعنى ذاته - أي النخبة-، فإنها تختلف مع مفهوم **"الطبقة المهيمنة"** الذي يتعدى فحواه المعنى الظاهر للنخبة من خلال وجود توافق في المصالح المشتركة بين من يشكلونها، حيث يحدث تعاون بين سلطة بعضهم ونفوذ البعض الأخر (بورون بوركو، 1986، ص553).

إن مفهوم النخبة عند (Velfredo Pareto) يشير إلى الأشخاص الذين يمتلكون مؤهلات وقدرات تمكنهم من التفوق في مجالات عملهم، حيث يتم اعتماد سلم درجات تصاعدي من الأسفل إلى الأعلى لقياس درجة التفوق عند هؤلاء، وفي النهاية تكون النخبة متمثلة في الذين حصلوا على أعلى الدرجات (عبد اللطيف بو علام، السنة الجامعية 2102/2011، ص24)، إذن فالنخبة تحقق نجاحها أثناء قيامها بنشاطاتها، ولا

يمكن الحديث عن النخبة إلا ضمن النشاط الذي تزاوله، وبالتالي تعدد النشاطات يوازيه تعدد النخب (ابراهيم ابراش، 1998، ص115-121).

يرى (Pierre Bourdieu) بأن فرص نجاح الأفراد تتحدد بناءً على المجالات التي تشكل نظام المجتمع التي يجب أن تضم نظام مستدام من العلاقات يتحكم في نجاح أو فشل الأفراد، لذلك قسم المجتمع إلى طبقة مُهَيْمِنَةٌ في أعلى مرتبة بفضل امتلاكها للرأس المال المادي والرمزي، وطبقة مُهَيْمَنٌ عليها غير قائدة وبعيدة عن سلطة اتخاذ القرار داخل المجتمع (عبد اللطيف بو علام، السنة الجامعية 2102/2011، ص26).

النخبة عند (Gaetano Mosca) يطلق عليها اسم **"الطبقة السياسية"**، فاعتمد في تمييزه لها على العدد من جانب، وعلى قدرة ممارسة النفوذ السياسي من جانب آخر، كما عمد إلى التمييز في النخبة بين الشريحة الأولى وبين المجتمع عبر نقل المعلومات بين الطرفين، وخلال مسار الانتساب للنخبة لا بد من اختراق الشريحة السفلى لأن دور هذه الأخيرة هو مساعدة الشريحة العليا في ممارسة أدوارها القيادية المتسعة النطاق داخل المجتمع (عزيزة حاجي، السنة الجامعية 2002/2001، ص7)، فهو يرى بأنه **"يجب النظر إلى أية نخبة باعتبارها تتألف من أولئك الذين يشغلون قمة المواقع في الترتيب الهرمي للقيادة"** (جون سكوت، 2013، ص362)، ويقر بأنه في كل المجتمعات سواء الضعيفة التطور أو الأكثر تطوراً توجد فئتان: الأولى حاكمة وهي دائماً أقل عدداً وأكثر تنظيماً حيث تتمتع بالوظائف السياسية وتحتكر السلطة وتستفيد من فوائدها، والثانية محكومة وهي الأكثر عدداً والأقل تنظيماً (توم بوتومور، 1988، ص7-8).

تأسيساً على بعض الصيغ الماركسية المألوفة التي ترى بأن من له السلطة الحقيقية هو من له رأس المال، أي **"الفاعلون الاقتصاديون المتحكمون بمصير الشركات المتعددة الجنسيات"**، يعتبر بعض دعاة الماركسية الجديدة أن المصالح الرأسمالية العالمية في النظام الليبيرالي تسيطر على الجهاز السياسي للدولة (بورون بوركو، 1986، ص، 555)، وقد اعتبر (Marx Karl) أن القيادة السياسية تعد نتاجاً للطبقة الاقتصادية المتحكمة، غير أن رواد نظرية النخبة وإن كانوا يقرون بالدور المهم للعوامل الاقتصادية، إلا إنهم يعتبرون أن النخبة تستطيع الحكم بالطرق السياسية، ولها القدرة على تحقيق التكيف داخل النظام السياسي (عزيزة حاجي، السنة الجامعية 2002/2001، ص7).

إن التعارض بين موقف ماركس ورواد نظرية النخبة بدا ظاهراً، فالأول قال بحتمية الثورة ورفض النظر إلى النظام السياسي من أعلى إلى أسفل، بينما الجانب الثاني نظر إلى النظام السياسي من أعلى إلى أسفل وأقر بوجود طبقة حاكمة، لكن (Mills) حاول التوفيق بين الطرحين عندما اعتبر **"أن القوة في المجتمع ليست نتاجاً للوضع الطبقي، كما أنها ليست مرتبطة بخصائصالفرد الذاتية ولكنها ترتبط بالمؤسسات"** (عزيزة حاجي، السنة الجامعية 2002/2001، ص12-13)، فميلز (Mills) يعترض على

الماركسية المبسطة في إنكارها لوجود سلطة حقيقية يمارسها السياسيون، كما يعترض على الليبيرالية المبسطة التي تؤيد خضوع الإنسان الاقتصادي للإنسان السياسي (بورون بوركو، 1986، ص556).

يمكن الخروج بتصور حول مفهوم النخبة، وهي أنها مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون قدرات إما فكرية أو تنظيمية أو اقتصادية تميزهم في المجتمع وتسمح لهم بقيادة أفراده. فماذا بعد زوال النخب؟ وكيف يمكن أن تتجدد دورتها في مجتمع معين؟

2. الإطار النظري لتجديد النخب

يبدو أن نوعية النخب تختلف باختلاف المجتمعات، فهي تخضع لخصوصية التجمعات البشريات وتتوافق مع سماتها ومميزاتها، ومما لا يدانيه شك أن خصوصية كل مجموعة بشرية تختلف عن مجموعة أخرى. وفي دراسة مفهوم النخب الذي يعرف نظريات عدة تختلف باختلاف المجتمعات التي ينتمي إليها روادها، فإنه لا بد من استحضار ما يعرف ب **"دورة النخبة"**، أو **"الحراك النخبوي"**.

إن النتيجة الحتمية التي تؤكدها نظرية النخبة، هي خضوع الأغلبية لحكم الأقلية، في مقابل أن الديمقراطية تقول بخضوع الأقلية لحكم الأغلبية، فنظرية النخبة تعدت التشكيك بالتحليل الماركسي إلى التشكيك بنظرية الديمقراطية، ليطرح سؤال كيف يمكن التوفيق بين نظرية النخبة ونظرية الديمقراطية (ابراهيم ابراش، 1998، ص67).

حاول بعض منظري النخبة التوفيق بينهما من خلال اعتبار الديمقراطية التي تقول بحكم الشعب بواسطة الشعب وللشعب مستحيلة، ليعطوا مفهوماً حديثاً للديمقراطية واعتبارها **"نظام سياسي تتنافس فيه الأحزاب السياسية على أصوات الجمهور، وتتسم بالتعددية وهو الأمر الذي يسمح للنخب أن تتكون بحرية وتنشئ مزاحمة منظمة بين النخب على مراكز السلطة"** (ابراهيم ابراش، 1998، ص67).

ذهب (Gaetano Mosca) بعيداً جداً لدرجة أنه قد بنى نظرية متكاملة للتاريخ على أساس مختلف النخب الحاكمة (Guy Rocher, 2004, P5-6)، فهو رأى بأن التحولات الاقتصادية أو الثقافية قد تنتج فئات اجتماعية جديدة، فتتزايد أدوارها من خلال تزايد أهمية وحيوية الأنشطة التي يمارسونها بالنسبة للمجتمع، وأن هذه الانشطة قد تسفر عن تغيرات في البنية الاجتماعية، وفي النظام السياسي عندما يكون الوقت مناسباً لذلك (عزيزة حاجي، السنة الجامعية 2002/2001، ص21)، كما يرى بأن النخبة في المجتمعات الحركية التي تكون فيها النخبة مفتوحة تنتقل فيها النخب بشكل طبيعي، لأنها غير محصورة على فئة بعينها، أما في المجتمعات غير الحركية -غير الديمقراطية- التي تكون فيها النخبة منغلقة على نفسها، تكون دورة النخب فيها رديئة وبطيئة (ابراهيم ابراش، 1998، ص25)، وبالتالي تتحول النخبة في هذه المجتمعات إلى الأوليغارشية التي تحيل على تحكم فئة قليلة بفرض آرائها ومواقفها لتكريس سيطرتها في قيادة المنظمات والأحزاب، ومن ثم تضمن ديمومة حكمها، وفي هذا الشأن خلص(Robert Michels) في دراسته حول النزعة الأوليغارشية في الأحزاب

السياسية في أوربا، إلى أن لها أسباب ثلاثة تجعلها تظهر في المنظمات والأحزاب السياسية وهي: خصائصالتنظيم؛ سمات القادة؛ سمات الجماهير (علي أسعد وطفه، ماي 2015، ص28).

أما (Velfredo Pareto) الذي يصف دورة النخب بالدورة التي تحدث بالخصوص عندما تأتي عناصر جديدة للنخب لتكون جزءً منها فيتم جلب آرائهم وشخصياتهم وميزاتهم وأحكامهم المسبقة (Vilfredo PARETO, 1917, P33-34)، فهو يقول بأن عدداً قليلاً من الأفراد هم من يمثل الطبقة العليا، مقابل عدد كبير جداً من الأفراد يشكلون الطبقة السفلى، ومن هنا تتولد اختلالات عديدة وخطيرة، فيتم دفعها لتمتد إلى جميع السكان أو على الأقل الجزء الأكبر منهم، حيث لا تنطبق إلا على جزء قليل من الأفراد، وهنا يضاف اختلال أخر يأتي من حقيقة أننا نستبعد ضمن الأفراد أن تغير دورة النخب يكون في الطبقات العليا، وهذا هو الخلط، وبالتالي ينتج عن تغير الأفراد مع تغير المشاعر بين الأفراد أنفسهم، فمثلاً في الفئة (X) التي لا تزال مغلقة، قد تتغير فيها المشاعر والتعبيرات، لكن إذا كانت الفئة (X) مفتوحة، فإن التغيير يتعين أن يضاف إلى أخر المترتب عن تركيبة الطبقة لهذا التعديل، وهذا التغيير بدوره، يعتمد على سرعة أكبر أو أقل للدورة (Vilfredo PARETO, 1917, P137)، فهو قد اعتبر أن دراسة عناصر مختلفة يجب تصنيفها إلى فئات، فدورة النخب في روما يجب أن تأخذ في الحسبان قواعد المرور من طبقة إلى أخرى والميزات الشخصية للنخبة الجديدة (Vilfredo PARETO, 1917, P55).

يفسر (Velfredo Pareto) دورة النخبة بإحلال نخبة محل أخرى نتيجة لتحولات في نفسية افراد النخبة، فهم يفقدون بعضاً من الرواسب التي كانت تؤمن لهم الفعالية مما يؤدي إلى فسادهم، في حين تصعد نخبة من الطبقة الدنيا تراكمت لديها رواسب الحماسة والفعالية تولد لديها قدرة على الوصول إلى السلطة، وهنا يطرأ تغير على نوع النخبة إضافة إلى تغير عناصرها، فالمجتمع في كل مرحلة ينتج نخبة تعبر عن مصالح الفئة الغالبة في المجتمع، ومن ثم فإن (Wrigh Mills) يتفق مع هذا الرأي، بحيث يعتبر أن نظام التمثيل يدفع الجماهير إلى قبول المصالح الخاصة كونها مصالح عامة (ابراهيم ابراش، 1998، ص46-68).

اتضح بناء على مقارنة الآراء أن تجدُّد النخبة يتم من خلال تطعيمها بنخب وافدة تشكل إضافة للفئة النخبوية من خلال نقل خبرات ومهارات ومميزات جديدة تساعد على تقوية بنيتها وسلطتها، ومن ثم فإن التوالي الذي تعرفه فئة نخبوية معينة، تسفر عنه دواعي اجتماعية هي في الأصل انعكاس لمصالح فئات اجتماعية معينة.

إن الحديث عن النخبة السياسية خصوصاً في الأنظمة الحديثة يتم عبر الانتخابات، فهذه الأخيرة تشكل سبيلاً ديمقراطياً يجسد الإرادة الشعبية للمواطنين، وفي خضم علاقة نظرية النخبة بنظرية الديمقراطية تطفو إلى السطح إشكالية تجديد النخب من خلال

الانتخابات، وهنا أقصد مشاركة الشباب خصوصاً في الانتخابات من أجل الوصول إلى النخبة السياسية المحلية التي تدبر الشأن المحلي.

إن إشكالية المشاركة السياسية للشباب في الانتخابات المحلية تبدو عويصة وصعبة المعالجة لأسباب عدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة ومميزات البنية الاجتماعية التي ينتمي إليها الشباب.

المحور الثاني: واقع مشاركة الشباب في الانتخابات الجماعة بالطرفاية وإشكالية تجدد النخب المحلية

حظيت الانتخابات الجماعية والجهوية ل 4 شتنبر 2015 باهتمام واسع شمل جميع فئات المجتمع، ونذكر هنا على الخصوص الشباب الذي طالما كان عازفاً عن المشاركة السياسية سواء كمرشحين ومصوتين، حيث شهدت نسبة المشاركة في التصويت (53.67 %) على المستوى الوطني، وعلى مستوى مدينة الطرفاية فتجاوزت (80 %)، أما عن نسبة مشاركة الشباب كمنتخبين فكان عدداً غير مسبوق من قبل لهذه الفئة في المدينة موضوع الدراسة التي يطبق فيها نظام الاقتراع الفردي الإسمي.

1. نسبة ترشُّح الشباب في الدوائر الانتخابية:

نسبة مشاركة الشباب الأقل من 35 سنة كمرشحين بلغت (75%) في الدائرة رقم 11، بينما في الدائرة الانتخابية رقم 12 سجلت نسبة (12.5%) وهي أقل نسبة مشاركة لهذه الفئة في جميع الدوائر الانتخابية، أما الفئة العمرية من 35 إلى أقل من 45 سنة فقد عرفت أعلى نسبة مشاركة في الدائرة الانتخابية رقم 10 ب (75%)، بينما سجلت (16.67%) في الدائرة الانتخابية رقم 4 وهي أدنى نسبة.

فيما يخص معدل تواجد الشباب أقل من 35 سنة على مستوى جميع الدوائر الثلاثة عشر، فقد وصل إلى نسبة (47.43%)، بينما كان معدل مشاركة الفئة العمرية من 35 إلى أقل من 45 سنة هو (25.06%)، وهنا يتضح أن نسبة مشاركة الشباب المرشح هي أقل بالمقارنة مع الفئة السابقة.

لنقف على الفرق مع باقي الفئات الأخرى، قمنا بجمع معدل نسبة ترشح الشباب في الفئة العمرية أقل من 35 سنة مع معدل الفئة العمرية من 35 إلى أقل من 45 سنة، فحصلنا على نسبة مشاركة الفئتين التي وصلت إلى (72,49%)، ما يعني أن الفئة العمرية أقل من 45 سنة شكلت حوالي ثلاثة أرباع المرشحين في الانتخابات، بالمقابل قمنا باحتساب معدل ترشيحات الفئة العمرية من 45 إلى أقل من 55 سنة التي بلغت (20.13%)، وإضافتها إلى نسبة (7.38%) التي مثّلت معدل ترشيحات الفئة العمرية أكثر من 55 سنة، فحصلنا على نسبة (27.51%) الذي يعني معدل ترشيحات الفئة العمرية ل 45 سنة فما فوق، أي تقريباً ربع المرشحين في الانتخابات المحلية.

إن الفارق الكبير لنسبة الفئتين العمريتين الأولى والثانية، يعكس رغبة المشاركة القوية لدى الشباب كمرشحين لخوض غمار الانتخابات الجماعية والسعي لتدبير الشأن المحلي إلى جانب النخب المحلية التقليدية، وهنا نطرح تساؤل حول مدى انعكاس هذه النسبة

الكبيرة والغير معهودة للشباب على النتائج النهائية للانتخابات التي أسفرت عن تشكيل المجلس الجماعي/المحلي لمدينة الطرفاية؟

2. نسبة نجاح الشباب في الانتخابات

يتشكل مجلس بلدية الطرفاية من 17 مقعداً خُصصت منها 4 مقاعد للنساء برسم المقاعد النسائية الملحقة بالدوائر الانتخابية التي يتركز فيها أكبر عدد من الناخبين، ومن خلال الجدول يتضح أن الدوائر 7، و9، و11، و12، هي التي أدرجت فيها مقاعد مخصصة للنساء، وهي الدوائر نفسها التي عرفت نسبة (50 %) من نسبة المشاركة النسائية في الانتخابات، وبالتالي ستسفر عن نسبة (50 %) من المقاعد الانتخابية المتبارى بشأنها في الدوائر الانتخابية الأربعة الكبرى تلقائياً، وعليه فقد تشكل المجلس الجماعي من 13 ذكراً و4 نسوة حجز لهم القانون الانتخابي هذه المقاعد عبر نظام الكوطة، وكان اختيار ترشحهم من طرف الأحزاب متأسس على المنطق القبلي الذي يهيمن كل الهيمنة على لحظة الانتخابات، بحيث أن 2 مقاعد نسائية من أصل 4 ينتمين للقبيلة نفسها التي فازت على أكبر عدد من المقاعد وتجدد حصولها على رئاسة المجلس الجماعي/المحلي للطرفاية بعد تحالفها مع أقليات قبلية أخرى كان قد جمعها اللون الحزبي خلال مرحلة الانتخابات، مع التأكيد على أن الانتماء الحزبي لا يشكل أي ضمانة لتشكيل المجالس الجماعية بمعزل عن المنطق القبلي وسطوة المال، إذ أنهما يعدان من أهم العوامل المحددة والحاسمة في تقسيم وتوزيع المناصب على المستشارين الجماعيين في المكاتب المسيرة للمجالس المحلية في المجتمعات القبلية.

فيما يتعلق بنسبة فئة الشباب الأقل من 35 سنة الذين تمكنوا من الفوز في الانتخابات، فإن نسبتهم ضئيلة بالمقارنة مع نسبة الترشيحات التي بلغت نسبة (47.43%)، إذ أن الاستحقاقات أسفرت عن نجاح شاب ضمن هذه الشريحة في الدائرة الانتخابية رقم 4 وأخر عن الدائرة الانتخابية رقم 13، ويجب التنبيه إلى أن المنتخبيْن المذكورين لا يتجاوز عمرهما 30 سنة، ولهما مستوى تعليمي لا يتجاوز المستوى الابتدائي، أما بالنسبة للنساء الشابات، فقد سفرت الدائرتين الانتخابيتين رقم 7 و11 عن نجاح امرأتين لا يتجاوز سنهما 35 سنة برسم المقعد النسائي الملحق، ويتراوح مستواهما الدراسي ما بين الابتدائي والثانوي.

يتضح كذلك أن الفئة الشبابية الثانية المحصورة بين سنوات من 35 إلى أقل من 45 سنة كانت متوائمة إلى حدٍ ما مع نسبة الترشيحات التي مثلت (25.06%)، حيث تمخض عن النتائج نجاح 4 مرشحين ضمن هذه الفئة، كما تجدر الإشارة إلى إن المنتخبيْن الناجحين عن الدائرتين 6 و8 لا يتجاوز عمرهما 40 سنة، في حين أن المرشح الناجح عن الدائرة 10 والمرأة التي نجحت عن المقعد النسائي الملحق بالدائرة 12 لا تتجاوز أعمارهم 45 سنة، أي أنهم لا يخرجون عن الفئة العمرية الثانية.

توحي الأرقام والنسب إلى أن الفئة العمرية المحصورة بين سنوات 45 إلى أقل من 55 حصلت على أغلب المقاعد السبعة عشر، حيث أنتجت هذه الفئة العمرية 6 منتخبين

بينهم امرأة برسم المقعد النسائي الملحق بالدائرة الانتخابية رقم 9، في حين أن الفئة العمرية لأكثر من 55 سنة أسفرت عن 3 مقاعد برسم الدوائر الانتخابية 1 و2 و3 عل التوالي.

بناءً عليه نستنتج أن فئة الشباب الذي أقبل بكثافة على المشاركة في الانتخابات الجماعية بمدينة الطرفاية لم يحصل على نتائج تتناسب وحجم المشاركة، ومن ثم يمكن القول بأن النخبة المحلية التقليدية لم تنفتح بالشكل المقنع على نخب جديدة من شأنها أن تشكل إضافة إيجابية على النخبة التقليدية.

إن فشل الفئة الشبابية في الفوز بالانتخابات يوضح بجلاء أن النخبة المحلية التقليدية حافظت على مواقعها وهيمنتها في المجلس المحلي للطرفاية، وحافظت على قاعدتها الانتخابية في الدوائر التي دأبت على الترشح فيها، وبالتالي يصعب اختراقها من طرف الفئة الشبابية التي تفتقر إلى الخبرة الانتخابية والدعم المالي الذي توفره القبلية.

3. واقع مشاركة الشباب في الانتخابات الجماعية بمدينة الطرفاية

المواطنة تتيح حق الانتخاب وحق تولي المناصب العامة، وعلى هذا الأساس قدم مجموعة من الشباب ترشيحاتهم لممارسة حقهم الدستوري كونه يشكل طريق للارتقاء إلى مصاف النخبة المحلية التي تسهر على تدبير الشؤون المحلية، لكن مشاركة الشباب وفي ظل غياب دور الأحزاب في التأطير ترجع إلى أسباب ومعيقات متداخلة فيما بينها.

أ. ضعف الخبرة السياسية والتأطير الحزبي

أظهرت المقابلات أن السبب الدافع لجميع هؤلاء الشباب في الترشح للانتخابات المحلية بمدينة الطرفاية هو أن التنمية المحلية تتسم بالبطء وعشوائية التسيير الذي يوصف بأنه غير معقلن للنخبة التقليدية المحلية، فكان البحث عن الأفضل هو الهدف وراء ترشحهم، إضافة إلى الرغبة في التغيير الذي لم يطل النخب المحلية في المدينة منذ عقود، فطرحوا أنفسهم كبديل للنخبة المحلية التقليدية المهيمنة على المشهد التمثيلي في المدينة.

لمعرفة أسباب إخفاق فئة الشباب في ولوج المجلس المحلي، اتضح أن سبب اختيار الشباب للأحزاب التي حملوا ألوانها اختلف من شخص لآخر، حيث صرح البعض بأن الحزب الذي ينتمي إليه هو من عرض عليه الترشح للانتخابات الجماعية على اعتبار أنه من مناضلي الحزب، فيما اعتبر آخرون أن الحزب مجرد وسيلة للدخول إلى الانتخابات، واعتبروا أن الأحزاب تعمل فقط على محاولة تغطية جميع الدوائر وملئ الفراغ الانتخابي بها، وقد برر هؤلاء دخولهم الانتخابات تحت شعار الحزب بأنه السبيل الأسهل على أساس أن الترشيح بصفة مستقلة يتطلب الحصول على 10 توقيعات مصادق عليها لناخبين من ناخبي الجماعة المعنية عن كل مقعد، وبما أن عدد المقاعد بجماعة الطرفاية هي سبعة عشر (17)، فإن مجموعة التوقيعات التي ينبغي الحصول عليها هي (170) توقيع بالنسبة للراغب في الترشح بدون انتماء سياسي، وهذه المسطرة تكاد تكون مستحيلة (المادة 134 من القانون التنظيمي رقم 59.11، 23 يوليو

2015)، بينما عبر البعض عن اختيارهم للحزب الذي حملوا شعاره عن قناعتهم بتوجهات الحزب ومدى شعبيته على المستوى الوطني.

ب. معيقات نجاح فئة الشباب

المقابلات التي أجريت في إطار الدراسة كشفت أن الشباب موضوع الدراسة باختلاف ألوانهم الحزبية قد أجمعو على أن الدور الفعال والحاسم للعملية الانتخابية كان بفضل الأموال التي وزعها المرشحين ومن معهم على الناخبين قبيل انتهاء الحملة الانتخابية بأيام قليلة، لكن هناك من أجاب بالنفي، واعتبر أن إرادة الناخبين هي التي حددت نجاحهم بناءً على الشعبية التي يتوفرون عليها، ونفوا بشكل مطلق أن تكون الأموال هي العامل الحاسم في نجاحهم، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه إجابة شباب تمكنوا من النجاح في دوائرهم الانتخابية بفارق كبير مع منافسيهم الذين يصنفون ضمن فئة النخب التقليدية التي عمرت طويلاً في التمثيلية المحلية للمجلس الجماعي للطرفاية، وهذا الرأي لا يتوافق مع تصريح رئيس الحكومة المغربية والأمين العام لحزب العدالة والتنمية سابقاً عبد الإله بنكيران الذي حذر واستنكر قبل إجراء الانتخابات الجماعية والجهوية ل 4 شتنبر 2015 من استغلال بعض الأحزاب السياسية لأموال تجارة المخدرات وتوظيفها لشراء الأصوات (جريدة الأيام 24، 2015).

ارتباطاً بالمعيقات التي تواجه الشباب خلال مشاركتهم السياسية في الانتخابات المحلية، قمنا بطرح سؤال له علاقة جد وثيقة بالمنطق القبلي الذي يسود المنطقة حالة الدراسة في محاولة لمعرفة دور البنية القبلية أو التحالفات القبلية في ولوج المجلس الجماعي، فكانت الإجابة أن القبيلة كانت عاملاً مضاداً لأغلب الشباب الذين ترشحوا في حزب لم تتبناه القبيلة، بينما كانت عاملاً مساعداً في نجاح أقلية حازت على الدعم المالي والمعنوي للقبيلة، حيث أقروا بالدور الحيوي والفعال لهذه الأخيرة في حصولهم على عضوية المجلس الجماعي، ومن ثم يكمن القول بأن القبلية تعد من المظاهر التي تشوه الحياة السياسية وتعيق رغبة وفرصالشباب في المشاركة السياسية للانخراط في تدبير شؤون المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها.

تأسيساً عليه نستنتج أنه ليس كل من له انتماء قبلي سيحصل على مساندة قبيلته، إذ لا بد إضافة إلى ذلك أن يكون من أبناء أحد الأعيان الكبار في القبيلة، أو أن يكون من أقرب أقربائه ليحظى بدعم القبيلة والحصول على أصوات أفرادها المسجلين في الدائرة الانتخابية التي ترشح فيها، ولا يشترط فيه أي شرط آخر، فرابطة الدم أقوى من أي اعتبار آخر(مصطفى عبدي، 2015).

إن انفتاح النخب القبلية خلال دورة النخبة لا يكون متاحاً لعناصر لهم مهارات وكفاءات تعزز النخبة القائمة كما سبق ورأينا في الإطار النظري لمفهوم النخبة، وإنما يتم اختيار عناصر لهم السمات والمميزات نفسها التي تحملها النخبة التقليدية، فيكون ولوج العناصر الجديدة التي تُطَّعِمُ النخبة بها نفسها محكوماً بمنطق القبيلة التي يحيل تعريفها على **"اعتقاد المجموعات القبلية في انتمائها إلى جد أعلى مشترك، انتماء يميزها عن**

مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع يحكمها "صراع القبيلة" في معناه الصدامي، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "قانون الصراع القبلي" وفحواه: "أنا وابن عمي على الغريب وأنا وأخي على ابن عمي"" (محمد عابد الجابري، 1990، ص79)، إذن فقانون الصراع القبلي محدد رئيس في تشكيل النخب المحلية خلال دورتها، ويمتد ليصل حد التأثير في التوجه الحزبي في مدينة الطرفاية، إذ يتم الترحال الجماعي لأفراد قبيلة معينة نحو لون حزبي واحد، هذا الترحال تغلب عليه النزعة القبلية (tribalisation) ويكون محكوماً بقواعدها التي تعبر عن **"سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية"**(محمد نجيب بوطالب، يونيو 2002، ص62)، لذلك فإن الانتماء القبلي هو المعيار الأساس في اختيار النخب السياسية التي ستدبر الشأن المحلي في المجتمعات القبلية من ناحية، كما يعتبر أكثر محددات التأثير في السلوك الانتخابي لأفراد القبيلة من ناحية أخرى (بكار المرتجي، 2019، ص73) بغض النظر عن اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكرية، سواء كانوا فقراء أو متوسطي الدخل عموماً، أو كانوا من الأغنياء الذين لا يترددون في تقديم كل أنواع الدعم المادي والمعنوي لتحوز القبيلة على أكثر عدد من الأصوات، بحيث أن أغلب المرشحين ينبثقون إما من بين أبناء أو أقارب الفئة الميسورة في القبيلة، أو يتم اختيارهم بمباركة هذه الأخيرة ودعم منها لخدمة مصالحها الاقتصادية وتوسيع شبكة علاقاتها بالدرجة الأولى.

لقد حدث وأن شهدت الانتخابات الأخيرة بالمدينة حالة الدراسة تصارع حزبين معينين على المستوى الظاهر، أما في الجوهر فهو صراع قبلي حول الحكم عبر آلية الانتخاب، فأسفرت النتائج عن حصول قبيلة بعينها على أكبر عدد من المقاعد على مستوى كامل عمالة إقليم الطرفاية، وهو ما مكن أفرادها من تسيير أغلب الجماعات الأخرى، وبالتالي حصولهم على أغلبية مكنتهم من تشكيل مكتب المجلس الإقليمي للطرفاية الذي يتشكل من أعضاء الجماعات التابعة لنفوذ الإقليم، والذي انعدمت في تشكيلة مكتبه بشكل مطلق وقطعي فئتي الشباب والنساء، فكان هذا الغياب سمة مشتركة بين المجالس، إذ لم تحصل الفئة الشابة أقل من 40 سنة في تشكيل مكتب جماعة الطرفاية سوى على كاتبة المجلس ونائبها، أما النيابات الأربع للرؤساء فقد احتلتها نخبة قبلية تقليدية بامتياز، فكان من الطبيعي أن تسفر تشكيلة مجلس جماعة الطرفاية والمجلس الإقليمي للطرفاية عن هيمنة الفئة العمرية التي تتجاوز 45 سنة.

إن هذا الوضع تبرره أسبقية العناصر التقليدية المعمِّرة، فهم من اختاروا النخبة الجديدة وضَمِنَ حصولها على مراكز متقدمة في المكتب، وبالتالي هم من يتحكمون في تموقعها بناءً على منطق توازن المصالح في إطار التحالفات القبلية، لذا نجد أن بعض علماء الاجتماع الغربيين يطلقون مفهوم القبيلة على المجموعات المتقابلة التي تمثل دوائر شبه مغلقة ولها مصالح غير متوافقة، بحيث إن هذا الاستخدام يحوِّل قرابة القبيلة التقليدية من قرابة الدم إلى قرابة مصلحية(محمد نجيب بوطالب، يونيو 2002، ص63)، وهذا

ما يفسر تحويل رؤساء المجالس المحلية من فضاء عمومي للمشاركة السياسية والديمقراطية التشاركية لتحقيق التنمية المحلية، إلى امتداد للقبيلة عبر ربط جميع المستخدمين والموظفين بها بمصالح شخصية، لتكون استمرارية الرئيس في منصبه ضمانة للحفاظ على مصالح أفراد قبيلته الذين يوالونه ويدافعون عنه بكافة الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة (كرايس الجيلالي، رقاد الجيلالي، 2019، ص159)، حتى وإن كان تدبيره للشؤون المحلية ضعيفاً وهزيلاً ولا يخدم المصلحة العامة المحلية، ولا يساهم في تنمية المجتمع المحلي.

الخلاصات والاستنتاجات

خلصنا خلال هذه الدراسة إلى أن النخب التقليدية في المجتمعات القبلية تهيمن وتسيطر على من سيكون له الحق في تدبير الشأن المحلي عبر الفوز في الانتخابات المحلية، ومن ثم فإن هذه الوضعية تحول دون تجدد النخبة المحلية وتساهم في بطئ دورتها، كما تبين أيضاً أن عملية تجدد النخب وسيطرة النخبة التقليدية المخزنية راجع إلى مجموعة من الأسباب التي أنتجت وضعية مختلة ومعتلة أدت إلى تزايد قوة وهيمنة القبيلة/العشيرة، في مقابل تراجع دور الأحزاب السياسية في تأطير الشباب وتكوينهم لقيادة تدبير الشؤون العامة للمجتمعات المحلية التي ينتمون إليها، لتصبح القبيلة/العشيرة هي من تحتوي الأحزاب، ولا تتوانى هذه الأخيرة عن التهافت لإغراء واستقطاب القبائل ذات الكثافة العددية لحصد أكبر عدد من الأصوات في مناطق هيمنتها، وبالتالي فإن هذا الاستنتاج يقود إلى تأكيد فكرة (Downs A.) الذي خلصفيها إلى أن الأحزاب تشبه المقاولات الاقتصادية التي تعتبر الربح هو الغاية الأسمى، فالأحزاب لكي تحقق مراميها فإنها تنهج أية سياسة ترى فيها وسيلة لكسب أكبر عدد من الأصوات، وللأسباب نفسها، تقوم المقاولات التجارية بإنتاج أي سلعة ترى بأنها ستحقق لها أكبر قدر من الأرباح المالية(بوتومور، 1988، ص117).

ختاماً، نخلص إلى أن انغلاق بنية القبيلة على نفسها أضعف من وثيرة دورة النخبة، كما أن ضعف تكوين النخب المحلية والجهوية الشابة والتحكم في تموقعها من طرف الأعيان يثبت أن فئة الشباب له قابلية كبيرة على تبني عقلية النخبة التقليدية المعمرة، ومن ثم فإن هذه الأخيرة لا تزكي إلا شباب مقربين من أعيان وشيوخ القبائل، ومتشبعين بفكرة المنطق القبلي ولهم التصورات والانطباعات نفسها التي تنهجها النخب الكلاسيكية في تحديد المستشارين المحليين، وكنتيجة لهذا الوضع تبقى الديمقراطية والتشاركية في تصورات النخبة التقليدية التي انبثقت عن البنيات القبلية مسألة هامشية على اعتبار أن تحقيق المصالح الاقتصادية والمنافع المادية لأفرادها، وإحراز المكاسب السياسية لصالح الأحزاب التي انضوت تحت لواء القبيلة/العشيرة خلال العمليات الانتخابية، هي المتحكمة في من سيخوض غمار المشاركة السياسية كمرشحين لتدبير الشأن المحلي التابعة لنفوذ المجتمعات القبلية، ولا يمكن أن يتغير هذا المنطق إلا

بإحداث رجة عميقة في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية السائدة في هذه المجتمعات القبيلية.

قائمة المراجع

1.ابراهيم ابراش(1998)، علم الاجتماع السياسي: مقاربة ابستمولوجية ودراسة تطبيقية على العالم العربي، ط 1، دار الشروق، فلسطين.

2.بكار المرتجي(2019)، مظاهر البداوة في المجال الحضري بمدن جنوب المغرب: دراسة لحالة مدينة طانطان(2019)، مقال ضمن مؤلف جماعي بعنوان: ديناميات التحول الاجتماعي بالأقاليم الجنوبية للمغرب 2019، ط 1، المركز العربي الديمقراطي، برلين، ألمانيا.

3.بورون، بوركو(1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ط 1، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4.توم بوتومور(1988)، النخبة والمجتمع، ط 2، ترجمة: جورج جحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

5.جريدة الأيام 24(2015)، بنكيران يحذر الفرقاء السياسيين من شراء أصوات الناخبين بأموال المخدرات، تاريخ الاسترداد 22 01, 2020، على الرابط التالي: https://www.alayam24.com/articles-9062.html

6.جمال الدين إبن منظور(2003)، لسان العرب، ج 14، دار صادر، بيروت، لبنان.

7.جون سكوت(2013)، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ط 2، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان.

8.عبد اللطيف بو علام(2102/2011)، الإطارات الجزائرية بين المشاركة والعزوف عن الفضاء الجمعوي والحزبي في الجزائر مؤسسة موبيليس نموذجاً، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران، الجزائر.

9.عزيزة حاجي(2002/2001)، النخبة السياسية بالمغرب محاولة للتحديد. أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية الحقوق أكدال،بجامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.

10.علي أسعد وطفه(ماي 2015)، في مفهوم النخبة مقاربات بنائية، ط 1، مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية، الكويت.

11.القانون التنظيمي رقم 59.11 المتعلق بانتخاب أعضاء مجالس الجماعات الترابية كما وقع تتميمه وتعديله بموجب القانون التنظيمي رقم 34.15.

12.كرايس الجيلالي، رقاد الجيلالي(2019)، الانتخابات الملحلية في الجزائر وعائق البنية الثقافية لدى الناخب، مقال ضمن مؤلف جماعي بعنوان الانتخابات المحلية ودورها في ترسيخ الديمقراطية في الدول المغاربية، المركز العربي الديمقراطي، برلين، ألمانيا.

13.محمد عابد الجابري(1990)، نقد العقل العربي 3، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، لبنان.

14.محمد علي حمود وعلي السعدي(2013)، تطبيقات نظرية النخبة ونظرية الدومينو في بلدان دول الربيع العربي، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 1، العدد 17، جامعة الكوفة، العراق.

15.محمد نجيب بوطالب(يونيو 2002)، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط 1، سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم 41، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

16.مروان عبد الحميد ابراهيم(2000)، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل والبحوث الجامعية، ط 1. مؤسسة الوراق، عمان، الأردن.

17.مصطفى عبدي(2015)، بنية مجالس الجماعات بين التقليد والتحديث -المجلس الجماعي لمدينة الطرفاية نموذجاً، تاريخ الاسترداد 20 01, 2020، على الرابط التالي: http://dakhlanews.com/news870.html

18.معجم المعاني (بدون تاريخ). تاريخ الاسترداد 20 01, 2020، على الرابط التالي: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%86%D8%AE%D8%A8%D8%A

19.وزارة الداخلية(2015)، نتائج الانتخابات الجماعية حسب محاضر اللجن اقتراع 4 سبتمبر 2015، تاريخ الاسترداد 19 01, 2020، على الرابط التالي: http://www.elections.ma/elections/communales/resultats.aspx

20.PARETO Velfredo(1917), Traité de sociologie générale, Chapitres I, II et III, Un document produit en version numérique par Mme Marcelle Bergeron, Sur le lien suivant:http://www.adelinotorres.info/sociologia/pareto_traite_de_sociologie_generale.pdf

21.Rocher Guy(1968), Multiplication des élites et changement social au Canada français, Multiplication des élites et changement social au Canada français", publié dans la Revue de l'Institut de sociologie, no 1, PP, 79-94, Bruxelles : Université libre de Bruxelles, Un document produit en version numérique par Jean-Marie Tremblay, PP, 5, 6, Sur le lien suivant:https://pdfs.semanticscholar.org/5460/9a76182f92660be54a098fef6811cb11053f.pdf.

واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر الأكاديميين والإداريين العاملين فيها

The reality of strategic management in the Amran Community College in the Republic of Yemen"From the standpoint of Academics and Administrators working in it"

د. عامر سعد أحمد جبران، كلية المجتمع – عمران- الجمهورية اليمنية

Dr. Amer Saad Ahmed Jubran, Amran, Community college- Republic of Yemen

الملخص: هدف البحث لمعرفة واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر الأكاديميين والإداريين فيها، ولتحقيق هدف البحث أُستخدم المنهج الوصفي المسحي، واستبانة مكونة من (32) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات هي: (صياغة التوجه المستقبلي، تنفيذ الإستراتيجية، تقويم الإستراتيجية)، وبعد التأكد من صدق الأداة وثباتها وزّعت على عينة مكونة من (53) فرداً، أُختيرت بطريقة الحصر الشامل نظراً لصغر حجم مجتمع البحث، وذلك في الفصل الأول من العام الجامعي 2019/ 2020م، وتم تحليل البيانات باستخدام برنامج الرزم الإحصائية (SPSS)، وخلُصت نتائج البحث أن واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران على مستوى الأداة ككل وعلى مستوى مجالاتها الثلاثة جاءت بدرجة (متوسطة). وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث على مستوى مجالات الأداة تعزى لمتغير "المسمى الوظيفي". كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير "التخصص" لصالح (إنساني)، ومتغير "سنوات الخبرة " لصالح فئة الخبرة (أقل من خمس سنوات) بينما لا توجد فروق دالة إحصائياً على مستوى المجال الأول.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الإستراتيجية، كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية.

Abstract :The research goal is to find out the reality of strategic management in the community college of Amran in the Republic of Yemen from the viewpoint of academics and administrators in it, and to achieve the research goal, the descriptive survey method was used, and a questionnaire consisting of (32) paragraphs distributed over three areas: (formulating the future direction, implementing the strategy, evaluating

the strategy After verifying the validity and reliability of the tool and distributed it to a sample of (53) individuals, it was chosen in a comprehensive inventory method due to the small size of the research community, in the first semester of the academic year 2019/2020, and the data was analyzed using the Statistical Packages Program (SPSS), The results of the research concluded that the reality of strategic management in the Community College Amran at the level of the tool as a whole and at the level of its three fields came with a degree (medium). The results showed that there were no statistically significant differences between the averages of the responses of the individuals in the research sample at the level of the tool's fields due to the "job title" variable. The results also showed that there are statistically significant differences attributable to the variable "specialization" in favor of (human), and the variable "years of experience" in favor of the category of experience (less than five years) while there are no statistically significant differences at the level of the first field.

Keywords: Strategic Management, Amran Community College, Republic of Yemen

مقدمة:

يتميز العصر الحالي بالسرعة الهائلة في التقدم العلمي والتكنولوجي، وهذا التقدم لم يكن ليصل إلى هذا الحد إلا من خلال الجهود الكبيرة التي تبذل في مجال التحسين والتطوير، والإدارة تعتبر هي أداة هذا التقدم بل هي تعمل على تقدمة ورفاهيته وذلك باستغلال الطاقات المتوفرة في الاتجاه المرغوب فيه إلى أقصى حد ممكن، فما التقدم الحضاري والاقتصادي والعلمي والصناعي وغيرها من المجالات في الدول المتقدمة إلا بفضل الإدارة الناجحة وأساليبها.

وتُعد الإدارة الإستراتيجية قمة الهرم الإداري في الفكر والتطبيق، وهي تطور لمفهوم التخطيط الاستراتيجي، حيث تهتم بالحاضر والمستقبل في آن واحد، أي نظرة داخلية إلى الخارج تهدف إلى الإبداع ورفع الكفاءة التشغيلية (محمود عساف،2005، ص5). حيث إن الإدارة الإستراتيجية أعادت الصورة الحقيقية للدور القيادي، نظراً لما تملكه من قدرة في تسليط الأضواء، وتشخيصجوانب القوة والضعف في المؤسسة التعليمية، سواء في بيئتها الداخلية أو في بيئتها الخارجية (Hamtick, D.C, 2002,p15).

كما أن الإدارة الإستراتيجية تُعد ضرورة في مؤسسات التعليم العالي، إذا ما تم تطبيقها بشكل جيد، لأنَّها تؤدي إلى رفع الأداء في الحاضر والمستقبل، كما أكدت ذلك منظمات الأعمال العالمية التي استخدمت هذا الأسلوب(Nicoline & Antje, 2006,p2) .

ونظراً للأهمية الكبيرة للإدارة الإستراتيجية في المؤسسات التعليمية والتقنية المتمثلة في: توضيح الرؤية المستقبلية، واتخاذ القرارات الإستراتيجية ، والدقة في التنبؤ بنتائج التصرفات الإستراتيجية ، وتحقيق أعلى مستويات الأداء، وتنمية عادات التفكير في المستقبل، والتخصيص الفعال للإمكانيات والموارد، وتوفير فرص مشاركة جميع المستويات الإدارية، والتحول إلى الأداء المبادر وليس الأداء بردود الأفعال(مؤيد سعيد السالم، 2005، ص19-20).

ومما سبق يتضح أهمية تطبيق الإدارة الإستراتيجية في المؤسسات التعليمية، حيث أصبح لزاماً على هذه المؤسسات، ومنها كليات المجتمع اليمنية، خصوصاً وأنها تعاني من قصور في استخدام الأساليب والاتجاهات الإدارية الحديثة، حيث أكدت دراسة (السعدي، والدعيس، 2016) على أن الإدارة في كليات المجتمع اليمنية مازالت تدار بأساليب تقليدية، وتحتاج إلى أساليب حديثة ومتطورة ترفع من قدرتها على تحقيق أهدافها بكفاءة وفعالية، وانطلاقا من أهمية دراسة الواقع وتشخيصه باعتباره الخطوة الأولى لأي تخطيط سليم، حرص الباحث على إجراء هذا البحث للتعرف على واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية.

مشكلة البحث:

أكدت العديد من الدراسات والبحوث والمؤشرات أن واقع التعليم الفني والمهني في اليمن بما فيها كليات المجتمع تعاني من العديد من المشكلات، ومن هذه الدراسات دراسة (محمد قاسم قحوان، 2015) التي توصلت إلى أن كليات المجتمع اليمنية تفتقر إلى خطط العمل المستقبلية، ولا تستند إلى التخطيط السليم في توصيل رسالتها وتحقيق أهدافها للمجتمع، وفي ذات السياق أشار المجلس الأعلى للتخطيط إلى وجود العديد من الاختلالات في واقع التعليم الفني والمهني وكليات المجتمع، والتي من أهمها: غياب التخطيط الاستراتيجي الذي يراعي احتياجات السوق من الكوادر المؤهلة والمدربة؛ مما أدى إلى وجود فجوة بين ما تقدمه هذه المؤسسات من مخرجات وبين ما تحتاجه متطلبات التنمية وسوق العمل المحلي والإقليمي من كوادر بشرية مرتبطة بالمهن المختلفة (المجلس الأعلى لتخطيط التعليم، 2013، ص66). ونظراً للدور الكبير الذي تلعبه كُليات المجتمع باليمن ومنها كلية المجتمع عمران في تلبية احتياجات المجتمع وسوق العمل من الكوادر المؤهلة؛ لا بد من تبنيها الإدارة الإستراتيجية بكل مراحلها وفي كافة أعمالها لمواكبة التطورات الحديثة والمتسارعة في البيئتين الداخلية والخارجية، لكي تتمكن من تحقيق أهدافها بفعالية عالية، وهذا ما دفع الباحث إلى إجراء هذا البحث في محاولة منه لمعرفة واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية.
وفي ضوء ما سبق تتبلور مشكلة البحث في السؤالين التاليين:

1. ما واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية؟
2. هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05 ≤ □) بين استجابات أفراد مجتمع البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران، تعزى لمتغيرات(المسمى الوظيفي، التخصص، سنوات الخبرة)؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على:

-واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية.
-ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05 ≥ □) بين استجابات أفراد مجتمع البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران تعزى لمتغيرات (المسمى الوظيفي، التخصص، سنوات الخبرة).

أهمية البحث: تنبثق أهمية البحث من أهمية موضوعه المتمثل في واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجهورية اليمنية، وفي النتائج التي تم التوصل إليها، والتي ستسهم في تطوير أدائها من خلال استغلال نقاط القوة والفرص المتاحة ومعالجة نقاط الضعف والتغلب على التحديات في البيئة المحيطة بها وصولاً لتحويلها إلى جامعة تطبيقية، كما يمكن أن تسهم نتائج هذا البحث في مساعدة المهتمين بالتعليم الفني والمهني على مستوى الوزارة والجهاز التنفيذي لكليات المجتمع لتطوير الأداء من خلال تبنيهم الإدارة الإستراتيجية كمنهج إداري في عملهم لتحقيق التميز وترجمة الغايات إلى واقع ملموس.

حدود البحث:

اقتصر البحث **موضوعياً** على رصد وجهات نظر موظفي كلية المجتمع عمران لواقع الإدارة الإستراتيجية فيها حسب مراحلها من حيث:(صياغة التوجه المستقبلي، تنفيذ الإستراتيجية ، تقويم الإستراتيجية)، **وبشرياً**: جميع العاملين من الأكاديميين والإداريين، **ومكانياً**: كلية المجتمع الحكومية عمران، **وزمانياً**: طُبق خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي (2020/2019).

مصطلحات البحث:

الإدارة الإستراتيجية:

تُعرف بأنها: عملية تكييف المنظمة لتتلاءم مع بيئتها الخارجية والداخلية بما يضمن تحقيق أغراضها واستمراريتها على المدى البعيد بصورة أفضل (حسين حريم،2003، ص86). كما تعرف بأنها: عملية تحديد رؤية ورسالة المنظمة، وأهدافها، وتحديد استراتيجياتها كسبيل لبلوغ الأهداف في بيئة متغيرة، مع تنفيذ هذه الاستراتيجيات، وتقويمها وصولا للمستقبل المرغوب (أحمد سيد مصطفى، 2000، ص45).

تعريف البحث الإجرائي: هي الإدارة التي تقوم برسم المستقبل المرغوب لكلية المجتمع عمران، ووضع الخطط اللازمة لتحقيقه، وتنفيذ هذه الخطط ومتابعتها، وتقويمها للوصول لهذا المستقبل، وقد حُددت وفقاً لأداة البحث المستخدمة بما يلي: صياغة التوجه المستقبلي (استراتيجية الكلية)، وتنفيذ الإستراتيجية ، وتقويمها.

الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الإدارة الإستراتيجية: تعرف الإدارة الإستراتيجية بأنها: مجموعة القرارات والممارسات الإدارية التي تحدد الأداء الطويل المدى لمنظمة ما ويتضمن ذلك وضع الإستراتيجية وتطبيقها والتقويم والرقابة(محمود جاسم محمد الصميدعي، 2004، ص21). كما تُعرف بأنها: تصور الرؤى المستقبلية للمنظمة، ورسم رسالتها وتحديد غاياتها على المدى البعيد، وتحديد أبعاد العلاقات المتوقعة بينها وبين بيئتها بما يسهم في بيان الفرص والمخاطر المحيطة بها، ونقاط القوة والضعف المميزة لها، وذلك بهدف اتخاذ القرارات الإستراتيجية المؤثرة على المدى البعيد ومراجعتها وتقويمها(عبد الحميد المغربي،1999، ص30).

ويرى الباحث أن الإدارة الإستراتيجية تختلف عن التخطيط الاستراتيجي، فالتخطيط الاستراتيجي جزء أساسي من مكونات الإدارة الإستراتيجية، فمصطلح الإدارة الإستراتيجية يدل على صياغة الإستراتيجية وتنفيذها وتقييمها، في حين يدل مصطلح التخطيط الاستراتيجي على صياغة الإستراتيجية فقط.

ثانياً: أهمية الإدارة الإستراتيجية: تعد الإدارة الإستراتيجية ضرورة لأنها تؤدي إلى رفع أداء المنظمات حاضراً أو مستقبلاً إذ أنها تعمل على تحديد خارطة طريق للمؤسسة تحدد موقعها في المستقبل، وتنمي القدرة على التفكير الاستراتيجي لدى المدراء وتجعلهم يبادرون إلى صياغة الأحداث وليسوا متلقين لها، وتُمكِّن المؤسسة من استخدام الموارد استخداماً فعالاً، وتمنحها إمكانية امتلاك ميزة تنافسية مستمرة، كما تساهم في زيادة قدرة المؤسسة على مواجهة المنافسة الشديدة المحلية والدولية، وتوفر فرص مشاركة جميع المستويات الإدارية في صنع القرار(سوما علي سليطين، 2007، ص23).

ثالثاً: خصائص الإدارة الإستراتيجية: للإدارة الإستراتيجية العديد من الخصائص من أهمها ما يلي (فاتن محمد عزازي، 2013، ص49):

1. الشمولية: بما أن الإدارة الإستراتيجية هي التي تضع التصور المستقبلي للمؤسسة، فيجب أن يغطي هذا التصور إطارا كليا وشاملا للمؤسسة.
2. تشاركية: يجب إشراك مختلف الكفاءات في المؤسسة واستشارتهم في الأمور الخاصة بالإستراتيجية صياغةً وتنفيذاً وتقويماً.
3. الواقعية: أي أن تراعي الإدارة الإستراتيجية القدرات والامكانيات الموجودة عند وضع خططها.
4. المرونة: أي وجود قدر يسمح بالحركة، ومواجهة التغيرات غير المتوقعة التي يمكن أن تحدث أثناء تنفيذ الخطط المرسومة.
5. الحدس والإبداع: وذلك بالإتيان ببدائل خصبة من الخيال.
6. إلزامية الوقت: إن احترام الوقت في الجانب الاستراتيجي مهم جدا، إذ يجب صياغة وتطبيق وتقويم الإستراتيجية في الوقت المناسب والملائم، فأي تأخير خاصة مع وجود بيئة متغيرة سيؤدي إلى أن تصبح هذه الإستراتيجية لا جدوى منها.

7. الإقناع والتحفيز: يجب أن تتسم الإدارة الإستراتيجية بقدرتها على إقناع العاملين وتحفيزهم ليتم العمل بصورة فعالة؛ مما يؤدي لتحقيق الأهداف.

كما يرى الباحث أن من خصائص الأفراد ذوي التفكير الاستراتيجي: القدرة على بناء الغايات، البصيرة النافذة والفراسة في وزن الأمور، مهارة تحليل البيانات والمعلومات وتفسيرها، مهارة الاختيار الاستراتيجي، مهارة تحديد الموارد والإمكانات المتاحة واستخدامها بكفاءة، التجاوب الاجتماعي بين المؤسسة وبيئتها المحيطة، والقدرة على اتخاذ القرارات الإستراتيجية .

رابعاً: مراحل الإدارة الإستراتيجية: لا يوجد إجماع بين علماء الإدارة الإستراتيجية وباحثيها حول مراحل الإدارة الإستراتيجية ؛ إذ يرى باردفورد(Bardford) أن هناك خمس مراحل تمر بها الإدارة الإستراتيجية هي: التوجهات المستقبلية، التحليل البيئي الداخلي والخارجي، صياغة الإستراتيجية وتكوينها، تطبيق الإستراتيجية ، تقويم ورقابة الإستراتيجية (Krishnakumar, M.,2015,p 78). أما هيل وجونز فقاما باختزال مراحل الإدارة الإستراتيجية إلى مرحلتين هما: صياغة الإستراتيجية وتنفيذها (Hill, C. W. L., & Jones, G. R ,2013,p11). بينما يرى (بلانيلاس) أن الإدارة الإستراتيجية تمر بثلاث مراحل هي: صياغة الإستراتيجية، وتنفيذها وتقويمها(Planellas, M,2013,p3).

الدراسات السابقة

أولا: الدراسات المحلية:

دراسة محمد عبد الجليل ناجي المليكي (2019): هدفت إلى بناء أنموذج مقترح لتطبيق أدوات الإدارة الإستراتيجية ومراحلها في الجامعات اليمنية، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي عبر أسلوبي الاستنباط والاستقراء، ومن أهم نتائجها: أن أدوات الإدارة الإستراتيجية تتعدد نتيجة لتعدد مراحلها بدايةً من وضع التوجهات الإستراتيجية، مروراً بتطبيقها، وانتهاءً بتقويمها.

دراسة علي أبو بكر حسين (2001): هدفت إلى التعرف على دور القيادة الإستراتيجية لجامعتي عدن وصنعاء في صياغة التوجه الاستراتيجي الجامعي، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات، ومن أهم نتائجها: أن التوجه الاستراتيجي في صياغة الأهداف لدى إداريي جامعة عدن أكثر إيجابياً منه لدى إداريي جامعة صنعاء، وأن إداريي جامعة عدن أكثر توجهاً استراتيجياً لعملية التنفيذ للأهداف الإستراتيجية للجامعة من إداريي جامعة صنعاء.

ثانياً: الدراسات العربية:

دراسة هاني عبد الكريم وهبة **(2008):** هدفت إلى التعرف على واقع الإدارة الإستراتيجية في الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة وسبل تطويرها، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات، تم تطبيقها على عينة الدراسة المكونة من جميع أفراد مجتمع الدراسة البالغ عددهم(88) من رؤساء الأقسام الأكاديمية في الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة. ومن أهم نتائجها: أن التحليل البيئي (البيئة الداخلية والخارجية) حصل على

المرتبة الأولى في درجة ممارسة عمليات الإدارة الإستراتيجية ، بينما جاء التقييم والرقابة في المرتبة الأخيرة، كما أن اهتمام الإدارة في الجامعات الفلسطينية بالبيئة الداخلية والمجتمع المحلي كان بدرجة فوق المتوسط.

دراسة ليلى بنت سعد الهاشم (2006): هدفت إلى التعرف على واقع الإدارة الإستراتيجية في الأجهزة الحكومية، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات، تم تطبيقها على عينة الدراسة المكونة من جميع القيادات في الوزارات الحكومية بمدينة الرياض والبالغ عددهم(150) فرداً، ومن أهم نتائجها: أن أغلب الأجهزة الحكومية المركزية تمارس الإدارة الإستراتيجية بدرجة ضعيفة على مستوى جميع مراحل الإدارة الإستراتيجية (صياغة وتنفيذ وتقويم الإستراتيجية).

ثالثاً: الدراسات الأجنبية:

دراسة ستدهام(**Steadham**,KS **,2006**)**:** هدفت إلى التعرف على المستويات المتوقعة والحقيقية للكفاءات الضرورية للإدارة الإستراتيجية الفعّالة بين وجهات نظر كل من مديري القوى البشرية ومديري التنفيذ في كليات المجتمع في ولاية تكساس، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات، ومن أهم نتائجها: أن المديرون التنفيذيون ومديرو القوى البشرية اتفقوا في تقديرهم للكفاءات الضرورية المتوقعة للأداء الاستراتيجي لمديري القوى البشرية، على الرغم من أن مديري القوى البشرية يعتقدون أن الكفاءة الحقيقية منسجمة مع درجة الكفاءة المطلوبة أو المتوقعة بعكس المديرين التنفيذيين، كما توصلت إلى أن مديري القوى البشرية لديهم مبالغة في عوامل الكفاءة في الإدارة الإستراتيجية عند مقارنتها بوجهات نظر المديرين التنفيذيين.

دراسة سيبرت (Seibert M. j, 2004): هدفت إلى معرفة دور الإدارة الإستراتيجية في تغيير الإدارة وتطورها ومدى تطبيق الاستراتيجيات في خدمة الزبائن، ومدى ربطها بمستوى الأداء المطلوب، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي، كما تم استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات بالتركيز على أسلوب دلفاي (Delphi) كأولوية لآراء الخبراء في رفع الكفاءات الإدارية، تم تطبيقها على مجموعة الخبراء البالغ عددهم (17) مديراً ، ومن أهم نتائجها: أن للإدارة الإستراتيجية أثر واضح على تطور الأداء وتحسين فرص خدمة الزبائن، رغم عدم وجود بعض المعرفة لدى بعض المديرين بالإدارة الإستراتيجية إلا أنهم يمارسونها بدرجة متوسطة، كما أن هناك علاقة إيجابية بين المعرفة والمهارة في تطبيق مبادئ الإدارة الإستراتيجية.

التعقيب على الدراسات السابقة: باستعراض الدراسات السابقة، تتضح أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين البحث الحالي، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أوجه التشابه: يتفق البحث الحالي مع معظم الدراسات السابقة من حيث المنهج، حيث تم استخدام المنهج الوصفي، كما يتفق البحث الحالي مع معظم الدراسات السابقة من حيث اعتماد البحث على الاستبانة كأداة لجمع البيانات.

أوجه الاختلاف: اختلف البحث الحالي مع دراسة (Seibert,2004) التي استخدمت أسلوب دلفاي(Delphi)، كما اختلف البحث الحالي مع معظم الدراسات السابقة في بيئة البحث، حيث تم تطبيقه في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية.

أوجه الاستفادة: استفاد البحث الحالي بشكل كبير من الدراسات السابقة في صياغة مشكلة البحث، وفي بناء الإطار النظري والمنهجي للبحث، بالإضافة إلى تطوير أداة البحث، واستخدام المعالجات الإحصائية المناسبة، والمراجع ذات الصلة.

إجراءات البحث الميدانية

منهج البحث: استخدم البحث الحالي المنهج الوصفي المسحي لمعرفة واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران بالجمهورية اليمنية، من وجهة نظر الأكاديميين والإداريين فيها، ويقوم هذا المنهج على وصف ما هو كائن، ومن ثم وصف ما ينبغي أن يكون، من خلال جمع بيانات ومعلومات عن الظاهرة موضوع البحث ومن ثم تحليل هذه البيانات والمعلومات وتفسيرها، والوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في فهم وتطوير الواقع الذي يتم بحثه (ذوقان عبيدات، وآخرون، 2005، ص191).

مجتمع البحث وعينته: تكون مجتمع وعينة البحث من جميع الأكاديميين والإداريين في كلية المجتمع عمران، والبالغ عددهم (75) فرداً، وتم اختيار مجتمع البحث كعينة بطريقة أسلوب الحصر الشامل نظراً لصغر حجم المجتمع الأصل للبحث، وبعد استرجاع أداة البحث وجد الباحث أن الاستجابات الصالحة للتحليل بلغت (53) استجابة، وتمُثل ما نسبته (70.6%) من حجم المجتمع الأصل والجدول التالي يوضح توزيع عينة البحث.

جدول رقم (1) يوضح توزيع عينة البحث حسب متغيراته

المتغيرات		التكرار	النسبة %
المسمى الوظيفي	أكاديمي	36	% 68
	إداري	17	%32
التخصص	إنساني	26	%49
	تطبيقي	27	%51
سنوات الخبرة	من (1 - 5) سنوات	16	%30
	(6 - 10) سنوات	30	%57
	أكثر من (10) سنوات	7	%13

أداة البحث: من أجل تحقيق أهداف البحث قام الباحث بإعداد استبانة لجمع المعلومات بالاستفادة من أدبيات البحث والرجوع إلى الدراسات السابقة، وقد تضمن البحث ثلاثة مجالات هي: (صياغة التوجه المستقبلي ""الاستراتيجي"، وتنفيذ الإستراتيجية، وتقويم الإستراتيجية)، حيث بلغت فقرات الاستبانة (32) فقرة، موزعة على ثلاثة مجالات، وقد تم إعطاء كل فقرة من فقرات الاستبانة وزناً متدرج وفقاً لسلم ليكرت الخماسي (منخفضة جداً، منخفضة، متوسطة، عالية، عالية جداً)، ويمثل الاستجابة رقمياً (1،2،3،4،5) على التوالي.

الصدق الظاهري: تم التحقق من الصدق الظاهري للأداة بعرضها على مجموعة من ذوي الخبرة والكفاءة من حملة شهادة الدكتوراه في مجال الإدارة، والمناهج، والقياس والتقويم، حيث طُلب منهم إبداء الرأي حول فقرات الاستبانة من حيث مدى وضوحها، وسلامتها، ودقة صياغتها اللغوية، بالإضافة إلى مدى ملاءمتها للمجال التي تندرج تحته، وقد تم إعداد الاستبانة في صيغتها النهائية بناءً على ملاحظات المحكمين.

صدق الاتساق البنائي: ولإيجاد صدق الاتساق البنائي تم قياس مدى ارتباط المجالات بالنتيجة الكلية للأداة، وكانت جميع المعاملات في المستوى المقبول وذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) مما يشير إلى صدق الاتساق الداخلي بين كل فقرة من فقرات الاستبانة وجميع فقراتها.

ثانياً: ثبات الأداة: تم التحقق من ثبات الأداة باستخدام طريقة ألفا كرونباخ (Cronbach's Alph)، وكانت النتيجة كما هي مبينة في الجدول التالي:

جدول (2) معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات أداة البحث

م	المجالات	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
1	صياغة التوجه المستقبلي والإستراتيجية للكلية	17	0.94
2	تنفيذ الإستراتيجية	10	0.96
3	تقويم الإستراتيجية	5	0.92
إجمالي الأداة ككل		32	0.97

يتضح من الجدول السابق أن قيمة ألفا كرونباخ كانت مرتفعة تراوحت بين (0.92 - 0.96)، كذلك كانت قيمة معامل ألفا لإجمالي الأداة ككل (0.97)، وهذا يعني أن معامل الثبات مرتفع ويتم الاعتماد عليه.

المعالجات الإحصائية: لتحقيق أهداف البحث وتحليل بياناته تم استخدام المعالجات الإحصائية التالية:

-التكرارات (Frequencies) والنسب المئوية (Valid Percent) ، وذلك لوصف عينة البحث.

-معامل ارتباط بيرسون (Pearson)، وذلك للتحقق من الصدق البنائي لفقرات ومجالات أداة البحث.
-معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha)، وذلك لقياس ثبات أداة البحث.
-المتوسطات الحسابية (Mean)، وذلك لمعرفة متوسط استجابات مفردات عينة البحث.
-الانحراف المعياري(Standard Deviation)، وذلك للتعرف على مدى انحراف وتشتت استجابات مفردات البحث لكل مجال من المجالات الرئيسة عن متوسطها الحسابي، ولكل فقرة من فقرات هذه المجالات.
-اختبار (T) لعينتين مستقلتين (Independent-Samples T-test)، وذلك لمعرفة دلالة الفروق حسب متغيري (المسمّى الوظيفي، التخصص).
-اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA)، وذلك لمعرفة دلالة الفروق بين استجابات مفردات عينة البحث بالنسبة لمتغير (سنوات الخبرة).
المحك المعتمد في البحث: لتحديد معيار الاستجابة تم حساب المدى بين الدرجات على النحو التالي: المدى = الفرق بين أعلى درجة وأقل درجة = 5-1 = 4، وتم تقسيم المدى على المقياس الخماسي بالطريقة الآتية: طول الفئة = المدى ÷ عدد الفئات =4 ÷ 5 = 0.80، وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (الواحد الصحيح)، وهكذا أصبح طول الخلايا/المستويات (الحدود الحقيقية لقياس المتوسط الحسابي) على النحو المبين في الجدول التالي:

جدول (3) يبين الحدود الحقيقية لقياس المتوسط الحسابي لمحاور الأداة

الدرجة	الحدود الحقيقية	التقدير اللفظي
1	1.80 :1	منخفضة جداً
2	2.60 :1.81	منخفضة
3	3.40 :2.61	متوسطة
4	4.20 :3.41	عالية
5	5 :4.21	عالية جداً

عرض نتائج البحث ومناقشتها:

للإجابة عن السؤال الأول والذي نصه" **ما واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران؟** تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة البحث لكل فقرة من فقرات واقع الإدارة الإستراتيجية ، وللمجالات ككل، وللاستبيان بشكل عام.

أولاً: على مستوى مجالات الأداة ككل:

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لواقع الإدارة الإستراتيجية

م	المجالات	الرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير اللفظي
3	تقويم الاستراتيجية	1	3.26	.9631	متوسطة
2	تنفيذ الاستراتيجية	2	3.08	1.047	متوسطة
1	صياغة التوجه المستقبلي (الاستراتيجي)	3	3.06	.798	متوسطة
	الأداة ككل		3.13		متوسطة

يتضح من الجدول السابق الآتي: إن واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران جاءت بدلالة لفظية (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي لواقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى الأداة ككل (3.13)، وبانحراف معياري (.868)، وتدل هذه النتيجة إلى أن هناك ممارسة للإدارة الإستراتيجية في الكلية وإن لم يكن بالشكل المطلوب، مقارنة بالكثير من نتائج الدراسات السابقة والتي منها دراسة (ليلى بنت سعد الهاشم،2006) حيث توصلت إلى ضعف مستوى ممارسة أغلب الأجهزة الحكومية المركزية في الرياض للإدارة الإستراتيجية ، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن الكلية تمارس الإدارة الإستراتيجية إلى حد ما بالرغم من الأوضاع الحالية التي يمر بها الوطن، إضافة إلى أن هناك قصور في فهم وكيفية تطبيق وتقويم الإدارة الإستراتيجية كأسلوب إداري حديث لدى بعض القيادات الأكاديمية والإدارية والعاملين في الكلية بشكل عام.

كما يتضح من الجدول السابق: أن واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران على مستوى المجالات الثلاثة حصلت جميعها على دلالة لفظية (متوسطة)، حيث تم ترتيبها تنازلياً حسب المتوسط الحسابي، ثم الانحراف المعياري لكل مجال كما يلي:

-حصل مجال "تقويم الإستراتيجية " على المرتبة الأولى، بدرجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.26)، وبانحراف معياري (0.96).

-حصل مجال "تنفيذ الإستراتيجية " على المرتبة الثانية، بدرجة ممارسة (متوسطة)، بمتوسط حسابي بلغ (3.08)، وانحراف معياري (1.047) يدل على أن هناك تشتتاً وتبايناً في استجابات

أفراد العينة، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى تفاوت مستوى إدراك عينة البحث عند استجاباتهم على فقرات هذا المجال.

-حصل مجال" صياغة التوجه المستقبلي (الاستراتيجي)" على المرتبة الثالثة والأخيرة، وبدرجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.06)، وبانحراف معياري (0.798)، واختلفت مع دراسة (وهبة، 2008) التي أشارت إلى حصول مجال التوجه المستقبلي" التحليل البيئي" على المرتبة الأولى، ومجال "التقويم" على المرتبة الأخيرة.

ثانياً: تحليل النتائج على مستوى كل مجال:

مجال صياغة التوجه المستقبلي (الاستراتيجي): تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لواقع الإدارة الإستراتيجية لفقرات هذا المجال كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول (5) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة البحث لمجال صياغة التوجه المستقبلي (الاستراتيجي)

م	فقرات مجال: صياغة التوجه المستقبلي "الاستراتيجي"	الرتبة	المتوسط	الانحراف المعياري	الدلالة اللفظية
3	توجد أهداف عامة محددة للكلية.	1	3.88	1.142	عالية
2	توجد رسالة مكتوبة وواضحة للكلية.	2	3.63	1.196	عالية
1	توجد رؤية مكتوبة وواضحة للكلية.	3	3.48	1.203	عالية
17	تُحدد نقاط الضعف للكلية من أجل معالجتها.	4	3.33	1.059	متوسطة
12	تُحدد الفرصالتي يمكن للكلية الاستفادة منها.	5	3.29	1.071	متوسطة
7	تصاغ الإستراتيجية بما يحقق التناسق بين إمكانات الكلية الداخلية والمتغيرات الخارجية.	6	3.29	1.288	متوسطة
4	يراعى تحقيق متطلبات البيئة الخارجية عند صياغة أهداف الكلية.	7	3.10	1.096	متوسطة
16	تُحدد نقاط القوة للكلية والتي تساعد في تحقيق الأهداف المخطط لها.	8	3.08	1.028	متوسطة
5	تصاغ أهداف تفصيلية واضحة ومحددة لتحقيق الأهداف العامة.	9	3.04	1.148	متوسطة
13	تُحدد التهديدات لاتخاذ إجراءات ملائمة لتجنبها.	10	2.94	1.060	متوسطة
15	تُحلل إمكانات الكلية البشرية لتحديد الإستراتيجية الملائمة.	11	2.92	1.007	متوسطة
6	تراعى إمكانات وموارد الكلية عند صياغة الأهداف التفصيلية.	12	2.92	1.145	متوسطة

14	تُحلل إمكانات الكلية المالية لتحديد الإستراتيجية الملائمة.	13	2.92	1.217	متوسطة
9	توجد في الكلية قاعدة بيانات ذات العلاقة بالبيئة الخارجية لها.	14	2.71	1.220	متوسطة
11	تُحلل البيانات عن المتغيرات في البيئة الخارجية لمعرفة تأثيرها على الكلية.	15	2.69	1.151	متوسطة
8	يشارك الموظفون في صياغة الإستراتيجية .	16	2.48	1.238	منخفضة
10	يتم تحديث البيانات عن المتغيرات في البيئة الخارجية بصفة دورية.	17	2.40	1.144	منخفضة
متوسط المجال ككل			3.06	.798	متوسطة

يتضح من الجدول السابق الآتي: حصل مجال "صياغة التوجه المستقبلي(الاستراتيجي)" على درجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.06)، وبانحراف معياري بلغ (0.798)، وبتحليل نتائج فقرات هذا المجال يتضح الآتي:

حصول الفقرات الثلاث الأولى رقم (3، 2، 1) على التوالي على درجة ممارسة (عالية)، حيث تنص الفقرة رقم (3) على " توجد أهداف عامة محددة للكلية" على أعلى واقع بمتوسط حسابي بلغ (3.88)، وانحراف معياري بلغ (1.142)، تليها الفقرة رقم (2) والتي تنص على " توجد رسالة مكتوبة وواضحة للكلية" في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي بلغ (3.63)، وانحراف معياري بلغ (1.196)، كما تأتي الفقرة رقم (3) والتي نصها " توجد رؤية مكتوبة وواضحة للكلية " في المرتبة الثالثة، بمتوسط حسابي بلغ (3.28)، وانحراف معياري بلغ (203.1)، وبالنظر لقيم الانحراف المعياري للفقرات الثلاث السابقة يتضح أن هناك تشتتاً وتبايناً في استجابات أفراد عينة البحث بالرغم من حصولها على درجة "عالية" ، ويعزو الباحث حصول الفقرات الثلاث الأولى رقم (3، 2، 1) على التوالي على درجة ممارسة (عالية)، حيث تنص الفقرة رقم (3) على " توجد أهداف عامة محددة للكلية" على أعلى واقع بمتوسط حسابي بلغ (3.88)، وانحراف معياري بلغ (1.142)، تليها الفقرة رقم (2) والتي تنص على " توجد رسالة مكتوبة وواضحة للكلية" في المرتبة الثانية، بمتوسط حسابي بلغ (3.63)، وانحراف معياري بلغ (1.196)، كما تأتي الفقرة رقم (3) والتي نصها " توجد رؤية مكتوبة وواضحة للكلية " في المرتبة الثالثة، بمتوسط حسابي بلغ (3.28)، وانحراف معياري بلغ (1.203)، وبالنظر لقيم الانحراف المعياري للفقرات الثلاث السابقة يتضح أن هناك تشتتاً وتبايناً في استجابات أفراد عينة البحث بالرغم من حصولها على درجة "عالية" ، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى معرفة وإدراك العاملين لرؤية الكلية ورسالتها وأهدافها العامة بواقع درجة "عالية" كونها معلنة وواضحة للجميع، وإن تفاوت مستوى الإدراك والمعرفة.

حصلت الفقرتان رقم (8)،(10) على درجة ممارسة (منخفضة)، حيث تنص الفقرة رقم (8) على "يشارك الموظفون في صياغة الإستراتيجية " بمتوسط حسابي (2.48)، وانحراف معياري (1.238)، تليها الفقرة رقم (10) "يتم تحديث البيانات عن المتغيرات في البيئة الخارجية بصفة

دورية" على أدنى واقع بمتوسط حسابي (2.40)، وانحراف معياري (1.144)، وبالنظر لقيم الانحراف المعياري للفقرتين يتضح أن هناك تشتتاً وتبايناً في استجابات أفراد عينة البحث بالرغم من حصولهما على درجة "منخفضة"، ويعزو الباحث هذه النتيجة على قصور تحديث البيانات ذات الصلة بالمتغيرات في البيئة الخارجية بصفة دورية، بالإضافة إلى ضعف مشاركة القيادة للموظفين في صياغة الإستراتيجية ، وقد يُعزى السبب لطبيعة الخطط الإستراتيجية التي تتسم في الغالب بالسرية، عكس الرؤية والرسالة التي تتسم بالطابع العلني.

حصلت بقية فقرات هذا المجال على درجة ممارسة (متوسطة)، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى ممارسة العاملين في الكلية لتلك الفقرات بدرجة متوسطة.

المجال الثاني: تنفيذ الإستراتيجية: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لواقع الإدارة الإستراتيجية لفقرات هذا المجال كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول (6) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة الدراسة لمجال تنفيذ الإستراتيجية

م	المجال الثاني: تنفيذ الإستراتيجية	الرتبة	المتوسط	الانحراف المعياري	الدلالة اللفظية
4	تُحدد البرامج الزمنية لتنفيذ الخطة الإستراتيجية .	1	3.33	1.342	متوسطة
5	يتم توفير الموارد البشرية الكافية لتنفيذ الإستراتيجية .	2	3.25	1.194	متوسطة
3	يتم الالتزام بالسياسات الموضوعة لتنفيذ الخطة الإستراتيجية .	3	3.19	1.179	متوسطة
8	تُوضح إجراءات تنفيذ الإستراتيجية لجميع موظفي الكلية.	4	3.10	1.341	متوسطة
6	تُخصص الموارد المالية اللازمة لتنفيذ الخطة الإستراتيجية .	5	3.10	1.418	متوسطة
2	يتم الالتزام بالإستراتيجية الموضوعة في إنجاز أعمال الكلية.	6	3.08	1.145	متوسطة
1	تُعدل الثقافة التنظيمية للكلية لتتلاءم مع الإستراتيجية الجديدة.	7	3.02	1.139	متوسطة
7	تُحدد مسؤولية الإدارات عن تنفيذ الإستراتيجية .	8	3.00	1.203	متوسطة
10	يتم التنسيق بين الخطة الإستراتيجية والخطط الفرعية.	9	2.98	1.313	متوسطة
9	يتم تدريب الموظفين على المهام المطلوب تنفيذها لتطبيق الإستراتيجية .	10	2.92	1.381	متوسطة
متوسط المجال ككل			3.08	1.047	متوسطة

يتضح من الجدول السابق الآتي: حصل مجال "تنفيذ الإستراتيجية " على درجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي(3.08)، وبانحراف معياري بلغ (1.047)، وبتحليل نتائج فقرات هذا المجال يتضح الآتي:

حصلت جميع فقرات هذا المجال على درجة ممارسة (متوسطة)، وهذا يدل على أن جميع أفراد عينة البحث يدركون بأنهم يشاركون في الأنشطة ذات الصلة بـ" تنفيذ الإستراتيجية " بواقع متوسط.

المجال الثالث: تقويم الإستراتيجية: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة واقع الإدارة الإستراتيجية لمحتوى هذا المجال كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول (7) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد عينة البحث لمجال تقويم الإستراتيجية

م	المجال الثالث: تقويم الإستراتيجية	الرتبة	المتوسط	الانحراف المعياري	الدلالة اللفظية
3	تتوافر معلومات عن أداء الكلية من خلال المستفيدين من خدماتها.	1	3.42	1.182	عالية
4	تُعدل الخطط والبرامج لتتلاءم مع المتغيرات في البيئة الخارجية.	2	3.33	1.136	متوسطة
1	توجد معايير واضحة لتقييم استراتيجية الكلية.	3	3.27	1.380	متوسطة
5	تُعدل الإستراتيجية عند حدوث تغيرات في البيئة الخارجية.	4	3.15	1.010	متوسطة
2	يتم التحقق من مدى الاستفادة من الموارد المتاحة لتنفيذ الإستراتيجية .	5	3.13	1.104	متوسطة
متوسط المجال ككل			3.26	.9631	متوسطة

يتضح من الجدول السابق الآتي: حصل مجال "تقويم الإستراتيجية " على درجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي(3.08)، وبانحراف معياري بلغ (1.047)، وبتحليل نتائج فقرات هذا المجال يتضح الآتي:

حصلت الفقرة رقم (3) على درجة ممارسة (عالية)، حيث تنص الفقرة على " تتوافر معلومات عن أداء الكلية من خلال المستفيدين من خدماتها." على أعلى واقع ممارسة بمتوسط حسابي بلغ (3.42)، وانحراف معياري بلغ (1.182)، وبالنظر لقيمة الانحراف المعياري للفقرة السابقة يتضح أن هناك تشتتاً وتبايناً في استجابات أفراد عينة البحث بالرغم

من حصولها على درجة "عالية"، ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى اطلاع قيادة الكلية العاملين على ذلك، أو من خلال معرفة وإدراك معظم العاملين عن أداء الكلية من خلال المستفيدين من خدماتها من المجتمع المحيط وإن تفاوت مستوى الإدراك والمعرفة.

بقية فقرات هذا المجال حصلت على درجة ممارسة (متوسطة)، وهذا يدل على أن أفراد عينة البحث يدركون بأنهم يشاركون في الأنشطة ذات الصلة ب" تنفيذ الإستراتيجية " بواقع متوسط.

وللإجابة عن السؤال الثاني والذي نصه: **هل توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى دلالة ≥ (0.05) في استجابات أفراد مجتمع البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران، تعزى لمتغيرات (المسمى الوظيفي، التخصص، سنوات الخبرة)؟** لحساب الفروق بين تقديرات عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران، تم استخدام الاختبار التائي (T-TEST) لمتغيري (المسمّى الوظيفي – التخصص)، كما تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA) لمتغير (سنوات الخبرة) ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

أولا: بحسب متغير المسمى الوظيفي:

جدول (8) نتائج الاختبار التائي (T.TEST) لفحص دلالة الفرق بين تقديرات عينة البحث لواقع الإدارة الإستراتيجية تعزى لمتغير المسمى الوظيفي

المجال	المسمى الوظيفي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبية	دالة عند	الدلالة اللفظية
الأول	أكاديمي	36	2.9210	.72578	-1.794	.079	غير دالة
	إداري	17	3.3493	.88104			
الثاني	أكاديمي	36	3.0375	1.05211	-.561	.577	غير دالة
	إداري	17	3.2188	1.06095			
الثالث	أكاديمي	36	3.2063	.95375	-.526	.602	غير دالة
	إداري	17	3.3625	1.00457			
الأداة ككل	أكاديمي	17	3.0549	.85467	-.960	.342	غير دالة
	إداري	36	3.3102	.89681			

* مستوى الدلالة (0.05) فأقل

تشير النتائج الموضحة في الجدول السابق إلى أن قيمة (T) المحسوبة غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حول تقديرات أفراد عينة البحث لواقع الإدارة الإستراتيجية، حيث كانت

قيم مستويات الدلالة الإحصائية أكبر من (0.05)، مما يعني عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى مجالات الأداة تعزى لمتغير "المسمى الوظيفي"، وهذا يدل على تقارب وجهات نظر أفراد عينة البحث بغض النظر عن مسمياتهم الوظيفية بسبب عملهم في بيئة واحدة.

ثانياً: بحسب متغير التخصص:

جدول (9) نتائج الاختبار التائي (T.TEST) لفحص دلالة الفرق بين تقديرات عينة البحث لواقع الإدارة الإستراتيجية تعزى لمتغير التخصص

المجال	التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبية	دالة عند	الدلالة اللفظية
الأول	إنساني	26	3.2437	.60110	1.899	.064	غير دالة
	تطبيقي	27	2.8118	.97325			
الثاني	إنساني	26	3.5036	.85135	3.544	.001	دالة
	تطبيقي	27	2.5300	1.04936			
الثالث	إنساني	26	3.5429	.76760	2.561	.014	دالة
	تطبيقي	27	2.8600	1.08210			
الأداة ككل	إنساني	26	3.4300	.65555	2.957	.005	دالة
	تطبيقي	27	2.7339	.97729			

* مستوى الدلالة (0.05) فأقل

تشير النتائج الموضحة في الجدول السابق إلى أن قيمة (T) المحسوبة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حول تقديرات أفراد عينة البحث لواقع الإدارة الإستراتيجية، حيث كانت قيم مستويات الدلالة الإحصائية أقل من (0.05)، مما يعني وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى المجال الثاني والثالث وعلى مستوى الأداة ككل تعزى لمتغير التخصص ولصالح فئة" إنساني" ويُعزى ذلك إلى إدراك ذوي التخصص الإنساني لواقع ممارسة الإدارة الإستراتيجية أكثر من ذوي التخصص التطبيقي نظراً لطبيعة عملهم ، بينما لا توجد فروق دالة إحصائياً حول المجال الأول وهذا يدل على تقارب استجابات جميع أفراد عينة البحث كون الرؤية والرسالة والأهداف العامة للكلية واضحة للجميع كونها مكتوبة في مدخل مبنى الكلية.

ثالثاً: بحسب متغير الخبرة:

جدول (10) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA) لفحص دلالة الفرق بين تقديرات عينة البحث لممارسة الإدارة بالتجوال تعزى لمتغير سنوات الخبرة

المحاور/ المجالات		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F قيمة	مستوى الدلالة	الدلالة اللفظية
المجال الأول	بين المجموعات	2.024	2	1.012	1.632	.207	غير دالة
	داخل المجموعات	27.905	50	.620			
	التباين الكلي	29.930	52				
المجال الثاني	بين المجموعات	13.286	2	6.643	7.813	.001	دالة
	داخل المجموعات	38.264	50	.850			
	التباين الكلي	51.550	52				
المجال الثالث	بين المجموعات	12.828	2	6.414	9.381	.000	دالة
	داخل المجموعات	30.769	50	.684			
	التباين الكلي	43.597	52				
الأداة ككل	بين المجموعات	8.134	2	4.067	6.711	.003	دالة
	داخل المجموعات	27.270	50	.606			
	التباين الكلي	35.403	52				

* مستوى الدلالة (0.05) فأقل

تشير النتائج الموضحة في الجدول السابق إلى أن قيمة (F) المحسوبة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حول تقديرات أفراد عينة البحث لواقع الإدارة الإستراتيجية، حيث كانت قيم مستويات الدلالة الإحصائية أقل من (0.05)، مما يعني وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى المجال الثاني والثالث والأداة ككل، ولمعرفة من تؤول إليه الفروق في المجال الثاني والثالث والأداة ككل تعزى لمتغير سنوات الخبرة، استخدم الباحث اختبار (LSD) للمقارنات البعدية والجدول الآتي:

جدول(11) اختبار (LSD) للمقارنات البعدية:

المحور	(I) سنوات الخبرة	(J) سنوات الخبرة	متوسط الاختلاف(I-J)	الدلالة
تنفيذ الإستراتيجية	أقل من 5 سنوات	(6-10)	1.00548*	.001
		أكثر من 10	1.21500*	.004
تقويم الإستراتيجية	أقل من 5 سنوات	(6-10)	1.05095*	.000
		أكثر من 10	1.04143*	.006
الأداة ككل	أقل من 5 سنوات	(6-10)	.79085*	.002
		أكثر من 10	.94248*	.008

يتضح من الجدول السابق أن الفروق في المجال الثاني والثالث والأداة ككل حول واقع الإدارة الإستراتيجية تُعزى لمتغير سنوات الخبرة وذلك لصالح فئة الخبرة أقل من خمس سنوات، ويُعزى ذلك إلى أن هذه الفئة أقل خبرة في معرفة واقع الإدارة الإستراتيجية، بسبب تعيينهم حديثاً في الكلية.

خلاصة النتائج والتوصيات والمقترحات: خلُص البحث إلى النتائج التالية:

-أن واقع الإدارة الإستراتيجية في كلية المجتمع عمران على مستوى الأداة ككل وعلى مستوى مجالاتها الثلاثة جاءت بدرجة (متوسطة).

-حصول مجال" صياغة التوجه المستقبلي (الاستراتيجي) " على المرتبة الثالثة بدرجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.06)، وبانحراف معياري (0.798)، وحصلت معظم فقرات هذا المجال على درجة ممارسة " متوسطة" بينما حصلت الفقرات (3،2،1) في نفس المجال على درجة ممارسة (عالية). فيما حصلت فقرتان(8،10) في المجال على درجة ممارسة (منخفضة).

-حصل مجال "تنفيذ الإستراتيجية " على المرتبة الثانية بدرجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي(3.08)، وبانحراف معياري (1.047)، كما حصلت جميع فقرات هذا المجال على درجة ممارسة (متوسطة).

-حصل مجال "تقويم الإستراتيجية " على المرتبة الأولى، بدرجة ممارسة (متوسطة)، حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.26)، وبانحراف معياري (0.96)، على مستوى الفقرات ككل عدا الفقرة

رقم (3) حيث حصلت على درجة ممارسة (عالية). فيما حصلت بقية فقرات هذا المجال على درجة ممارسة (متوسطة).

-عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى مجالات الأداة تعزى لمتغير "المسمى الوظيفي".

-وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى المجال الثاني والثالث وعلى مستوى الأداة ككل تعزى لمتغير التخصص ولصالح (إنساني)، بينما لا توجد فروق دالة إحصائياً على مستوى المجال الأول.

-وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث حول واقع الإدارة الإستراتيجية على مستوى المجال الثاني والثالث والأداة ككل تعزى لمتغير "سنوات الخبرة " لصالح فئة الخبرة (أقل من خمس سنوات) بينما لا توجد فروق دالة إحصائياً على مستوى المجال الأول.

في ضوء نتائج البحث يمكن الخروج بالتوصيات والمقترحات التالية:

1. حث قيادة الكلية على تحسين ممارسة الإدارة الإستراتيجية .
2. نشر ثقافة الإدارة الإستراتيجية كأسلوب إداري حديث بين أوساط العاملين في كلية المجتمع.
3. ضرورة مشاركة قيادة الكلية للعاملين في صياغة استراتيجية الكلية.
4. تبني أسلوب الإدارة الإستراتيجية من قبل القائمين على التعليم الفني والتدريب المهني في الوزارة وكليات المجتمع.
5. عقد دورات تدريبية للقيادات والعاملين في الكلية على أسلوب الإدارة الإستراتيجية.
6. إجراء دراسة لتقديم استراتيجية مقترحة لتطبيق الإدارة الإستراتيجية في كليات المجتمع اليمنية.
7. إجراء دراسات مماثلة على الكليات والجامعات اليمنية الأخرى.

قائمة المراجع:

1.أحمد سيد مصطفى(2000)، إدارة الموارد البشرية**:** منظور القرن الواحد والعشرين، بدون، القاهرة.
2.حسين حريم(2003)، إدارة المنظمات منظور كلي، ط(1)، دار الحامد، الأردن.
3.ذوقان عبيدات، وآخرون(2005)، البحث العلمي- مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
4.سوما علي سليطين(2007)، الإدارة الإستراتيجية وأثرها في رفع أداء منظمات الأعمال، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد، جامعة تشرين، دمشق.

5.عبد الحميد المغربي(1999)، الإدارة الإستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، ط(1)، مجموعة النيل العربية، القاهرة.
6.عبد الكريم سعيد عبده قاسم الدعيس، وناصر سعيد الدحياني(2018)، متطلبات تطبيق الإدارة الإلكترونية في كلية المجتمع صنعاء بالجمهورية اليمنية، ع(8)، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر.
7.على أبوبكر حسين(2001)، القيادة الإستراتيجية ودورها في صياغة التوجه الاستراتيجي الجامعي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، اليمن.
8.فاتن محمد عزازي(2013)، الإدارة الإستراتيجية بين النظرية والتطبيق، دار الزهراء، الرياض.
9.ليلى بنت سعد الهاشم(2006)، واقع الإدارة الإستراتيجية في الأجهزة الحكومية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض.
10.محمد عبد الجليل ناجي المليكي(2019)، أنموذج مقترح لتطبيق أدوات الإدارة الإستراتيجية ومراحلها في الجامعات، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثاني للعلوم الإنسانية للفترة من 3-4 مارس (2019)، جامعة الأندلس، صنعاء.
11.محمد قاسم قحوان(2015)، واقع كليات المجتمع الحكومية بالجمهورية اليمنية في ضوء المعايير المؤسسية، م(2)، يناير/ يونيو(2015). مجلة جامعة الناصر، الجمهورية اليمنية.
12.محمود جاسم محمد الصميدعي(2004)، استراتيجيات التسويق مدخل كمي وتحليلي، ط(1)، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان.
13.محمود عساف(2005)، واقع الإدارة المدرسية في محافظة غزة في ضوء معايير الإدارة الإستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
14.مؤيد سعيد السالم(2005)، أساسيات الإدارة الإستراتيجية، ط (1)، دار وائل للنشر، عمان.
15.هاني عبد الكريم وهبة(2008)، واقع الإدارة الإستراتيجية في الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة وسبل تطويرها، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
16.Hamtick, D.C. (2002), Putting Top Managers Back into the Picture," Strategic Management Journal Special Issue, Vol. 55 ,No.2 . pp. 10-24.
17.Hill, C. W. L., & Jones, G. R. (2013), Strategic Management: An Integrated Approach (Tenth Ed). South-Western, Cengage Learning, USA.
18.Krishnakumar, M. (2015), Strategy Implementation: Strategic Change Model. Strategic Management Review, 9(1).
19.Nicoline Fr.lich and Antje Klitkou (2006) Strategic management of higher education institutions: performance funding and research output. Paper submitted to the Conference on Indicators on Science, Technology

and Innovation, Special session on Indicators for strategic management of higher education institutions, Lugano 15th to 17th of November 2006.

أثر الكفايات اللسانية والموسوعية في توجيه عملية تعلُّم اللغة وفهمها

The Impact of The Linguistic and Encyclopedic Competencies on Guiding and Understanding TheProcess of Language Learning

د.علـي بـوراس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- المملكة المغربية.

Ali BOURAS, Faculty of Arts and Humanities of Sais-Fes, Sidi Mohamed Ben AbdellahUniversity, Morocco

د. حسن مومني، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- المملكة المغربية.

Hassan MOUMNI, Multidisciplinary Faculty of Taza,Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Morocco.

الملخص: يهدف هذا المقال للكشف عن أثر الكفايات اللسانية والموسوعية في توجيه عملية تعلم اللغة وفهمها، انطلاقا من الاستراتيجيات التي قدمتها لسانيات التلفظ بصدد عناصر العملية التواصلية والكفايات التي تتطلبها، وذلك عبر تفعيل المقاربة التواصلية التي قدمتها كاترين كبرات أوركيوني، حيث سنحاول استثمار الكفايات الواردة في هذه المقاربة لإبراز دورها في إنجاح عملية تعليم اللغة وتعلمها، للإجابة عن السؤال الإشكالي التالي: إلى أي حد تساعد هذه الكفايات المعلم والمتعلم في توجيه عملية تعلم اللغة وفهمها؟.

الكلمات المفتاحية: لسانيات التلفظ، الكفاية اللسانية، الكفاية الموسوعية، قيود عالم الخطاب، تعليم اللغة.

Abstract: The present article aims to argue for the impact of the linguistic and encyclopedic competencies on guiding and understanding the process of language learning. The study is based on the strategies outlined in the linguistics of enunciation regarding the elements of the communication process and the competencies it requires. Thus, we will adopt the communicative approach presented by Catherine KERBRAT-ORECCHIONI. In particular, we will attempt to apply the competencies of this approach in order to show their role in the success of the language teaching and learning processes. In doing so, we intend to answer to the following main research question: to what extent do these competencies

help both teachers and learners in guiding and understanding the process of language learning?.

Keywords: Linguistics of enunciation, linguistic competency, encyclopedic competency, constraints of the discourse universe, language teaching.

مقدمة:

لقد ساهمت كاترين كربراتأوريكيونيCathrinekerbrat ORECCHIONI في تطوير النظرية التلفظية باقتراحات نظرية ومنهجية،وذلك في عدد من أعمالها، أبرزها كتاب «l'énonciation de la subjectivité dans le langage»الذي عالجت فيه مجموعة من الإشكالات التي تواجه البحث التلفظي. إن ما يميز مجهودات هذه الباحثة، هو أنها انطلقت من المقاربة الجاكبسونية في التواصل ووقفت عند خصائصها البنيوية التي لا تنسجم مع الرؤية التلفظية لعملية التواصل، ومن ثم قامت بتعديل النموذج الذي قدمه جاكبسون، وأدخلت عليه القضايا التي تتدخل في عملية التلفظ، والشروط المطلوب توفرها في الفاعلين التلفظيين.

فإذا كان إميل بنفنيست قد أعاد النظر في بعض المسلمات السوسيرية والبنيوية عامة؛ فإن أوريكيوني، من جهتها، قد أعادت النظر في المقاربات التواصلية، وأخذت بعين الاعتبار خصائص عملية التلفظ وشروطها الضرورية. وهذا ما يدل على انسجام الجهود التي جاء بها رواد لسانيات التلفظ وتكاملها.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الورقة إلى استثمار مفاهيم لسانيات التلفظ L'énonciationورؤيتها المنهجية لفهم العملية التعليمية التعلمية، باعتبارها شكلا من أشكال التواصل الذي يعقده المدرس مع المتمدرس حول موضوع أو درس محدد، وتسعى أيضا نحو الكشف دور الكفايات اللسانية والكفايات الموسوعية إنجاح عملية تعليم اللغة وتعلّمها وفهمها، كما تهدف إلى إبراز مستوى الاستفادة الذي تقدمه هذه الكفايات إذا تم استغلالها استغلالا محكما، حيث قد تعيق هذه الكفايات عملية التعلم إذا بالغ المعلم في استثمارها داخل صف دراسي أقل مستوى من تلك الكفايات.

مشكلة الدراسة: لقد حددنا إشكالية هذه الدراسة اللسانية في الأسئلة التالية:

1. كيف تؤثر الكفايات اللسانية والموسوعية في إنجاح عملية تعليم اللغة وتعلمها؟؛
2. كيف تساهم هذه الكفايات في إنجاح العملية التواصلية داخل الفصل؟؛
3. إلى أي حد يمكن للمدرس والمتمدرس الاستعانة بهذه الكفايات في إنتاج الملفوظات وتأويلها؟؛
4. كيف يمكن استثمار مبادئ لسانيات التلفظ في فهم عملية اكتساب الألسن الطبيعية؟؛
5. إلى أي حد استطاع النموذج التواصلي التلفظي الذي اقترحته أوركيوني تمثل العملية التواصلية بكل عناصرها وحيثياتها؟.

منهجية الدراسة: للإجابة عن الأسئلة المطروحة أعلاه؛ تتبعنا خطوات المنهج الوصفي والمنهج المقارن والمنهج الاستدلالي. إذ أفادنا المنهج الوصفي في وصف مجموعة من المعطيات البحثية المتعلقة بعلاقة اللسانيات بتعلم اللغات، والمتعلقة بلسانيات التلفظ وكيفية بحثها في اللغة، كما استفدنا من هذا المنهج في وصف مستوى وعي النظرية التلفظية بدور الكفايات اللسانية والموسوعية في توجيه العملية التواصلية، والعملية التعليمية التعلمية على وجه التحديد. أما المنهج المقارن فقد اعتمدناه للمقارنة بين التصور التلفظي والتصور البنيوي والشكلاني للعملية التواصلية، وبين التصورين التلفظي والتوليدي لمفهوم الكفايات اللسانية وعلاقتها بالإنجاز (أو التلفظ). أما المنهج الأخير، وهو المنهج الاستدلالي، فلابد من اللجوء إليه للاستدلال على كل ما ورد في هذا المقال من معطيات وتقييمات، وللاستدلال كذلك على نجاعة الرؤية التلفظية بصدد دور الكفايات المدروسة في توجيه عملية تعلم اللغة وفهمها، مقارنة مع التصور التوليدي.

1. علاقة اللسانيات بتعلم الألسن

إن كل نظرية لسانية تسعى لتقديم زاوية نظرها الخاصة بكيفية تعلم اللغات الطبيعية وفهمها وإنتاجهاوكيفية اشتغالها في سياقات مختلفة. وقد قدمت اللسانيات بشتى توجهاتها المتنوعة عدة تصورات في هذه المجالات، إلى درجة "يمكن أن يتصور المرء بسهولة ما يمكن أن تقدّمه اللسانيات من إعانة لتعليم الألسن ــ الألسن الأجنبية واللسان الأم" (روبير مارتان، 2007، ترجمة عبد القادر المهيري، ص 165).

لقد ساهمت كل من البنيويات (أو ما يسمى بلسانيات الجيل الأول) ولسانيات الاستعمال (أو ما نطلق عليه بلسانيات الجيل الثاني) بمجموعة من التصورات التي من شأنها أن تُعين المدرس في تعليم اللغة للمتعلمين، وفرضت نفسها في ساحة الإعداد اللغوي والديداكتيكي لتعلّم اللغات، وفي مجال نظريات الاكتساب اللغوي عموما، حيث سمحت اللسانيات بتحسين الأدوات اللازمة لهذا المجال، كالكتب المدرسية والوسائل السمعية البصرية إلخ. وهذا ما يفرض على"مدرس اللسان، زيادة على كفاءة لغوية، تكوينا لسانيا متينا. وتمثل اللسانيات في الجامعة مكونا أساسيا من برنامج دراسة اللسان"(روبير مارتان، 2007، ص 165-166)؛ لأنها تزودنا بما يفيد من الأدوات الإجرائية والمنهجية لتيسير عملية تعلم اللغة وفهمها وإعادة إنتاجها، و"تطلعنا على ما في المعايير من تعدد، وتعتبر أن امتلاك لسان ما يتمثّل في استعمال كل طبقاته بيسر من أنيق وعادي" (روبير مارتان، 2007، ص168). وقد ترجمت اللسانيات اهتمامها بتعلم الألسن عبر إحداث فرع لساني خاص بذلك؛ وهو ما أصبح يسمى بـ "اللسانيات التعليمية" التي تقدم لنظريات التعلم الأدوات الإجرائية لفهم طبيعة اللغات البشرية، وكيفية تعلمها، ناهيك عن وجود فرع لساني آخر يسمى بـ "اللسانيات العلاجية" التي تهتم بمعالجة الاضطراب اللغوي، والعيوب النطقية، وتعثر الاكتساب.... وهذان الفرعان معا ينتميان إلى صنف اللسانيات التطبيقية.

أما لسانيات التلفظ؛ فهي فرع من فروع اللسانيات التداولية، عمل على ترسيخ الوعي اللساني بضرورة الأخذ بعين الاعتبار المقامات التلفظية في توظيف اللغة، والوعي بتجليات الذاتية ودورها في توجيه معاني الملفوظات، وفي أثرها على تأويلات المتلقي.ويمكن القول بأن لسانيات

التلفظ اتجاهلساني يندرج ضمن الاتجاهات السياقية والاجتماعية في الدراسات اللسانية، التي تَعتبر "أن تعلم لغة ما لا ينحصر فقط في إنتاج جمل صحيحة وسليمة نحويا بل إن الأمر يتطلب علاوة على ذلك، ضرورة معرفة استعمالها لأغراض تواصلية"(مصطفى مزياني، 2014، ص 126)؛ لأننا لا نتعلم اللغة "في ذاتها ولأجل ذاتها"؛ وإنما لتحقيق مطالب ذاتية تخص المتكلم/المستمع، أو اجتماعية أو غيرها.

فبالرغم من أن اهتمامات النظرية التلفظية تصب في مجال تحليل الخطاب، فإن ذلك لا يمنع من أن نكشف عن بعض الإفادات التي يمكن أن تقدمها فيما يخص قضايا تعلّم اللغة وفهمها. ولذلك سنركز على النموذج التواصلي التلفظي الذي اقترحته أوريكيوني لتقديم تصور تلفظي لفعل التعلّم، وسنحلل، بشكل أخص، دور كفايات هذا النموذج في تيسير تعليم اللغات وتعلمها واستعمالها.

بهذا؛ يمكن القول إن اللسانيات بكل فروعها قد قدمت خدمات كثيرة للباحثين في نظريات تعلم اللغة وتعلمها، إلى أن أصبحت تفرض مضامينها ونتائجها على هؤلاء الباحثين للتمكن من معرفة طبيعة اللغة بنيةً واستعمالًا، كما أنها ولجت مجال تعلم اللغة وأدلت بدلوها فيه، وكان لها ذلك ما دام أن موضوعها الأساس هو "اللغة"، وإن اختلفت زوايا النظر إلى هذا الموضوع من نظرية لسانية إلى أخرى.

2. ك.ك. أوريكيوني: منالتواصل إلى التلفظ

كما أشرنا في مقدمة هذا المقال، فقد انطلقت أوريكيونيفي بناء تصورها التلفظي للعملية التواصلية من الخطاطة التواصلية لرومان جاكبسونR. Jakobson، التالية:(Jean Dubois et autres, 1973, P 99)

	السياق		
المرسل	ـــــــــ	الرسالة	ـــــــــ	المرسل إليه
	القناة		
	السنن		

ولإبراز قيمة التصور التلفظي لعملية التواصلية ودرجة وعيأصحابه بحيثيات هذه العملية المركبة؛ لابد أن نزيل القناع عن بعض نقاط الضعف التي تعتري النموذج الجاكبسوني، وذلك عبر تجميع الانتقادات التي وجهها الباحثون إليه، وهي على الشكل التالي:

1. تغييب الظروف الخارجية: والتي يمكن أن تسهم في نسج عملية التواصل بشكل واضح دون وقوع أي اختلاف بين المخاطبين فيما يتعلق بالثقافة والطابع الاجتماعي. وهو تغييب يبين غياب الوعي بـعدم انفكاك مضمون الرسالة عن الأشكال والعادات والظروف الملموسة المحيطة بعملية الإرسال. حيث إن "الشكلانين [ومن بينهم جاكبسون] يفترضون، في تأويلهم اتصالا محددا سلفا، وإرسالا ثابتا بصورة مساوية..".(تزفيتان تودوروف،ترجمة: فخري صالح، 1996، ص 113).

2. عدم مراعاة تعالق البعد النفسي للمتلفظين بالبعد الاجتماعي المنوط بهما وبموضوع التواصل، ويُعذر جاكبسون على هذا الإغفال، نظرا للرؤية التي اعتمدها في الخطاطة، وهي رؤية تقصر غايات التواصل على نقل المعلومات والأخبار فقط. في حين أن التواصل يكون بيذواتياIntersubjectiveمن ناحيةكون "الدلالة التي يربطها المتكلم بالأصوات هي نفسها التي يربطها المستمع بنفس تلك الأصوات"، (Jean Dubois et autres, 1973, p96) حيث يجمع بين المتكلم والمستمع اتفاق مبدئي على مستوى عقد السنن "Encodage" وحله "décodage"، مما يستدعي الجمع بين عناصر العملية التواصلية وأبعادها النفسية والاجتماعية.

3. تختزل الخطاطة عملية التواصل في "عملية بسيطة تشبه في بنيتها العامة نظام نظرية التواصل théorie de communication التي وضعها شانون وويفر" (مصطفى غلفان، 2010، ص 84).

4. تمثل هذه الخطاطة تواصلا متجانسا وخطيا، في حين أن التفاهم بين المرسل والمرسل إليه لا يمكن أن يكون إلا تفاهما جزئيا،حتى وإنْ التزم المتلفظان بنفس المعنى اللغوي، فإنه ليس من الضروري أن يكون لهما نفس التصور (أو الإدراك)Conception، (Orecchioni, C.K. 1980, p15) وقد تتسع الهوّةبين تصوريهما إذا غاب ما يسمى بـ "مبدأ التعاون" الذي جاء به بول غرايس، وذلك بسبب:

-تفاوت مستوى الفهم والإدراك بين المرسل والمرسل إليه؛

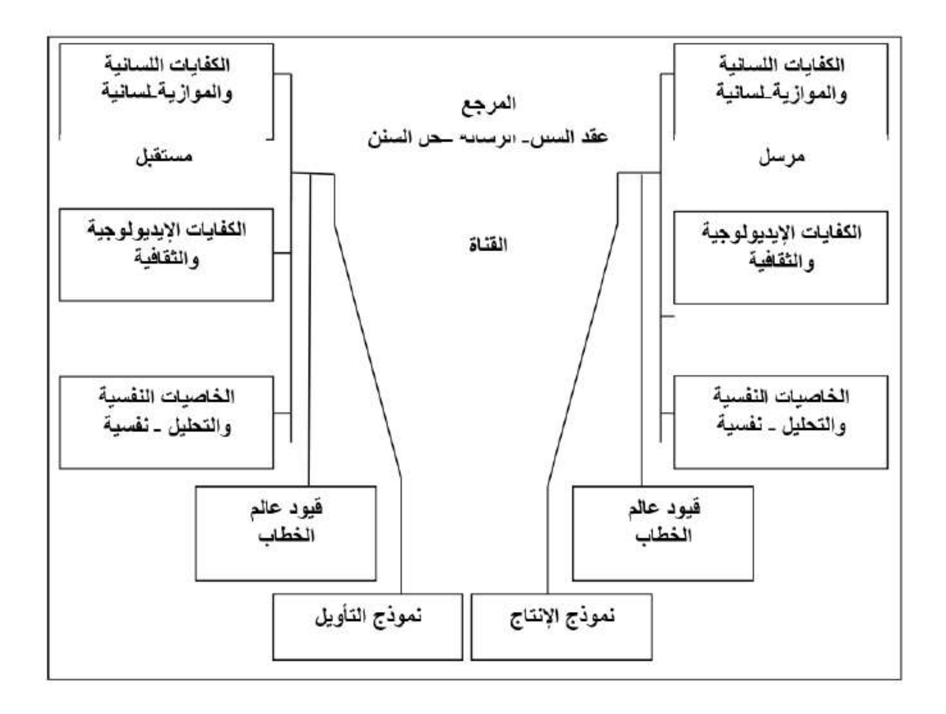
-تباين كفاياتهم الإيديولوجية والثقافية والتأويلية؛

-المسافة الفاصلة بين فعل الإنتاج (التلفظ) وفعل التأويل (التلقي)، فعند تباين المسافة بين الفعلين يُلاحظ، بوضوح، الدور الذي يلعبه سياق التلفظ وسياق التلقي في تغيُّر معنى الملفوظات وتجدّده.

"لا تقول الخطاطة شيئا عن الكفايات الخارج لسانية (موسوعية، أو نفسية أو ثقافية).لا تتضمن هذه الخطاطة أي نموذج للإنتاج (إشفار) وللتأويل (فك الإشفار)."(ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي، ترجمة محمد الراضي، 2012، ص 285-286).

5. يمكن أن نذكر أيضا أن هذا النموذج لا يعبّر عن السلوكات غير اللغوية المرفقة بعملية التلفظ، وهي سلوكات تؤثر في عملية الإنتاج وتتحكم في عملية التأويل كذلك، مثل تحركات الأستاذ داخل الفصل، وأسلوب توظيفه لحواسه حين يريد التعبير عن إعجابه بتفاعل المتمدرسين مع ما يقدمه، أو حين يريد أن يزمجر في أحد المشاغبين، على سبيل المثال. وقد عبرت أوريكيوني عن هذا بإدراج الكفايات خارج لسانية وقيود عالم الخطاب في نموذجها التواصلي.

وانطلاقا مما سبق؛ قامت أوريكيوني بإعادة النظر في النموذج الجاكبسوني واقترحت الازدواجية السننية بدل الأطروحة الأحادية للسنن التي قدمها رومانجاكبسون، وتصف خطاطته بقولها: "نجد السَّنن مُصوَّغاً ومفردا ومعلقا في الهواء بين المرسل والمستقبل" (Orecchioni, C.K. 1980, p13)، في حين أن هذا السنن لا يمكن أن يُترك على هذا الوضع المثالي بسبب تدخل المحيط الاجتماعي في عملية عقد السنن وحله. ثم قدمت نموذجا تواصليا ملائما لمتطلبات نظرية التلفظ، انتقلت من خلاله من النظر إلى العملية التواصلية بصفتها عملية تناظرية مثالية إلى عملية تلفظية قائمة على تناظر مشترك بين متلفظ ومتلفظ مشارك أساسه التفاعل المشترك القائم على مجموعة من المعطيات التي سنتحدث عنها لاحقا. واتخذت لهذا النموذج خطاطة مفسرة وهي على الشكل التالي:(Orecchioni, C.K. 1980, p19)



نسجل من خلال الخطاطة، أن هذا النموذج احتفظ بنفس عناصر النموذج السابق، والجديد الذي طرحه هو الشروط الواجب توفرها في عنصري التواصل وهما المرسل والمرسل إليه، ومن بينها أن يتوفرا على كفاية لسانية وكفاية موازية لسانية. ونسجل كذلك أن أوريكيوني أخذت بعين الاعتبار تفاعل اللغة مع قيود عالم الخطاب.

تشتغل العملية التعليمية التعلمية، بناء على هذا النموذج، انطلاقا من تشغيل المدرس كفايته اللسانية والإيديولوجية والثقافية في إنتاج الرسالة (كالدرس اللغوي مثلا) باعتباره عملية تتدخل فيها العناصر التالية:

1. الظروف السياقية والمرجعية التي تحيط بالملفوظات المنتجة؛ وهي ظروف قد تكون مدرجة داخل ملفوظات الرسالة، ويمثِّلها عنصر التمهيد داخل الجذاذة، أو مرحلة التقديم الواردة في الكتاب المدرسي، وهي مرحلة يقدم فيها مؤلفو الكتاب كل حيثيات الدرس والغايات المبتغاة من تدرسيه، والأهداف المرجو تحقيقها بعد تلقيه. أو قد يظهر أثر تلك الظروف السياقيةمن خلال تحكمها في الاختيارات اللغوية التي يوظفها المدرس بصدد الشرح، وهي اختيارات يراعي فيها المستوى العمري للمتمدرسين، وموقع الدرس في الكتاب المدرسي ومدى ارتباطه بالدروس التي سبقته والتي تليه. وتسمى هذه الاختيارات اللغوية بـ "الانتقاء المبرمج" "الذي يمكن الفرد من عزل مادة التعلم عما سواها، بحيث لا يختلط بها غيرها. ويستطيع بهذا العزل المؤقت أن يضبط الظاهرة بكل صفاتها ودقائقها". (سمير استيتية، 2008، ص 423).

2. قيود عالم الخطاب Contraintes de l'univers de discours، التي تقوم بتوجيه نشاط عقد السنن، وتظهر هذه القيود في نمطين من العوامل:(Orecchioni, C.K. 1980, p17)

-الظروف الملابسة للتواصل؛

-الخصائص الموضوعية والبلاغية للخطاب، وبالإجمال، قيود "الشكل".

وقد مثّلت أوركيوني لكيفية تدخّل العنصرين السابقين في العملية التواصلية بنموذج "خطاب الأستاذ"، على سبيل المثال، وأكدت على أن تحليله يستدعي ضرورة مراعاة ما يلي:

أ. طبيعة خصائص المتكلم؛ وطبيعة المستمعين (عددهم، وعمرهم، مستواهم، وسلوكهم)؛ وشكل التنظيم الأداتي، والسياسي، والاجتماعي للفضاء المرتبط بالعلاقة الديداكتيكية، إلخ؛

ب.مراعاة أن كل خطاب يتأثر بالقيود التالية: خطاب ديداكتيكي (عامل الجنس الخطابي) الذي يعالج اللغة (العامل الموضوعي)؛ أي أن خطاب الأستاذ يندرج ضمن الخطاب الديداكيتي التعليمي، كما أنه خطاب موضوعه "اللغة".

هذا فيما يتعلق بنموذج الإنتاج، أو عقد السنن، الذي يقدمه المرسل (المدرّس)؛ ويقابله نموذج التأويل والذي يضطلع به المرسل إليه/ المتلفظ المشارك، (وهو المتمدرس)ويتم هذا التأويل عبر تفعيل:

1. **الكفاية اللسانية:** وهي المعارف السابقة، سواء المتعلقة بالدرس الماضي، أو بالمراجعة القبلية...؛

2. **الكفاية الموازية اللسانية:** أي العوامل المرافقة للملفوظ والتي تسهم في عملية فك السنن لدى المستقبل (المتمدرس)، ثم التحديدات النفسية والتحليل نفسية، وتشتغل هذه الكفاية أيضا وفق طبيعة قيود عالم الخطاب التي تُلزم المرسل/المستقبل بربط الملفوظات بإطار السياقات التلفظية التي أُنتجت فيها. كما يمكن للمدرس أن يستعين بهذه الكفاية في صياغة الأسئلة الإيحائية، حيث يُرْفِقُ السؤال بحركات وإيماءات تحمل بعض عناصر الإجابة عن السؤال، وتُوَجِّه فهم المتمدرسين نحو الإجابة المطلوبة أو نحو بعض جوانبها.

وتلخّص أوريكيوني قيود عالم الخطاب المتحكمة في عملية حل السنن في المعطيين التاليين:(Orecchioni, C.K. 1980, p20)

-المعطيات السياقية Les données situationnelles؛

-القيود الموضوعية البلاغية Les contraintes thématico-rhétoriques.

يتطلب المعطى الأول مراعاة موقع الدرس وعلاقته بالدروس الأخرى، ومدى تمكن المتمدرسين من الدروس التي قد يُبنى عليها موضوع الدرس الجديد.ونشير إلى أن هذا المعطى السياقي يشكل أحد أهم المتغيرات التي تتحكم في استراتيجيات التعلم، وهي: "المتعلم واللغة والهدف والسياق، ويبرز دور كل متغير وفق الأسئلة الآتية:

-هل يمتلك المتعلم المعارف الضرورية لتعلم اللغة الهدف؟

-هل تساير اللغة الهدف مستوى المتعلم اللغوي ومعارفه وخبراته؟

-هل يساعد السياق النفسي والاجتماعي والمادي على تعلم اللغة الهدف؟" (الحسن عبد النوري، 2016، ص 125).

بعبارة أخرى؛ إن الحرص على المعطى السياقي هو الحرص على توفير الأجواء المناسبة،عقليا ومجاليا وزمنيا ونفسيا واجتماعيا،للمتعلمين لمساعدتهم على تحصيل مكتسبات الدرس. ونشير، في هذا الصدد، إلى فكرة مفادها أن لسانيات التلفظ تؤمن بدور المحيط في عملية الاكتساب اللغوي لدى الفرد، ويظهر ذلك في جعل دراساتها تقوم على علاقة اللغة بالفرد وبالواقع الاجتماعي الذي تُستعمل فيه اللغة، وهذا ما لم تضعه النظريات العقلية في الحسبان، وعلى رأسها المدرسة التوليدية التي تقصي دور المحيط، والسياق عموما، في اكتساب الطفل للغته، ومرد هذا الإقصاء هو أن العقلانيينلا ينظرون إلى اللغة باعتبارها "سلوكا تجريبيا يكتسبه الطفل نتيجةً لما يقدمه المحيط من مؤثرات خارجية أو نتيجة لتقليد العبارات اللغوية المستعملة التي يسمعها الطفل، بل إنها صفة بيولوجية ملازمة للإنسان يتميز بها عن غيره من الكائنات الحية. ويرى العقلانيون أن المحيط لا يملك أي بنية متجانسة أو أساسية تجعله قادرا على اكتساب الطفل نظاما معقّدًا في مستوى اللغة البشرية". (مصطفى غلفان، 2010، ص 35).

أما المعطى الثاني؛ أي معطى القيود الموضوعية والبلاغية، فيتعلق بمتغير "اللغة"، ويتطلب الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الموضوعية للدرس اللغوي، كأن يحرص المدرس على شرح الدرس بلغة عربية فصيحة وبسيطة في متناول الفئة العمرية المستفيدة.

نصل من خلال ما سبق؛ إلى أن البنية الهندسية لهذه الخطاطة التواصلية التلفظية تُبين أن المرسل يفعِّل، أولا، كفاياته اللسانية والموازية لسانية(وهي تلك الحركات والملامح والإيماءات المرفقة بفعل التلفظ). ثم يتبعها بتفعيل الكفاية الإيديولوجية والثقافية للتمكن من تحقيق عملية التواصل، ثم إن إيراد السهم الرابط بين الكفايات وعملية الإنتاج باعوجاجه بسبب خانة قيود عالم الخطاب، يكشف بالملموس أثر تلك القيود في عملية إنتاج الخطاب، وهي القيود التي تصاحب العملية التواصلية برمتها، وتتوزع إلى "ما هو لساني مرتبط بشكل الخطاب أي التزام خاصيات موضوعية وبلاغية تجعل التبادل ممكنا أثناء العملية الحوارية، ومنها ما هو خارج-لساني مرتبط بالسياق العام للحوار، حيث يكون الامتثال لشروط السياق ضامنا لتبادل ناجح بين أطراف الحوار"(محمد نظيف، 2010، ص 28).

وتنعكس العملية نفسها لدى المستقبل في مرحلة التأويل، وتستمر العملية في دائرة حوارية، عبَّرت عنها أوريكيوني بقولها: "في خطاطتنا نفترض عندما يتكلم أحد فإن الآخر يستمع في صمت، والعكس بالعكس، يعني أن المتلفظين يلعبان تبادل الأدوار بين مرسل ومستقبل"(Orecchioni, C.K. 1980, p21). ويمكن أن نستشف من هذا الكلام دور التفاعل الحواري بين المدرس والمتعلمين داخل الفصل وأثره في بناء التعلمات اللغوية وتمثلها، إذ يساهم هذا التفاعل في إغناء الكفاية اللسانية للمتعلم، ويجنِّبه التلقي السلبي للمعارف، كما كان يحصل مع البيداغوجيا التقليدية.

وتعبّر الخطاطة كذلك، بشكل لافت، عن تأثير عالم الخطاب في التبادل التواصلي، من خلال إمالة السهم المتجه لعمليتي الإنتاج والتأويل، والسبب في ذلك هو القيود المحيطة بالخطاب، مما يبين أن هذا النموذج ينطوي على الكثير من نوايا التلفظيين في الكشف عن فاعلية الخطاب والتلفظ.

3. كفايات النموذج التواصلي التلفظي وأثرها في علمية تعلّم اللغة وفهمها

1.3. الكفايات اللسانية

هي الكفاية التي تُعنى "بالعناصر الدالة النصية والسياقية الحالية النصية، فضلا عن الهامشية النصية (أو على الأقل النطقية، وتنسب إليها، بمقتضى قواعد اللغة التكوينية، وبعض المدلولات)."(كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ترجمة ريتا خاطر، ص 284).

ويكمندور هذه الكفاية في الكشف عن المحتويات المضمرة في الخطاب، ولكن بشرط الاستعانة بالمحتويات الظاهرة؛ أي تشغيل هذه الكفاية لتحليل المعنى المباشر للعناصر النصية والسياقية والإجهاز عليه لبلوغ المعنى المضمر.

ينحصر أثر الكفاية اللسانية في تمكين المتعلم من نسق القواعد التركيبية للغة التي يتعلمها،ويطلق على هذه الكفاية في النظرية التوليدية بـ "القدرة" التي يقابلها مفهوم "الإنجاز"، وهو التحقق الفعلي لقدرة المتكلم عندما يستعمل اللغةويخرجها من لحظة الكمون أو البنية الذهنية إلى الواقع الفعلي، عبر فعل التلفظ.

فإذا كانت الكفاية اللسانية عند نعوم تشومسكي "هي المعرفة اللسانية الضمنية للأفراد المؤهلين لاستعمال لسان معين"(حسن بدوح، 2012، ص121)؛ تتجلى في استبطان نظام القواعد التي تحدد الشكل الفونيتيقي للجملة ومضمونها الدلالي في اللغة المعتمدة في التواصل. وترتبط، أيضا، بمفهوم الإبداعية في اللغة.فإن المقاربة التلفظية، في هذا الجانب، لا تفصل بين الكفاية اللسانية والكفاية التداولية وباقي الكفايات الإيديولوجية والثقافية التي تسهم إسهاما فعّالا في إنجاح العملية التواصلية، والكشف عن معنى المعنى في الخطاب.

ومن الزاوية التلفظية الديداكتيكية لتعلم الألسن؛ فإن الكفاية اللغوية وحدها غير كافية لتمكين المتعلم من لغته؛ وإنما يجب أن نقدم له بنية هذه اللغة أي نسقها التركيبي (القدرة)مع كيفية توظيف هذا النسق في وضعيات وسياقات مختلفة، وهنا تتدخل الكفاية التداولية والكفايات غير اللسانية عموما، لتمكين المتعلم من قواعد اللغة ومن كيفيات استعمالها في وضعيات تواصلية، لاكتشاف التغيرات التي تُحدثها تلك الوضعيات في بينة اللغة، وأخذها بعين الاعتبار لحظة إنتاج الملفوظات أو تأويلها.

وما دام أن المقاربة التوليدية تقوم على المحايثة فكان لزاما من رائدها غض البصر عن أثر الجانب التلفظي والسياقات التلفظية في عملية الإبداع، وفي السيرورة التواصلية عامة. في حينلا ينبغي الوقوف عند هذه الكفاية اللسانية فقط؛ وإنما تُضاف إليها الكفايات غير اللسانية، ومنها الكفاية التداولية "التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق بعينه، ومن بين هذه القواعد (قواعد الخطاب) Les lois du discours".(دومينيك مانغونو، 2008، ترجمة محمد يحياتن، ص 23). وهذا ما يبين تفاعل هذه الكفايات وتآزها في إنجاح العملية التواصلية، والعملية التعليمية التعلمية على الخصوص، وبالتالي تحقيق تعلم أنسب للغة وفهم صحيح لها، وتعبّر أوريكيوني عن هذا بقولها: "في خضم عمليات فكّ الترميز، تتآزر الكفاءتان الألسنية اللغوية والموسوعية بالتبادل، ونشهد مدا وجزرا دائمَين بين المعلومات الداخلية والخارجية" (كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ص 289). ويتجلى هذا التآزر في استعانة المتكلم/المستمع بكفايات غير لغوية لفك ترميز بعض المصطلحات ذات حمولة قيمية أو أيديولوجية، كما يتجلى في خضم عملية عقد الترميز (عقد السنن).

إن هذا التآزر هو ما لم تأبه به المقاربات المحايثة لفعل التعلم وللقضايا اللغوية على العموم، فهمَّشته لصالح اعتبارات منهجية وغايات علمية تخص التوجه العلمي لتلك النظريات؛ كالنظرية التوليدية على سبيل المثال.

2.3. الكفاية اللسانية: من التجريد المثالي إلى التفعيل التلفظي

لقد اختلفت زوايا نظر اللسانيين لمفهوم الكفاية ولأشكال اشتغالها في البنية الذهنية للمتكلم، ولصيغ تفعليها في الواقع وتفاعلها معه، وسنركز فيما يلي على هذه الفكرة الأخيرة؛ وهي أشكال تفاعل الكفاية اللسانية مع عملية التلفظ، أو ما يسمى في النظرية التوليدية بـ "الإنجاز"، وسنقدم وجهتي نظر التوليدية والتلفظية بصدد هذا التفاعل.

من النظريات اللسانية من أقصى كل أشكال التفاعل الواردة بين الكفاية اللسانية وتجلياتها في الوقع الفعلي للسان؛ أي لحظة التلفظ باللغة، مثال ذلك ما ذهبت إليه النظرية التوليدية، إذ عزل تشومسكي بشكل واضح، بين الكفاية والإنجاز، فلاحظ اللسانيون "أن مفهوم الكفاءة اللغوية لدى تشومسكي ضيق جدا، فهو لا يشتمل إلا على بعد واحد للكفاءة اللغوية، ومفهوم الكفاءة اللغوية المتعددة الأبعاد وحده يفتح الطريق لتفسير التراكب الطبقي للغة والتغير اللغوي. ولا يستطيع مفهوم الكفاءة اللغوية الأحادي البعد لدى تشومسكي أن يبين كيف ترتبط الكفاءة اللغوية للمتكلم/السامع بسلوكه الاجتماعي، وكيف تحددها عوامل اجتماعية معينة في إطار النشاط الاجتماعي".(جرهاردهلبش، 2007، ترجمه وقدم له سعيد حسن بحيري، ص 140).

فحين أخذ تشومسكي بمقولة "المتكلم المثالي" جرد هذا المتكلم من صبغته الاجتماعية، واعتبره متكلما ينتمي إلى عشيرة لغوية منسجمة لا تشوبها أي تغيرات كلامية أو لهجية، أوتغيرات آتية من عوامل سياقية، ولذلك أقام تصورا مثاليا مجردا لمفهوم الكفاية اللسانية، من أجل التأسيس لما يسمى بالكفاية الكليةCompétenceuniverselle، بناء على الشروط التالية:

-"على أنه يوجد نظام للقواعد، يحدد نحوية الجمل، ويعد أساس السلوك اللغوي الفعلي؛
-على أن المتكلم/السامع المثالي يمتلك ذلك النظام القاعدي مستقلا عن شروط الأداء اللغوي؛
-على أن المتكلم/المستمع المثالي يحيا في جماعة لغوية متجانسة تماما." (جرهاردهلبش، 2007، ص 139).

غير أنه؛ إذا تأملنا في هذه الشروط نستشفّ استحالة تحققها في الواقع اللغوي، فنحوية الجمل ليست دائما هي أساس السلوك اللغوي الفعلي، وإنما قد يخرقها المتكلم لصالح القيم الاجتماعية، أو بسبب طبيعة العلاقة التي تجمع التخاطبين، ويتجلى هذا الخرق على مستوى استعمال الضمائر والإشاريات الاجتماعية «Les déictiques sociales». وهذا السبب نفسه خير دليل على فساد الشرط الثاني القائل باستقلالية النظام القاعدي عن شروط الأداء اللغوي، حيث إن مجرد التلفظ بملفوظ معين في سياق محدد تتغيّر تأويلات المستمعين لنفس النظام القاعدي الذي أُعيد استعماله في سياق جديد. بعبارة أخرى؛ إن الأداء اللغوي يؤثر بشكل بارز في البنية القاعدية للغة، كما تؤثر ظروف هذا الأداء في فهم المتلقين وتُقنّن تأويلاتهم وتقيّدها.

ولم يقف تشومسكي عند حدود هذا التفريق الإجرائي بين الكفاية والإنجاز، وإنما استبعد أيضا البعد الاجتماعي والتداولي المؤثرين كذلك على الكفاية اللسانية؛ "لأن الكفاءة اللغوية لديه تُسوَّى بالكفاءة النحوية وتُقلص فيها. ولما كان يجب أن تتوفر للمتكلم في التواصل معارف أكثر بكثير

من قواعد النحو، فقد تأكد أن مفهوم تشومسكي للكفاءة اللغوية في إطار هذا الجانب أيضا أنه ضيق للغاية"(جرهاردهلبش، 2007، ص 141).

يظهر مما سبق؛ أن تقليص الكفاية اللسانية في الكفاية النحوية وحصرها في المعرفة المباشرة للنظام القاعدي للغة، والتفريق بين الكفاية اللغوية والإنجاز وإهمال ظروف هذا الأخير المؤثرة على تلك القدرة، كلها مؤشرات تُبِين عن ضعف التصور التوليدي لمفهوم الكفاية اللسانية وعلاقتها بفعل التلفظ، وبالظروف السياقية الاجتماعية المحيطة بهما. لذلك أعادت لسانيات التلفظ النظر في هذه المؤشرات، فحاولت أن تسد العوز الذي صار يعتري النظرية التوليدية في هذا الصدد المتعلق بالكفاية اللسانية في علاقتها بالتواصل، وبتعلم اللغة على وجه الخصوص، حيث حاولت لسانيات التلفظ أن تحرر تلك العلاقة من صورتها المثالية التجريدية، بالنظر إلى أشكال تأثرها بمعطيات الفعل التلفظي وطبيعة تفاعلها مع تلك المعطيات؛

في مقابل هذا التصور العقلاني التوليدي للكفاية اللسانية؛ تؤكد أوريكيوني، باعتبارها رائدة من رواد التلفظية، في أكثر من مناسبة، على تفاعل الكفاية اللسانية مع فعل التلفظ، وعلى تأثير خصائص الفعل التلفظي وحيثياته السياقية على الكفاية نفسها. وقد انتقدت تصور تشومسكي لكفاية متجانسة، كما نفت وجود جماعة لغوية متجانسة في الأصل،في قولها: "لا تكون هذه الكفاءة متجانسة حتى لدى "الجماعة" الألسنية اللغوية نفسها، فمثلا، إن ما نطلق عليه اسم "اللغة الفرنسية" ليست سوى "نموذج مزدوج" مجرّدٍ يدمجُ عددًا لا يُحصى من البدائل اللغوية المحلية واللغوية الاجتماعية واللغوية المحكية".(كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ص 284).

يصح القول؛ إن لسانيات التلفظ حاولت أن تُخرج الكفاية اللسانية من صورتها التجريدية إلى تفعيلها تلفظيا؛ أي دراستها لحظة الاستعمال، عبر النظر في أشكال تفاعلها مع السياق التلفظي الذي تُستثمر فيه، وعبر مراعاة آثار ذلك السياق على دور هذه الكفاية في إنجاح العملية التواصلية برمتها. وقد تأتى ذلك لرواد النظرية التلفظية بعد أن فحصوا التصور التوليدي الذي يقول بوجود "كفاية لسانية متجانسة" لا تتأثر بالسياقات التلفظية والاجتماعية، فاكتشفوا مظاهر غياب التجانس في هذه الكفاية، وتبايُنها من متكلم إلى آخر ومن سياق تلفظي إلى غيره.

3.3. الكفايات غير اللسانية:

تشمل الكفايات غير اللسانية كل الكفايات الموسوعية والثقافية والإيديولوجية. وتقصد أوريكيوني بالكفاية الموسوعية (أو الثقافية) مجموع المعارف الضمنية التي يمتلكها الفرد حول العالم، أما الكفاية الإيديولوجية فتُحددها في مجموع الأنظمة التأويلية والتقييمية للعالم المرجعي، ومن خواصها أنها تكشف عن الاختلافات الإيديولوجيةles divergences idiolectales، وهي كفايات تربط علاقة تقاطع وتناغم مع الكفايات اللسانية.(Orecchioni, C.K. 1980, p18)

وبإمكان المدرس أن يستغل الكفاية الموسوعية باعتبارها "خزانا رحبا يضم معلومات خارجيةً تعبيريةً تتناول السياق، أو باعتبارها مجموعة معارف ومعتقدات، ونظاما من تمثيلات العالم

المرجعي وتأويلاته وتقويماته" (كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ص 285). ويسخّر جزءا بسيطا منها في عملية إنتاج التعلمات وتأويلها.

وتختلف معطيات الكفاية الموسوعية بناء على طبيعة الوضعية الحوارية، وتتخذ هذه المعطيات الأشكال التالية:(كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ص285-287)

-معطيات عامة أو خاصة؛
-معلومات متعلقة بالعالم الخارجي، أو بفاعلي التلفظ؛
-معطيات حيادية أو تقويمية؛
-معطيات خارج لغوية تُسعف في تحديد معنى السلوكات اللغوية وغير اللغوية؛
-معطيات قد يُجمع عليها الفاعلون الحواريون الذين تتقاطع كفاياتهم الموسوعية بدرجة متفاوتة من حيث قوَّتها، وقد يختلفون بشأنها تبعا لمستوى الخطاب ونوعه.
وما دامت معطيات هذه الكفاية على هذه الدرجة من الموسوعية والانتشار؛ فإن الضابط الوحيد للمعلم للتحكم فيها هو موضوع الدرس والحيز الزمني المخصص لتقديمه، حيث إن الافراط في توظيف الكفاية الموسوعية، وإطلاق العنان للمعارف المحيطة بالدرس قد يعرقل عملية الفهم لدى المتعلم، كما أنه قد يجهد المدرس في عملية الشرح؛ مثلما يجهد المتعلم في عملية المتابعة والفهم والتأويل. ولتجنب ذلك يجب على المدرس أن يوظف، فقط، من أصناف معطيات هذه الكفاية، الصنف الذي يراه مناسبا لطبيعة الدرس المقصود، أهو صنف المعطيات العامة أم الخاصة أم الحيادية أو التقييمية، إلخ.

إلى جانب ذلك؛ فإذا تأملنا في معطيات الكفاية الموسوعية، نجدها تحتوي على بعض المعطيات التي لا مفر للمعلم من معرفتها وأخذها بعين الاعتبار حال إعداد الدرس وتقديمه؛ خصوصا تلك المعطيات المتعلقة بالعالم الخارجيوبفاعلي التلفظ (أي بالمتمدرسين)، والمعطيات خارج لغوية التيمن شانها أن تسعفه في فهم السلوكات اللغوية وغير اللغوية الصادرة عن المتمدرسين.

كما تضطلع الكفاية الموسوعية، بجل معطياتها المذكورة، بأدوار جلية في عملية فك سنن الرسالة الخطابية، إذ تساهم "أصلا في عملية فك ترميز المحتويات البيِّنة (على غرار رفع المجانسة والتعددية والدلالية وإنشاء علاقات مرجعية رديفة)؛ ولكنها تتدخّل على نحو جليٍّ ومكثف أكثر بكثير في عملية فك ترميز المحتويات المضمرة"(كاترين كيربراتأوريكيوني، 2008، ص287)؛ التي تتطلب، بالضرورة، توظيف معارف خارج لغوية للكشف عن "المسلمات الصامتة" (أو المسكوت عنها) المخزنة في الكفاية الموسوعية، والتي تؤازر الكفاية اللسانية أيضا في تذليل الصعاب أمام المدرس والمتمدرس معا، وأمام المتخاطبين عموما.

ثم؛ إن ما يميز هذه الكفاية أنها عبارة عن خزان ينمو ويتطور باستمرار عبر الممارسة اللغوية وتفاعل الفرد مع الأحداث الاجتماعية المحيطة به، "فهي رصيد يفتأ يكبر، ولا ينفك المتكلم يضيف إليه مستفيدا في ذلك من الأحاديث التي يشارك فيها والخطابات التي يسمعها أو يقرؤها".(حاتم عبيد، 2013، ص44-45).وينمو رصيد الكفاية الموسوعية لدى المدرس بواسطة

تراكمات تجربته الميدانية في التدريس واحتكاكه المستمر مع المتمدرسين، وتحليله المتسمر لتفاعلاتهم داخل الفصل. والأمر نفسه ينطبق على المتمدرس التي ينمّي كفاياته باستمرار عبر التمكن من الدروس المقدمة والحرص على الربط بينها لتكوين سلسلة متصلة الحلقات مما يتعلمه ويستثمره في وضعيات إشكالية خاصة به.

4. أهم نتائج الدراسة: لقد أسفرت هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج نذكر منها:

1. إن اللسانيات الحديثة بكل فروعها قد ساهمت في تبسيط مجموعة من العقبات التي تعترض الباحثين في نظريات تعلم اللغة وتعلمها، إسهاما فعالا جعلها تفرض مضامينها ونتائجها على هؤلاء الباحثين للتمكن من معرفة طبيعة اللغة بنيةً واستعمالًا، وكان لها ذلك ما دام أن موضوعها الأساس هو "اللغة".

2. النموذج التواصلي الذي اقترحه رومان جاكبسون نموذج مثالي أحادي السنن لا يعبّر عن السلوكات غير اللغوية المرفقة بعملية التلفظ، وهي سلوكات تؤثر في عمليتي الإنتاج والتأويل. وبالتالي لا يمكن أن يُترك على هذا الوضع المثالي بسبب تدخل المحيط الاجتماعي في عملية عقد السنن وحله. وعلى العكس من ذلك؛ يعد النموذج التواصلي التلفظي الذي اقترحته أوريكيوني نموذجا مزوج السنن يأخذ بعين الاعتبار الكفايات خارج لسانية وقيود عالم الخطاب وكل الحيثيات التي ترافق عملية الإنتاج والتأويل.

3. تؤكد لنا لسانيات التلفظ أن العملية التعليمية التعلمية تشتغل بصيغة دورانية، انطلاقا من:

أ. تشغيل المدرس كفايته اللسانية والإيديولوجية والثقافية في إنتاج الرسالة التعليمية التعلمية باعتبارها عملية تتدخل فيها العناصر التالية:

-الظروف السياقية والمرجعية التي تحيط بالملفوظات المنتجة؛

-وقيود عالم الخطاب.

ب. قيام المتمدرس بعملية فك السنن أو التأويل عبر تفعيل الكفاية اللسانية والكفاية الموازية لسانية، ثم التحديدات النفسية والتحليل نفسية، كما تتم هذه العملية -كما هو الشأن بالنسبة لعملية الإنتاج- وفق طبيعة قيود عالم الخطاب (وهي المعطيات السياقية والقيود الموضوعية) التي تُلزم المرسل/المستقبل بربط الملفوظات بإطار السياقات التلفظية التي أُنتجت فيها.

4. تتوفر الكفاية الموسوعية على خزان من المعطيات لا بد للمعلم من توظيفه في نقل التعلمات للمتعلمين وتحقيق تمثلهم الصحيح لتلك التعلمات، لأنه يحتوي على معارف خارج لغوية تساعد على كشف "المسلمات الصامتة"،وتؤازر الكفاية اللسانية أيضا في تذليل الصعاب أمام المدرس والمتمدرس معا، وأمام المتخاطبين عموما.

5. إن التوظيف الأمثل للكفايات اللسانية والموسوعية يؤثر تأثيرا إيجابيا على نشاط تعليم اللغة وتعلمها وفهمها.

خاتمة:

صفوة القول مما سبق؛ إن الكفايات اللسانية وغير اللسانية تشتغل بتواز مستمر، ويقصد بالأولى مجموع المعطيات التي تمكن المتعلم من التمكن من النسق القاعدي للغة، وتضطلع بفك

المحتويات الظاهرة للرسالة التعليمية، أما الثانية فتتشكل من المعلومات السياقية والاجتماعية التي تؤثر في الملفوظات، وتشمل الكفايات الموسوعية والثقافية والإيديولوجية، وتضطلع بدور فكالمحتويات المضمرة، واقتحام التأويلات المحتملة للملفوظات المتعلقة بالرسالة التعليمية التعلمية.

إن للمدرس الذي يتسلح بهذه الكفايات، ويعي أهميتها ووضعيات توظيفها؛ حظوظا وافرة في تحقيق تمثُّل ناجح للسان المدرَّس لدى المتعلمين، كما تقتحم أمامه العقبات التي تواجهه في تدبير التعلّمات وتلقينها لهم، وتجعله يأخذ بعين الاعتبار أنتعلُّم لسان ما لا يتمثل في التمكن من قواعده فقط (كما تتصور النظرية التوليدية)؛ وإنما في التمكن من توظيفها، وفي الوعي بتغيرات تلك القواعد بسبب تغير المعطيات السياقية لاستعمال ذلك اللسان.

وخلصنا، أيضا، إلى أن لسانيات التلفظ قدمت مقترحات منهجية بصدد فهم الملفوظات وتأويلها، أفادت بها مجموعة من التخصصات الأخرى المهتمة باللغات والآداب والتواصل، وقد كشفنا عما يمكن أن تفيد به الباحثين المختصين في تعليم اللغات وتعلمها.وتتجلى هذه الإفادة في نضج التحليل التلفظي لطبيعة اللغات الإنسانية، ووعي معتنقي هذا المقاربة التحليلية بضرورة الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الذاتية والسياقية والاجتماعية في دراسة اللغة أو أثناء تعليمها.

قائمة المراجع:

1.تزفيتان تودوروف(1996)، ميخائيل باختين: مبدأ الحوارية، ط 2، ترجمة: فخري صالح،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

2.جرهاردهلبش(2007)، تطور علم اللغة منذ 1970، ط1، ترجمه وقدم له سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

3.حاتم عبيد(2013)، في تحليل الخطاب، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن.

4.حسن بدوح(2012)، المحاورة، مقاربة تداولية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن.

5.الحسن عبد النوري(2016)، استراتيجيات تعلم اللغة وصنافاتها وطرائق تدريسها، مجلة علوم التربية، ع 65.

6.دومينيك مانغونو(2008/1428)، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ط1، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر.

7.روبير مارتان(2008)، مدخل لفهم اللسانيات، ط1، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

8.سمير استيتية(2008)، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد.

9.كاترين كيربراتأوريكيوني(2008)، المضمر، ط1، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

10.ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي(2012)، النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ط1، ترجمة محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
11.محمد نظيف(2010)، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
12.مصطفى غلفان(2010)، في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها،مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
13.مصطفى مزياني(2014)، الوظيفة التواصلية للغة، مرجعية لا محيد عنها في تعليم وتعلم الشفهي، مجلة علوم التربية، ع 59.
14.Jean Dubois et autres (1973), Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, Paris.
15.Orecchioni, C.K.(1980), L’énonciation de la subjectivitédans le langage,Librairie Armand Colin, Paris.

التغير الاجتماعي ودوره في التأثير على القيم والعادات والتقاليد
Social change and itsRole in Influencing Values, Customs and Traditions

د. هند البريزات، وزارة التربية والتعليم، قسم البحث التربوي- المملكة الأردنية الهاشمية

Dr. Hind Al-Braizat, Ministry of Education, educational research Department- Hashemite Kingdome of Jordan

ملخص: شهدت المجتمعات منذ بدء تكونها تغيرات متنوعة أثرتعلى العادات والتقاليد والقيم، وتتعدد عوامل التغير الاجتماعي وتكون معقدة أحيانا حين تتداخل مع بعضها البعض وهذا كله كفيل بأن يؤثر على القيم والعادات والتقاليد في المجتمع الأمر الذي أدى إلى تحولات اجتماعية عديدة وتبدل للمفاهيم وتغير في التنشئة الاجتماعية. جاءت هذه الدراسة تبحث في دور التغير الاجتماعي وتأثيره على القيم والعادات والتقاليد في المجتمع كونها تعتبر من أساسيات وثوابت المجتمع ولخصت الدراسة إلى أن التغير الاجتماعي سلاح ذو حدين أحدهما رفع درجة الوعي بين الأفراد مما أدى إلى تطور اجتماعي في كثير من الجوانب وثانيهما أدى إلى تغير في القيم الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: بناء اجتماعي، تغير اجتماعي، تطور، عادات وتقاليد، قيم.

Abstract: Societies havewitnessedvarious changes that affected customs, traditions, and values. factors of social change are multiple and complicated when they overlap with each other, this affect values, customs, and traditions in society and led to social transformations, change of conceptsand socialization. This study examined the role of social change and its impact on values, customs, and traditions in society, as it is considered one of the fundamentals and constants of society. The study finding shows that social change is a double-edged sword, raising awareness among individuals, and leading to a change in human values.
Keywords: customs and traditions, development, Social change, social structure, values.

1- مقدمة:

تطور المجتمعات عملية مستمرة لا تتوقف وإنما تمر بمراحل متعددة شاهدةً تطورات وتغيرات طفيفة وأخرى جوهرية تتعلق بقضايا مجتمعية مختلفة ومنها ما هو تغيير بسيط أو معقد، هذا التغيير الذي يتعرض له المجتمع بما فيه من أفراد ولغة ورموز وأدوار وعادات وقيم وحتى طبيعة العلاقات والبيئة والصناعات وغيرها من الأمور قد يكون تغييرا اجباريا أو اختياريا مما يؤدي إلى تحول في المجتمع قد يكون تدريجيا أو تحولا يقفز بسرعة نحو مراحل متسارعة، وقد يكون تغيرا نحو الأفضل أو الأسوأ بما يحمله من مفاجئات وتطورات وتحديثات متتالية. "فالتغير الاجتماعي نال اهتماماً لم تنله الكثير من القضايا من قبل العلماء كما أنه أصبح من السنن المسلم بها لدى البشر"(حجيلة، 2010، ص2-3).

وتختلف حدة وسرعة التغيير في المجتمع تبعا لعدد من العوامل التي تؤثر في المجتمعات، فالتطور السريع والهائل الذي تشهده بعض المجتمعات هناك بعض المجتمعات لا تعلم عنه ولم يصل لها من التطور الصناعي أو الثقافي أو الاجتماعي وغيره من أنواع التغيير ما وصلت له المجتمعات المتقدمة.إن التغيير في الجانب القيمي أو الأخلاقي في المجتمعات أيضاً تأثر بتطور المجتمع وأصبح هناك الكثير من القيم والعادات لا مكان لها هذه الأيام لأنها لا تخدم ولا تتماشى مع التغيير المتسارع والتغيير الفكري والثقافي لدى فئات مختلفة من الأفراد في المجتمع. أما مثلا الجانب الحقوقي فقد لمس تغييرا كبيراً وأصبح هناك تعالي بأصوات المنادين بالحقوق والقضاء على الفساد ومحاربته.

من الجوانب المهمة لأي مجتمع إنساني مسه التغيير هو الجانب القيمي والعادات والتقاليد، حيث إن القيم لها دور كبير ومهم في حياة الأفراد، فهي تؤثر عليهم وتحكم الكثير من أمور الحياة في بعض الأحيان، كما أنه يتم تقييم الأشخاص بناء على التزامهم بالقيم المجتمعية أحيانا. فالقيم الاجتماعية بمثابة الروابط بين الأفراد كما أنها تنظم الكثير من العلاقات وأمور الحياة المختلفة ويتم التعامل بها كأنها قانون لدى البعض، فمنظومة الأخلاق مهمة جدا لأي مجتمع إلا أنه طالها التغيير بسبب التطور والتغيير على البنى الاجتماعية خاصة التي تأثرت بالتطور التكنولوجي بشكل كبير، فالتقدم العلمي يعمل على إحداث تغيير وتفاعلات اجتماعية مستمرة(سفيان، 2012). ونظرا لأهمية هذه القضية المستمرة والتي ليس لها نهاية طالما هناك مجتمعات متغيرة فإن لها انعكاسات مختلفة على المجتمع بشكل عام،سيتم التركيز على أثر التغير الاجتماعي على العادات والتقاليد والقيم في المجتمع. إن التغير الاجتماعي حقيقة متأصلة في طبيعة المجتمعات فتقوم الأجيال اللاحقة بتناول الجوانب الثقافية والتراث الاجتماعي من الأجيال السابقة وتقوم بالتعديل عليها تماشيا مع الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الأفراد في وقت ومكان معين(غيث، 1979).

2- الإطار النظري والدراسات ذات الصلة:

إن أي تطور يمس المجتمع ينعكس سلبا أو إيجابا على البنى الاجتماعية بما تحتويه من رموز ولغة وثقافة وأدوار وسلوكيات ووظائف وأنماط وأعراف وعادات، وبالتالي فإنه يحدث تغيير في

طبيعة الحياة التي قد يتم تقبلها أو رفضها. حيث يستخدم مصطلح التغير الاجتماعي للإشارة إلى التغيرات التي تحدث في التفاعلات والعلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع إضافة إلى تعديلات في الهيكل الاجتماعي(Bhat,2016). فالتغير الاجتماعي يُعرف على أنه عملية قديمة مستمرة تمس جميع مجالات الحياة لكنها مختلفة من مجتمع إلى آخر حسب المكان والزمان بحيث يسعى الأفراد من خلال التغير الاجتماعي إلى بلوغ حاجات وغايات مختلفة وفيها يتم الانتقال من نمط اجتماعي قديم إلى نمط اجتماعي جديد يعمل على التأثير في البنى الاجتماعية والنظم والأنساق خلال مدة زمنية معينة(المدنيني، 2017). في العلوم الاجتماعية وعلم الاتصال يوصف التغير الاجتماعي بأنه تقليديا مرتبط بمشاكل التنمية في البلدان النامية وبشكل عام يوصف التغير الاجتماعي بأنه تغيير كبير في الثقافة أو النظم الاجتماعية أو في سياق معين (Servaes, 2011). وفي تعريف للعادات والتقاليد يعرفه(مساعدية، 2017) بأنها سلوك اجباري ملزم متكون من قيم دينية وعرفية تجعل من الأفراد في المجتمع تابعين للعادات والتقاليد، وتعد ركيزة أساسية ينبني عليها التراث الثقافي في المجتمع. تتميز العادات الاجتماعية بأنها مجموعة من السمات بكونها فعل اجتماعي وهي قوة معيارية وأداة ضبط اجتماعي تحافظ على كيان واستمرارية المجتمع وتختلف العادات من مجتمع لآخر حسب الثقافة(صالح،2013).

أما القيم الاجتماعية فإنها من المفاهيم الضرورية لدراسة المجتمع فتعد نتاج خبرات اجتماعية تتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية وتعمل كإطار مرجعي مشترك وعامل ضبط مجتمعي في مختلف المواقف وتختلف القيم من مجتمع لآخر وتفرض القيم إلزاما معيناً على الأفراد الأمر الذي يؤدي إلى وجود تشابه أخلاقي بين أفراد المجتمع الواحد(السيد، 2005). كما أنها تمثل إطار مرجعي يحكم تصرفات الأفراد والجماعات من خلال تكوين الشخصية إضافة إلى تحديد قدرة وقيمة الفرد (البقم،2009) فالقيم الاجتماعية تعني الصفات التي يفصلها أو يركب فيها الناس في ثقافة معينة بحيث تأخذ صفة العمومية لسلوكيات الأفراد وبالتالي فإن القيم الاجتماعية هي مجموعة اتجاهات عقلية تستخدم في تقدير وقياس المواقف الاجتماعية(عبد الرحمن،2017)، كما يعرفها (الكافي، 2005) بأنها الأشياء التي تكون ذات قيمة معينة عند جماعة من الناس مجتمعين أو غير مجتمعين مثل الاحترام والكرم والأمانة والوفاء وغيرها.

إن التغير الاجتماعي الحالي الذي تمر به المجتمعات ليس له شبيه بالمراحل السابقة من حيث سرعته وشموله والعمق الذي يتصف به (خضور، 2009)، وفي هذا الصدد أجريت العديد من الدراسات التي تبحث في التغير الاجتماعي ووُضعت العديد من النظريات التي حاولت تفسير أسباب وعوامل التغير الاجتماعي وما يطرأ من تغيير في المجتمع بسبب التغير المستمر في المجتمعات، فمثلا النظرية الحتمية تركز على التغير الاجتماعي بعامل واحد بمعنى أنها تعتبر أن عامل واحد فقط يعمل على إحداث تغير اجتماعي أما النظرية التطورية التي تتوافق مع النظرية الحتمية في المبدأ بحيث تعتمد على فكرة أن المجتمعات تسير في تغير محدد سابقا من خلال مراحل معينة وهناك العديد من النظريات التي ناقشت التغير الاجتماعي والعوامل التي أدت له مثل النظرية البنائية الوظيفية والكلاسيكية والصراع وغيرها.

بعض الدراسات التي بحثت في موضوع التغير الاجتماعي وضحت أن التغير الاجتماعي المستمر في المجتمعات له أبعاد مختلفة جوهرية وعادية، إلا أن المجتمعات أصبحت تتقبل قيماً وعادات لم تكن تتقبلها في السابق كما طرأ اختلاف على البنى والأنساق الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد، ومن هذه الدراسات ما أكدته (سوهيلة،2019) في دراستها حول التغير الاجتماعي أن التغير ليس موضوع يهتم به علم الاجتماع فقط، بل أنه تم الاهتمام به من قبل مختلف الاختصاصات من خلال التعريفات والنظريات التي وضعت في هذا الصدد، ولخصت النظريات بالنظرية التطورية والبنائية الوظيفية ونظرية الصراع معتبرة أن هذه النظريات اعتمدت في تفسيرها لظاهرة التغير الاجتماعي على تقصي الواقع الاجتماعي للمجتمع في دراسته حول القيم بين التغير والتغيير يعرف(أحمد،2011) التغير الاجتماعي على أنه التغير الذي يحدث في طبيعة البناء الاجتماعي مشيراً إلى أنها ظاهرة طبيعية.أما التغير الذي حصل على مستوى الأسرة من حيث الأدوار والأنماط والوظائف والمكانة فإن (حمادوش، 2017) ترى أن ما طرأ على البناء الأسري في المجتمع قد تماشى إلى حد ما مع التغيرات العامة التي حدثت في المجتمع لدرجة أنها أصبحت تظهر وكأنها السبب في إبراز هذه التغيرات، والسبب يعود إلى الثقافة الحديثة على مستوى القيم والأعراف والتقاليد إضافة إلى أسباب سياسية واقتصادية.

في دراسة ميدانية أجرتها(السوالقة، 2016) هدفت إلى معرفة مظاهر التغير الاجتماعي والصراع القيمي لدى المرأة في المجتمع الأردني، أظهرت نتائج الدراسة أن هناك تغير في القيم لدى النساء ولدى المجتمع حول التعليم والزواج والعمل والحرية للنساء لعدة أسباب أهمها ما حدث من اختلاط بالثقافات في المجتمع الأردني نتيجة الهجرة (السورية والعراقية) التي حدثت بعد عام 2009. كما أظهرت النتائج أن النساء يعتقدن أن للعادات والتقاليد تأثيراً أقوى من الدين في المجتمع كما أن الكثير من القيم والعادات تم التخلي عنها وعللت ذلك بسبب التغيرات الثقافية والاقتصادية التي حصلت بالأردن.أما (طبال، 2012) في دراستها عن التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية توضح أن أبرز التغيرات التي توالت على المجتمعات هي التغيرات الاجتماعية والثقافية خاصة ظاهرة العولمة والتي أحدثت فروقا في الاتجاهات والقيم الإنسانية لدى أفراد المجتمعات، فأدت إلى تغير الثقافة الموروثة بسبب عملية الاتصال، حيث أثرت على المعايير والقيم والسلوكيات لدى الأفراد. هذا التغير أدى إلى الوقوع في حيرة ما بين المحافظة على القيم والعادات الموروثة وما بين التقليد للعادات الدخيلة. كما أوضحت الدراسة أن التغير قد يكون إلى الوراء بحيث يمثل التخلف وقد يكون للأمام والذي يمثل التطور.(Greenwood & Guner, 2008) في دراستهم حول التغير الاجتماعي بينوا أن المجتمع يتميز بالسلوكيات والمواقف المشتركة بين أفراده مما يعكس طريقة اتخاذ القرارات من قبل هؤلاء الأفراد تبعا إلى المكان الذي يعيشون به، إلا أنه مع التطور التكنولوجي الهائل الذي يعد جزء كبير من التغير الاجتماعي رد فعل له، فاختلفت المعايير الاجتماعية كما أنه طالها تغيير كبير جدا خلال القرن العشرين، فما يبدو غير مقبول اجتماعياً ومحرماً دينياً ومخالفاً للعادات والتقاليد أصبح تدريجيا مع الوقت أمرا مقبولا في بعض المجتمعات.

دراسة (العقيبة، 2007) هدفت إلى تحليل العادات والتقاليد المرتبطة بظاهرة الموت في سياق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في مدينة بانياس، حيث بينت الدراسة أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع أدت إلى ظهور أنماط جديدة من السلوكيات الاجتماعية والعادات والتقاليد والقيم التي ترتبط بحادثة الموت والتي لا تتوافق مع عادات الناس وتقاليدهم في السابق، الا أنه حصل تغير اجتماعي أثر على التزام أفراد المجتمع بالعادات المتبعة من حيث مظاهر الحداد واحترام أهل المتوفى. يوضح (Trommsdorf, 2002,) أنه يمكن تصور التنمية الفردية في أوقات التغيير الاجتماعي كخطر أو تحدٍ، اعتمادًا على الأفرادوالمصادر الاجتماعية، هذه الموارد والتي هي جزء من التجارب الاجتماعية في الماضي والحاضر. كما تضيف الدراسة أن التغيير الاجتماعي لا يؤثر على الشخص خلال التنمية الاجتماعية سلباً ما لم تتطابق الموارد الفردية والاجتماعية للشخص مع المتطلبات البيئية الجديدة. تشكل الشخصية والتوقيت للأحداث وعمر الشخص والموارد الاجتماعية عوامل للتغير الاجتماعي في السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية، خلصت الدراسة إلى أنه يجب التركيز في المستقبل على الدراسات حول التغير الاجتماعي والتنمية الفردية.

مما سبق من دراسات نستخلص التغير الاجتماعي قد طال جميع البنى والمجالات في المجتمع وأحدث مستويات متعددة من التغيرات على مستوى الأفراد والمجتمع وطبيعة الحياة بشكل عام. وأدى هذا إلى ظهور أنماط وسلوكيات جديدة أو حدوث تغيرات على العادات والتقاليد المتوارثة وذلك بسبب تبني الأفراد في المجتمع لتوجهات جديدة تسبب فيها التغير الاجتماعي إما بسبب الحروب أو الهجرات أو التعليم أو غيرها من العوامل المتداخلة أحيانا، مما أسفر عن إعادة تشكيل وتعريف وتنميط للعادات والتقاليد في المجتمع.

3- التغير الاجتماعي والمجتمع:

تختلف الأسباب التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي خاصة في ظل التغير السريع الذي يشهده العالم ومن الواضح أن هناك عوامل متداخلة تلعب دورا في التغير الاجتماعي ولا يمكن ترجيح كفة عامل على آخر، إلا أنه يذهب البعض إلى أن التكنولوجيا هي السبب الرئيس لما يحدث من تغير اجتماعي نلاحظه في العلاقات الاجتماعية، العادات والتقاليد، الأعراف، البنى الاجتماعية، الأدوار وفي الصناعات والبيئة وغيرها. قد تؤدي العوامل السيكولوجية إلى رغبة الأفراد بالتغير الاجتماعي خاصة بسبب الوعي الاجتماعي والتعليم الذي أدى إلى تغير في التفكير ووجهات النظر، حيث أن اختلاف صفات وطبائع البشر عامل مهم في التغير الاجتماعي(عبد الحميد، 1982). أيضاً من العوامل التي تؤدي إلى تغير اجتماعي كما يرى بعض العلماء أهمها الاختراعات وانتشارها، بحيث يتم إنتاج عناصر جديدة في المجتمع تستدعي عملية تكيف معها من قبل أفراد المجتمع ونتيجة للتكيف قد يضطر بعض الأشخاص إلى التخلي عن بعض القيم أو العادات من اجل الانخراط في العمل على سبيل المثال أو مواكبة جماعات معينة من حيث الانفتاح. عامل آخر يتعلق بالتركيبة السكانية حيث يؤدي النمو السكاني إلى تغير في التركيبة الاجتماعية، فكما ذكر دو ركايم أن النمو السكاني أدى إلى تقسيم الأعمال بشكل يجعل هناك تغيراً

في الوظائف للأفراد(الدقس، 1996)ففي الوقت الحالي نلحظ تغيراً كبيراً في الأدوار المنوطة بالأفراد، فالمرأة والرجل تغيرت أدوارهما بالعمل بالمنزل وفي مكان العمل أيضاً. كما أن عمليات الهجرة واللجوء بسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية أدت إلى إعادة توزيع التركيبة السكانية مما أدى إلى ظهور ثقافات وأنماط وأعراف وتقاليد وقيم مختلفة وبالتالي تغيرت الثقافة والقيم وبعض من العادات،إلا أن ماركس يرى أن القيم ليس لها أثر على التغير الاجتماعي، حيث أنها ناتجة عن تفاعل ما بين القوى الاجتماعية التي تظهر في الصراعات الطبقية.

أما البعض يرجع أسباب التغير الاجتماعي إلى الاكتشافات الجغرافية إضافة إلى العوامل البيئية التي أثرت على التضاريس وطبيعة الأراضي والثروات المختلفة التي تتمتع بها الدول (استيتية، 2008) إضافة إلى التغير المناخي أيضاً مما أدى إلى تغير في المجالات الصناعية والزراعية والتجارية وأنماط الحياة بشكل عام، الأمر الذي غير في طبيعة الحياة. ومن العوامل المهمة أيضاً التنازع على البقاء وسيطرة القوى (خليل، 2004) خاصة تلك التي تسعى إلى السيطرة على أراض بداعي الاستفادة من ثرواتها أو إبقاء بعض الشعوب تحت السيطرة وعدم فسح المجال لهم بالتطور لتبقيهم شعوبا تابعة غير منتجة وجاهلة، أو عبر شن الحروب التي أيضاً أثرت على طبيعة العلاقات والقيم والعادات إضافة إلى العوامل السياسية وتأثير الشخصيات القيادية والثورات التي نشأت بسبب التغيرات الاجتماعية والمطالبات بحياة أفضل. إضافة إلى العوامل الاقتصادية حيث أن التطورات الاقتصادية والصعوبات غيرت في نمط الحياة الاجتماعية وأدى إلى ظهور ظواهر اجتماعية جديدة (فرح، 1987).

4- المنهج والنتائج:

لغايات الوصول إلى إجابات حول أثر التغير الاجتماعي على القيم والعادات والتقاليد تم إجراء مقابلة مركزة مع مجموعة من الباحثين في الدراسات الاجتماعية والذين كان عددهم (7)مشاركين وتم أخذ موافقتهم على المشاركة في الدراسة وللحفاظ على سرية هوية المشاركين تم استخدام أسماء مستعارة لغايات هذه الدراسة كما تم حفظ جميع المواد المكتوبة وغير المكتوبة في مكان آمن لضمان عدم الوصول إليها من قبل أي شخص آخر. تم استخدام المجموعة المركزة للإجابة عن تساؤلات الدراسة كونها تعتبر "من أهم أدوات جمع البيانات النوعية وهي تهدف أساسا إلى معرفة عميقة وتصور واضح حول الموضوع محل الدراسة من خال طرح الموضوع للنقاش على مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم ظروف وأوضاع مشتركة" (Albaher, 2019, p.6).ولغايات تحليل البيانات تم تحويل المعلومات المكتوبة الناتجة عن المقابلة المركزة، تم تنظيم البيانات وتحديدها في فئات ومن ثم شرحها وتفسيرها من الإجابة على أسئلة الدراسة من قبل المشاركين.

تم طرح الأسئلة التالية خلال المقابلة في المجموعة المركزة:

1- كيف تعرف التغير الاجتماعي؟

2- برأيك ما هي عوامل التغير الاجتماعي؟
3- ما هي معيقات التغير الاجتماعي؟
4- هل تعتقد أن التغير الاجتماعي الذي نشهده إيجابي أم سلبي ولماذا؟
5- كيف ينعكس التغير الاجتماعي على القيم والعادات والتقاليد في المجتمع؟

توزيع المبحوثين حسب العمر والجنس

الرقم	الاسم الأول	الجنس	العمر
1	ليديا	أنثى	29
2	مؤيد	ذكر	29
3	راجي	ذكر	33
4	منيرة	أنثى	35
5	أحلام	أنثى	40
6	جابر	ذكر	44
7	ايمان	أنثى	47

من خلال إجابات المشاركين تم تحديد 5 فئات وهي:

أ- **التغير الاجتماعي كمفهوم ثابت:** من خلال إجابات الأسئلة في المقابلة اتفقجميع المشاركين أن مفهوم التغير الاجتماعي ثابت في المبدأ بمعنى أن التغير عملية ثابتة على مر السنوات ولم تتوقف يوما ولكن التغير نفسه ليس له حدوداً وأشكال محددة وأنه مستمر إلا مالا نهاية، تقول أحلام "التغير الاجتماعي ظاهرة متجددة مستمرة ثابتة"، يقول راجي "التغير الاجتماعي هو التغير الثابت الدائم لكن له عدة أوجه، هذا التغير يؤثر على البنى الاجتماعية والأنساق كافة". تعرف ليديا التغير الاجتماعي بأنه "كل ما يطرأ من تغير على البناء الاجتماعي والعلاقات نتيجة عوامل متداخلة يتأثر بها المجتمع". مما سبق نجد أن التغيير ظاهرة تم تقبلها من الأفراد والتعايش معها والتأكيد على أنها عملية ملازمة للمجتمعات الإنسانية وتؤثر على مكونات المجتمع كافة.

ب- **عوامل التغير الاجتماعي:** من وجهة نظر المشاركين توضح ايمان أن "أهم عامل للتغير الاجتماعي هو التطور التكنولوجي والاعتماد الكبير على شبكة الإنترنت" وتضيف "إن العوامل الأخرى مثل العوامل البيئة والاقتصادية والسياسية ليست بأهمية العامل التكنولوجي". مؤيد يؤكد "أنه لا يمكن فصل العوامل المؤدية للتغير الاجتماعي كونها كلها متداخلة ومرتبطة ببعضها البعض". تتفق أحلام مع مؤيد وتضيف عوامل التغير الاجتماعي وإن اختلفت مسمياتها إلا أنها جميعها متشابكة واحدها سبب للآخر". أما منيرة فتجد أن أهم أسباب التغير الاجتماعي هو

"العامل الاقتصادي، لأن الإنسان دائما يسعى لتأمين قوت يومه الأمر الذي يدفعه للسفر أو الهجرة أو الانخراط بأعمال متنوعة تؤثر على أفكاره ونمط حياته وبالتالي تؤثر على قيمه وعاداته" وتضيف إن الثورات التي شهدتها الدول على مر العصور للمطالبة بالحقوق وعيش كريم عامل مهم جدا في الانفتاح والوعي الذي يزداد يوما بعد يوم لدى الأفراد في المجتمع". جابر يرى أن "الصراعات البشرية المستمرة أدت إلى تدمير اجتماعي للحياة بشكل عام وانعكست على أنساق المجتمع كافة" ويضيف إن النفس البشرية تميل دائما إلى التغير وتجد الأسباب للتغير الاجتماعي ولذا أجد أن العامل الشخصي أو السيكولوجي هو العامل المؤثر لجميع العوامل التي تتبع هذا العامل". وبناء على هذا نستطيع القول إن التغير الاجتماعي مُعمر ومُدمر في آن واحد ولكل جهة أو فرد تصور حول التغير الاجتماعي حسب المكان والزمان الذي يعيش فيه وحسب التجربة التي جعلته يفسر ويحلل تصوراته حول التغير الاجتماعي.

ت- محددات التغير الاجتماعي: أي حالة مستحدثة يكون هناك من يقاومها لتمسكهم بالماضي أو لعدم تقبلهم للتغير بحد ذاته وكذلك التغير هناك من يقاومه ولا يتقبله بسهولة، وبما أن التغير الاجتماعي عملية مستمرة غير ثابتة هناك محددات ومعيقات لهذا التغيير، يقول مؤيد "أول معيق للتغير هو الجهل والأمية بالشيء والحل هو التعليم" أما منيرة تجد أن المعيقات تكمن "في بعض العادات والتقاليد البالية التي لا تتناسب مع المجتمع الحديث". تضيف ليديا" عدم تجانس الطبقات والتركيز على مدن دون الأخرى في تقديم الخدمات فإنه يؤخر التغير الاجتماعي أو يؤثر على سير التغير" وتضيف ايمان "الخوف والحروب والكوارث والفقر تحد وأحيانا توقف التغير" ويقول مؤيد "الجهل بالحقوق وقلة الموارد سبب رئيسي يعيق التغير". أكد راجي "أن الجانب النفسي والخوف من الانحلال في المجتمع لدى فئات معينة بالمجتمع يمنع تقبل أي نوع من التغير الاجتماعي خاصة إذا كان يمس الأشخاص". نستخلص أن الثقافة التقليدية والأمية لا يساعدان على حدوث تغير اجتماعي بطريقة سهلة وإنما تميل المجتمعات التقليدية إلى الثبات ومقومة التغيير بشدة لأن المحافظة على البناء الاجتماعي وعلى العلاقات والابتعاد عما يقود إلى انفلات أو انحلال بالمجتمع أمر مرفوض في المجتمعات المحافظة خاصة لدى الأميين أو كبار السن ظنا منهم أنها تفتت القيم والعادات والتقاليد وتمزق البناء الاجتماعي وتؤدي إلى خلل في وظائفه.

ث- سلبية وإيجابية التغير الاجتماعي: كان هناك اتفاق واضح لدى المشاركين أن التغير الاجتماعي يحمل الجانبين السلبي والايجابي ولا يمكن تفضيل أحدهما على الآخر. يعتقد جابر أن "التغير الاجتماعي ظاهرة سلبية لا يمكن وقفها وإن هذا التغير أثر بشكل عكسي في كثير من المجتمعات، رغم أن له إيجابيات ولكن تطغى أحيانا الأمور العكسية لهذا التغير الاجتماعي" ويضيف "أصبحنا نستقبل الأخبار المحزنة على سبيل المثال وكأنها أمر عادي ولم نعد نشعر بها كما السابق، حتى العلاقات وشكل الحياة تغير بشكل هائل مذهل أحيانا". تقول ليديا "طبعا كثير من الأمور لا نستطيع أن ننكر أنها تتجه للأفضل خاصة أن الخدمات التي نحظى بها الآن من حيث السرعة والإتقان والراحة أفضل بكثير من السابق رغم أنها قننت الكثير من العلاقات واقتصرتها فقط على المصالح بالنسبة لي، إلا أني أشعر براحة اكبر لأني استطيع أن أجد وقتا

أكثر لعائلتي" وتضيف " لا شك أن الكثير من الأقارب والمعارف ينتقدونني بسبب تغير أسلوب تعاملي إلا أني مقتنعة أن هذه ليست سلبية وإنما السلبية تكمن في ألا نستغل التغير الاجتماعي لعيش حياة أفضل ولنكون منتجين لا مستهلكين فقط".أما مؤمن يرى أن "التغير الاجتماعي متكافئ في السلبيات والايجابيات، فمن ناحية عمل على رفع الوعي والتعليم لدى أفراد المجتمع وجعل منهم أفرادا مختلفين ذو قيمة أكبر في المجتمع ومن ناحية أخرى فإن سلبياته لا تعد ولا تحصى أيضاً ولكنها فككت الروابط الاجتماعية وأنهكت أفراد المجتمع بجعلهم يركضون دائما وراء التغير والتخلي عن العديد من القناعات والعادات من اجل اللحاق بركب التغير". تقول أحلام "أي ظاهرة لها وجهان واحد جيد والأخر سيء والتغير الاجتماعي ظاهرة خطيرة عندما تتعلق بالانحلال و الهدم للبنى الاجتماعية و ضعف العلاقات و ذوبان الإنسانية، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن الوجه الجيد للتغير قد عمل على التقليل من العادات السيئة والإرهاق النفسي والجسدي للأفراد إضافة إلى الانفتاح والتطور الفكري والعلمي الذي انعكس بطريقة جيدة على المجمعات". إذا فالتغيير الاجتماعي لا يمكن تحديد أنه إيجابي أو سلبي لأنه كل شخص يبرره حسب تجربته الشخصية أو التجارب التي مر بها مع جماعة معينة.

ج- انعكاس التغير الاجتماعي على القيم والعادات والتقاليد: يقول راجي "اختلفت العادات والتقاليد كليا، لم تعد كما كانت حاليا فقدنا الكثير من القيم والعادات أصبح الناس أقل احتراما وتقديرا لبعضهم البعض، أصبحت العادات عبئ على الكثير من الأفراد بسبب تغير المفاهيم الاجتماعية". مؤيد يؤمن أن"التغير الاجتماعي فكك القيم وعكسها لتصبح آفة في المجتمع، فالتفكك الهائل في العلاقات الاجتماعية واندثار الكثير من القيم التي كنا نتميز ونتباهى بها" ويضيف "إلا إني أوافق أن التغير الاجتماعي قد أدخل قيماً وعادات جديدة ومفاهيم لم نكن نعمل بها سابقا ومنها ما هو جيد خاصة فيما يتعلق بالمناسبات الاجتماعية وأهمية العمل والتعليم للإناث". ايمان تقول "أهم إيجابية للتغير الاجتماعي فيما يتعلق بالقيم والعادات والتقاليد أننا استطعنا مشاركتها مع مختلف الفئات والطبقات خاصة فيما يتعلق بالتراث، كثير من الأفراد حتى الآن لا زالوا يحتكمون بالعادات المتبعة منذ عصور، إلا أن التغير الاجتماعي جعل من الأفراد يجبرون على التخلي لعاداتهم وقيمهم لمجاراة الآخرين واثبات مكانتهم في المجتمع من خلال الابتعاد عن هذه الثوابت". من وجهة نظر ليديا " لقد تغير مسار المجتمعات كافة وتغير مضمون المعايير الاجتماعية والأدوار والصور النمطية والثقافة وحتى الدين كما أدى إلى ارتفاع عدد الجرائم من جهة ومن جهة أخرى قربت الكثير من الأفراد. لذا لا يمكن أن نحدد نوع التغير الاجتماعي أو جميع آثاره المنعكسة على قيمنا وعاداتنا في المجتمع". تقول أحلام "أصبح هناك فهم أكبر لبعض القيم والعادات والتقاليد بشكل أفضل بسبب التغير الاجتماعي، كنا نجهل العديد منها وكنا نسيء فهمها إلا أنه بسبب التغير أصبحت تنفذ بشكل أفضل يتناسب مع طبيعة الحياة الحديثة". تقول منيرة " انعكس هذا على عملية التنشئة الاجتماعية ومفهوم القيم والعادات والتقاليد خلال هذه المرحلة بسبب التغير الاجتماعي".

مما سبق من إجابات وتصورات المشاركين نجد أن التغير الاجتماعي عملية أبدية لن تتوقف طالما أن هناك صراعات بشرية ورغبة بحياة أفضل ووجود قوى مسيطرة فضلا عن التقدم

التكنولوجي الهائل الذي أحدث تغيرا كبيراً وجوهريا في المجتمع وأدى إلى ظهور مفاهيم ووجهات نظر جديدة. فالتأثير التكنولوجي له أثر كبير على التغير القيمي حيث بدل قيمة العادات والتقاليد التي أصبحت أحيانا مرنة بمرونة الحداثة المجتمعية. كما أنه لا يمكن الحكم على التغير الاجتماعي بأنه جيد أو غير جيد بسبب اختلاف وجهات النظر حول دور التغير الاجتماعي في التأثير على القيم والعادات والتقاليد. فلا زال هناك من يتمسك بالعادات والتقاليد والقيم رغم التغير الاجتماعي وحافظ عليها كما هي وهنا قد ينظر إلى هؤلاء بأنهم متأخرين عن ركب التطور ولكن لا يمكن لنا أن نحكم بذلك على أي شخص كون وجهات النظر والقناعات تختلف ولا بد من احترامها.إن التنوع الطبقي والفكري والتعليمي يؤثر على قبول ورفض التغير الاجتماعي الا أن المجتمع يميل إلى الحفاظ على العادات والتقاليد والقيم خوفا على تلاشيها واندثارها بسبب التطور الهائل الذي نشهده.

من جهة أخرى عمل التغير الاجتماعي عمل على تقويم بعض العادات والقيم الغير مرغوبة وحولها بطريقة تتماشى مع نمط الحياة الحالي، خاصة في ظل التمازج السكاني والسفر والتعرف إلى الثقافات الأخرى وارتفاع مستوى التعليم لدى البعض إضافة إلى البرامج التلفزيونية والقنوات الفضائية التي حطمت الحدود وجعلتها على الأرض فقط. وعلى الرغم من الإيجابية للتغير إلا أنه عمل على إحداث تغيير هائل في القيم وبعض العادات والتقاليد التي تتعارض مع ما هو متبع منذ عصور في المجتمع، الأمر الذي أدى إلى انحراف بعض الأفراد عن هذا المسار المتبع وتبني توجهات مخالفة للقيم وللدين أحيانا. فالتشبه بالآخرين وإتباع عادات دخيلة هو أمر مستهجن لدى شريحة كبيرة من المجتمع وهنا نجد أن دائما سيبقى هناك وجهان للتغير أحدهما مرحب به وهو قبول التغيير والتطلع إلى تعديل في البناء والنظام الاجتماعي والوجه الآخر الذي يرفض المساس بالقيم والعادات والتقاليد وبناء على ما سبق أجد أن هناك وجهاً ثالثاً وهو الي يجمع بين الوجهين بمعنى يقبل التغير ولكن إلى حد ما.

5- أهم نتائج الدراسة: خلصت الدراسة الى عدة نتائج مهمة منها:

1. التغير الاجتماعي سلاح ذو حدين يمكن تسخيره بما فيه الفائدة ويدمر إذا أسيئ فهمه واستخدامه.
2. التغير الاجتماعي عملية أزلية مستمرة بعدة مستويات تعود لطبيعة المجتمع والأفراد والعوامل المحيطة بهم.
3. تأثرت وتتأثر العادات والتقاليد والقيم طالما هناك تطور تكنولوجي واستمرارية للعوامل المهددة لثبات المجتمع وأنماط وسلوكيات أفراده.
4. بعض التغيرات التي مست القيم والعادات والتقاليد في المجتمع تتلاءم مع طبيعة التطورات وأصبحت أكثر تقبلا للبعض لأنها تتناسب مع متطلبات العصر الحالي.
5. لا يمكن التنبؤ بجميع أشكال التغير الاجتماعي الذي يمس العادات والتقاليد والقيم في المجتمع ولكن المؤشرات الأولية يمكن استنباطها من التغير في البنى الاجتماعية.

6- خاتمة:

احتلت ظاهرة التغير الاجتماعي حيزا كبيراً من اهتمام العلماء في مختلف المجالات على مر العصور ولا يمكن قياس جميع آثار هذا التغير، وقد تم البحث في هذه الظاهرة المستمرة ووضع التعريفات والنظريات التي ساهمت في فهم أكبر لها. ولكونها ظاهرة لا تتوقف فإن تفسيرها لديه أسباب واحتمالات متجددة دائما خاصة بسبب تداخل العوامل التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي. فنمط الحياة المتقلب والمتنوع كفيل باستمرارية التغير الاجتماعي كمياً وكيفياً وإحداث تغيرات اجتماعية في البنى الاجتماعية والسلوكيات والقيم والعادات والعلاقات واللغة والأدوار والبيئة وغيرها من جوانب الحياة. التطور والتقدم العلمي والتنمية والرغبة بالتوافق مع المظاهر العامة ومتابعة الاختراعات تعمل على إحداث اضطراب في نمط الحياة السائد في المجتمع مما يؤدي إلى تغير في المواقف والبنى الاجتماعية بسبب عدة عوامل متداخلة منها الرغبة في إيجاد حياة أسهل والحصول على خدمات أسرع واقتصاد أقوى. أما فيما يتعلق بدور التغير الاجتماعي وتأثيره على القيم والعادات والتقاليد فنجد أنها تحمل تغيرا ذو وجهين، ذاك الجانب الذي عمل على تطوير الجانب الثقافي والمعرفي والتخلص من العادات والقيم التي كانت تحد من شأن بعض الفئات ومنحت أفرادا حقوقا ومكانة أفضل في المجتمع، أما الوجه الآخر فهو الذي هدم وفكك الأسر والعلاقات وجعل من الأفراد آلات وبعضهم دون قيمة بسبب تغير المفاهيم المجتمعية التي أدت إلى انحلال قيمي وظهور عادات جديدة غير محمودة في المجتمع.

قائمة المراجع:

1. عزت أحمد(2011)، القيم بين التغير والتغيير المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق، مجلد 27(1).
2. دلال استيتية(2008)، التغير الاجتماعي والثقافي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
3. مثيب البقم(2009)، إسهام الأسرة في تنمية القيم الاجتماعية لدى الشباب، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة.
4. رحالي حجيلة(2010)، التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
5. نوال حمادوش(2017)، ملامح التغير في علاقات الأبناء والآباء في الأسرة الجزائرية المعاصرة- رؤية سوسولوجية- مجلة التغير الاجتماعي، العدد 2، جامعة بسكرة، الجزائر.
6. إبراهيم خضور(2009)، التربية والتغير الاجتماعي مجلة جامعة دمشق مجلد 25(2+1).
7. معن خليل(2004)، التغير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
8. محمد الدقس(1996)، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، ط2، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
9. بوعطيط سفيان(2012)، القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق الاجتماعي، رسالة دكتوراة، جامعة منتوري، الجزائر.

10. رولا السوالقة(2016)، التغير الاجتماعي والصراع القيمي لدى المرأة المتعلمة في المجتمع الأردني، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد 5(43)، ص 2067-2093.
11. لغرس سوهيلة(2019)، التغير الاجتماعي: التعريف، الخصائص والنظريات، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 5(1).
12. إبراهيم السيد(2005)، البناء القيمي وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية والدافعية للإنجاز، رسالة دكتوراة، جامعة الزقازيق، مصر.
13. ايمان صالح(2013)، عادات الزواج وتقاليده في الواحات البحرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر.
14. لطيفة طبال(2012)، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8.
15. محسن عبد الحميد(1982)، منهج التغير الاجتماعي في الإسلام مطبعة النعمان، بغداد.
16. ضريف عبد الرحمن(2017)، الفيسبوك وتأثيره على القيم الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر.
17. هند العقيبة(2007)، المعاني الاجتماعية للتقاليد المرتبطة بظاهرة الموت وعاداته دراسة أنثروبولوجية اجتماعية ميدانية في مدينة بانياس وريفها، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23(2).
18. محمد غيث(1979)، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
19. محمد فرح(1987)، ما علم الاجتماع، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
20. إسماعيل الكافي(2005)، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، مركز الإسكندرية، مصر.
21. أبو عجيلة المدنيني(2017)، دور مهنة الخدمة الاجتماعية في التغير الاجتماعي، مجلة كليات التربية العدد،7.
22. لزهر مساعدية(2017)، في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها، مجلة الذاكرة، العدد 9.
23. Ghaith Albaher(2019). Filed Heroes focus group discussion, indicators for analytics, research, consulting.
24. Mohammad Bhat(2016). Education and Social Change, retrieved from:https://www.cukashmir.ac.in/docs/SOCIAL%20CHANGE%20AND%20EDUCATION%20202.pdf
25. JeremyGreenwood and Nezih Gune (2008). Social Change Institute for the Study of Labor, retrieved fromhttp://ftp.iza.org/dp3485.pdf
26. Jan Servaes(2011). Social change, retrieved from: file:///C:/Users/16138/Downloads/OBOSocialChangebyJanServaes.pdf.
27. GiselaTrommsdorff(2002). Effects of Social Change on Individual Development: The Role of Social and Personal Factors and the Timing of Events, Cambridge university press.

مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين بمحافظة طولكرم وعلاقتها ببعض المتغيرات الديمغرافية

The level of psychological stress among mothers of autistic children in Tulkarm Governorate and its relationship to some demographic variables

د. نظمية فخري حجازي، جامعة القدس المفتوحة، كلية التنمية الاجتماعية والأسرية -فلسطين

DR-Nathmieh Fakhry Hejazi, Faculty of Social and Family Development, Al-Quds Open University, Palestine

الملخص: هدفت الدراسة التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين واستخدمت المنهج الوصفي وأداة الدراسة الاستبيان، وبلغت عينة الدراسة (25) أم تم اختيارها بالطريقة الغرضية، وكان من أهم النتائج: أن الدرجة الكلية للضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين كانت مرتفعة. وفي ضوء النتائج تم تقديم جملة من التوصيات لزيادة وعي المجتمع باضطراب التوحد، وبالضغوط النفسية التي تعانيها أمهاتهم.
الكلمات المفتاحية: التوحد، الضغوط النفسية.

Abstract: The study aimed to identify The level of psychological pressure among autistic mothers of children, She used the descriptive method and questionnaire study tool, The study sample was 25 mothers. It was chosen sample was intentionally, And of the most important results of the study The total degree of psychological pressure For moms of children with autism, It was high It is through the results, a number of recommendations were presented to increase community awareness of autism and The psychological pressures faced by the mothers of children with autism.
Keywords: autism, psychological pressure.

مقدمة:

ينظر إلى ولادة طفل جديد في الأسرة بكثير من الشوق واللهفة وخاصة بالنسبة للأم فتبدأ برسم صورة الطفل الذي ستنجبه وعلى ماذا ستكون صورته مستقبلا، فهي تتوقع أن يكون له مستقبل جميل، ولكن كل هذه المشاعر ستنعكس سلباً مع ولادة طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة مما يجعلها تتعرض لكثير من الضغوط النفسية والتي ستؤثر على كافة جوانب حياتها الأسرية والاجتماعية.

فالأم منذ بداية الحمل تتصور وتتخيل طفلها في أحسن الصور وأتم الصحة سواءً أكانت الجسدية أو العقلية، وتبدأ في التخطيط لطريقة تربيته وما سيكون عليه مستقبلاً، وتعتبر اللحظة التي يتم فيها اكتشاف إعاقة في الأسرة مرحلة حاسمة في حياة الأسرة ككل فتتغير طبيعة العلاقات داخل الأسرة ويكون التأثير على الوالدين مباشراً، ولكن الأثر الأكبر يقع على كاهل الأم.

مشكلة الدراسة:

تواجه الأسرة الفلسطينية مشاكل نفسية واجتماعية واقتصادية شتى بسبب الأوضاع الصعبة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني، وتشكل المرأة الفلسطينية عماد الأسرة الفلسطينية فهي أم وموظفة وتقوم بالعديد من الأدوار لتستمر دورة الحياة الأسرية بتوافق وتكيف مع الضغوط التي تعانيها، ومما يزيد من الضغوط التي تعانيها الأسرة الفلسطينية وجود طفل توحدي لديها فبالكاد تقاوم الأسرة الضغوط المترتبة على أحداث الحياة لتضاف إليها ضغوط نفسية من نوع آخر نتيجة وجود هذا الطفل الذي يحتاج للكثير من الرعاية والعناية وتكون المسؤولية الأولى في تحمل كل هذه الأعباء على الأم مما يزيد من مستوى القلق والخوف لديها.

فالأمهات يغلب عليهن الجانب العاطفي، فينتج عنه الضغوط النفسية لما يتصفن به من خصائص انفعالية، وجسدية تتطلب منهن مسؤوليات وتفرض عليهن واجبات وأعباء بسبب وجود الطفل المصاب باضطراب التوحد. بالإضافة إلى الاهتمام بالأطفال ورعايتهم وفي الوقت نفسه تحقيق الترابط من حيث علاقتها بزوجها وأبنائها وما يصاحب ذلك من مشاعر الخوف والقلق من عدم قدرة الأم على الحفاظ على استمرار الأسرة وبقائها(ابتسام اليحيى، 2014، ص14).

ومن خلال مراجعة الأدب النظري تبين أن والدي الطفل المصاب بالتوحد يواجهون العديد من الصعوبات بسبب عدم استجابة الطفل المتوحد، فهما يحتاجان إلى مساعدة لاختراق الحاجز الذي يعزل الطفل عمن حوله ويحتاجان إلى مساعدة تسهل لهم التفاعل المثمر مع الطفل. وتمثل خصائص الطفل التوحدي جزاء من حياة الوالدين، فبعض الأطفال يتصفون بخصائص تعتبر معوقة لأدوار الوالدين أو تمثل ضغطا إضافيا على دورهما فالوالدين غالبا تنتابهم ردة فعل نفسية خاصة للأم وهذا ما أكدته دراسة(علي محمود شعيب، 1991) التي هدفت إلى معرفة مشاعر الضغط والقلق والعصبية لدى أمهات الأطفال المعوقين وغير المعوقين بالتالي وجود طفل مريض أو معوق في الأسرة يمثل ضغطا على الأسرة ككل، وعلى الأم خاصة حيث تنعزل الأم عن المجتمع نتيجة انشغالها باحتياجات الطفل الاعتمادي الذي يحتاج إلى قدر كبير من الرعاية عن الطفل العادي، كما يثقل كاهل الأسرة المجهود الزائد والالتزامات المادية التي يتطلبها العلاج والتأهيل بالإضافة إلى إحساسها بعدم قدرة طفلها على التعامل والتفاعل مع الآخرين، ومشاكل

التأخر الدراسي والمشاكل التي تنتج أثناء وجوده مع الآخرين كل هذا يساهم في ظهور أعراض الضغط والقلق والاكتئاب، فقد تشعر الأم بالذنب أو بالمسؤولية عن إنجاب هذا الطفل بالإضافة إلى القلق وعدم الثقة في المستقبل وفقدان الاهتمام بالكثير من أمور الحياة وتنعكس تلك الحالة الاكتئابية على سلوك الأم وعلاقتها الزوجية وعلاقتها بطفلها مما يخلف العديد من المشاكل والضغوط.(نادية إبراهيم أبو السعود ،2019، ص12)

وتأسيسا على ما تقدم تتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما مستوى الضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم ؟
2. هل يوجد فروق للضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزي لمتغير جنس الطفل ؟
3. هل يوجد فروق للضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزي لمتغير المستوى التعليمي للأم ؟
4. هل يوجد فروق للضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزي لمتغير الترتيب الولادي للطفل التوحدي ؟
5. هل يوجد فروق للضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزي لمتغير عدد الأبناء؟
6. هل يوجد فروق للضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزي لمتغير المستوى الاقتصادي للأسرة ؟

أهداف الدراسة:

-التعرف على مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم.

-التعرف على مستويات الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم وفقاً للمتغيرات الديمغرافية التالية (جنس الطفل التوحدي، المستوى التعليمي للأم، الترتيب الولادي للطفل التوحدي، عدد الأبناء للأم، والمستوى الاقتصادي للأسرة) وتفسيرها.

أهمية الدراسة:

-تزايد حالات التوحد في المجتمع الفلسطيني ففي إحصائية نشرتها الجمعية الأمريكية للتوحد قدرت العدد من 6000- 8000 طفل.

-يتوقع من خلال نتائج الدراسة معرفة الضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم، ومعرفة جوانب القوة وتعزيزها وجوانب الضعف والعمل على علاجها.

-التعرف إلى تأثيرات جنس الطفل التوحدي، المستوى التعليمي للأم، الترتيب الولادي للطفل التوحدي، عدد الأبناء للأم، والمستوى الاقتصادي للأسرة في الضغوط النفسية التي تواجهها أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم.

-يمكن لنتائج الدراسة أن تساعد المسئولين في التخطيط وبناء البرامج الإرشادية الفاعلة لمساعدة أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم للتكيف مع الضغوط النفسية.

مجالات الدراسة:

المجال البشري: أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طوكرم.

المجال المكاني: محافظة طولكرم.

المجال الزماني : تم إجراء الدراسة في النصف الثاني من العام 2019م.

مصطلحات الدراسة:

الضغوط النفسية: هو ما يحدث للفرد عندما يتعرض لمواقف تتضمن مؤشرات يصعب عليه مواجهة متطلباتها، وبالتالي يتعرض لردود فعل انفعالية وعضوية وعقلية تتضمن مشاعر سلبية وأعراض فسيولوجية تدل على تعرضه للضغط(زيدان السرطاوي، وعبد العزيز الشخصي، 1998، ص15).

وتعرفها الباحثة إجرائيا: بأنها تلك الحالة الانفعالية المزعجة التي تشعر بها الأم الذي لديها طفل توحدي نتيجة عدم قدرتها على التعامل مع طفلها، وهي الدرجة التي تحصل عليها أم الطفل التوحدي على أداة الدراسة.

التوحد: يعرف التوحد كما أشارت إليه منظمة الصحة العالمية(World Health Organization,1982) بأنه "أحد الاضطرابات النمائية التي تظهر قبل الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل، ويؤدي إلى عجز في استخدام اللغة واللعب والتواصل وفي التفاعل الاجتماعي"(جامعة القدس المفتوحة، 2016، ص28).

وتعرفه الباحثة إجرائيا: بأنه اضطراب يصيب الأطفال في السنوات الثلاث الأولى من عمرهم وتتمثل أعراضه في القصور في استخدام مهارات التواصل والتفاعل الاجتماعي، والقيام بسلوكيات لا تناسب مستوى نموهم وبعض السلوك النمطي المتكرر.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

تعتبر الضغوط من الظواهر التي لازمت الإنسان منذ العصور القديمة، غير أنها أصبحت سمة في هذا العصر الذي يتميز بتعقيدات اجتماعية وبيئية واقتصادية مما ولد صعوبة أو عجز لدى الفرد في مواجهة هذه الضغوط مما شاع في هذا القرن تسميته بعصر الضغوط.

إن مرور الإنسان بالضغط النفسي يكون بنسبٍ مختلفة وليس دائما بنفس المستوى، فهنالك ضغوط شديدة وعالية وأخرى منخفضة، وتتحدد هذه النسب حسب الظروف المُسببة للضغط النفسي، وبالنسبة للضغوط النفسية التي تعانيها أمهات الأطفال التوحديين فهي مستمرة باستمرار رعاية الأم لطفلها التوحدي.

اختلفت تعريفات الباحثين لظاهرة الضغوط، لذلك من الصعوبة بمكان أن نحظى بتعريف له مدلولات علمية تحدد طبيعة ظاهرة الضغوط تحديدا جامعا مانعا لان ظاهرة الضغوط ظاهرة معقدة في ذاتها ومتداخلة الأبعاد.

فعُرفت الضُّغوط بأنها: الاستجابات السّيكولوجية والفسيولوجية التي تحدث في المواقف الصعبة أو إنها مجموعه من الظروف التي تتطلب استجابة غير معتادة، كما أنها تفاعل العلاقة بين الفرد والبيئة، كما يُدركها الفرد على أنها منهكة لإمكاناته(فاطمة محمود رضا، 2009، ص15) .

ويعرف "هاينز سيلي" الضغط النفسي بأنه الاستجابة غير النوعية للجسم لأي طلب دافع، كما أنه الطريقة اللاإرادية التي يستجيب بها الجسد باستعداداته العقلية والبدنية لأي دافع وهو تعبير عن مشاعر التهديد والخوف(هارون توفيق الرشدي، 1999، ص13).

الإعاقة كمصدر من مصادر الضغط النفسي:

تتنوع مصادر الضغوط النفسية على كل فرد بتغير مكانته والدور الذي يؤديه وقد تكون هذه الضغوط نتيجة أحداث ومشكلات نفسية داخلية، وقد تكون بسبب الظروف والمشكلات الصعبة وأحداث الحياة اليومية.

إن ولادة طفل معاق في الأسرة يضاعف إلى حد كبير الضغوط الأسرية، وتصبح بداية لسلسة هموم نفسية فوجود طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة في الأسرة كفيل بأن يغير نظام هذه الأسرة، فهو يحتاج إلى المزيد من الرعاية والاهتمام، كما تفرض إعاقة الطفل مزيدا من الضغوط المالية والاجتماعية على الأسرة، حيث أظهرت دراسات كل من هاسال، روز، وماك دوالد (Hassall, Rose, McDonald,2005)أن أسر الأطفال المعاقين يعانون ضغوطا أكبر من أسر الأطفال العاديين نتيجة حاجتهم للرعاية الخاصة.

التوحد:

يعد التوحد من أكثر الاضطرابات النمائية تعقيداً، ويتميز بالتداخل مع عدد كبير من الاضطرابات والإعاقات الأخرى المختلفة، وقد ظهر حديثاً في مجال التربية الخاصة وأول من أطلق هذا المصطلح طبيب الأطفال النفسي الأمريكي ليوكانر(Kanner)، إذ يعتبر الرائد الأول في دراسة اضطراب التوحد وتصنيفه بشكل منفصل عن الحالات النفسية المرضية الأخرى التي يعاني منها الأطفال(جامعة القدس المفتوحة، 2016، ص21).

يصعب إيجاد تعريف متفق عليه لاضطراب التوحد وذلك لتعدد الباحثين الذين اهتموا به ولاختلاف تخصصاتهم العلمية، إلا أن معظم التعريفات تركز على وصف الأعراض وتصف التوحد كمتلازمة وليس كمرض أو كاضطراب في السلوك أو اضطراب في التصرف أو كإعاقة عقلية، ويعتبر "كانر" أول من قدم تعريفاً واضحاً للتوحد باعتباره اضطراب ينشأ منذ الولادة ويؤثر على التواصل مع الآخرين وعلى اللغة ويتميز بالروتين ومقاومة التغير(رائد الشيخ ذيب 2005، ص1).

والتوحد هو أحد الاضطرابات النمائية العصبية، التي تقع تحت اسم (Autism Spectrum Disorders) ويضم جانبين رئيسين:

الجانب الأول: يشمل القصور الدائم في التفاعل والتواصل الاجتماعي ويظهر في بيئات عديدة، ويتضح من خلال قصور أو عجز في ثلاث مظاهر: التفاعل الاجتماعي- الانفعالي المتبادل، وفي السلوكيات التواصلية غير اللفظية والمستخدمة في التفاعل، وفي القدرة على تطوير العلاقات الاجتماعية والمحافظة على استمرارها وفهم معانيها.

الجانب الثاني: يشمل النمطية والتكرارية والمحدودية في السلوك والاهتمامات والأنشطة وتظهر في اثنتين على الأقل مما يلي: النمطية أو التكرارية في الحركات الجسدية (الحركية)، واستخدام الأشياء واللغة، وفي الالتزام الجامد غير المرن بالروتين، وفي الاهتمامات المحدودة بصورة عالية، وفي فرط أو انخفاض في الاستجابة للمدخلات الحسية مع ضرورة ظهور هذه الأعراض في مرحلة النمو المبكرة، وأن تسبب اعتلالا (عجزا) ذو دلالة واضحة في قدرة الفرد على

التفاعل الاجتماعي والأداء الوظيفي، وأن لا تكون هذه الأعراض نتيجة الإعاقة العقلية أو التأخر الإنمائي(عبير عرفه محمد الديب، 2016، ص9).

خصائص الطفل التوحدي:

تختلف خصائص أطفال التوحد فيما بينهم، والتي ليست بالضرورة أن تجتمع في طفل واحد، ويمكن تقسيمها إلى ما يأتي:

-الخصائص الاجتماعية: لا يستطيع الطفل تطوير علاقته مع الآخرين، وهي من أول المشاكل التي قد يلاحظها الأهل على طفلهم، ومن سلوكياتها: انعدام التواصل البصري بينه وبين الآخرين، عدم القدرة على التعبير عن مشاعره، عدم السماح للآخرين من الاقتراب منه وحضنه أو تقبيله إلا إذا أراد هو ذلك، عدم التمييز بين الأشخاص، الانعزال، عدم الاهتمام بما يدور حولهم من أحداث، الاهتمام بالأشياء وليس الأشخاص.

-الخصائص اللغوية: يعاني الطفل المتوحد من قصور لغوي والذي يحدث بسبب وجود خلل وظيفي في المراكز العصبية الخاصة بتطور اللغة لديه، وهي تختلف من طفل لآخر، فبعضهم يستخدمون الكلمات أو الأصوات فقط، والبعض الآخر يستخدم كلمات قليلة جداً، أو يرددون الكلمات والأسئلة التي تُطرح عليهم، وعليه فإنّ الطفل المتوحد يجد صعوبة في التعبير عما يدور بداخله بشكل صحيح(Heflin&Alaimo,2007,p12).

-الخصائص الحسية والإدراكية: لأن طفل التوحد يعاني من قصور حسي وإدراكي، فهذا يجعله في كثير من الأحيان لا يدرك ما يحدث من حوله، فأحياناً قد لا يلاحظ مرور شخص أمامه، ولا يتأثر إذا كان وحيداً مع شخص غريب، وفي كثير من الحالات قد يؤذي نفسه أو غيره من دون قصد، لأنّه لا يشعر بالألم، كما أنّه ينزعج من الأصوات المرتفعة، والتي تجعله مضطرباً دون أن يستطيع التعبير عن ذلك.

-الخصائص السلوكية: قيام الطفل بسلوكيات متكرّرة وثابتة، ولفترات طويلة دون ملل أو تعب، فهو يتمسك بالروتين ولا يحب التجديد، وينزعج من التغيير في أمور قام هو بترتيبها بشكل معيّن، وقد يقوم بالضرب أو الصراخ فيكون من الصعب إيقافه، كما أنّه يتعلّق بأمور محدّدة، كتعلقه بعلبة وليس كرة، كما أنّ لديه القدرة على الانشغال بأمر معين كالنقر على الأشياء، وذلك لفترات طويلة جداً، ومن السلوكيات النمطية التي يمارسها باستمرار: الاهتزاز، الدوران، الهمهمة، طقطقة الأصابع، ورفرفة اليدين وفركهما، وضع الأصابع أمام العينين، تمزيق الأوراق، لمس الأشياء بصورة متكررة.

-الخصائص العاطفية والنفسية لأنّ طفل التوحد يتمسك بالروتين، فهو يتوتر ويغضب إذا حدث أي تغيير ولو كان بسيطاً في نمط حياته، كوقت طعامه أو فرشاة أسنانه، ومن الممكن أن يتعرض لنوبات صرع خفيفة جداً تنتهي خلال ثوانٍ، كما يلاحظ عليه تغيّر مزاجه وبشكل مفاجئ، فأحياناً نجده يضحك، وأحياناً أخرى يبكي، وذلك لعدم قدرته على الكلام(إبراهيم عبد الله فرج الزريقات، 2004، ص40).

ردود فعل الأسرة تجاه وجود الطفل التوحدي:

-الصدمة: عدم تصديق حقيقة أن الطفل غير عادي وتعتبر الصدمة أول ردة فعل تنجم من جراء ولادة طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة للأسرة حيث يعاني الأهل من الإرباك.

-الإنكار: وهي حيلة دفاعية عند المواقف الصعبة، فيميل الفرد إلى إنكار ما هو غير مرغوب أو متوقع ومؤلم ويوفر الإنكار نوعاً من الوقاية الذاتية والراحة النفسية ضد الحقائق المؤلمة، ومما تجب الإشارة إليه أن عملية الإنكار لا تعني في حد ذاتها أن الوالدين يعجزان عن الاحتكام إلى المنطق والعقل، كما أنها لا تعني قصور تفكيرهما عن فهم ما يجري فيما يتعلق بطفلهما. ولكنها مرحلة يبحثان فيها عن مصادر دعم خارجية فضلاً عن تجنيد قواهم الداخلية، فإن الإنكار يتلاشى شيئاً فشيئاً عندما يحصلان على بعض ما يريدان.

-مرحلة الحزن والأسى: هي رد فعل يحدث مباشرة بعد التشخيص ولعل الأسى والحزن على حرمان الطفل من الحاجات الناجمة عن إعاقته. إن الشعور بالأسى والمرارة لا ينبع فقط من وجود طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة في المنزل، إنما يتولد نتيجة شعور الوالدين بأنهما السبب في وجود هذا الطفل.

-الخجل والخوف: تخوف الأسرة من عدم مقدرتها على التعايش مع حالة الطفل التوحدي.

-اليأس والاكتئاب: لجوء الوالدين إلى الانطواء على الذات والامتناع عن مخالطة الناس لفقدان الأمل والثقة بالأطباء وعدم قدرتهما على التحمل.

-مرحلة الغضب وإسقاط اللوم على الذات أو الآخرين: وهي محصلة طبيعية لخيبة الأمل والإحباط، ويظهر الغضب والشعور بالذنب عند الأهل، فقد يوجه الغضب إلى الخارج مثلا على ذلك: انتقاد الأطباء بأنهم حديثو العهد في مجال الطب ومهاراتهم ليست عالية. أو النقد نحو الذات بحيث يلوم الأب نفسه أو زوجته، وقد تلقي الزوجة باللوم على نفسها أو على زوجها، وأنهم لم يتخذوا الإجراءات المناسبة أثناء الحمل.

-الرفض أو الحماية الزائدة: تكون مشاعر سلبية نحو الطفل أو المغالاة في العناية به، مما يحد من استقلالية الطفل ونموه وتكون نتائجه النفسية على المدى البعيد مدمرة.

-التكيف والتقبل والتوجه للخارج: لا يجد الوالدين في نهاية المطاف مفراً من قبوله كما هو، والتكيف مع الإعاقة، وقد لا يصل الوالدان لهذا المستوى إلا بعد فترات صعبة ومعاناة قاسية، حيث التقبل هو الخطوة النهائية لردود الفعل ومراحله، وقد يكون هذا التقبل بالاعتراف بوجود الإعاقة أو الرضا بقضاء الله وتقبل الطفل بإعاقته أو تقبل الذات نفسها ففي هذه المرحلة تصبح الأسرة أكثر تقبلاً للواقع وبذلك تكون بوضع أفضل مما كانت عليه سابقا لاستيعاب المعلومات والحقائق المتعلقة بوضع الطفل والخدمات التي قد تساعده. وهذه المرحلة تعطي مؤشرات عما إذا كانت الأزمة ستحل بشكل ايجابي أم أن هناك احتمالات لظهور ضغوط نفسية عالية قد تؤدي إلى ظهور المرض النفسي لدى بعض أفراد الأسرة(Whitman,2004,p242-244).

الدراسات السابقة:

في دراسة قام بها امطير، والزليطني(2015): هدفت إلى قياس مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات أطفال التوحد، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من 10 أمهات

ومقياس الضغوط النفسية الذي أعده (زيدان السرطاوي وعبد العزيز الشخص،1998) أشارت النتائج إلى أن الضغوط النفسية عند أمهات أطفال التوحد عالية وترتبط بمستوى حدة أعراض التوحد والشعور بالعجز ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عمل الأم وحجم الأسرة ومستوى دخل الأسرة ومقياس الضغوط النفسية لدى أمهات أطفال التوحد لصالح الأمهات اللواتي يعملن.

دراسة بوشعراية، والطاهر(2015): هدفت إلى معرفة الفروق بين الضغوط النفسية وعلاقتها بالتوافق الأسري، وكذلك الفروق بين الضغوط النفسية والتوافق الأسري وفقاً لبعض المتغيرات الديموغرافية (الجنس، العمر، المستوي التعليمي، عدد أفراد الأسرة) حيث تكونت عينة الدراسة من (120أبا وأما) لأطفال توحديين واستجابوا لمقياس الضغوط النفسية لأولياء أمور المعاقين ومقياس التوافق الأسري. أشارت نتائج الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة بين الضغوط النفسية والتوافق الأسري لدى أولياء أمور أطفال التوحد، في الوقت الذي بينت الدراسة أن هناك فروق في مستوى الضغوط النفسية بين الآباء والأمهات لصالح الأمهات، بالإضافة إلى عدم وجود أي فروق في الضغوط النفسية والتوافق الأسري وفقاً للمتغيرات الديموغرافية (عمر الوالدين، المستوي التعليمي، عدد أفراد الأسرة).

وأشار ويتلوف وآخرون (Weitlauf et al., 2014) إلى أن مستوى الاكتئاب يرتفع لدى أمهات الأطفال ذوي اضطراب التوحد بشكل أعلى من أمهات الأطفال ذوي الإعاقات النمائية الأخرى.

ودرس كل(Wang, & Michaels Day,2011) الضغوط النفسية التي تعاني منها اسر أطفال التوحد والاستراتيجيات التي يستخدمونها لمواجهة الضغوط، وبلغت عينة الدراسة (368) أسرة لطفل توحدي وإعاقات نمائية أخرى. حيث بينت النتائج بأن أسر الأطفال ذوي الإعاقات النمائية كانت لديهم ضغوط ارتبطت بالتشاؤم وخصائص الطفل والمشكلات الوالدية والعائلية، في حين اظهر والدي أطفال التوحد درجات أعلى في الضغوط، واستخدموا استراتيجيات مخططة أكثر من والدي الأطفال الآخرين.

وفي دراسة قام بها(Yirmiya and Shaked,2005) من خلال فحص وتقييم أجري على (17) دراسة نشرت لغاية (2003) إضافة إلى بحثيين إضافيين عن أعراض متلازمة اسبرجر بهدف المقارنة بين المشكلات النفسية كالكآبة والهوس والعصبية وانفصام الشخصية والقلق واضطرابات نفسية أخرى لدى آباء وأمهات الأفراد التوحديين مع المشكلات النفسية المماثلة لدى مجموعات آباء وأمهات أخرى (آباء وأمهات أسوياء) وآباء وأمهات أشخاص يعانون من الكآبة، أشارت النتائج إلى أن آباء وأمهات الأفراد التوحديين يعانون من مشكلات نفسية أكثر مما يعانيه آباء وأمهات الأفراد الآخرين، كما أشارت النتائج أن نسبة اضطرابات التفكير كانت عالية لدى آباء الأفراد التوحديين مقارنة بآباء وأمهات الأطفال الأسوياء.

دراسة (Ollson and Hwang,2001) هدفت للتعرف على مستوى الاكتئاب لدى أمهات أطفال التوحد، بينت النتائج أن الأمهات يعانين من مستوى عالٍ من الاكتئاب مقارنة بأمهات العاديين، كما وجدوا أن مستوى الاكتئاب لدى أمهات الأطفال التوحديين أعلى من مستوى الاكتئاب لدى آباء الأطفال التوحديين.

وهدفت دراسة (Singhal ,2010) إلى معرفة مستويات الضغط النفسي وأساليب التكيف ومركز الضبط لدى أمهات أطفال التوحد وآبائهم، ومقارنتها مع أولياء أمور الأطفال ذوي التطور النمائي الطبيعي، وطبقت الدراسة على عينة قسمت إلى مجموعتين تجريبية وضابطة تكونت المجموعة التجريبية من آباء وأمهات لعشرين طفلاً مشخصاً بالتوحد (14أباً)، و(14أماً)، والمجموعة الضابطة تكونت من (14أباً)، و(14أماً) لأطفال لا يوجد لديهم أي تأخر معرفي أو جسدي أو تعليمي، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن أمهات أطفال التوحد وآبائهم لديهم مستويات عالية من الضغوط النفسية ولديهم دعم اجتماعي أقل ومركز الضبط لديهم خارجي.

منهجية وإجراءات الدراسة:

منهج الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم.

عينة الدراسة: اختارت الباحثة عينة قصدية وبلغ حجمها 25 أم.

جدول (1) توزيع عينة الدراسة تبعا لمتغيراتها المستقلة

المتغيرات المستقلة	مستويات المتغير	التكرار	النسبة المئوية
جنس الطفل التوحدي	ذكر	12	%48.0
	أنثى	13	%52.0
الترتيب الولادي للطفل التوحدي	الأول	10	%40.0
	الأوسط	8	%32.0
	الأخير	7	%28.0
عدد الأبناء في الأسرة	أقل من 3 أبناء	13	%52.0
	من 3 – 5	10	%40.0
	أكثر من 5 أبناء	2	%8.0
المستوى التعليمي للأم	أقل من ثانوية عامة	15	%60.0
	ثانوية عامة فأكثر	10	%40.0
المستوى الاقتصادي للأسرة	أقل من 1000 شيكل	2	%8.0
	من 1000 إلى أقل من 2000 شيكل	13	%52.0
	من 2000 شيكل فأكثر	10	%40.0

أداة الدراسة: قامت الباحثة بتطوير استبانه خاصة من أجل التعرف إلى مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين، وقد تكونت الأداة في صورتها النهائية من (29 فقرة) وقد تكون سلم الإجابة على كل فقرة من خمس استجابات (حسب مقياس ليكرت الخماسي) موزعة كما يلي (لا يحدث أبداً 5 درجات، يحدث نادراً 4 درجات، يحدث قليلا 3 درجات، يحدث كثيرا درجتين، يحدث دائما درجة واحدة).

صدق الأداة: استخدمت الباحثة صدق المحكمين وذلك بعرض الأداة على (10) محكمين من ذوي الاختصاص بهدف التأكد من مناسبة الأداة لما أعدت من أجله وقد بلغت نسبة الاتفاق بين المحكمين على فقرات الأداة (85%).

ثبات الأداة: استخدمت الباحثة معامل الثبات كرونباخ ألفا وقد بلغ معامل الثبات(82%).

إجراءات الدراسة:

-وضع الاستبيان بصورة منظمة ومرئية.

-دراسة مجتمع الدراسة وأخذ تحديد العينة التي تمثل موضوع الدراسة وتنطبق عليها شروط الدراسة.

-توزيع الإستبانة وأخذ الاستجابات عليها من عينة الدراسة.

-جمع الاستبانات من أفراد العينة وفرزها وتصنيفها وإدخالها إلى الحاسوب بشكل رموز.

-عولجت البيانات إحصائياً عن طريق حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS).

-الوصول إلى النتائج ونقدها ومناقشتها.

متغيرات الدراسة:

أولاً. المتغيرات المستقلة:

جنس الطفل التوحدي وله مستويان (ذكر، أنثى).

الترتيب الولادي للطفل التوحدي وله ثلاث مستويات (الأول، الأوسط، الأخير).

عدد الأبناء في الأسرة وله ثلاث مستويات(أقل من 3، من 3 إلى 5، أكثر من 5).

المستوى التعليمي للأم وله مستويان (أقل من ثانوية عامة، ثانوية عامة فأكثر).

المستوى الاقتصادي للأسرة وله ثلاث مستويات (أقل من 1000 شيكل، من 1000 إلى أقل من 2000 شيكل، من 2000 شيكل فأكثر).

ثانياً. المتغير التابع: ويتمثل في استجابات أفراد العينة على فقرات الاستبانة التي تقيس مستوى الضغوط النفسية لأمهات الأطفال التوحديين.

المعالجات الإحصائية: من اجل معالجة البيانات تم استخدام البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS) وذلك باستخدام المعالجات الإحصائية التالية:

1. المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية.
2. اختبار ت لمجموعتين مستقلتين (Independent-Samples T-test).
3. تحليل التباين الأحادي(One Way ANOVA).
4. اختبار(LSD) للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية.

عرض وتحليل نتائج الدراسة:

أولا: النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس للدراسة والذي نصه:

ما مستوى الضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم؟

للإجابة عن السؤال استخدمت المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية لكل فقرة للإستبانة وللدرجة الكلية حيث نتائج الجدول رقم (3) تبين ذلك، ومن اجل تفسير النتائج اعتمدت النسب المئوية كما يلي:

جدول (2)

درجة الأهمية	النسب المئوية
درجة قليلة جدا	اقل من 50%
درجة قليلة	50%-59.9%
درجة متوسطة	60%-69.9%
درجة كبيرة	70%-79.9%
درجة كبيرة جدا	80%فأكثر

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري والنسب المئوية ومستوى الضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم

الرتبة	الرقم بالاستبانة	الضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم	المتوسطات الحسابية	الانحراف المعياري	%	درجة المشكلة
1	15	أشعر بالخوف من إنجاب طفل توحدي أخر	4.80	0.41	96.00	مرتفعة جدا
2	12	أشعر بالإحباط لعدم تمكن ابني التوحدي من الاعتماد على نفسه	4.60	0.50	92.00	مرتفعة جدا
3	27	أشعر بالخوف من تعرض ابني للإيذاء الجسدي والتحرش الجنسي.	4.60	0.50	92.00	مرتفعة جدا
4	14	متطلبات رعاية ابني كثيرة	4.40	0.50	88.00	مرتفعة جدا
5	19	طريقة تفكيري تزيد من ضغطي النفسي	4.40	0.68	88.00	مرتفعة جدا
6	22	اعتمد على نفسي في تلبية احتياجات ابني التوحدي	4.40	0.68	88.00	مرتفعة جدا
7	6	أشعر بالقلق دائما على مستقبل ابني التوحدي	4.30	0.65	86.00	مرتفعة جدا
8	11	مهامي تفوق مهام الأمهات الأخريات	4.30	0.65	86.00	مرتفعة جدا
9	26	طريقة تفكيري تزيد من ضغطي النفسي	4.30	0.80	86.00	مرتفعة جدا
10	18	أتردد كثيرا في اتخاذ أي قرار يتعلق بابني التوحدي	4.20	0.41	84.00	مرتفعة جدا
11	20	أتألم جدا عندما يعيرني الآخرين بابني التوحدي	4.20	1.19	84.00	مرتفعة جدا
12	23	احتاج إلى من يساعدني في تحمل أعباء ابني التوحدي	4.20	0.41	84.00	مرتفعة جدا
13	16	أجد صعوبة في تعليم ابني بعض مهارات الحياة اليومية	4.10	0.85	82.00	مرتفعة جدا
14	1	أشعر بالتعب والإرهاق عقب أي نشاط	4.00	0.91	80.00	مرتفعة جدا

15	8	انتباهي مشتت دائما	4.00	1.02	80.00	مرتفعة جدا
16	13	أنا غير سعيدة بسبب تفكيري الدائم بمشكلة ابني التوحدي	4.00	0.91	80.00	مرتفعة جدا
17	24	أنا غير قادرة على تحمل أعباء ابني التوحدي بمفردي	4.00	0.46	80.00	مرتفعة جدا
18	29	أشعر بالخوف من سلوكيات ابني مع الآخرين	4.00	1.02	80.00	مرتفعة جدا
19	2	أخفي مشاعري عندما أتعرض للضغط النفسي	3.90	0.96	78.00	مرتفعة
20	21	أتردد كثيرا في السماح لابني الاعتماد على نفسه	3.90	0.96	78.00	مرتفعة
21	28	لا يستطيع ابني تحمل أعباء حياته اليومية	3.70	0.65	74.00	مرتفعة
22	9	أعاني من صداع مستمر	3.60	0.94	72.00	مرتفعة
23	10	تخجلني سلوكيات ابني أمام الناس	3.50	1.14	70.00	مرتفعة
24	25	أشعر أني السبب في إعاقة ابني	3.50	0.94	70.00	مرتفعة
25	4	انهارت كل أحلامي بسبب وجود ابني التوحدي	3.40	0.94	68.00	متوسطة
26	7	ألوم نفسي لأبسط الأمور	3.40	1.04	68.00	متوسطة
27	17	لا أجد من يرشدني لتعليم ابني التوحدي في الاعتماد على نفسه	3.40	0.94	68.00	متوسطة
28	3	اخجل من استقبال أحد في المنزل	3.30	1.37	66.00	متوسطة
29	5	أتناول المهدئات بدرجة كبيرة جدا	3.30	1.52	66.00	متوسطة
الدرجة الكلية			3.99	0.36	79.80	مرتفعة

يتضح من الجدول السابق أن مستوى الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين كانت (مرتفعة جدا) على الفقرات رقم (15 , 12 , 27 , 14 , 19 , 22 , 6 , 11 , 26 , 18 , 20 , 23 , 16 , 1 , 8 , 13 , 24 , 29) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (80 % فأعلى)، وأنها كانت (مرتفعة) على الفقرات رقم (2 , 21 , 28 , 9 , 10 , 25) حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة ما بين (70%-79.9%), وأنها كانت (متوسطة) على الفقرات رقم (4 , 7 , 17 , 3 , 5) حيث تراوحت النسبة المئوية للاستجابة ما بين (60%-69.9%).

وأن الدرجة الكلية للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم كانت (مرتفعة) حيث وصلت النسبة المئوية للاستجابة إلى (79.80%).

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى طبيعة وخصائص الأطفال التوحديين حيث يعتمدون بشكل كامل على الآخرين في تلبية احتياجاتهم ولا شك أن الأم هي من تتحمل العبء الأكبر في تلبية احتياجات طفلها، إضافة إلى أن الأم تقوم بالعديد من الأدوار فيقع على عاتقها رعاية الأسرة ككل مما يزيد من حدة الضغوط عليها فتكرس جل وقتها لخدمة طفلها التوحدي.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة كل من (امطير والزليطني، 2015)،(بوشعراية والطاهر،2015)، (Singhal,2010)،(Wang,&Michaels Day,2011)،(Weitlauf etal.,2014)،(Ollson and Hwang,2001)،(Yirmiya and Shaked,2005) .

ثانيا: النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير جنس الطفل.

من أجل فحص الفرضية تم استخدام اختبار(Independent T-test)، ونتائج الجدول رقم (4) تبين ذلك.

جدول(4) نتائج اختبار ت للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير جنس الطفل

12 ذكر		13 أنثى		ت المحسوبة	مستوى الدلالة
المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
4.16	0.24	3.82	0.38	2.65	*0.014

ت الجدولية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) (2.069)

* دالة عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$)

يتضح من خلال الجدول رقم (4) أن قيمة ت المحسوبة قد كانت (2.65) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية (2.069) أي انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير جنس الطفل, وبذلك نرفض الفرضية الصفرية على انه لا توجد فروق ذات دلالة ونأخذ بالفرض البديل على انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية, وأن الفروق كانت لصالح الذكور على الإناث.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى ثقافة المجتمع حيث هناك تحيز واضح في الأسرة نحو الذكور وعليه فإن ولادة ذكر توحدي في الأسرة يزيد في الشعور بالأسى بين الوالدين وخاصة عند الأم ويعزون ذلك إلى كون الذكر هو الذي سيحمل اسم العائلة ويساهم في استمرار ذكرها.

ثالثا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى التعليمي للأم.

من أجل فحص الفرضية تم استخدام اختبار (Independent T-test) ونتائج الجدول رقم (5) تبين ذلك.

جدول(5) نتائج اختبار ت للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى التعليمي للأم

أقل من ثانوية عامة =15		ثانوية عامة فأكثر =10		ت المحسوبة	مستوى الدلالة
المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
3.97	0.37	4.03	0.36	0.41	*0.69*

ت الجدولية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) (2.069)

يتضح من خلال الجدول رقم (5) أن قيمة ت المحسوبة قد كانت (0.41) وهذه القيمة أقل من القيمة الجدولية (2.069) أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى التعليمي للأم, وبذلك نأخذ بالفرضية الصفرية على انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى طبيعة الأم فهي تمتلك عاطفة الأمومة الجياشة بالحب والحنان, الممزوج بالخوف والخشية على أبنائها، إضافة إلى أن وجود طفلها التوحدي يفرض عليها مسؤوليات وواجبات وأعباء إضافية، فهي زوجة وربة بيت وفي الوقت نفسه مطلوب منها تحقيق الترابط الأسري من حيث علاقتها بزوجها وأبنائها، فالمشاعر لا يتحكم بها المستوى التعليمي، فمهما بلغت الأم من مستوى تعليمي تبقى العاطفة هي من يسيطر عليها.

رابعا: النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير الترتيب الولادي للطفل.

من اجل فحص الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي(ANOVA) حيث يوضح الجدول رقم (6) المتوسطات الحسابية بينما يوضح الجدول رقم (7) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي.

جدول(6) المتوسطات الحسابية للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير الترتيب الولادي للطفل

الأول العدد=10	الأوسط العدد=8	الأخير العدد=7
4.05	3.80	4.09

جدول رقم (7) نتائج تحليل التباين الأحادي للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير الترتيب الولادي للطفل

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربع الانحرافات	متوسط الانحراف	ف المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.374	2	0.187	1.54	0.24
داخل المجموعات	2.676	22	0.122		
المجموع	3.050	24			

ف الجدولية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) (3.44)

يتضح من خلال الجدول رقم (7) أن قيمة ف المحسوبة قد كانت (1.54) وهذه القيمة أقل من القيمة الجدولية (3.44) أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير الترتيب الولادي للطفل، وبذلك نأخذ بالفرضية الصفرية على انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن وجود الطفل التوحدي في الأسرة يشكل عبئاً إضافيا على الأسرة بغض النظر عن ترتيبه الولادي، فالمهام والمسؤوليات التي تكلف بها الأسرة تجاه طفلها التوحدي هي نفسها.

خامسا: النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير عدد الأبناء.

من اجل فحص الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA)حيث يوضح الجدول رقم (8) المتوسطات الحسابية بينما يوضح الجدول رقم (9) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي.

جدول(8) المتوسطات الحسابية للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير عدد الأبناء

اقل من 3 أبناء =13	من3-5=10	أكثر من 5 أبناء =2
3.99	3.88	4.41

جدول رقم (9) نتائج تحليل التباين الأحادي للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير عدد الأبناء

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربع الانحرافات	متوسط الانحراف	ف المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2	0.572	0.286	2.54	0.10
داخل المجموعات	22	2.479	0.113		
المجموع	24	3.050			

ف الجدولية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) (3.44)

يتضح من خلال الجدول رقم (9) أن قيمة ف المحسوبة قد كانت (2.54) وهذه القيمة أقل من القيمة الجدولية (3.44) أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير عدد الأبناء، وبذلك نأخذ بالفرضية الصفرية على انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى ثقافة المجتمع الفلسطيني التي تدعو إلى زيادة الإنجاب لأنهم يشكلون قوة للعائلة، لذلك نرى تعدد وزيادة بعدد الأبناء بالرغم من وجود طفل توحدي في الأسرة.

سادسا: النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة والتي نصها:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى الاقتصادي.

من اجل فحص الفرضية تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي(ANOVA) حيث يوضح الجدول رقم (10) المتوسطات الحسابية بينما يوضح الجدول رقم (11) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي.

جدول(10) المتوسطات الحسابية للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى الاقتصادي للأسرة

اقل من 1000 شيكل العدد=2	من 1000 – أقل من 2000 العدد=13	من 2000 فأكثر العدد=10
4.07	3.89	4.09

جدول رقم (11) نتائج تحليل التباين الأحادي للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى الاقتصادي للأسرة

مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربع الانحرافات	متوسط الانحراف	ف المحسوبة	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2	0.251	0.126	0.99	0.39
داخل المجموعات	22	2.799	0.127		
المجموع	24	3.050			

ف الجدولية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) (3.44)

يتضح من خلال الجدول رقم (11) أن قيمة ف المحسوبة قد كانت (0.99) وهذه القيمة أقل من القيمة الجدولية (3.44) أي انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند المستوى ($\alpha \leq 0.05$) للضغوط النفسية التي تواجه أمهات الأطفال التوحديين في محافظة طولكرم تعزى لمتغير المستوى الاقتصادي للأسرة, وبذلك نأخذ بالفرضية الصفرية على انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى أن الدخل سواء كان مرتفع أو منخفض فالمتطلبات هي واجبات روحية وجسدية يقدمها الأهل لتلبية احتياجات أبنائهم وتوفير كل ما يستطيع تقديمه من قبل معيل الأسرة.

التوصيات:

-تزويد الأمهات بالمعلومات العلمية عن طبيعة اضطراب التوحد وكيفية التعامل مع أبنائهن التوحديين.

-زيادة وعي المجتمع باضطراب التوحد، وبالضغوط النفسية التي تعانيها الأم والتي ربما تكون ناتجة عن نظرة المجتمع لطفلها التوحدي.

-تفعيل دور المؤسسات العاملة في مجال التوحد لتمتد خدماتها لمتابعة حالة الأم من خلال تقديم الإرشاد والدعم النفسي لها.

قائمة المراجع:

1.ابتسام اليحيى(2014)، فاعلية برنامج إرشادي في تنمية أساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.

2.ابراهيم عبد الله فرج الزريقات(2004)، التوحد الخصائص والعلاج، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن.

3.جامعة القدس المفتوحة(2016)، التوحد، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

4.راف الله بوشعراية و فتحي الدايخ طاهر(2015)، الضغوط النفسية وعلاقتها بالتوافق الأسري لدى آباء وأمهات أطفال التوحد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

5.رائد الشيخ ذيب(2005)، الدورة الأولية في التوحد، مؤسسة كريم رضا سعيد (برنامج الإعاقة في سورية)، دمشق.

6.زيدان أحمد السرطاوي وعبد العزيز السيد الشخص(1998)، بطارية قياس الضغوط النفسية وأساليب المواجهة والاحتياجات لأولياء أمور المعوقين، دار الكتاب، الجامعة، الإمارات العربية المتحدة.

7.عياد امطيرو ونجاة الزليطني(2015)، الضغوط النفسية عند أمهات أطفال التوحد، المجلة الجامعة، العدد السابع عشر، المجلد الثالث.

8.غدي عمر محمود عصفور(2012)، الضغوط النفسية لدي أمهات المراهقين التوحديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم التربوية والنفسية، جامعة عمان العربية، الأردن.

9.فاطمة محمود رضا(2009)، مواجهة ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالأساليب المعرفية لدى المرأة، رسالة دكتوراه غير منشوره, كلية الآداب, جامعة عين شمس, مصر.

10.عبير عرفه محمد الديب(2016)، الضغوط النفسية واحتياجات أمهات الأطفال ذوي اضطراب التوحد والعلاقة بينهما في دولة الإمارات العربية المتحدة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم التربية الخاصة، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

11.نادية إبراهيم أبو السعود(2009)، الطفل التوحدي في الأسرة، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر.

12.هارون توفيق الرشيدي(1999)، الضغوط النفسية: طبيعتها – نظرياتها – برامج لمساعدة الذات في علاجها، مكتبة الأنجلو العربية، القاهرة، مصر.

13.Hassall, Richard, J. Rose, and J. McDonald(2005), Parenting stress in mothers of children with an intellectual disability: The effects of parental cognitions in relation to child characteristics and family support." Journal of intellectual disability research 49,6 , p 405.

14.Helfin ,J,& Alaimo, D(2007),Students with Autism Spectrum Disorders: Effective Instructional Practices, Upper Sandle River: Memill & Prentice-Hall,p12.

15.Olsson, M.B. and Hwang, c. p(2001), Depression in Mothers and Fathers of children with intellectual disability –Journal of intellectual disability research,45 c6.

16.Singhal, N(2010), Parents of Children with Autism: Stresses and Strategies, Paper presented at the International Meeting for Autism Research (IMFAR), Philadelphia, USA

17.Wang, p, Michaels, C & Day, M(2011), Stresses and Coping Strategies of Chinese Families with Children with Autism and other Developmental Disabilities Autism Dev Disorder, 41, 783-795.

18.Weitlauf, Amy; Vehron, A, Taylor, Julie and Warren, Z(2014), Relationship satisfaction, parenting stress, and depression in mothers of children with autism. Autism, 18(2): 194-198.

19.Whitman, T. L(2004),The Development of Autism, London , Jessica Kingsley Publishers.

20.Yirmiya, N. and Shaked, M(2005), Psychiatric Disorders in Parents of Children with Autism: A Meta-Analysis. Journal of Child Psychiatry, 46 (1): 69-83.

"اللّيبراليّة بين السّياق وفرض السّياق... رولز مع كانط وضدّ كانط".

Liberalism between Context and Imposition Context ... Rolose with Kant and against Kant

د.حراث سومية، جامعة باجي مختار عنابة_ الجزائر.
د.عمران جودي، جامعة باجي مختار عنابة_ الجزائر.
Dr.Harrat soumaya, Badji Mokthar Annaba university-Algeria
Dr.Amrane djoudi, Badji Mokthar Annaba university-Algeria

الملخّص: يقترح رولز خوض غمار التحدّي مع الدّيمقراطيّة اللّيبراليّة باقتراح مختلف مبادئ العدالة التّوزيعيّة التي اقترحت مع الفلسفة الكلاسيكيّة والمعاصرة على حدّ سواء؛ اختيار المبادئ المناسبة والتي تتلاءم مع هذا المسعى التقدّمي كالعودة إلى التّراث بغية اكتشاف نقاط البدئ والتي تعتبر في غالبها غير عادلة (الإستعباد، الظّلم)، النسيان، وأقول حتى الخطأ التّاريخي، يعتبران من العوامل الرّئيسيّة في نشأة القوميّة وهو ما يجعل الوطنيّة في خطر محدق، وكذا الإنخراط في "الوضع الأصلي" أو "ستار الجهالة" لتخطّي الأنانيّة تحت طائلة الإمتيازات (العرق، المنزلة الإجتماعيّة، الجنس،...)، ومنه إلى ثقافة الإختلاف تقول بعدم إمكانية العيش في قوانين عادلة بعيدا عن خصائص المجتمع المفتوح، أين يكون النّشاط الإجتماعيّ رهن الإستحقاق (الحريّة، المساواة، الإختلاف)، والتي ستكون فيما بعد الغاية العليا لقانون الشّعوب.
الكلمات المفتاحيّة: العدالة، المساواة، المجتمع، الوضع الأصلي، القانون، الحريّة.

Abstract: Rawls sets out to take up the challenge of liberal democracy by proposing the different principles of distributive justice proposed in classical and modern philosophy; to choose the correct principles for such an advance, as appeal to tradition to maintain basic principles that are frequently unjust (slavery, oppression). Forgetting, and I will even say historical error, is an essential factor in the creation of a nation, and thus the progress of historical studies is often a danger to nationality, and postulation to the "position of origin" or "veil of ignorance" to overcome egoism under the pretext of advantage (race, social class,...), and from it to the access to the difference assumes the idea that the society can not be egalitarian without it being opened, to make room for the social mobility

according to the merits (freedom, equality, difference) will henceforth be the sublime title of the law of the peoples.

Keywords: justice, equality, society, original position, law, freedom.

مقدّمة:

إذا كانت السياسة تهتمّ بعقلنة القوّة بصفة عامّة، فإنّ الفلسفة السياسيّة تثير إشكالات كثيرة حول الأنماط التي من خلالها يتعيّن التفكير السياسيّ السّليم، ونقصد بالدّرجة الأولى الدّراسات الكثيرة التي تمخّضت في الغالب عن جدل واسع على مستوى اللّفظ الواحد، لكنّها تهدف بصفة عامّة إلى تحقيق وعي عامّ من شأنه أن يطوّر القيم الإجتماعيّة ويرسم منظومة قيم تتلخّص في تعميق الرّؤى على ضوء مشروع واحد وموحّد؛ ونقصد بالدّرجة الأولى تعزيز الدّيمقراطيّة وترسيخ قيم المواطنة في إطار المسؤوليّة والإلتزام، وهو الأمر الذي يسمح بالتّوصل بين شرائح المجتمع على تنوعّها واختلافها على حدّ سواء.

كان لانتقال المجتمعات البشريّة بمراحلها المختلفة على أنّ الأنظمة المتعاقبة قد فشلت في تفسير الواقع الإنساني في شتّى جوانبه، وكتبشير لظهور مجتمعات جديدة، ظهر المجتمع الرّأسمالي على يد البرجوازية لكن سرعان ما اصطدم بدوره بمشكلة الملكيّة – وهو ما عبّرت عنه الإشتركية فيما بعد باسم فائض القيمة- وأصبح من الصّعب الوقوف على فهم صحيح لمعنى "الإنسان" بمعزل عن "الإنتاج"؛ وبالتّالي عزل الإنسانيّة عن مشاكلها وواقعها (مشكلة الإغتراب)، حيث أنّه عندما أصبح الإنتاج يمثّل همزة وصل بين التّنظيم السّياسي والعلاقات الإجتماعيّة غابت شرعيّة الدّولة وعدالة الجهد وتثمين الخبرة، ونتيجة لهذا كان على النّظام اللّيبرالي إيجاد مسوّغات تبرّر شرعية بقائه، أو على الأقل مبرّرا إيديولوجيّا يبرّر توسّعة على هذا الشّكل الكبير والسّريع من اقتصاد سياسيّ كلاسيكي إلى ليبرالية جديدة مقترن بالعولمة معتمدا على مجموعة من الأفكار والنّظريّات الإحيائيّة من جهة، واستخدام أجهزة الدّولة الإيديولوجيّة من جهة أخرى، لقد أتت اللّيبراليّة بتعريفات كثيرة لمصطلحات عدّة مثل الإنسان والعدالة والحريّة، لكنها لم تستطع بتاتا الإنفلات من قبضة السّوق والمصنع وهي تحاول الوقوف على تعريف دقيق لتلك المصطلحات السّالفة الذّكر، حيث اكتفوا بالقول أنّ السّؤال عن مفهوم اللّيبراليّة يمكن في إجابة بسيطة تقول بمذهب الحريّة، لكن حتى الحريّة في حدّ ذاتها بحاجة إلى ضبط وهي كلّها مفاهيم فضفاضة تنفلت من تعريف محدّد أو قصد مؤطّر، كونها تجمع كلّ ما هو اقتصادي وسياسي واجتماعي.

ومن هذا الأساس تعمّقت اللّيبراليّة بوجود مجتمع مدني واقتصاد حرّ ليس لهما أيّ صلة بالدّولة ومنشآتها، لكن هذا لم يمنعها من الإقتران بالحدث الدّيني والواجب الأخلافي لإضفاء نوع من الشّرعيّة على ممارساتها النّفعيّة، أين ظهر الرّبح المالي أقوى من وفرة الإنتاج والتّسارع التكنولوجي في خدمة التّوسّع الرّأسمالي، ومن هنا فعودة الرّأسماليّة اللّيبراليّة باعتبارها محاولة

لتقديم صورة نمطيّة عن واقع مغاير للواقع المعاش بصورة شرعيّة، يجعلنا نحاول قراءة اللّيبرالية كتراث وامتداد، من خلال المحاولة للوقوف على مفهومها وتاريخها.

من المعروف أنّ الأنظمة الإجتماعيّة لا تظهر فجأة وفي لحظة تاريخيّة معيّنة في صورة الإجتماع الكامل التجسّد، بل إنّه يعود إلى مجموعة من التّراكمات الزمنيّة والشّروط الفكريّة والواقعيّة التي مهّدت لها ظروف معيّنة أدّت إلى بروزها في الواقع لاحقا، وعادة ما يرجع المؤرّخون اللّيبراليّة إلى نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر فإنّ ثمّة عوامل وشروط أسّست لها كفكرة قبل هذا التوقيت التّاريخي وأسهمت في بلورتها كثقافة ونمط حياة متقدّم.

1- أهميّة وأهداف الدّراسة:

تعد نظرية العدالة من بين أهمّ النظريات والأفكار التي حاولت تفسير تحولات السياسات العالميّة ولتشخيص مستقبليّات ما بعد الحرب الباردة، إذ أنّها استقطبت اهتماما في الندوات وفي معاهد ثقافية وعلمية، بالإضافة إلى المجلّات والدوريّات في الغرب وفي العالم العربي والإسلامي، وكان من المتوقع أن تخلق هذا السجال الثّقافي والسّياسي في أنحاء كثيرة من العالم لأهميّة الأفكار التي جاءت بها، وما اتّصفت به من تماسك ومن تقويم حضاري مترابط للتحوّلات في العالم استطاع من خلال هذا التّقويم أن يربط بين أحداث كثيرة جزئيّة ومبعثرة ومتناقضة أحيانا.

إنّ الخلل لا يتم بسب الفروق الجوهرية المتباينة على مستوى التّعاريف المتعلّقة بمصطلح العدالة، بل نتيجة للإزدواجية الخطيرة للطّبيعة الفرديّة والتي كثيرا ما تجمع بين متناقضين، هذه الإزدواجية الناتجة عن اختلاط القيم الروحية الرفيعة بنظيراتها المادية وروافدها الغربية وعدم القدرة على فك الاشتباك بينهما، هو ما حوّل القيم الأولى للإنسانيّة إلى أنموذج للدّرسة ومأسسة إشكاليّة لكلّ ما يحيط بها من ظروف، وعليه فأطروحة العدالة كإنصاف وقانون الشّعوب ستكون بمثابة البيان النظري الأيديولوجي والسياسي لأنظمة المجتمع الرّاقية في عصرنا (وسنرى لا حقا لماذا لم نستعمل مصطلح أنظمة الدّولة وهو ما تحاشاه رولز نفسه)، إذ ينطوي هذا البيان على الخلفية النظرية الفلسفية التي تستند إليها إيديولوجية العولمة وسياستها الليبرالية في الإقتصاد، وفي ممارسة السّلطة والحكم وفي الحياة الإجتماعيّة والفكريّة والثقافيّة عامّة.

لم تكن الدّيمقراطيّة اللّيبراليّة مقتصرة فقط على الأبعاد السياسيّة والإقتصاديّة، بل إنّها كانت تشمل العمليّة السياسيّة وأنماط الحياة في التّجمعات الإنسانيّة بالأساس، إنّ العالم ما قبل الحديث كان يواجه إشكالًا وجدانيّا خطيرا يتعلّق بالمأزق اللّاهوتي السياسي وكيفيّة إدراة المجتمع بغرض تحقيق سياسات رقاء وتقدّما، إذن تتعلّق المشكلة السياسيّة الحديثة بالأسس والمبادئ وكيفيّة مواءمتها مع حياة النّاس في المجتمع: تحقيق السّعادة، التقدّم، المساواة،... كلّ ذلك ليس سوى المقومات الأساسيّة التي تنظّم المخيال السياسي للغرب الحديث، غرب ما بعد الكنيسة والسياسة الدّينيّة، يمكننا أن نقول إنّ كل ذلك كان يتجه في بلورة القوميّة الحديثة الغربيّة، ليس فقط سياسيًّا، ولكن إنسانيًّا؛

هذا الفهم دفع رولز إلى تأطير نشاطه بخاصيّة النّقد لسببين رئيسيّين:

- تجاوز العقلانيّة الأداتيّة التي أصبحت تنتهك إنسانيّة الإنسان، وتضعها إلى جانب ذلك على محكّ المنفعة.
- محاكمة المجتمعات اللّاعادلة وتغيير الذّهنيّات الفرديّة سعيا إلى مجتمعات سمحة تؤمن بالعيش المشترك.

ثمّ إنّ العلاقات بين المجتمعات في الماضي وحتّى في المستقبل لا تحكمها فرضيّة واحدة، ونقصد بذلك فرضيّة الرّأسمال، وإذا كانت في جانبها تمثل إطارا لنظام اقتصادي عالمي جديد يقوم على مفاهيم اقتصاد السوق والليبرالية في أبهى صورها وأقصى معانيها وأشكالها، فإنّها تذهب أبعد من ذلك بكثير لتشمل العلاقة بين الأديان؛ ففي عصر الحضارة الإسلاميّة في الأندلس كانت هناك درجة عالية من التّعايش والتّسامح بين المسلمين والمسحيين واليهود، وحينما خرج المسلمون من الأندلس بعد انهيار حضارتهم سنة 1492 خرج معهم اليهود إلى تركيا خوفا على أنفسهم من الذين حكموا الأندلس.

كما أنّ أيديولوجيا العولمة التي تقوم على فلسفة اليمين اللّيبرالي، تهدف إلى تدعيم القيم اللّيبراليّة الجديدة في عالم ما بعد الحرب الباردة ومن ثمّ تعميمها على كافة دول العالم، إضافة إلى تبرير هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كإمبراطورية عالمية ونموذجا لا بد من تطبيقه على كافة دول العالم خاصة في ظل ما يعرف اليوم بالنظام العالمي الجديد.حيث أنهى رولز الأيديولوجيا السياسية معلنا ضرورة الإحتكام إلى الدّيمقراطيّة اللّيبراليّة.

على ضوء كلّ هذا يكون لدراستنا هذه أهميّة مزدوجة: فهي من جهة مقاربة إجماليّة عن الموقف الذي اتّخذه رولز إزاء الفلسفات التي سبقت مشروعه السّياسي، ومن جهة أخرى تعدّ محاولة للكشف عن الجديد الذي جاء به رولز في نظريّة العدالة وما تركه من أثر في الدّراسات السّياسيّة وما فتحه من آفاق منهجيّة جديدة واستبصارات نظريّة لتفسير المعرفة العقلانيّة في بنيتها الدّاخلية وتحوّلاتها الثّورية، ونظرًا لكلّ المواقف التي تجسّدت في فكر رولز في ميدان الفلسفة والسّياسة، فإنّ المشكلة عنده تتخطى حدود صدق الأنظمة الساسيّة إلى محاولة تشييدها على أساس متين، لذا يهدف رولز إلى فتح آفاق واسعة أمام المجتمعات السّمحة بقيمها: الحريّة والمساواة.

هذه الخصائص المختلفة تدفعنا للتساؤل الإشكالي والبحث عن منهج يجتمع بها في إطار واحد وموحّد: كيف وفّق رولز بين الحريّة الإقتصاديّة والمساواة الإجتماعيّة؟ ثمّ إلى أيّ مدى يمكن القول بأنّ العدالة كإنصاف تصوّر في السياسة وليس تصوّرا في الميتافيزيقا؟ وفي نفس السياق هل يمكن القول أنّ الإجراءات المقدّمة من قبل رولز كافية بالرّغم من الغموض الذي تطرحه مسألة الرّفع التّدريجي لستار الجهالة.

2- السّياق اللّيبرالي أو ليبراليّة البدايات:

يبدوا أنّنا سنكون في زمن تتعدّد فيه الزّمكانيّة لغياب الفاصل بين فكرة وأخرى؛ اختلاف البنى الذّهنيّة والشّروط الإقتصاديّة والمكوّنات الإجتماعيّة، وهي في الأساس ليست قابلة للإستقرار بقدر ما يمكن أن تتعرّض للتّزييف والنقّد نتيجة أيّ استقراء أو فحص (Le Goff, Nora, 1998, p05)، حيث أنّه عندما نبحث في تاريخ اللّيبراليّة لا نجد لها بداية واضحة المعالم؛ إذ يذهب

البعض إلى حدّ القول أنّ اللّيبراليّة لم تظهر كمذهب سياسيّ قبل القرن التّاسع عشر، ولكنّها قامت كأيديولوجيا على أنقاض أفكار ونظريّات تمتدّ إلى قرون، والظّاهر أنّ اللّيبراليّة جاءت كردّ فعل للسّلطة الكنسيّة والإقطاعيّة في القرون الوسطى، الأمر الذي أفضى إلى انتفاضة شعبيّة وثورة جماهيريّة قادتها الطّبقة الشغّيلة (الطّبقة الوسطى) وكانت صورة مبادئها متجلّية في الثّورة الفرنسيّة (الطّبيعة، الإنسان، التقدّم)، وهو الأمر الذي يجعلنا نقول أنّ اللّيبراليّة في صورتها المعاصرة نشأت مع النّهضة الأوربيّة ومرّت بمراحل مختلفة إلى المرحلة المعاصرة، أهمّها تطوّر العلاقة بين الكنيسة والدّولة والتي لا تستبعد بدورها صراعا خفيّا تغذّيه الطّائفيّة في كلّ مرّة، حيث كان على ميراث الملكيّة المقدّسة الهلنستيّة أن تصطدم أكثر من مرّة بطموح الكنيسة التي لطالما أرادت أن تفوّض نفسها كإرادة إلهيّة متحقّقة على الأرض، الأمر الذي جعلها تصبر على تطفّل الملك في مجال السّلطة الكهنوتيّة ترقّبا وتأجيلا لحركة ضدّية أحد طرفيها السّلطة المقدّسة (الإيمان) والطرف الآخر السّلطة الملكيّة (التّشريع) من أجل الإخلال بالموازين لصالح الإيمان الكنسي.

لكن في عصر النّهضة الأوربيّة وداخل المجال الجغرافي لإيطاليا، شهد الوعي الأوربيّ حراكا ثقافيّا مزامنا لحراك واقعيّ كان يؤسّس لمدن تجاريّة مفتوحة على العالم وتكثيف علاقات التّواصل معه(بوعزّة، 2013، ص28)، بقي أن نعرف أنّ الدّراسة التّاريخيّة هي شكل من الأشكال الذي يجمع كلّ ما هو خاصّ بالإنسان، ويجعله تاريخا فلسفيّا وإشكاليّا يسعى جاهدا إلى تفسير كلّ ما استعصى على الفهم.

وعليه يمكن القول أنّ اللّيبراليّة بدأت في أوروبا بعد ردّ فعل عنيف جرّاء انتهاك صريح وصارخ لقيمة الإنسان تحت لواء "الدّين، الإقطاع، الملكيّة"، وفي سياق هذه النّظرة بات من الضّروري البحث عن كرامة الإنسان المحطّمة والبحث عن الأفكار التي تخاطب السّلوك الإنساني وهو مرتبط بالحياة السّعيدة وهو ما يسمح له تتبّع الأحداث بعضها البعض وفحصها ومقاطعتها، بحيث يكون هذا النّشاط مكانيّا أكثر منه زمانيّا (لوغوف، 2007، ص394).

كانت الملكيّة أحدى الوسائل الهامّة في المجتمعات الإقطاعيّة، وبالرّغم من أنّ الإقطاع قد أحدث شرخا كبيرا وواسعا على مستوى البنية الإجتماعيّة، إلّا أنّ الخارطة الجغرافيّة لأوربا لم تبدّد القوميّات والمماليك باعتبار أنّ المالك الصّغير كي يؤمّن نفسه وممتلكاته من العدوّ أيا كانت طبيعته وجنسه، لابدّ أن يسلّم نفسه ويهب طاعته للسيّد الإقطاعي، أمّا مالكي الأرض فقد كان أغلبهم ضبّاطا استفادوا من الوضع القائم آنذاك مثل غياب الرّقابة وامتياز الملكيّة Droit régaliens، حيث أنّ الولاية الإقطاعيّة تستمدّ هيبتها من الحصانة التي يمنحها الملك مقابل عهد الولاء؛ فمثلا عهد الولاء الذي أدلى به الفكونت دو كاركاسون Le Vicompte de Carcassone (1110) لرئيس الدّير دولاغراس L'Abbé de la Grasse:" زد عليه، أني أقرّ من أجل الإعتراف بالإقططاعات المذكورة يجب عليّ أن آتي، وكذلك ورثتي، إلى الدّير المذكور، وعلى نفقتي، كلّما نصّب رئيس دير جديد، وأن أقوم هناك بتقديم الولاء له، وأن أردّ إليهم الحكم على جميع الإقطاعات المبيّنة أعلاه، ولمّا يركب رئيس الدّير الجواد يجب عليّ (وكذلك على ورثتي فكونتات دو كاركاسون وخلفائهم) أن أمسك الركاب له تكريما لسيادة القدّيس ماري دو

لاغراس، ويجب عليّا أيضا أن أؤمن مأوى لرئيس الدّير في قصبة سان ميشال دو كاركاسون، لرئيس الدّير وأفراد حاشيته ولو إقتضى ذلك التّضحية بمئتي رأس من الماشية، وأن أقدّم إليه في أوّل قدوم له إلى كاركاسون أفضل الأسماك واللّحوم والدّجاج والأجبان بكلّ تكريم لإرادته، وأن أضمن حذو خيله وتقديم التّبن والعلف حسب ما تمليه الظّروف" **(توشار، 2010، ص235).**

لكن سرعان ما تتبّعت الإقطاعيّة مجرى فوضويّا حيث أصبح للعرف والتّقاليد مكانا، تماما مثل مرتبة القانون الذي كان يسنّ به الأسياد، وأصبح العالم الغربي مسرحا لتقلّبات جذريّة؛ ونقصد بالدّرجة الأولى مختلف الإضطرابات الماديّة منذ الرّبع الأوّل من القرن الرّابع عشر حتّى آخر الحقبة تقريبا، وذلك بسبب الأزمة الإقتصاديّة التي أصابت النّاس وانتشار الأمراض والأوبئة المختلفة وتدنّي المستوى المعيشي بسبب الإفلاس وانهارت السياسة لتحلّ محلّها الأيديولوجيات؛ إيديولوجيّة الكنيسة وصراعها مع السّلطة الوضعيّة لاستلام مقاليد الحكم والهيمنة.

لكن لا ينبغي فهم هذه الإضطرابات على أنّها ضرب من العدميّة المطلقة، فقد استطاعت أن تبشر بصبح جديد ظهر برزخ إشراقه في إيطاليا مع قدوم القرن الخامس عشر، أين شهدت الفترة إعادة توزيع الثّروات بطريقة عادلة، وإعادة تنظيم السّلطات الرّوحيّة ومحاولة مواكبتها مع تطلّعات الوحدات الجماهيريّة الجديدة، بعدما كان الفكر والتّفكير حكرا على طبقة معيّنة في المجتمع وشريحة خاصّة من ممثّليه، وعلى الفرد تقبّل مختلف القرارات الصادرة من الهيئة الممثّلة لعامّة الشّعب تحت شعار "اعتقد ولا تنتقد".

أ- بداية المنشأ اللّيبرالي:

يتخذ هوبز thomas hobbes (1588-1679) تأكيدات حول طبيعة الانسان -مع التقليد الليبيرالي الأنجلو ساكسوني الذي ينبع منهما- موقفا مختلفا تمام تجاه رغبة الاعتراف، بمعنى أنّ هوبز لم يشعر بأيّ إحساس بالإنسان كنتاج للتّاريخ، وبأن الطبيعة البشرية تصنع ويعاد صنعها بلا توقف في المكان والزمان **(باومر، 1987، ص95).**

كان هوبز من أوائل الفلاسفة الذين شرحوا مبدأ المساواة العامة بين البشر على أساس غير مسيحي، فهو يذهب الى أن الناس كانوا في الاساس متساوي القدرة على قتل كل منهم الآخر، فإن كان الشّخص أضعف جسمانيا فباستطاعته مع ذلك التغلب على خصمه بالدهاء أو بالتحالف مع الاخرين. وعلى ذلك فان عمومية الدولة الليبيرالية الحديثة وعمومية حقوق الانسان الليبيرالية تقومان في الاصل على عمومية الخوف من الموت، أو بعبارة أخرى لا يمشي الإنسان إلا مرغما ولا يتوقّف إلّا خوفا عن مصالحه، لذا فإنّ القول بأنّ الدّيمقراطيّات اللّيبيرالية المعاصرة نشأت من العدم هو في حدّ ذاته قول عدمي، بل إنّ له في الأصل جذورا ضاربة في التّاريخ.

يصف هوبز حالة الطبيعة بأنها حالة عنف وصراع وشقاء، فهو في نهاية الأمر ليبيرالي، وفلسفته منبع الليبيرالية الحديثة، وكان هوبز أول من وضع المبدأ الذي بموجبه تتخذ شرعية الحكم أصلها في حقوق المحكومين بدلا من الحق الإلهي لملوك ومن التفوق الطبيعي للحاكمين.

إنّ مبدأ الحقّ والعدل عند هوبز ناتج عن خصائص الانسان في حالة الطبيعية حيث يجعل هوبز مبادئه عن الحق والعدل تنبثق عن وصفه للإنسان في حالة الطبيعية هذه الحالة هي نتيجة للأهواء

ولعلها لم توجد أبدا كمرحلة عامة في التاريخ الانساني... إنّ الحالة الطبيعيّة عند هوبز، شأن المعركة الدامية عند هيجل، من المفروض ان تنير الحياة الانسانية عندما تولد من تفاعل الاهواء الانسانية الأكثر دواما والأكثر أساسية، يقول هوبز:" أفهم من الملكيّة ليس فقط إقصاء حقّ الآخرين، لكن حقّ الدّولة أيضا، لكن مثل هذا الطّرح لن يكون مقبولا لأنّ الحكم لن يكون مطلقا" (Hobbes, 2002, p123).

بالنسبة لهوبز يمكن للناس أن يتقاتلوا من أجل الضروريات ومن أجل التفاهات أيضا، ذلك أن في الطبيعة الانسانية ثلاث أسباب للنّزاع وهي، التنافس وفقدان الثقة بالنفس والسعي وراء المجد. ويقصد هوبز بالتفاهات التنازع من أجل نيل الاعتراف والتقدير ، يقول هوبز:" القيمة العامّة للإنسان هي نفسها القيمة التي منحتها له الجمهوريّة، والتي يسمّيها الجمهور من النّاس كرامة" (Hobbes, 2002, p79)، إنّ الإنسان في الحالة الطبيعية ذئب للإنسان، وأنّ الكلّ في حرب ضدّ الكلّ، وأنّ الحاجة واستشعار القوة يحملان الفرد على الاستشارة بأكثر ما يستطيع الظفر به من خيرات الارض، ومن أجل هذا لابدّ له من استشعار الحماية من سلطة تستمد قوّتها من قانون عام، يكون فيه الحاكم مستثنى من الخضوع له باعتبار أنّ الحاكم إله والله لا يسأل عمّا يفعله، أو مفوّضا من الله وبالتّالي لا ردّ لقضاء الله.

ب- نحو منعطف ليبراليّ آخر:

إلى جانب كلّ هذا كان القرن السّادس عشر ميدانا للأفكار السياسيّة التي تراوحت بين السّلطة المطلقة Absolutisme وعلمنة الفكر السّياسي Sécularisation التي ظهرت بوادره في العصر الوسيط، واللّيبراليّة الإنجليزيّة بدورها تصدر عن جميع جوانب الحياة الإقتصاديّة والسياسيّة والإجتماعيّة والإنسانيّة مؤطّرة في الغالب بطابعها النّفعي، ويعود الفضل في إرساء دعائم الفكر اللّيبرالي إلى مجموعة من الفلاسفة من أمثال جون لوك J. Locke (1632، 1704) في القرن السابع عشر، فقد وضع الأسس الفكريّة التي يجب أن تقوم عليها السّياسة والأنظمة السياسيّة مباشرا بالحديث أنّ للحكّام واجب إزاء شعوبهم عن طريق إخضاع السّلطة للقانون في إطار ما تحدّده الأخلاقيّات العامّة والتّقاليد المتعارف عليها، ورأى أنّه لا يمكن تصوّر عقد يتمّ من طرف واحد، لذا فإنّ الحاكم ليس مستثنى من الخضوع للقوانين المختلفة، يقول جون لوك:" أسمّي إذن سلطة سياسيّة ذلك الحقّ في صياغة قوانين عقاب أو قوانين إعدام أو حتّى فرض عقوبات بعد صيانة الممتلكات وحمايّة الدّولة من الإغارات الخارجيّة قصد توفير الخير العام" (Locke, 2002, p16)، وفي سياق آخر يقرّ جون لوك بأنّ النّاس أحرار وأنّ الطّبيعة هي من منحتهم هذه الحريّة، بحيث سيتمتّعون بحقوقهم من حريّات وممتلكات بمجرّد أنهم أناس، ولا يحقّ لأيّ شخص مهما كانت صفته أن يعتدي أو يسيطر على الحريّات أو اغتصاب الممتلكات، ويضيف لوك:" للطّبيعة قوانينها التي يخضع لها كلّ إنسان، فالجميع متساوون ومستقلّون وليس لأحد سلطة على أخيه أو الإساءة إليه وهنا فقط تختفي مظاهر التبعيّة التي تدفع بعضهم إلى الرّغبة في السّيطرة على الآخرين والإضرار بهم" (لوك، 2012، ص15).

هذه الأفكار التي أتى بها جون لوك فيما يتعلّق باللّيبراليّة السياسيّة جاءت في خضمّ النّظرية العقد الإجتماعي – والتي لن نتناولها بالتّفصيل حيث سنكتفي بعرض ما يخدم بحثنا هذا- فالدّولة وجدت فقط لخدمة الشّعب وحماية مصالحه وصيانة حقوقه، إنّما نشأت الدّولة لحماية حقوق كانت قائمة بمجرّد تنازل الفرد عن جزء من حقوقه، ليضمن لنفسه ولغيره جميع الحقوق والحريّات الأساسيّة، بهذا المعنى ستكون الحريّة جوفاء ما لم تستند إلى نظام إجتماعيّ عادل يقيم مسؤوليّاته بالتّساوي بين أفراد المجتمع الواحد، كما أنّ هذه الحريّة لن تتحقّق إلّا في إطار نظام سياسيّ عادل يستند إلى خطّة عمل متوازنة سياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا استنادا إلى مصالح توافقية بين الفرد والمجتمع دون تغليب الواحد على الآخر.

رسم آدم سميث Adam Smith (1723، 1790) في كتابه "ثورة الشّعوب" القواعد اللّازمة لنظريّة اقتصاديّة كاملة الجوانب، وهي النّظريّة الكلاسيكيّة التي يدين بها النّظام الرّأسمالي بأكمله بعد الثّورة الصّناعيّة؛ ويتضمّن سياسة ماليّة أمثل لزيادة الإيرادات الماليّة في الدّول وترشيد النّفقات في شكل ثوريّ هذا وقد قال آدم سميث بحريّة الفرد في نشاطه السياسي وحريّته في امتلاك الثّروة الماديّة التي تنقله إلى أعلى درجة، لذا فإنّ النّظام الاقتصادي القائم على الملكيّة الخاصّة يتّفق تماما مع الحريّات الفرديّة، وهي الوحيدة القادرة على حماية مصالحه.

يستخدم آدم سميث الشّعار الذي من شأنه أن يوضّح نظريّته الاقتصادية في علاقتها بالحريّة " دعه يعمل، أتركه يمرّ"، وعليه يمكن القول أنّ اعتماد اللّيبراليّة على الحريّات الفرديّة كفيل بتحقيق المصلحة العامّة للمجتمع في جوانبه المختلفة بشكل تلقائيّ وطبيعي، كما أحدثت الرّأسماليّة تطوّرات ومنجزات كبيرة إلى درجة أنّنا أصبحنا نتحدّث عن العالم الحديث، فتجدّدت القوى الإنتاجيّة بفضل التقدّم السّريع في كافة ميادين العلم والتكنولوجيا، ووجد الفرد لذاته باعا طويلا في صورة قانون التطوّر المتصاعد للقوى الإنتاجيّة وتغييرا مستمرّا في أنماط حياته على كلّ الأصعدة.

غير بعيد عن هذه النّظرة التي بشّر بها لوك، نجد جون استورات مل John Stiwart Mill (1806، 1873) ينادي بـمبدأ "عدم الإضرار بالغير"؛ بمعنى أنّ الإنسان حرّ ما لم يضر غيره من النّاس ويؤكّد مل في أكثر من مرّة عن عدم معاقبة الجرم في حالة عدم المساس بأحوال الآخرين، بحيث نقول عن عمل ما أنّه مناف للقانون في حالة واحدة وهي إلحاق الضّرر بمن عداه من الأفراد، فعلى المجتمع ألّا يعاقب عليه ويتقبّله درءا لأذى أكبر منه وتوقا إلى فائدة أعظم.

من هكذا منطلق ليس على المشرّع أن يخنق الحريّات الفرديّة لحساب أطر إجتماعيّة، ولسان حاله" أترك كلّ فرد يمارس حريّته على الشّكل الذي يريده مادام لا يطغى على غيره بممارساته"، ونحن نرى أنّ مل صوّر الحريّة من زاوية الفرد باعتباره يمتلك ممكنات كثير تخوّل له الإختيار بين فعل الشّيء وتركه، ممّا يجعل من الحريّة موضوعا فلسفيّا متحدّد المعالم لا يشوبه أيّ غموض، ومن جهة أخري يري أنّه لابدّ من التّحرّر من قهر واستبداد العادات والتّقاليد المتعارف عليها كونها أكبر عائق لتقدّم الإنسان وروح الحريّة (stuart mill, 2002, p15).

جـ- ليبراليّة المفاهيم:

هكذا وبنفس الطّريقة اصطنعت الحداثة السياسيّة أخلاقا أرضيّة اعتقادا منها أنّ معرفة الواجب لا تستلزم الدّين بالضّرورة قطع الصّلة مع الفلسفة الكلاسيكيّة أدّى إلى قطع العلاقة مع المقدّس؛ فراغ على مستوى القيم، ثمّ إنّ الصّرخة التي استعارها مل من برغسون H. Bergson (1859، 1941) والتي مفادها أنّ:" عليه أن يتصرّف كإنسان مفكّر ويفكّر كإنسان متحرّك" (stuart mill, 2002, p60)، أثبتت أنّ مجرّد الإنصياع إلى النّفعيّة Utilitarisme تصوّر قاصر وبعيد كلّ البعد عن فهم الذّات باعتبارها متعدّدة الأبعاد ومتّصفة بالنّقص هذه الطّريقة في الفهم لم تسعف الإنسان في إدراك معنى الحق والخير وكذا الحريّة والعدالة، الشّيء الذي أدّى بالحداثة السياسيّة إلى إنكار أن يكون هناك لهذه القيم وجودا موضوعيّا وأن تكون معبّرة عن حقيقة ما، وهكذا صيغت القوانين الوضعيّة بمعزل عن قانون الطّبيعة والحق الطّبيعي ولم يتمكّن القانون الوضعي من الرقيّ إلى منزلة الحق.

هناك علاقة وطيدة بين التّحديث الاجتماعي والمسار الاقتصادي، ولو نظرنا إلى العالم من حولنا لوجدنا أنّه لا تزال هناك علاقة متبادلة بالغة القوة بين التحديث الاجتماعي والقوّة الاقتصادية الزّاحفة، وبين بزوغ الدّيمقراطيّات الجديدة، وقد كانت أكثر المناطق تقدّما في المجال الاقتصادي ممثّلة في أعرق الدّيمقراطيات اللّيبراليّة وأكثرها استقرارا (أوروبا الغربيّة وأمريكا الشماليّة).

تعتبر الرأسماليّة والليبراليّة الاقتصادية منهجا مزدهرا وحتمية لا بد منها في سبيل بلوغ الأنظمة الناجحة خلافا للاقتصاد الموجّه والاشتراكية الماركسية اللينينيّة الذي أصبح عائقا أمام الاقتصاد الناجح، وعاجزا عن خلق الثّورة والحضارة والتقدّم والازدهار، كما أنّ منطق الآليات الاقتصادية وميكانيزمات التقدّم تميل بالمجتمعات المعاصرة طوعا إلى الرأسمالية حتى تضمن النّجاح المطلوب، وأكبر دليل على ذلك تجارب آسيا وأوروبا الشرقية وتحولها من الأنظمة الاشتراكية إلى الاقتصاد الحرّ اللّيبرالي، كما أنّ سرّ ازدهار وتطور الإنتاج الديناميكي والتكنولوجيّة المتطورة يكمن في تبنّي الدّول إستراتيجية ومبادئ اللّيبراليّة الاقتصادية.

3- اللّيبراليّة المعاصرة:

إنّ فكرة اللّيبراليّة ليست فكرة جديدة في التّاريخ الفلسفيّ الغربي الحديث، فهي تعود الى السّياق العام لمذهب الفيلسوف الألماني هيجل F. Hegel (1770، 1831)، ويؤكّد تاريخ الفكر الفلسفي الحديث أنّ هيجل هو المبّشر الأوّل للّيبراليّة في طابعها المهيمن والمسيطر حيث ركّز الفيلسوف الألماني في الأساس على التطوّر الرّوحي والفكري وقد هدف إلى إبراز الأهميّة التي يكتسيها الصراع، باعتباره محركا رئيسيا لمسيرة التّاريخ وسعى في نهاية المطاف الى استشراف الغاية النهائيّة التي تتّجه إليها صيرورة التّاريخ، فقد قدّم نظريّة عن تاريخ كلّي وشامل لتطور الوعي والفكر الإنساني، من منظور النموّ السّينكروني الذي ينبثق من المتناقضات، وبمقدار ما يفكّر العقل فإنّ مضمونه وموضوعه يبقيان شيئا كليّا بينما يعتمد سلوكه الآني على النّشاط الكلّي المتحقّق في جزئيّاته، والكلّي يعني الإرادة من حيث ماهيتها الفرديّة (هيجل، 2007، ص121)،

وقد رأى هيجل في انتصارات نابليون في المعركة الكبرى بأوروبا أمارات دالة على النصر النهائي للأفكار والمبادئ التي أتت بها الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789.

مع هيجل رأينا مفهوما آخر للإنسان ومغايرا تماما للمفهوم الذي كان سائدا عند لوك وهوبز، ذلك أنّ هيجل يعتقد أن الإنسان في سعيه إلى الطّيموس (نيل الإعتراف والتّقدير) لا يكترث بالماديات. لذا يقرّ هيجل بأنّ الإنسان لا تنفصل حياته عن غيره وترتبط كرامته بالتحرر من كل القيود وأنّ السّعي من أجل الاعتراف والتّقدير هو أساس الحريّة البشريّة، وإذا كان من الواجب على المملكة الدّنيويّ (مملكة الزّمان) أن تنسجم مع المبدأ الرّوحي، فإنّنا لا نجد هنا سببا سوى الإعتراف بهذا الوجوب فحسب، فالتّاريخ الذي هو تاريخ اللّيبراليّات أيضا هو بصفة عامّة تطوّر الرّوح في الزّمان، كما أنّ الطّبيعة هو تطوّر الفكرة في المكان (هيجل، 2007، ص 146).

إنّ الديمقراطيّة الليبيرالية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية، والشكل النهائي لأيّ حكم إنساني، التاريخ الإنسانية واعتبر الديمقراطية الليبيرالية المرحلة النهائية من تطور الفكر الإنساني، على اعتبار أن الحرية والمساواة عصب الدّيمقراطيّة، ثمّ إنّ أن الاشتراكية رفعت شعار العدالة الاجتماعية وتحقيق المساواة وازالة الفوارق، وتحقيق الرفاهية، غير أنها لم توفق في ذلك إلا أنه في المقابل استطاعت الديمقراطية الليبيرالية تحقيق ذلك، فالديمقراطية لم تهتم بالاقتصاد فقط، حيث يقدّم لنا فوكوياما الثّورة الفرنسيّة والثّورة الأمريكيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة كمثال على الحريّة اللّيبيرالية وليس بدافع اقتصادي (فوكوياما، 1993، ص126-132).

هذه التغيّرات التي رافقت ظهور اللّيبراليّة وجدت صدى لها في التّغيّرات الإجتماعيّة التي بدأت في أوربا مع مطلع القرن الخامس عشر، فقد بدأت بطريقة فلسفيّة وكانت الأسس الإجتماعيّة بداية لها ولمختلف تنظيراتها، وهو في الأساس تنظير بورجوازي على الطريقة التي يتصوّر بها الوجود الإنساني، أو بعبارة أخرى الطّريقة التي يريد بها أن يكون عليها وجود الأفراد، لذا ليس من الغريب بتاتا القول بأنّ اللّيبراليّة تصوّر في الفردانيّة.

ويعتبر فوكوياما نهاية الشيوعية الانتصار النهائي للديمقراطيّة الليبيراليّة، ولهذا الاعتبار فإنه لا شيء أصبح يقلق الهيمنة الغربية، وأن العالم ستنتهي أيامه دون ان يقع شيء يمكن أن يوصف بالتاريخي في العلاقات بين الأمم، ولقد قام العالم الغربي بإعلان انتصار الليبيرالية الحديثة بعدما تربّعت على عرش اكتمال التّاريخ من منطق أنّ سيادة الغرب الديمقراطي اللّيبيرالي باتت نهائيّة لا غبار عليها.

يعتبر فوكوياما الحقوق أساس النظام الديمقراطي الليبيرالي، وهذا مايبينه قوله: " الحقوق هي أساس نظامنا السياسي الديمقراطي الليبيرالي، وهي مفتاح التفكير المعاصر حول القضايا الأخلاقية والمعنوية، كما أن أيّة منافسة جادّة لحقوق الإنسان لابدّ من أن ترتكز في النّهاية فهم غايات الإنسان أو أغراضه التي لابدّ من أن تستند بدورها دائما إلى مفهوم الطبيعة البشرية" (فوكوياما، 2006، ص136) .

ومن هنا نصل إلى حدّ القول أنّ اللّيبراليّة الجديدة هي إيديولوجيّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ممثّلة في أدوارها الرّئيسيّة على الصّعيد الإقليمي والدّولي؛ كصياغة المراسيم والقوانين وفرض سيطرتها الاقتصادية وتفوّقها العسكري، إلى درجة أنّها أصبحت المصدر الوحيد لكلّ التّشريعات التي تخصّ جميع مناحي الحياة "أمركة العالم"، من منطلق نفعيّ همّه الوحيد تلبية أكبر عدد ممكن من الحاجات للنّاس قصد تحقيق السّعادة العامّة.

وما يميّز اللّيبراليّة الكلاسيكيّة عن اللّيبراليّة الحديثه هو مكانة الدّولة كجهاز تنفيذي ومدى حضوره في النّشاطات المختلفة؛ ففي اللّيبراليّة الكلاسيكيّة لا تتدخّل الدّولة بتاتا في الحريّات الفرديّة بل الواجب عليها أن تسهر على حمايتها لتحقيق الفرد لذاته دون وصاية عليه، أمّا في اللّيبراليّة المعاصرة فقد تغيّر الأمر تماما وأصبح مطلوبا تدخّل الدّولة لتنظيم الحريّات وإزالة العقبات التي تكون سببا في عدم التمتّع بتلك الحريّات، كما أنّ قطع الصّلة مع الفلسفة الكلاسيكيّة أدّى إلى قطع العلاقة مع الإيمان والمتعالي الروّحي؛ فحدث فراغ على مستوى القيم، ولمّا كانت الأخلاق الأرضيّة متّصفة بالنّقص فإنّها لم تسعف الإنسان في إدراك معنى الحق والخير والعدالة الأمر الذي خلق الباب واسعا أمام الحداثة السياسيّة لتصنع أخلاقا أرضيّة اعتقادا منها أنّ معرفة الواجب لا تستلزم الدّين بالضّرورة ، الشّيء الذي أدّى بالحداثة السياسيّة إلى إنكار أن يكون هناك لهذه القيم وجودا موضوعيّا وأن تكون معبّرة عن حقيقة ما، وهكذا صيغت القوانين الوضعيّة بمعزل عن قانون الطّبيعة والحق الطّبيعي استناد إلى أسس يفرضها العلم والفلسفة على حدّ سواء.

4- أسس اللّيبراليّة:

أ- الفرديّة: تتمثّل في اعتبار مصلحة الفرد أساس القيمة الإنسانية في المجتمع السياسي، وبقدر ما تتحقّق مصالح الأفراد بقدر ما تتأمّن مصالح الجماعات والأفراد، وتبعا لهذا قرّرت السّلطة السياسيّة عدم التدخّل في أمور الأفراد وعدم المساس بأدواره الاجتماعية، لكن بالقابل ستعمل الدّولة على تأمين حقوق وحريّات الأفراد في الفكر والمعتقد في جانبه السياسي والدّيني.

من خصوصيّات عصر النّهضة أنّه جاء كردّ فعل لذهنية القرون الوسطى التي اتّسمت بذوبان الفرد في الفكر الكنسي، وقد كان هذا الوضع مشبعا بالأحكام القبلية السلبية وبصورة نمطية سلبية اتّجاه الذّات لكن مع التقدّم التقني وأنماط التواصل المختلفة أصبح من المطروح على الثقافات أن تتخلص من الأحكام المسبقة التي لا تعبّر عن واقع الأفراد وكذا إماطة الرّؤى النرجسيّة الضيّقة، وأن تتعرّف على الثقافات الأخرى وتعترف بحقّها في الوجود، وقد لخّص لوثر هذه الفكرة بضرورة إخضاع رجال الدّين للسّلطة المدنيّة أين سيظهر الفرد في أكمل صوره؛ ويبدو أنّ تطوّر الفرد مشروط بتطوّر جميع الأفراد الذين يتواجد معهم في علاقات مباشرة أو غير مباشرة.

وتكمن محصّلة هذه الأفكار اللّيبراليّة في التّأسيس لما يعتبر حجر الزّاوية في تحديد مفهوم السياسة الحديثة الذي ينحصر في مجالين: المجال العام كحقل للتّنافس المستمرّ والحرّ بين المصالح المنظّمة للوصول إلى تفاهمات عمليّة واجتماعيّة دون الإخلال بمتطلّبات الذّات،

والمجال الخاص المستقل عن العام وتوضع فيه كلّ الشّؤون البعيدة عن السياسة وعن تنظيم الشّأن العام، كالدّين ومختلف القيم الأخلاقية والفلسفية وغيرها من المبادئ الشّخصيّة والعائليّة للأفراد.

لقد تعيّن أنّه يمكننا أن نحرز خطوة أبعد في سبيل فهم البنية التّحتيّة للفرد في خضمّ اللّيبراليّة، ذلك أنّ التقدّم التكنولوجي يحمل في باطنه تهديدات للهويّة الفرديّة وتكبّل إرادته في التّغيير، يقول ماركيوز H. Marcuse (1898، 1979):"لا تزال الإرادة مسجونة إلى اللّحظة لأنّها لا تمتلك سلطانا على الزّمن: ليس فقط الماضي من فقد الحريّة، لكن هو أيضا لم يتمّ تحريره من القيود بسبب بنيّات كثيرة تحول دون ذلك" (Marcuse, 1963, p110) كما أنّه باستطاعة الدّولة أن تحدّد مضامين هذه الفرديّة على شكل مشاعر اجتماعيّة، تماما كما صوّرها روسو J.J. Rousseau (1712، 1778) في طابعها الخيّر، وليس للدّولة أن ترغم أيّ إنسان على اتّباع مشاعر قدسيّة أو دينيّة بحجّة الحفاظ على المعتقد العام.

وقد بدت فكرة الإرادة العامّة ضعيفة على الصّعيد الفلسفي والعلمي، كونها استغلّت من طرف كثير من الحكّام الطّغاة والذين زعموا أنّهم المعبّرون الحقيقيّون عنها، وفي سبيل ذلك اغتصبت الحريّات وصدرت حقوق الأفراد، الأمر الذي جعل مفكّرين كثيرين يدعمون المبدأ اللّيبرالي القائم على جوهر الفرد، تمهدا لأجواء أخرى من شأنها أن تكرّس مبدأ الفرد الحرّ بعيدا عن تغريبه نفسيّا أو اجتماعيّا، أو رميه في أحضان الأحكام المتعالية التي لا تقول شيئا عن الواقع.

ب- الحريّة: مسألة الحريّة من أعمق المسائل التي تمّ الخوض قديما وحديثا، ونقصد من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفات الوجوديّة اللّاحقة، واستقراء التّاريخ يكشف عن التّطوّر الزّمني الذي شهدته الفكرة؛ حيث أنّ الاهتمام الأوّل للفرد عبر العصور يتمثّل بالمطالبة بحقوقه وحريّاته، وأنّ تطوّر المجتمعات السياسيّة في واقع الأمر مجرّد تطوّر لصراعات متواصلة على مستوى السّلطة السياسيّة، وهو صراع يعبّر أساسا عن ضرورة اجتماعية ملحّة غايتها العيش في رخاء وحريّة.

ترى اللّيبراليّة أنّ الفرد حرّ في أفعاله ومستقلّ في تصرّفاته دون تدخّل أيّ سلطة، بل أكثر من ذلك سيتمحور دور السّلطة في توسيع الحريّات الفرديّة وحمايتها على أوسع نطاق وكذا تعزيز حقوق الأفراد وإعطاء الأفراد أكبر قدر من الضّمانات في مواجهة التعسّف والظّلم الاجتماعي، وهو تصوّر يأخذ شكله من رغبة الأفراد، إذ الدّولة الدّيمقراطيّة هي شكل آخر لدولة قويّة وحرّة ممّا يعني أنّ الدّيمقراطيّة والحريّة متلازمان، يقول بوبر K. Popper (1902،1994):" تكون الدّولة حرّة من النّاحية السياسيّة إذا كانت مؤسّساتها السياسيّة تمكّن مواطنيها من النّاحية العمليّة تغيير حكومة قائمة دون سفك دماء، متى ما كانت الأغلبيّة راغبة في ذلك" (Popper, 1999, p89)

كما أنّ المساواة أساس الحريّة السياسيّة، فلا حريّة بلا مساواة والمساواة في الحقوق ما هو إلّا وجه آخر للمساواة في الواجبات، وإذا تمّ استبعاد المساواة في توزيع الخيرات والثّروات أضحت الحريّة جوفاء بلا معنى؛ إذ أنّ مجرّد التّهاون في الحريّة الإقتصاديّة مثلا من شأنه أن يقلب موازين البنية الإجتماعيّة وتعريض المجتمع إلى اصطدامات كارثيّة (ثورة البرولتاريا) كما أن تقدّم المجتمع مرهون بمدى قدرته على إنصاف الشّعب من حيث توزيع الحصص بالمساواة؛

وذلك بغضّ النّظر عن طريقة الحكم وكيفيّة التّنظير له، فممثّلا يرى أقطاب الفكر اللّيبرالي الحديث أنّ العقل الإنساني هو المصدر الوحيد لكلّ تشريع، لكنّهم اختلفوا في طبيعة ذلك العقل حيث رأى هوبز أنّ التّشريع مصدره عقل الحاكم، ورأى روسو أنّ سلطة القانون والتّشريع مصدرها عقل المشّرع، من هنا نفهم أنّ الدّلالة الواضحة للحريّة هي تأكيدها على الشّخصيّة الإنسانيّة من جوانبها المختلفة وهي الفردانيّة وقد تحقّقت في الشّخصيّة الجمعيّة، يقول راسل B. Russell (1872، 1970):" عندما نريد أن نعطي حكمنا في نظام ما، أكان ذاك الذي نعيش فيه أو الذي يقترحه علينا المصلحون، هناك أربعة امتحانات أوليّة يمكننا تطبيقها، يمكننا البحث عمّا إذا كان النّظام يظمن: - الحدّ الأقصى للإنتاج، - عدالة في التّوزيع، - حياة سهلة للمنتجين- أكبر قدر من الحريّة والتّحريض على الحيويّة والتّقدّم" (راسل، 1987، ص99).

على هذا الأساس فإنّ الظواهر الإنسانيّة في كلّيتها لا يمكن أن توجد خارج رغبة الكائن البشري في التواصل مع غيره بشكل مباشر (اللّغة) أو غير مباشر (الإنتاج) بطريقة حرّة وديمقراطيّة، فمجموع ما ينتجه الإنسان عبر لغته وأشيائه وجسده وإيماءاته وطقوسه يندرج ضمن صيرورة تواصلية متعددة المظاهر والأوجه على الحدّ الذي يجعل اللّيبراليّة في كلّيتها (في شكلها الكلاسيكي والحديث) صيرورة تواصليّة دائمة، فكما أنّه لا يمكن تصوّر الحريّة إلا ضمن حالة اجتماعيّة تنظر إلى القيم الأخلاقيّة باعتبارها إكراهات، فإنّ العدالة والمساواة هو الآخر حالة إجتماعية تتحقق من خلال أنساق متعددة ينسج داخلها الأفراد سلسلة من العلاقات من طبائع مختلفة ومتنوّعة.

جـ- العقلانيّة: المعنى الذي تحمله كلمة عقلانيّة « Rationalisme » والمتعلّقة أساسا بنمط من التّفكير يمكن تسميته أساسا بالعقلي Rational والاشتقاق اللّغوي للكلمتين يعود إلى اللّفظة اللاّتينيّة "Ratio" والتي تعني الحساب والتّنظيم أو العقل (Lalande, 1996, p1160) ، وهكذا يفهم من لفظة الشّخص العقلاني"Rationaliste" كلّ من يؤكد قدراته العقلية بالإيمان المطلق بقدرات العقل.

والعقلانيّة مجموعة من الأفكار تفضي إلى الإعتقاد بأنّ الكون يعمل على نحو ما يعمل العقل حين يفكّر بصورة منطقيّة وموضوعيّة، ولهذا فإنّ الإنسان يمكنه في نهاية الأمر أن يفهم كلّ ما يدخل خبرته مثلما يفهم على سبيل المثال مشكلة رياضيّة أو ميكانيكيّة بسيطة، وأنّ ذات القدرة العقليّة التي كشفت للإنسان سبيل صنع واستخدام وتشغيل أي آلة منزليّة سوف تكشف له في نهاية المطاف حقائق أخرى تتعلّق بالوجود.

المفكّر العقلاني يميل إلى الموقف القائل بأنّ المعقول هو الطّبيعي ولا وجود لشيء خارق للطّبيعة لأنّه قابل للفهم في النّهاية، ويبدو واضحا من النّاحية التاريخيّة أنّ نموّ المعارف العلميّة والقدرة المتزايدة على استخدام المناهج العلميّة مرتبط ارتباطا وثيقا بنموّ النّظر إلى الكون والكسمولوجيا العقلانيّة (برينتون، 1984، ص134)، لكن ما معنى القول أنّ العقلانيّة تستلزم العمل بطريقة منطقيّة ومنتظمة؟

تتعلّق الإجابة بنوع من النّشاط الفكري الذي يسلكه الإنسان قبل العمل، بمعنى تحليل الحالة واختبار شتىّ جوانبها بكلّ عناية ودقّة قصد اتّخاذ قرار مؤسّس على طبيعة النّفس العاقلة، فعندما

يفكّر الإنسان بهذه الطّريقة تتكوّن لديه نظرة واضحة بالأسباب تمكّنه من شرحها وإثباتها فيما بعد، وكذا العمل وفق نظام معيّن يجعل من طريقة التّفكير مرتبطة بمنهج،من هنا يمكننا ولو إلى حدّ ما أن نعتبر العقلانيّة موقفا خاصّا مهمّته مراقبة تسلسل مختلف الأفكار وترابطها، باعتبار أنّ التّفكير في ذاته لا يتطلّب أيّ جهد، فنحن ننتج معظم حركاتنا ونشاطاتنا بطريقة أوتوماتيكيّة ولا إراديّة، ولكن وبمجرّد ربطها بهدف وغاية يتمّ تفعيلها بطريقة منتظمة ومنهجيّة؛ بهذا المعنى تتحوّل العقلانية إلى ما يمنع كلّ تفكير عشوائي لأنّها تفترض شيئين:

- السّعي وراء غاية معيّنة أو هدف محدّد (حلّ مشكلة، شرح وتفسير قضيّة ما، الدّفاع عن وجهة نظر،...)

- التّطبيق المنهجي للقواعد العامّة قصد بلوغ الهدف موضوع البحث (العمل وفق شروط) وبلوغ الهدف يستوجب تسلسل الأفكار ضمن معايير تأخذ بعين الإعتبار الرّوابط بين فكرة وأخرى، ونقصد بالرّوابط القواعد والقوانين والمبادئ والإجراءات التي يمكن بدورها أن تنتمي إلى حقول مختلفة؛ منطقيّة وتقنيّة واستراتيجيّة.

يقول بوتنام:" توجد علاقة وطيدة بين مفهومي الحقيقة والعقلانيّة وبصفة واضحة، المعيار الوحيد لكي يكون حدث ما حدثا هو أن يكون مقبولا عقلانيّا" (Putnam, 1984, p8) ، يتعلّق الأمر إذن بالبحث عن الصّلة الكامنة بين الحقيقة وشروطها في إطار العقلانيّة ربطا أو تمييزا، فنحن هنا إزاء علاقة من نوع آخر، تتمثّل في الصّلة بين الحقيقة والعقلانيّة بالتّقريب والتّمييز بينهما.
إنّ تصوّر العقلانيّة الذي يدافع عنه بونتام يدعو إلى تجنّب عقم التصوّر "التّاريخاني القانوني" وكذا تجنّب تصوّر أكثر مرونة ونسبيّة، والبديل الذي يقترحه هي عقلانيّة على صلة وثيقة بالقيم التي تجاهلها الميراث الوضعي، وكلّ نظريّة للحقيقة تعتبر ضربا من العبث، وتجعلنا نتخلّى بالتّالي عن الطّموح الإبستمولوجي الذي يقتضي تقويم العلاقة بين أفكارنا والعالم الذي نعيش فيه، ومنه يتحوّل سؤال العقلانيّة إلى سؤال للحدود لا للمعايير؛ إذ لا يجب أن ننظر إليها ببساطة كهوّة تفصل بين الواقعي حقّا والممكن الأفضل، فهناك دوما مكانا لإعتقاد معقول، ذلك لأنّه يمكن أن تتقدّم أحداث جديدة أو فرضيّات جديدة أو حتّى لغة جديدة.
من هنا يتحوّل مشكل العقلانيّة إلى مسألة حدود ما دامت الموضوعيّة تخضع للتّضامن متماهية مع روح الجماعة، حيث من الصّعب بمكان أن نميّز فيما بين الرأي والمعرفة إبستمولوجيّا، وهكذا يتمّ تعويض المقاربة الإبستمولوجيّة "التبريريّة" للعقلانيّة بتصوّر إثنومركزي (ماريا كاريلو، 2001، ص195-198).
لكن إذا كان العلم بدوره يستخدم مناهج البحث التي تقرّ بها العقلانيّة كإطار عام لا ينبغي لأيّ معرفة أن تحيد عنه إذا ما أرادت أن تبلغ درجة اليقين، كون أنّ العقل البشري لا يختار بحريّة نتائج البحث لأنّ الظّواهر(المادّة) موضوع البحث خاضعة وتتحرّك بصورة ميكانيكيّة فهل يمكننا القول بأنّ العقلانيّة والعلم شيء واحد؟

إنّ هذه الثورات لم تقلب التصوّر الحديث للإنسان ولمكانته في العالم فحسب، بل جعلته يتقدّم إلى ميادين أخرى علميّة وعمليّة وأضحى الإنسان سيد نفسه وسيد ما يحيط به من خلال الفهم الصّحيح للظّواهر وطريقة صيرورتها، وهو ما افترضته النّظريّات الإجتماعيّة التي تبنّت النّزعة الوضعيّة بقولها أنّ الإمكانيّة الوحيدة التي يمكن فيها فهم علاقة الإنسان بالواقع الخارجي تتمّ في إطار العلم الوضعي، وفي هذا الأخير يزول المنهج التّذاوتي القائم على التأمّل الإنساني ويحلّ مكانه المنهج الموضوعي، ويستقلّ العقل البشري في إدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجيّة كونه متحرّر من كلّ ما ينتمي إلى آليات الهيمنة (تحييد الدّين)، كما أنّ الفكرة المركزيّة في رؤية العقلانيّة هي تحرير البشريّة من قيود الخرافة والجهل وإطلاق العنان لحركيّة العقل.

5- التّفسير اللّيبرالي للواقع:

تبحث الفلسفة عن السب الحقيقية في إنتصار الرأسمالية والديمقراطية الليبرالية فيجده في تفسير مزدوج للتاريخ، تفسير يأخذ في الإعتبار وجهي الليبرالية: الوجه الإقتصادي والسياسي، أي الرأسمالية والديمقراطية، وفي هذا السياق يعيد طرح السؤال القديم عن إمكانية كتابة تاريخ شامل للبشرية، تاريخ يبين أن تطور البشرية بأسرها تطور متماسك، يدفعه محرك أساسي واحد نحو غاية واحدة، وبمجرّد أن الكائنات البشرية كباقي المخلوقات لديها احتياجات طبيعية، كالطعام والشراب والمأوى والحماسية، غير أن الإنسان يتميز عن باقي المخلوقات الحية من حيث كونه يرغب، ويتطلع إلى رغبة الآخرين في الإعتراف به وتقديره واحترامه، ولهذا فهو مستعد للمخاطرة بحياته والصراع من أجل نيل المنزلة المجرّدة، وهذه الأخيرة هي أوّل بوادر الحريّة الإنسانيّة.

والمحرّك ليس في نهاية المطاف سوء الحريّة، فإذا كان التاريخ كله يتحرك بدافع الصراع من أجل الحريّة فإنّ الإنتصار العالمي للنّظام اللّيبرالي الشّامل، يعني بلوغ التّاريخ البشري غايته الأخيرة بفضل التّحالف الذي أقيم بين الرّغبة والعقل.

لكي تنجح الدّيمقراطيّة يحتاج المواطنون إلى اعتزاز غير منطقي بمؤسّساتهم الدّيمقراطيّة، وعلى تطوير ما يسميه أليكسيس توكيفل بفن الإجتماع القائم على الاعتزاز بالإنتماء إلى جماعات صغيرة تتّخذها أساسا لتحديد جوهر وجودها، يقول جوزيف إبستاين:" أدرك توكفيل في وقت مبكّر أنّ الدّيمقراطيّة هي مثال مميّز لأسوأ المعضلات التي يتعارض فيها جانبان إيجابيّان دون إمكانيّة التوصّل إلى تسوية أو حلّ والجانبان المضيئان في الدّيمقراطيّة هما بالطّبع المساواة والحريّة"(إيستاين، 2010، ص179).

تحدّث أفلاطون في جمهوريته عن دورة طبيعة معينة للأنظمة، بينما ناقش أرسطو في كتابه السياسة أسباب الثورة وكيفية حلول نوع من الأنظمة في دورة لا نهاية لها، ذلك أن الديمقراطية لم تحتل عندهما مكانة خاصة، لأنهما يعتقدان أنّ الدّيمقراطيّة تميل إلى إفساح الطريق أمام

الاستيداد، كذلك فإن أرسطو لم يفترض استمرار التاريخ، بل كان يرى أنّ جذور دورة الأنظمة هي في دورة طبيعة أكبر اتّساعا، وما يمكن إستنتاجه هو أنّ التّاريخ عن الإغريق يدور في دورات متعاقبة.

من الضّروري بمكان التنبّه إلى أنّ هناك علاقة وطيدة بين التحديث الإجتماعي والمسعى الإقتصادي كونهما الركيزة الأساسية لجميع الأنظمة الناجحة؛ وهي علاقة طرديّة تعزّزها علاقة متبادلة بالغة القوّة بين محاولة التّجديد الإجتماعي وصيرورة الإقتصادي النّامي في اتّصالها ببزوغ الدّيمقراطيّات الجديدة. وقد بيّن التّاريخ أنّ أكثر المناطق تقدّما في المجال الإقتصادي تقليديا (أوروبا الغربيّة وأمريكا الشّماليّة) كانت أيضا صاحبة أعرق الدّيمقراطيات اللّيبرالية وأكثرها استقرارا.

يمكن القول أنّ الرأسماليّة والليبراليّة الإقتصاديّة والإقتصاد الحر منهج الازدهار، وحتمية لا بد منها في سبيل الأنظمة الناجحة، خلافا للاقتصاد الموجه والإشتراكية الماركسية اللينينية الذي أصبح عائقا أمام خلق إقتصاد ناجح يكفل الرّخاء والحريّات، وخلق الثورة والحضارة والتقدم والإزدهار، ذلك لأنّ الإشتراكية أضحت رمز التخلف والتراجع الإقتصادي، كما أن منطق الآليات الاقتصادية وميكانيزمات التقدم تميل بالمجتمعات المعاصرة طوعا إلى الرأسمالية أين يمكنها أن تضمن النّجاح المطلوب، وأكبر دليل على ذلك تجارب آسيا وأوروبّا الشرقيّة، حيث تحوّلت من الأنظمة الإشتراكيّة إلى الإقتصاد الحرّ اللّيبرالي، وأنّ سر ازدهار الأنظمة والتطوّر الإقتصادي وتطوّر الإنتاج الدّيناميكي والتكنولوجيا المتطوّرة هو تبني الدّول استراتيجيّة ومبادئ اللّيبرالية الإقتصاديّة، والمعجزة الإقتصادية التي حدثت في دول آسيا خلال سنوات ما بعد الحرب الكونية، تبين أن النظام الإقتصادي الرأسمالي الحر هو سر نجاح التّنمية الإقتصاديّة المزدهرة.

وما تخلّف الكثير من الدّول وخاصّة تلك المسماة بالعالم الثالث إلّا نتيجة اعتمادها على المفاهيم الإقتصاديّة البالية، وأوهام ما يسمى بنظريّة التبعيّة الإقتصاديّة، التي رسم مفاهيمها الإقتصاديّة الإشتراكيّة الماركسيّة اللينيّة والآلات التقليدية التي تجاوزها العصر.

فإذا كان المشروع اللّيبرالي يهدف إلى توطيد أواصل الأمل والإعتراف المتبادل للحريّة بين أطياف المجتمع على اختلاف توجّهاتهم، فإنّ الفكرة ذاتها ستلعب دورا حاسما من دون أدنى شك في تاريخ الصّراع من أجل الحريّة، لأنّها لن تفعل أكثر من خلق وضع جديد للسّؤال عمّا سيفعله بالحريّة وعن مآلاتها أو حتّى معنى الحياة من دونها، ولذلك فإنّ انتهاء اللّيبيراليّة يمثّل نهاية أشكال معيّنة من الصّراع التّاريخي لأنظمة ثبت عجزها عن قيادة الإنسانيّة نحو السّعادة والرّخاء، وليست نهاية للحريّة في حدّ ذاتها، ولعلّ المقالة التي كتبها كانط Immanuel kant (1724-1804) عام 1784 "محاولة لكتابة تاريخ عالمي"، أول محاولة جادة في هذا المجال، فبالرغم من عدم تجاوزها الست عشرة صفحة، إلّا أنّها وضعت الأسس التي قامت عليها فيما بعد محاولات كتابة تاريخ عالمي (الصالح، دس، ص53)، حتى كانت آراءه بصدد غائية أفعال الذّات في التاريخ من وجهة نظر متعالية، هذه الأفعال المستندة على حريّة الإرادة تكريسا لليبراليّة الأخلاق

وهو ما يتضمّن أنّها لا تخضع لقوانين تجريبيّة (قوانين الطبيعة) بقدر ما تبشّر بحريّة نومانيّة (Nouméne) إذن تكمن الغاية في الكشف عن النّظام الذي يكمن وراء الفوضى، لكنّ اللّيبراليّة أيّا كان منطلقها وتوجّهها والغاية التي ترمي إليها، قد وجدت أوضح صورها مع أعمال جون رولز John Rawls (1921، 2002) عام 1993، أين سعى إلى إبراز الفكر اللّيبرالي من زاوية سياسيّة بالتّمييز بين: التّصور الفلسفي للمفهوم و التّصور السّياسي للمبدأ بعيدا عن الأحكام والأفكار التي تمّ تداولها قبلا كطبيعة الفرد، لكن كمعاملة مبنيّة على قواعد الإنصاف والحريّة وهو ما سنتناوله بشيء من التّفصيل في الفصول اللّاحقة.

6- نتائج الدراسة:

وفي الأخير فإنّنا نستنتج أنّ للّيبراليّة مفاهيم متعدّدة بحسب ما تضاف إليه، وتلتقي هذه المفاهيم جميعا في كونها تؤمن بالحريّة إلى درجة التّقديس، وتحقيق الفرد لذاته على مختلف الأصعدة، وعليه يمكننا القول أنّ اللّيبراليّة تخطيط عقلانيّ يقوم على تواجد الذّات في استقلالها وحريّتها في إطار الجماعة التي لا تعارض مصالحها، والتي تهدف بدورها إلى تخليص الفرد من جميع أشكال الهيمنة الدّينيّة والإجتماعيّة والسياسيّة.
فاللّيبراليّة ثورة علميّة وسياسيّة وأيديولوجية ترمي إلى تبيان مشروعيّة النّمط الفردي من النّاحية العقلانيّة ولا مشروعيّة النّمط التعسّفي، وفق المعايير المعرفيّة السّائدة في المجال الإقتصادي؛ وجوهر الخطاب الإيديولوجي يكمن في القول أنّ ما لديّ علم وما لديك ليس بعلم، بمعنى آخر أنّ اعتقادنا المنتج للخطاب يمثّل الحقيقة والمعرفة وغير ذلك يمثّل اللاّمشروعيّة والزّيف، استنادا إلى مجموعة من التّقنيات والآليات التي يعتقد أنّها تمثّل جوهر اللّيبراليّة في صورتها الكاملة، فللتّاريخ معنى ينكشف على نحو مطرد ويتصاعد أمام أولئك الذين يريدون الوقوف على حقائقه، ويعني ذلك أنّ الحقيقة ستتغيّر وتتطوّر مع التّاريخ كونها تعبّر عن مستوى لغة التّحليل إزاء اختبارات سابقة لها.
يُعدّ مثل هذا التصوّر خير مُعبّر عن حقيقة وجوهر الخطاب الأيديولوجي من خلال تصعيده المعرفي مع التّصورات العلميّة وتجاوزه للنّشاطات الفكريّة الأخرى، ومن كلّ هذا يمكننا القول أنّ هناك مستويين من الحضور الأيديولوجي في الخطاب اللّيبرالي:
-مستوى ظاهري يبرز من خلال الإعتقاد بأنّ لدى مشروعه المعرفي القدرة على التّمييز بين نمطين من أنماط التّفكير: تفكير إيديولوجي يزعم أنّه معرفة بالظّروف المحيطة بالواقع، وتفكير علمي يزعم هو الآخر بأنّه على معرفة بتلك الظّروف، ويعتقد أنّ آليات العقلانيّة ذات النّزعة النّقديّة لديها القدرة على التّمييز بين الواقعي والمأمول.
-في المقابل نجد أن هناك مستوى إيديولوجيا آخرا قارّا خلف النّص المصرّح به في خطاب العولمة والذي يشكّل جوهر مشروع الديمقراطيّة اللّيبراليّة وإن كنّا نعتقد في الوقت ذاته أنّ حضورا لا واعيا ظلّ يتحكّم في إنتاج الخطاب الجديد، ويبرز هذا الحضور من خلال مقولتي" الدّين والدّيمقراطيّة" وذلك بالتّفكير في مقولة العلم من زاوية أيديولوجيّة يمكنها أن تكون بديلا للمشروع الفكري القديم.

خاتمة:

يتزامن التكامل العالمي مع انتشار نظرية الليبيرالية الجديدة، والمقولات الأساسيّة لهذه النظريّة الجديدة حملت في طابعها قيما إنسانيّة سمحة، ولقد اتخذت في الثمانينات الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبيرالية النظرية منارا تهتدي به في سياساتها وهكذا صار عدم تدخل الدول الى جانب تحرير التجارة وحرية التنقل رؤوس الأموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية، أسلحة استراتيجية في ترسانة الحكومة المؤمنة بأداء السّوق، ويرى رولز أنّ كلّ هذا قد حدث بمعزل عن ظروف الإنسان والشّروط السّابقة لوجوده، الأمر الذي أحدث شرخا – إن لم يكن اغترابا- بين الذّات وموضوع التّجربة فهي ذات اجتماعيّة تماما على الطّريقة التي عبّر عنها هيدجر M. Heidegger (1889، 1976) عندما أراد أن يبيّن موقع الذّات مع مثيلاتها، وهو وجود مخالف تماما لذلك الذي عبّرت عنه الفلسفة الكلاسيكيّة، وهو ما أطلق عليه فكرة "الوجود مع" Etre avec .

أشار رولز أكثر من مرّة إلى هذا العيب الكانطي (المفارق أو الترنسندنتالي) عندما حاول في كتابه نظريّة في العدالة أن يقدّم بطريقة طبيعيّة وإجرائيّة تصوّر كانت لمملكة الغايات والفكر في اسقلاليته، والأمر القطعي بهذا المعنى يقع فصل البنية التي يقوم عليها مذهب كانط من شوائبها الميتافيزيقيّة حتّي يمكن النّظر إليها بطريقة أوضح، وتكون مقدّمة يشكّل نفيها إلى حدّ ما يثير الإعتراض عليها.

ويشيد رولز هنا بالطّابع العبثي والغامض في تصوّر كانط، كون أنّ وجود ذات مجرّدة ومنتجة للقيم يجعل من الأمر مبهما، لذا كان من الضّروريّ بمكان البحث عن سياسة لبراليّة خالية من قلق الميتافيزيقا، بنفس الطّريقة نظريّة في العدالة تكون بديلا للمذهب النّفعي الذي أفرغ الذّات وحركتها من أيّ قيمة إنسانيّة وعليه لابدّ من تقديم أساس نظريّ متماسك لمفهوم العدل، أساس يمكن طرحه كبديل لما يقدّمه المذهب النّفعي والتّصوّرات الكانطيّة.

يحمل مذهب المنفعة في طيّاته إلى جانب هذا معالم الظّلم والتّمييز، فالبحث عن تحقيق الرفاهيّة لأكبر قدر من النّاس يكون على حساب بعض الفئات المحرومة، وهذا ما يتنافى مع العدالة التي فطر عليها الإنسان والتي تقضي بأنّ هناك حقوقا للإنسان بمجرّد أنّه إنسان (حقوقا طبيعيّة): كالحقّ في الحياة والحقّ في الحريّة والحقّ في الملكيّة، كما أنّ لديه جميع المشروعيّة في التمتّع بالحياة والملكيّة بالتّساوي بعيدا عن جميع أشكال الإقصاء، ومذهب المنفعة غيّر من هذا المضمون وأصبح من الجائز التّضحية بحقوق الأقليّة لصالح الأغلبيّة باسم الصّالح العام أو المنفعة العامّة من خلال تركيزهم على السّعادة القصوى، ومن أجل تحقيق أكبر قدر من السّعادة لأكبر عدد من النّاس، وهو ما يتنافى تماما مع أسس تكريس العدالة الإجتماعيّة، لأنّ النّظر إلى الإنسان من منطلق تصوّر المنفعة يجعل منه مجرّد وسيلة لبلوغ غايات معيّنة والتي تتحدّد في الغالب بالسّعادة، وهنا يتّفق رولز مع كانط في ضرورة اعتبار الإنسان غاية في ذاته وليس وسيلة لبلوغ آمال معيّنة، وهو مبدأ قاض من شأنه تكريس المساواة والعدل بين أفراد المجتمع الواحد " كان جون رولز طوال حياته المهنيّة وتجربته النّاضجة واعيا بالظّلم العميق الذي مارسه الأمريكيّون ضدّ الأفارقة وأحفادهم عبر أجيال متلاحقة".

لذا يقترح رولز "وضعا أصليّا" أو المبادئ الأولى بوصفها سيكولوجيا اجتماعيّة وتحليل العدالة في شروط الحاضر، خاصّة وأنّ البحث عن تحقيق السّعادة القصوى كثيرا ما يخلق صراعات وانتهاكات؛ صراعات على مستوى البنى الإجتماعيّة وانتهاكات تتعلّق بحقوق الإنسان، وتفاديا لهذا وذاك ستلعب العدالة والحريّة والمساواة أدوارا ضروريّة في التّاريخ الإنساني حفاظا على أرواح وممتلكات الشّعوب وآمالها.

قائمة المراجع:

1. إيستاين جوزيف(2010)، ألكسي دوتو كفيل المرشد إلى الدّيمقراطية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، مصر. بوعزّة الطيّب(2013)، نقد اللّيبراليّة، تنوير للنّشر والإعلام، مصر.
2. باومر فراكلين(1987)، الفكر الأوروبي الحديث، الإتصال والتغير في الأفكار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
3. برينتون كرين(1984)، تشكيل العقل الحديث، عالم المعرفة، الكويت.
4. بوعزّة الطّيب(2013)، نقد اللّيبراليّة، تنوير للنشّر والإعلام، مصر، القاهرة.
5. توشار جون(2010)، تاريخ الأفكار السياسيّة من اليونان إلى العصر الوسيط، دار التّكوين للتّاليف والنّشر، دمشق، سوريا.
6. راسل برتراند(1987)، أسس إعادة البناء الإجتماعي، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان.
7. فوكوياما فرانسيس(2006)، مستقبلنا بعد البشري- عواقب الثورة التقنية الحيوية- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.
8. فوكوياما فرانسيس(1993)، نهاية التاريخ وخاتم البشر، مركز الأهرام، القاهرة، مصر.
9. لوغوف جاك(2007)، التاريخ الجديد، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، لبنان.
10. لوك جون (2012)، الحكومة المدنيّة، الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، مصر.
11. ماريا كاريلو مانويل(2001)، خطابات الحداثة، منشورات ما بعد الحداثة، القاهرة، مصر.
12. هيجل فريدريك(2007)، أصول فلسفة الحقّ، دار التّنوير للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان.
13. هيجل فريدريك(2007)، العقل في التّاريخ، دار التّنوير للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان.

14. Hobbes Thomas(2002), Léviathan, Chicoutimi, Québec, kanada.

15. Hobbes Thomas(2002), Le citoyen ou les fondements de la politique Chicoutimi, Québec, kanada.

16. Lalande André(1996), Vocabulaire technique et critique de la philosophie, P U F, Paris, France.

17. Le Goff Jacques, Nora Pierre(1998), Faire de l’histoire, Gallimard, Paris, France.

18. Locke John(2002), Traité du gouvernement civil, Les classiques des sciences sociales.
19. Marcuse Herbert(1963), Eros et civilisation, Minuit, Paris, France.
20. Popper Karl(1999), All life is problem solving, Routledge, London, Angleterre.
21. Putnam H(1984), Raison vérité et histoire, Minuit, Paris, France.

22. stuart mill Jhon(2002), De la liberté, Chicoutimi, Québec, kanada.
23. stuart mill Jhon(2002), l'utilitarisme, Chicoutimi, Québec.

جريمة اختطاف الأطفال وآليات التصدي لها في الجزائر.

Child kidnapping and coping mechanisms in Algeria.

د. بن عمار نوال، جامعة الحاج لخضر باتنة-1- الجزائر.

ملخص: الهدف من هذه الدراسة هو إبراز مدى خطورة جريمة اختطاف الأطفال في الجزائر وكيفية التصدي لها لأن جريمة الخطف أو الاختطاف من الجرائم الماسة بحرية الإنسان وحرمته، وهي من الجرائم الأكثر خطورة في مجتمعنا لما لها من آثار مرعبة في نفوس الأفراد والحكومة، ولأنها تشيع ثقافة الخوف والذعر في المجتمعات الآمنة، فكيف إذا جريمة الخطف تمس الطفولة وتتعدى من الخطف إلى القتل وإراقة دماء البراءة والطفولة في مجتمعنا العربي المسلم.

الكلمات المفتاحية: مفهوم اختطاف الأطفال، أسباب وعوامل جريمة اختطاف الأطفال، أشكال جريمة اختطاف الأطفال، آليات الوقاية من جريمة اختطاف الأطفال.

Abstract: The aim of this study is to highlight the seriousness of the crime of kidnapping children in Algeria and how to address it because the crime of kidnapping or kidnapping is one of the crimes affecting human freedom and sanctity, and it is one of the most serious crimes in our society because of its terrifying effects on the souls of individuals and the government, and because it spreads a culture of fear and panic In safe societies, how then, if the crime of kidnapping affects childhood and goes from kidnapping to killing and the bloodshed of innocence and childhood in our Arab Muslim community?

Keywords: the concept of child abduction, the causes and factors of the crime of child abduction, forms of child abduction crime, mechanisms for preventing child kidnapping.

1. مقدمة:

تعد الجريمة من الظواهر التي لا زالت تستقطب اهتمام الباحثين والعلماء، لما لها من الآثار التي تنعكس على صيرورة الحياة الاجتماعية بكل مجرياتها، وتمس بسلامة الأفراد المادية والمعنوية والفرد الذي يتخذ من الجريمة مظهرا لسلوكه ومخرجا لأزماته، وذلك بتأثير عوامل وأسباب تدفع إلى ذلك السلوك الذي يلحق ضررا بالأشخاص بما فيهم فئة الأطفال الذين ما فتئوا يكونون عرضة لجرائم عديدة ومتعددة، تشكل تهديدا خطيرا لهم سواء في حياتهم وسلامة أجسامهم أو نفسياتهم وأخلاقهم ومن بين هذه الجرائم جريمة خطف الأطفال.

فالطفل يعد المكون الأساسي للأسرة وأي اعتداء عليه وعلى سلامته هو بمثابة مساس بالأسرة والمجتمع ككل، فحقوق الطفل تحظى بقدر كبير من الحماية سواء على الصعيد الداخلي في القوانين الداخلية، أو على الصعيد الخارجي في المواثيق الدولية، فهو في أمس الحاجة للحماية من الوقوع ضحية في براثين الجريمة نظرا لكونه أضعف حلقة في المجتمع، لضعف قدراته العقلية والجسمانية في حماية نفسه ورد أي اعتداء قد يمسه.

وجريمة اختطاف الأطفال ليست بالحديثة فهي واقعة قديمة منذ أن خلق الإنسان، فلا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، فإذا كان وجود الجريمة في أي مجتمع من المجتمعات حقيقة واقعة فإن تطور الجريمة حقيقة واقعة أيضا، ومع تنامي هذه الأخيرة أصبح من الضروري إيجاد آليات لحماية الأطفال من هذه الظاهرة.

وتعتبر جريمة اختطاف الأطفال من الجرائم الدخيلة على المجتمع الجزائري، فهي ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤرق المجتمع وتهدد كيانه واستقراره، إذ تشكل موضوعا يمس المجتمع الجزائري برمته وتكاد تستفحل شتى أقاليمها وبحسب إحصاءات صادرة عن مكتب حماية الطفولة بالمديرية العامة للأمن الجزائري، فإنه قد تم تسجيل 256 حالة اختطاف للأطفال في العام 2013، و1818 حالة اعتداء جنسي تعرّض لها الأطفال من بين 6321 حالة اعتداء من مختلف الأنواع، خلال العام نفسه، فيما تم تسجيل 195 حالة اختطاف للأطفال في العام 2014، بينهم 143 من الإناث و52 من الذكور، حيث تعرض الأطفال للإيذاء بأبشع الطرق من قتل وتمثيل بجثثهم أو سرقة أعضائهم والمتاجرة بها، أو استعمالها لأغراض الشعوذة أو لغرض الابتزاز وطلب الفدية أو لغرض الانتقام وتصفية الحسابات وهذا ما جعل الجميع يسارع في فهم ما يحدث، مما دفع المشرع الجزائري يعمل جاهدا على إيجاد قواعد قانونية من شأنها حماية الطفل فاستحدث قانون لحماية الطفولة 12-15 الذي يعنى بتوفير الحماية الاجتماعية والقضائية له كآلية وقائية تكرس لحماية هذه الفئة.

ونظرا لأهمية موضوع الاختطاف كونه ظاهرة ذات أبعاد اجتماعية، تقترف في حق الأطفال الأبرياء وفي حق أوليائهم الذين يعيشون حالة من الرعب والاستنكار، الأمر الذي شكل هاجس كبير داخل الأسر أدى إلى انعدام الثقة وقلة الراحة والسكينة، فإنه ولهذه الأسباب كان لزاما تسليط الضوء على هذه الظاهرة لمعرفة أسباب انتشارها داخل مجتمعنا في الآونة الأخيرة، ومن ثم محاولة إيجاد الآليات والأساليب لمعالجة هذه الظاهرة والحد منها.

وعليه ولخطورة الظاهرة التي يجب التصدي لها بشكل ردعي، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه وبشدة هو:**"ما هي الأسباب والدوافع وراء انتشار هذه الظاهرة في مجتمعنا؟ وما هي الآليات المرصدة للوقاية ومكافحة جريمة اختطاف الأطفال؟**

2. أهمية الموضوع:

اختطاف الأطفال جريمة غير مستحدثة بل موجودة وقديمة قدم الإنسانية، لكن ما يجب ذكره أنها في الآونة الأخيرة استفحلت وتفشت بشكل كبير ورهيب وملفت للانتباه، ما جعلها موضوع الساعة والشغل الشاغل خاصة لأولياء وأهالي الأطفال، وهذا ما أكسبها أهمية بالغة في كافة الأصعدة، وذلك من خلال تزايد عدد حالات اختطاف الأطفال وما يصاحبها من اعتداءات أخرى تصل إلى حد إزهاق أرواحهم بدم بارد، وأيضا تركيز الإعلام على هذه الجريمة ما زاد من حالة الهلع والخوف لدى الأفراد، الشيء الذي أدى لاختلال التوازن والاستقرار العام داخل المجتمع باعتبار أن هذه الأفعال والسلوكيات الشنيعة تمس فلذات أكبادنا الصغار ونزعهم من حضن أوليائهم، وإخفائهم قصد تحقيق مآرب يسعى الخاطف لتحقيقها من خلال الاختطاف.

3. الهدف من الدراسة:

-التعرف على الظاهرة ومدى انتشارها في المجتمع الجزائري.

-تحليل هذه الظاهرة إلى العناصر المكونة لها.

-العمل على التوعية بخطورة هذه الظاهرة.

-اقتراح حلول وآليات للتصدي لهذه الظاهرة.

4. التأصيل المفاهيمي والنظري لمصطلحات البحث:

1.4 ماهية جريمة اختطاف الأطفال: تعتبر جرائم الاختطاف من الجرائم الواقعة على الحرية الشخصية، إذ تقع بالاعتداء على حق المجني عليه في التنقل بحرية، وبما أن الجريمة سلوك إجرامي ترفضه وتعاقب عليه جميع القوانين بما فيها القانون الجزائري، كون هذا السلوك يتنافى مع القيم والمبادئ السامية للمجتمعات المحافظة، وما له من انعكاسات ومخلفات وآثار سلبية على الأفكار الجماعية ونفس المجتمع، لهذا نجد كل التشريعات تحمي الحريات الفردية للأشخاص، فتجرم الاختطاف وتضع له عقوبة.

1.1.4 مفهوم الطفل:

أ.تعريف الطفل في القانون الدولي: عرفت اتفاقية حقوق الطفل المؤرخة في 1989/11/20 في المادة الأولى بأنه: "الطفل هو كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة سنة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"، كما نص الميثاق الإفريقي في المادة الثانية من الجزء الأول: "أن الطفل هو كل إنسان يقل عمره عن ثمانية عشرة سنة."(خالد مصطفى فهمي، 2007، ص13).

كما تعرضت بعض الاتفاقيات الدولية لتعريف الطفل كاتفاقية الأمم المتحدة بشأن حظر سوء أشكال عمل الأطفال، وفي ذلك تنص المادة الثانية من هذه الاتفاقية على أنه:" يطلق تعبير الطفل في مفهوم هذه الاتفاقية على جميع الأشخاص دون سن الثامنة عشرة"(نبيل صقر وصابر جميلة، 2008، ص09).

وفي نفس السياق تضمن البرتوكول الاختياري بالملحق لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة في مادته الأولى ما نصه: "تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير الممكنة عمليا لضمان عدم اشتراك أفراد قوتها المسلحين الذين لم يبلغوا الثامنة عشرة من العمر اشتراكا مباشرا في الأعمال الحربية"

ب.تعريف الطفل في القانون الداخلي: إن المشرع الجزائري نص في المادة (444) من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، على أنه:" يكون بلوغ سن الرشد الجزائي في تمام الثامنة عشرة" (قانون الإجراءات الجزائية حسب آخر تعديل له الأمر رقم 11/02)، أي يعتبر طفلا كل ما لم يتم الثامنة عشرة من عمره حسب مضمون المادة.

ج.تعريف الطفل في قانون الطفل رقم 12 لسنة 1996: عرفت المادة الثانية من قانون الطفل رقم 12 لسنة 1996 الطفل حيث نصت على أنه:" يقصد بالطفل في مجال الرعاية المنصوص عليها في هذا القانون كل من بلغ ثمانية عشرة سنة ميلادية كاملة." (أميرة محمد بكري البحيري، 2011، ص70).

د.وفيما يخص الشريعة الإسلامية: فتعرف الطفولة فتقول "أنها المرحلة من الميلاد إلى البلوغ"، وذكر ابن نجيم وفي باب أحكام الصبيان: قال هو جنين ما دام في بطن أمه، فإذا انفصل فصبي فغلام إلى تسع عشر سنة فشاب إلى أربع وثلاثين، فكهل إلى إحدى وخمسين عاما، فشيخ إلى آخر عمره، ويسمى غلاما إلى البلوغ، قال الزمخشري الغلام: هو الصغير حتى الالتحاء، وذكر الشوكاني أن الطفل يطلق على الصغير من وقت انفصاله إلى البلوغ، ويقال له طفل إلى أن يحتلم، وعند البعض يبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال بعد ذلك طفل بل صبي ويافع ومراهق وبالغ، ويعني الفقهاء عامة أن الطفل هو الولد حتى يبلغ وهو موافق لما قاله أهل اللغة(عبد المطلب عبد الرزاق حمدان، 2005، ص47).

2.1.4 مفهوم الاختطاف:

يعتبر الاختطاف ظاهرة من الظواهر المستحدثة وخاصة في المجتمع الجزائري، وذلك لما فيه من انتهاك لحقوق الإنسان وتقييد حريته وخاصة الواقعة على الأطفال القصر.

تعريف الاختطاف لغة: الخطف هو أخذ الشيء في سرعة واستلاب(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، 1994، ص9)وفي التنزيل العزيز "فتخطفه الطير" سورة الحج الآية 31.

وخطف الشيء خطفا وخطفانا، جذبه وأخذه بسرعة واختلسه، والخطاف بالفتح والتشديد وهو الشيطان لأنه يخطف السمع ويسترقه (إبراهيم مصطفى وآخرون، ص2) لقول الله تعالى "يكاد البرق يخطف أبصارهم" سورة البقرة الآية 20، أي لكثرة لمعان البرق وشدته فإنه يؤثر على أبصارهم (محمد رشيد رض، 1947، ص1)، وقيل هو الخُطاف أو تشبها به على ضم الخاء، والخطاف كثير الخطف يقال لص خطاف، والخَطفة هي الجزء المخطوف أي ما اختطف من أعضاء الشاة وهي حية(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، 1994، ص9).

مفهوم الخطف اصطلاحا:

يعد الاختطاف سلوك إجرامي وظاهرة اجتماعية يهتم بدراستها علم النفس الجنائي وعلم الاجتماع الجنائي وعلم الأنثربولوجيا الجنائي ويتمثل فيما يلي:

علم النفس الجنائي: يدرس نفسية المجرمين انفعالاتهم وغرائزهم ومدى تأثيرها على السلوك الإجرامي للفرد.

علم الاجتماع الجنائي: وهو علم يهتم بدراسة الجريمة لكونها ظاهرة اجتماعية وباعتبارها كذلك ظاهرة في حياة المجتمع تتأثر بالظروف التي يعيشها الإنسان أو تحيطه.

علم الأنثربولوجيا الجنائي: ويقصد به العلم الذي يدرس طباع المجرمين وهو يدرس المظاهر العضوية والنفسية للمجرمين بدراسة تكوين أجهزتهم الداخلية وكيفية أداء هذه الأعضاء والأجهزة لوظيفتها وفي إفرازات الغدد وما تأثيرها على سلوك الإنسان، وتتناول الدراسة النفسية للمجرم كتحليل عواطفه وأخلاقه وغرائزه ومدى استجابته للمؤثرات الخارجية وتبين علاقة هذه المظاهر العضوية والنفسية بالجريمة(فوزية عبد الستار،1975، ص16).

تعريف الاختطاف في أحكام القانون والقضاء الجزائري: يسعى المشرع من وراء سن النصوص القانونية إلى حماية الحرية الشخصية التي كفلها الدستور، وفي هذا نصت المادة 32 منه على أن الحريات الأساسية وحقوق الإنسان مضمونة كما نصت المادة 47 منه أيضا "لا يتابع أحد ولا يُوقف أو يحتجز إلا في الحالات المحددة بالقانون وطبقا للأشكال التي نص عليها"

أما مفهوم الاختطاف في التشريع الجزائري فأول ما يجب الإشارة إليه أن الخطف له نفس معنى الاختطاف وهما يشكلان جريمة واحدة، وهذا ما توضحه المواد التي تطرقت إلى هذه الجريمة، حيث جاء في نص المادة 292 **'قانون العقوبات الجزائري'**...أو الاختطاف مع.." وجاء في الفقرة الثالثة من المادة 293 مكرر من ق.ع.ج "...الدافع إلى الخطف...".

فالملاحظ في موضوع بحثنا هذا ذكر المصطلحين، فتارة يُشار إلى الخطف وتارة أخرى نتطرق إلى الاختطاف وهما مفهوم لجريمة واحدة.

وبناء على ذلك ميز المشرع بين الجرائم التي قد ترتكب على المجني عليه من طرف **شخص عادي** وخصص لها المواد 291 إلى 294 ق.ع.ج، ويعاقب قانون العقوبات الجزائري في هذه المواد الأشخاص الذين يختطفون أو يقبضون أو يحبسون أو يحجزون أي شخص بدون أمر من السلطات المختصة أو خارج الحالات التي يجيز أو يأمر فيها القانون بالقبض على الأفراد.

كما تطرق إلى الجرائم التي قد ترتكب على المجني عليه من طرف **موظف عمومي** وقد تناولتهما المادتان 107 و 108 من ق.ع.ج على التوالي، وتتناول الموظف الذي يقوم بقبض أو حبس أو حجز أي شخص بدون وجه حق وبالتالي فإن عمله هذا يعتبر تجاوزاً لحدود الوظيفة الموكلة إليه(دردوس مكي، 2005، ص3-8).

كما تناول المشرع الجزائري في فصل آخر جريمة خطف أو إبعاد قاصر بدون عنف ولا تحايل، فلا يشترط في هذه الجريمة التي نصت عليها المادة 326 ق.ع.ج أن يبعد القاصر من المكان الذي وضعه فيه من وكلت إليه رعايته فقط، بل تقوم حتى في حالة ما إذا رافق القاصر الجاني بمحض إرادته(أحسن بوسقيعة، 2007، ص187).

وما يلاحظ كذلك أن المشرع الجزائري لم يتطرق إلى تعريف منفرد لجريمة الخطف بل دائما تلتصق معها مرادفات أخرى كالقبض والحبس والإبعاد...
ومنه نستطيع إعطاء تعريف لجريمة الاختطاف على أنها ذلك الاعتداء المتعمد على الحرية الفردية للشخص، وذلك بحجزه وتقييده بعد خطفه من مكان تواجده ونقله إلى وجهة لا يعلمها، سواء باستعمال القوة أو العنف أو بدونهما لمدة قد تطول وقد تقصر.
فالمشرع لم يكتف بالنص على حماية الحرية الفردية وعدم جواز التعدي عليها دون مقتضى قانوني، بل أحاط هذه الحرية بضمان آخر وذلك بالنص على حمايتها، واعتبار الاعتداء على هذه الحرية جريمة جزائية يتعرض مرتكبها للعقوبة المنصوص عليها في قانون العقوبات(فاطمة الزهراء جزار، 2014، ص24).
ومنه يمكن تعريف **اختطاف الأطفال** على أنه:"أخذهم على وجه الخداع والخفية والتستر، أو بأي وسيلة يتخذها الخاطف لتنفيذ جريمته الشنيعة.

5. خصائص وأغراض جريمة الاختطاف:

السرعة في التنفيذ: فالموضوع محل الاختطاف سواء كان فردا أو جماعة، أو شيئا أو أشياءا غير ذلك، فإنما يتم التنفيذ فيها بسرعة وفي أقصر وقت ممكن، ومنه فالفاعل أو الفاعلين يلجئون إلى هذا الأسلوب من السرعة في التنفيذ حتى لا ينكشف أمرهم من جهة وحتى لا يلاقوا الاستهجان الاجتماعي من جهة أخرى.

حسن التدبير العقلي للعملية: إذ الفاعل أو الفاعلون يقومون بجملة من الإجراءات العقلية المحكمة إذ يدرسون جميع الطرق التي تؤدي إلى نهاية المطاف إلى الانقضاض على الضحية أو الضحايا، وإتمام عملية الاختطاف حسب الظروف المدروسة مسبقا من قبل الفاعلون، ومنه قد تستمر مرحلة التدبير العقلي لمدة ساعات أو أيام أو حتى أشهر وسنوات وذلك حسب ما تتطلبه العملية والأهداف المرجوة منها.

يتميز الاختطاف أنه نوعي وكمي: فغالبا ما يحدد الفاعل أو الفاعلون أغراضهم بالنوعية أو الكمية، فاختطاف طائرة غير اختطاف جمل واختيار رهائن أحيانا غير اختطاف غلام من عائلة فقيرة، وهكذا تعد النوعية والكمية خاصة من الخصائص المهمة والأساسية التي تتميز بها جريمة الاختطاف.

يتميز الاختطاف بالقصيدة: فلا يمكن أن نجد جريمة الاختطاف سائدة في مجتمع ما من المجتمعات وهي بريئة الأغراض، ونعني بالأغراض الأهداف والنوايا التي يسعى لتحقيقها الخاطفون من خلال هذا الفعل، وهي تكون أهدافا ونوايا محددة بدقة مسبقا.

6. أغراض جريمة الاختطاف: يسعى الاختطاف لتحقيق العديد من الأغراض السياسية، الاجتماعية، وحتى الدينية، وهذا على النحو التالي:

أ. **أغراض اجتماعية:** وذلك لتحقيق الأنا الذاتي، وبعد إثبات الشخص الخاطف لذاته الاجتماعية كاختطاف عشيق لعشيقته بعد أن لقي الرفض من قبل أسرتها، وهذا يدعوه إلى التشكيك في شخصه ويسعى إلى إثبات الأنا الذاتي من خلال هذه العملية.

ب. أغراض مادية: كلجوء الفاعل إلى الاستيلاء على شخص ليجرده من المال، أي الغرض من خلال هذا الفعل هذا الفعل ماديا محضا ويكون منتشرا في المجتمعات التي تسود فيها البطالة والفقر، وهذا وإن كان يشابه السرقة إلا أنه ليس كذلك ويكون الاختطاف في الغرض المادي لتلبية الرغبة في الحصول على المال من شخص أو من جماعة أو من مؤسسة ما.

ت. أغراض سياسية: وهي التي كان لها دوما أو غالبا وقعا إعلاميا أكثر من غيره من الاختطاف كلجوء حزب سياسي لممارسة هذا النوع من الاختطاف بغرض أو بأغراض مختلفة منها مثلا: صنع الحدث السياسي للفت الرأي العام الوطني أو الدولي إليها وهذا الأسلوب غالبا ما تلجأ إليه الأحزاب السياسية التي تعاني من الاعتراف القانوني أو السياسي.

ث. **أغراض دينية:** وهي التي تلجأ إليها غالبا بعض الديانات الأرضية لأن هذه الأخيرة تواجه رفضا وعدم اعتراف لها من ممارسي الديانات السماوية، كما يحدث في شعوب أمريكا اللاتينية مثلا، أو الهند أو الصين، ويقوم بفعل الاختطاف جماعة من الأقلية ممن يمارسون شعائر هذا الدين بغرض إيجاد الأكثرية إلى الاعتراف بأقليتهم الدينية(فاطمة الزهراء جزار، 2014، ص123).

7. أسباب وعوامل جريمة اختطاف الأطفال: إن جريمة اختطاف الأطفال يرجع وجودها إلى عوامل متعددة نظرا لطبيعة هذه الجريمة ويمكن أن نجملها من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول:العامل النفسي كسبب لانتشار جريمة اختطاف الأطفال.

يقوم التفسير النفسي للقيام بالسلوك الإجرامي على أساس أن الصلة تعود أساسا إلى الخلل والاضطراب في التكوين النفسي، حيث يقع الفاعل تحت ضغوطات نفسية وانفعالات وربما أمراض نفسية، فكل فعل إجرامي حسب علماء النفس ما هو إلا دلالة وتعبير عن صراعات نسبية تدفع صاحبها إلى الجريمة، خاصة الدوافع اللاشعورية(محمد علي سكيكر، 2008، ص99-03).

وفي جريمة اختطاف الأطفال تتدخل مجموعة من الدوافع للقيام بهذه الجريمة المثيرة، من خلال الإستثارات الجنسية وعلاقات الجنس ما يؤدي لاضطراب في الشخصية وتوقف تفسير الأزمة وكيفية الاستجابة لها، فيكون فشل في تعديل النزاعات الغريزية فتصبح قوية تعبر عن نفسها، وأيضا الذات ضعيفة تخضع لمبدأ اللذة والعجز في التوفيق بين الدوافع وبين الواقع ومتطلباته، والأهم الضمير الأخلاقي أصابه الشذوذ والضعف جراء سوء العلاقات الإشباع البيولوجي والتجارب الصادمة المؤلمة، ويندرج تحت هذه الجريمة مجموعة من المجرمين حسب تصنيف علماء النفس من أهمهم:

المجرم العصابي دوافعه لا شعورية في الغالب تسبب لصاحبه التوتر والقلق الحاد يتفف منه من خلال القيام بالجريمة لخفض التوترات الانفعالية المؤلمة الناتجة عن الصراعات النفسية اللاشعورية بطريقة غير سوية(نسرين عبد الحميد نبيه، 2008، ص112).

المجرم السيكوباتي بصفة عامة يحمل شخصية غير سوية غير ناضجة تجري حياته على مبدأ اللذة، ويهتم اهتمام بالغا بالذات العاجلة، بمعنى أنه شخص اندفاعي يشعر دائما بالحاجة الشديدة لإشباع الرغبات وإرضاء الدوافع بصورة سريعة، دون أي اعتبار للقيم والأخلاق(نسرين عبد الحميد نبيه، 2008، ص123-124).

الفرع الثاني: العامل الاجتماعي كسبب لانتشار جريمة اختطاف الأطفال.

فالعلة وراء السلوك الإجرامي دوافع تتعلق بالمجتمع ككل، وبظروف البيئة الاجتماعي المباشر التي يعيش فيها الشخص بطريق مباشر أو غير مباشر، ويتم تقسيم المجرمين لأسباب اجتماعية لثلاث أنماط: بداية الحديث يكون عن المجرم فاسد القيم الأخلاقية، وهو المجرم الذي بنمو في بيئة أسرية منحلة خالية من المبادئ والمثل العليا، فلا ينمو له في نفسه ضمير قوي ورادع يمنعه من القيام بالسلوك الإجرامي، والافتقار للحس الأخلاقي الواقي من الانحراف، أما المجرم الحضاري فبقع في الجريمة بسبب سلطان البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وتحت ضغط العادات والتقاليد التي تحكم العلاقات الإنسانية، ومنه فهو رد فعل جزائي على سلوك تعتقد الجماعة أنه ضار بمصلحتها ومهدد لكيانها، فيتم الضغط على الفرد وملاحقته حتى يقوم بالسلوك الإجرامي ليحقق الانسجام بين الشعور بالأنا والشعور بالنحن(نسرين عبد الحميد نبيه، 2008، ص125-128).

دون أن ننسى البطالة كعامل اجتماعي يؤثر على الجريمة، ويعتبر من أسبابها فالشاب يعاني من البطالة ويعاني من نقص المال ووفرة وقت الفراغ، والشعور بالضياع واليأس من المستقبل، ما تأثر على نفسيته، فالشاب لديه رغبات مكبوتة لا يعرف كيف يخرجها وهو بلا مال ولديه فراغ، أول ما يندفع إليه هو القيام بالإجرام، ومن بين ما يقوم به لإشباع نزواته وشهواته هو خطف الأطفال باعتبارهم يمتازون بالضعف وعد قدرتهم على المقاومة ولأي سبب كان لطلب فدية أو لانتقام، أو لإشباع رغباته الجنسية، فالبطالة عامل خطير جدا يؤثر على المجتمع وسلامته ويؤدي إلى نتائج وخيمة(نسرين عبد الحميد نبيه، 2007، ص29).

فالمعاناة من أوقات الفراغ والفقر يدفع للانحراف والانتقام من المجتمع، فالعامل الاجتماعي هو كل ما يؤثر على سلوك الفرد ويؤدي لانحرافه بداية من الأسرة كأول مجتمع يختلط به في الطفولة الأولى فيرسخ في ثنايا شخصيته ما يدور أمامه من أحداث وما ينطبع مشاعره من قسوة وإهمال جراء التفكك والانشقاق الحاصل فيها، والدور الفعال للأصدقاء في الانحراف من خلال التشجيع والتحضير المعنوي وتفادي مشاعر الذنب، وتعلم أسرار وخفايا عمل المنحرفين الآخرين الأكثر خبرة وتجربة.

الفرع الثالث: الانحلال الأخلاقي والديني كسبب لجريمة اختطاف الأطفال.

إن انهيار القيم الأخلاقية له أسوأ الأثر في المجتمعات ما يرفع معدل الجريمة ويسهل على الأفراد ارتكابها كون ليس لديه قيم أخلاقية تمنعه من القيام بذلك، وغياب الوازع الديني من أكبر وأخطر الأشياء التي تؤدي لارتكاب الجريمة، فلا رادع للإنسان يرجعه عن ارتكابها، فالوازع الديني أقوى شيء ممكن يمنع الإنسان من ارتكاب الجرائم، كما قيل قديما على يد أحد الفلاسفة الغربيين "الدين أفيون الشعوب"، أي يؤثر فيهم حتى درجة التخدير فينصاعون لأحكامه دون تفكير، فلا أحد يقوى على مخالفة تعاليم دينه، فالوازع الديني أقوى ما يمكن أن يمنع الإنسان من ارتكاب الجريمة، ومنه انهيار الوازع الديني هو فتح المجال للقيام بالجرائم دون رادع حتى وإن كانت القيام بخطف طفل والاعتداء على حريته وعلى كافة حقوقه(نسرين عبد الحميد نبيه، 2007، ص32-33).

8. أشكال جريمة اختطاف الأطفال:

شغلت جريمة اختطاف الأطفال المجتمع الجزائري، وذلك نتيجة لما لها من تداعيات سواء على المستوى الخاص لدى الأطفال الضحايا وأهاليهم أو على المستوى العام لدى أفراد المجتمع، وهذه الجريمة ترد في شكل صورتين، الأولى عندما تكون ماسة بإرادة الطفل المخطوف من خلال استخدام القوة المادية والمعنوية، بالعنف أو التهديد أو الاستدراج، أما الصورة الثانية فلا تمس بإرادة الطفل المخطوف، بمعنى أنه لا يتم استخدام القوة مهما كانت مادية أو معنوية، وذهاب الطفل مع خاطفه بمحض إرادته، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال عرض الجوانب المشتركة في أشكال جريمة اختطاف الأطفال.

1) الأركان المشتركة في جريمة اختطاف الأطفال.

بداية سنتحدث عن محل الجريمة، ثم العناصر التي يشملها الركن المادي والمعنوي.

محل جريمة اختطاف الأطفال:

يشترط أن يقع الاختطاف على إنسان حي وإذا انتفت هذه الصفة في محل الاعتداء لا تقع جريمة الاختطاف وإن جاز معاقبة مرتكبها على جريمة أخرى(طارق سرور، 2003، ص303).

فالإنسان هو ذلك الكائن الآدمي المخلوق من جسد وروح، والذي يعنينا الإنسان ذو الشخصية الطبيعية التي تثبت له مجموعة من الحقوق أبرزها الحق في الحياة والحق في الحرية، والحياة هي الصفة التي تضاف للجسد مادام يقوم بالحد الأدنى من الوظائف الحيوية الطبيعية، وللإشارة فالحياة تبدأ بخروج الإنسان من بطن أمه (فريدة مرزوقي، 2011، ص15-16)، ومحل الجريمة الذي يعنينا هم الأطفال ذكورا أو إناثا، غير البالغين سن الرشد القانوني.

عناصر اختطاف الأطفال: يتحقق الخطف بإتيان الجاني سلوكا إيجابيا يتخذ صورة انتزاع المجني عليه من المكان الذي كان فيه، وإبعاده بنقله لمكان بعيد ومجهول عن ذويه وعمن لهم سلطة قانونية عليه، ومنه يشترط لوقوع الركن المادي هنا منع الطفل من العودة إلى من له الحق قانونيا في حضانته أو رعايته، ويفترض في الإبعاد السيطرة الكاملة على الطفل لفترة طويلة من الزمن، وعدم السماح له بالتنقل خارج حدود المكان الذي تم نقله إليه، وبالنسبة للركن المعنوي فالخطف من الجرائم العمدية التي تتخذ صورة القصد الجنائي العام، ويتحقق بتوافر عنصرين هما: العلم بكل الوقائع ذات الأهمية القانوني، والإحاطة علما بالنشاط المادي المتمثل في السلوك المادي في القيام بإبعاد الطفل المجني عليه عن أهله وعن أي شخص يتكفل برعايته، والعنصر الثاني يتمثل في اتجاه إرادة الجاني الخاطف نحو تحقيق الفعل المادي للجريمة(طارق سرور، 2003، ص306-309).

2) المسؤولية الجزائية في جريمة اختطاف الأطفال.

يعتبر فاعلا أصليا كل من قام بانتزاع المجني عليه ونقله لمحل آخر طبقا للقواعد العامة، ومنه فالمساهمة الأصلية تعني قيام الفاعلين بالتنفيذ المباشر للجريمة في عنصريها الانتزاع والنقل، ويعد كذلك فاعلا من يسخر شخصا سواه يكون ليس أهلا لتحمل المسئولية كوسيلة لتنفيذ الجريمة وهو ما يعرف بالفاعل المعنوي، وهناك ما يعرف بالمساهمة التبعية عن طريق المساعدة والمعاونة بالقيام بدور ثانوي في إحداث الجريمة(فريدة مرزوقي، 2011، ص31-32).

وللإيضاح ففاعل الجريمة هو من أبرز إلى حيز الوجود العناصر التي تؤلف الجريمة أو ساهم مباشرة في تنفيذها، فإما أن يكون الفاعل ماديا في صدور الأفعال المختلفة في صدور الجرم عنه بصورة مباشرة، فقام بها منفردا في إظهار جميع مادياتها أما الفاعل المعنوي فهو من أبرز عناصر الجرم إلى حيز الوجود ليس بنفسه بل بواسطة شخص آخر عديم الأهلية كالمجنون مثلا، أو شخص حسن النية كمن يعتقد أن الطفل المخطوف هو ابن أو قريب للخاطف ويقوم بالمساعدة، والمحرض هو الذي يعلم بما يقوم به من أفعال جرميه وهو مدرك لجميع مادياتها، وبالنسبة للشريك فهو من يبرز مع شخص آخر عناصر الجريمة، فهو فاعل للجريمة مع فاعل آخر، ودوره يقتصر إما على المساعدة وتهيئة الوسائل التي تسهل ارتكاب أفعال الجريمة مثلا في الجريمة محل الدراسة يقوم الشريك بتوفير كل السبل والوسائل والطرق لإنجاح عملية الاختطاف، أو قد يكون دور الشريك كمساهم بصورة مباشرة في إبراز ماديات الجريمة لحيز الوجود بكل تفاصيلها(طه زاكي صافي، 1997، ص231-233).

9. صور اختطاف الأطفال: تتطلب جريمة اختطاف الأطفال توافر صورتين ضروريتين الأولى تتعلق باختطاف الأطفال باستعمال العنف والتحايل، والصورة الثانية تتعلق بالاختطاف دون استعمال العنف والتحايل.

الفرع الأول: اختطاف الأطفال باستعمال العنف والتحايل.

تتحقق هذه الصورة إذا قام الجاني بخطف القاصر بالإكراه أو التحايل وهرب به إلى إحدى الجهات (محمد أحمد المشهداني، 2001، ص112)، ويقصد بالتحايل "كل فعل من أفعال الغش والتدليس تمكن به الجاني من خداع المجني عليه" (أنيس حسيب المحلاوي، 2011، ص141) أما الإكراه "يقصد به سلب إرادة المجني عليه" (أنيس حسيب المحلاوي، 2011، ص14) والإكراه يكون مادي أو معنوي، فالمادي يتمثل في جميع الوسائل التي يستخدمها الجاني في نقل المخطوف رغم مقاومته كما لو أخذ القاصر بالقوة والعنف، ويشمل أيضا كل الوسائل التي يستخدمها الجاني للسيطرة على إرادة القاصر وخطفه من دون أي مقاومة، كإعطائه مادة مخدرة أو تنويمه مغناطيسيا، أما الإكراه المعنوي فيشمل كل أساليب التهديد الذي يمارسه الجاني على القاصر المخطوف وزرع الخوف والذعر والسيطرة على عواطفه ومشاعره(فخري عبد الرزاق الحديثي، خالد حميدي الزعبي، 2009، ص169).

ويشمل كذلك الإكراه المعنوي تهديد المجني عليه بقتله، أو بتر أحد أعضاء جسمه إذا لم يخضع لأوامر الجاني(محمد أحمد المشهداني، 2001، ص117).

يدخل أيضا في نطاق الإكراه استغلال الجاني لانعدام إرادة القاصر لارتكاب الجريمة، كما لو كان القاصر في حالة النوم أو الجنون أو الإغماء أو في حالة سكر، وتقدير الإكراه في جريمة الخطف يعود إلى قاضي الموضوع الذي له سلطة تقديرية واقتناع شخصي(إدريس الفاخوري، 2010، ص419).

من التعريفات السابقة الذكر يظهر لنا أن الإكراه والتحايل هما مصطلحان يفيدان نفس المعنى أي أن فعل الخطف والأخذ والإبعاد يتم بغير رضا المجني عليه والسيطرة على إرادته.

تقع جريمة الخطف بالتحايل والإكراه عندما يرتكب الجاني فعل الخطف على شخص قاصر ذكرا كان أو أنثى لم يبلغ سن الثامنة عشر(كينات فاطمة، 2014، ص05).

لا تتحقق جريمة الاختطاف إذا كان القاصر قد أبعد عن أهله ومن له سلطة الولاية عليه مدة قصيرة ولو بطريق الاحتيال أو الإكراه ثم أعيد بعد ذلك إلى محل إقامته، فلا يعد خاطفا كل من يستدرج قاصر إلى منزله بطريق التحايل والإكراه وأعاده بعد مدة وجيزة بعد ذلك، هنا لم ينتزع عن ذويه ومن له السلطة عليه(جندى عبد الملك، 2010، ص276).

كما نص المشرع الجزائري على هذه الصورة في قانون العقوبات في المادة 293 مكرر الفقرة الأولى:"كل من يخطف أو يحاول خطف شخص عن طريق العنف، أو التهديد أو الاستدراج..."لم يميز المشرع الجزائري في هذه المادة الاختطاف الواقع على الذكر أو الأنثى فلم يعتد بالجنس في الاختطاف بالتحايل و الإكراه. (http://www.droit-dz.com/forum/showthread.p)

المشرع الجزائري في المادة أعلاه لم يميز كذلك بين الشخص البالغ والقاصر ذكرا أم أنثى حين قال:"كل من خطف أو يحاول خطف شخص عن طريق العنف والإكراه.." نفهم من هذه أن المادة جاءت بصيغة الجمع ولم تفرق بين الشخص البالغ أو القصر.

الفرع الثاني: اختطاف الأطفال دون استعمال العنف والتهديد.

تقوم جريمة الخطف دون تحايل أو إكراه بخطف المجني عليه الذي لم يبلغ 18 سنة (ذكر أو أنثى)، من محل إقامته إلى مكان آخر بقصد احتجازه أو إخفائه عمن لهم ح رعايته والمحافظة عليه حتى وإن تم ذلك برضاه. (http://ahmadbarak.com/category/studydetails/1059)

وهذا ما قضت به المحكمة العليا في إبراز سؤال محكمة الجنايات، وقوع إبعاد القاصر بغير عنف أو تهديد أو تحايل وعدم إكمال الضحية سن الثامنة عشرة(المحكمة العليا، 2010).

وفي هذه الصورة الثانية من الاختطاف يتطلب الأمر توافر الأحكام العامة لجريمة الاختطاف مع تخلف عنصر التحايل أو الإكراه أي برضا المجني عليه، وما يميز هذه الأخيرة هو موافقة المجني عليه الانتقال مع الجاني برضاه التام، وهو رضا صادر عن إرادة تامة وواضحة من المجني عليه دون قوة أو تهديد من الجاني(أحمد بوسقيعة، 2010، ص93).

غير أن ها الرضا الصادر من المخطوف غير معتمد به قانونيا فتقع جريمة اختطاف قاصر وهذا ما نصت عليه المادة 326 فقرة الأولى من قانون العقوبات الجزائري "كل من خطف أو أبعد قاصرا لم يكمل الثامنة عشرة من عمره وذلك بغير عنف أو تهديد أو تحايل أو شرع في ذلك.." ولا تطبق أحكام هذه المادة على الأم والأب اللذين يخضعان لأحكام المادة 328 من ق.ع.ج(المادة 328، أمر 66-156).

ويختلف مفهوم الإبعاد في جريمة اختطاف القصر عن مفهوم الإبعاد الوارد في جريمة عدم تسليم قاصر المنصوص والمعاقب عليها في المادة 328 من قانون العقوبات الجزائري، التي تقضي رفض الجاني تسليم الطفل إلى من صدر في حقه الحكم بالحضانة(أحمد بوسقيعة، 2010، ص06).

كذلك يعاقب القانون الجزائري على التحويل التام والشروع فيه، فلا عبرة بصفة الخاطف ولا عبرة بنوع المخطوف(إدريس الفاخوري، 2010، ص404).

وتبينا لنا أن المشرع الجزائري لم يورد تعريف دقيق ومحدد لهذه الجريمة، بل ترك لفقهاء القانون واكتفى بذكر السن القانوني للقاصر في قانون حماية الطفل، كما تتميز هذه الجريمة بعدة خصائص تميزها عن الجرائم الأخرى ولعل أبرزها مساسها بأمن واستقرار القصر، بحيث تلحق أضرار جسمية في نفسية هؤلاء الأبرياء.

10. آليات الوقاية من جريمة اختطاف الأطفال:

تعتبر جرائم اختطاف الأطفال من الجرائم الواقعة على الحرية الشخصية، وهي سلوك إجرامي ترفضه وتعاقب عليه جميع القوانين بما فيها القانون الجزائري، وفي هذا الإطار وبموجب مصادقتها على الصكوك والمواثيق الدولية المتعلقة بحماية الطفل استحدثت قانون خاص بحماية الطفل سنة 2015 وهو القانون رقم 15-12، وكان الهدف من هذا القانون هو تحديد قواعد وآليات حماية الطفل، فإنه تضمن نوعين من آليات الحماية للطفل في حالة الخطر، وهي آليات الوقاية الاجتماعية للطفل من جريمة الاختطاف، وأخرى آليات قضائية.

آليات الوقاية الاجتماعية للطفل من جريمة الاختطاف: نظرا لظهور مشاكل اجتماعية وتفاقمها، وتفشي الجرائم التي يتعرض لها الطفل خاصة الاختطاف، وذلك باعتبارهم الشريحة الضعيفة في المجتمع، وضع المشرع الجزائري آليات خاصة تحد من الظاهرة وذلك من خلال توفير الحماية الاجتماعية للطفل عن طريق هيئات وطنية ومحلية.

1. الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة:

تعد الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقية الطفولة مؤسسة عمومية ذات طابع إداري، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، تابعة للوزير الأول يتواجد مقرها بالجزائر العاصمة، يتم تسييرها بواسطة هيكل إداري محدد الاختصاصات، حيث أن هذه الهيئة أنشأت من أجل توفير الحماية اللازمة للطفل، فهي جهاز وقائي للطفل كونه يمثل فئة هشة قد تكون عرضة لخطر معنوي، تهتم به من حيث صحته أو أخلاقه أو تربيته أو أمنه التي تكون في خطر أو عرضة له أو الوسط الذي ينتمي إليه قد يكون يهدد سلامته الجسدية أو المعنوية، وحيث تقوم بمهامها المنوطة بها تم توفير كافة الوسائل البشرية والمادية، وأوكلت لرئيسها مجموعة من المهام من خلال اتخاذه مجموعة من التدابير الوقائية لحماية الأطفال المعرضين للخطر والتي نصت عليها المواد من 13 إلى 20 من القانون 15-12 المتعلق بحماية الطفل، أما هذه التدابير فصلت فيها المواد من 9 إلى 18 من المرسوم 16-334 وأسند لكل هيكل من هياكلها إجراءات جاءت على سبيل الحصر لحماية الطفولة ويتم تسيير هذه الهيئة عن طريق التنظيم(حسينة شرون، فاطمة قفاف، 2018، ص43).

مهام الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة:

للهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة مهام حددها القانون المتعلق بحماية الطفل طبقا للنص المادة 11 منه، وفصلت فيها المواد 3-4-5 من المرسوم 16-334 السالف الذكر وهي:

-فحص كل وضعية ماسة بحقوق الطفل سواء المتعلقة بصحته أو أخلاقه أو تربيته أو أمنه في خطر أو عرضة له، أو تكون ظروف معيشته أو سلوكه من شأنها أن يعرضاه للخطر المحتمل أو

المضر بمستقبله، أو يكون في بيئة تعرض سلامته البدنية والنفسية والتربوية للخطر فتعاينها أو تبلغ عنها.

-تعمل الهيئة وبالتنسيق مع مختلف الهيئات والإدارات العمومية والأشخاص المكلفون برعاية الطفولة على ترقية حقوق الطفل.

-تكريس التعاون الدولي في مجال حقوق الطفل مع مختلف الهيئات والمؤسسات ذات الصلة.

-يمكن للهيئة الاستعانة بأي هيئة أو شخص نظرا لاختصاصهما وخبرتها للمساعدة في مهامها(الأمين سوبقات، 2018، ص312-313).

الهيكل الإداري للهيئة الوطنية وترقية الطفولة: تضم الهيئة تحت سلطة المفوض الوطني لحماية الطفولة الهياكل الآتية:

-أمنة عامة.

-مدير لحماية حقوق الطفل.

-مديرية ترقية حقوق الطفل.

-لجنة تنسيق دائمة.

ولكل هذه الهياكل مهام موكلة لها لإعداد برامج واتخاذ تدابير من شأنها حماية الطفل من الخطر.

2. الحماية الاجتماعية على المستوى المحلي:

تتمثل الحماية الاجتماعية على المستوى المحلي في مصالح الوسط المفتوح حيث عرفه الأمر 75-64 على أنها مصالح ولائية، تتواجد في كل ولاية تهتم بالأحداث الموضوعين تحت المراقبة، إما كانوا في خطر معنوي أو جانحين(المادة 19، 1975).

حيث تسعى هذه المصالح إلى الإحاطة بالظروف والأسباب التي أدت إلى وقوع الحدث في خطر معنوي وانحرافه، كذلك تهدف إلى إعادة إدماج الحدث مع الأسرة والمحيط، وبعد تعديل الأمر 75-64 بموجب القانون رقم 15-12 جاء في نص هذا القانون أن مصالح الوسط المفتوح تنشأ في كل ولاية وفي حالة إذا كانت كثافة سكانية تنشأ أكثر من مصلحة(المادة 21، 1975).

ومن هذا المنطلق فالحماية الاجتماعية على المستوى المحلي تنقسم إل فرعين الفرع الأول خاص بتشكيلة الوسط المفتوح، والفرع الثاني خاص بمهام مصالح الوسط المفتوح.

الفرع الأول تشكيلة مصالح الوسط المفتوح:

نص المشرع الجزائري على تشكيلة مصالح الوسط المفتوح في المادة 21 الفقرة الثالثة من القانون 15-12، حيث جاء في نص المادة "يجب أن تتشكل مصالح الوسط المفتوح من موظفين مختصين لا سيما مربين ومساعدين اجتماعيين وأخصائيين نفسانيين وأخصائيين اجتماعيين وحقوقيين"، من هذا المنطلق واستنادا إلى نص المادة 21 الفقرة الثالثة نلاحظ أن المشرع جعل لمصالح الوسط المفتوح تشكيلة خاصة تعني بحماية الطفل ورعايته وهي تتمثل في(عائشة بيه زيتوني، ص233-234):

أ. **مربين:** يتمثل دور المربين في تقديم التكوين والتعليم للطفل ويساعده على الإحساس بذاته ويعمل على تحديد احتياجاته الاجتماعية من خلال تحويله إلى الأخصائي النفساني أو الاجتماعي

لدراسة حالته ويدرب الطفل على التصرف السليم حيال المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية.

ب. مساعدين اجتماعيين: يتمثل دورهم بالبحث عن حالة الطفل.

ت. أخصائيين نفسانيين: وهو خبير بأطوار النمو النفسي والتغيرات العقلية التي تطرأ على الطفل ودوره يتمثل في فهم سلوك الطفل وشخصيته واعتماده على أساليب سطحية في معالجة مشاكله.

ث. أخصائيين اجتماعيين: يتجلى دور الأخصائي الاجتماعي على استقبال الطفل والعمل على إزاحة مخاوفه وإعادة الثقة في نفسه، ويساعد الطفل على تعزيز مكانته في المجتمع، وعلى زيادة تقديره لنفسه، وقد يكون عاملا من عوامل الطمأنينة لأنه يبدد في نفسه التصورات الخاطئة والمعرفة السطحية.

الفرع الثاني: مهام مصالح الوسط المفتوح:

تلعب مصالح الوسط المفتوح دورا هاما في حياة الطفل والحفاظ على سلامته ومصلحته حيث يتجلى ذلك من خلال دورها في متابعة وضعية الأطفال في خطر ومساعدة أسرهم حول طريقة عملها فإنها تخطر من طرف الطفل أو ممثله الشرعي أو الشرطة القضائية أو الوالي أو أي جمعية عمومية أو خاصة تنشط في مجال حماية الطفل، أو المعلمين أو المربين أو المساعدين الاجتماعيين أو الأطباء أو كل شخص طبيعي أو معنوي آخر حول أي خطر يمس صحة الطفل أو سلامته الجسدية والمعنوية، كما يمكن لهذه المصالح أن تتدخل تلقائيا وليست بإمكانها أن ترفض التكفل بطفل يقيم خارج اختصاصها الإقليمي، لكن يمكن لها طلب مساعدة مصلحة مكان إقامة أو سكن الطفل وتحويله إليها، وهنا يجب عليها عدم الكشف عن هوية القائم بالإخطار إلا برضاه، وفي إطار تأديتها لمهامها لتحديد وضعية الطفل واتخاذ التدابير المناسبة له لا بد من قيامها بالأبحاث الاجتماعية والانتقال إلى تواجد الطفل والاستماع إليه، وإلى ممثله الشرعي حول الوقائع محل الإخطار حتى تتأكد من الوجود الفعلي لحالة الخطر، وإذا اقتضت الضرورة فتنقل الطفل وممثله الشرعي بذلك في حالة تأكدها من عدم وجود خطر، أما في حالة وجوده تتصل بالممثل الشرعي للطفل من أجل الوصول إلى اتفاق حول التدابير الأكثر ملائمة لاحتياجات الطفل ووضعيته الذي من شأنه إبعاد الخطر عنه(محمد قسيمة، 2018، ص216).

وقد أوجب القانون إشراك الطفل الذي يبلغ من العمر13 سنة على الأقل في التدبير الذي سيتخذ بشأنه، كما يجب على مصالح الوسط المفتوح أن تعلم الطفل الذي يبلغ من العمر 13 سنة وممثله الشرعي بحقهما رفض الاتفاق، ويدون هذا الأخير في محضر يوقع عليه من جميع الأطراف بعد تلاوته عليهم (المادة 24، 1975)، من جهة أخرى ألزم القانون المصالح بإبقاء الطفل المعرض للخطر ضمن أسرته والاتفاق على التدابير التي من شأنها إبعاد الطفل عن الخطر الذي يهدد تنشئته بشكل صحيح.

نستخلص مما سبق في إطار المهام المنوطة لصالح الوسط المفتوح أن لهذه الأخيرة دورا فعالا في حماية الطفل، وهي تهدف إلى معرفة الأسباب الحقيقية لتواجد الطفل في خطر معنوي واعتماد الحلول والاقتراحات لإدماجه اجتماعيا.

الآليات القانونية في التجريم والعقاب لجريمة اختطاف الأطفال.

التجريم كآلية قانونية لمكافحة ظاهرة اختطاف الأطفال: من أبرز الآليات القانونية التي يعتمدها المشرع لمكافحة جريمة اختطاف الأطفال هي أنه قام بتجريم فعل الخطف، بحيث في البداية تم التجريم من خلال نص المادة 326 من قانون العقوبات السالفة الذكر، وذلك عندما يكون الخطف بغير عنف أو تهديد أو تحايل، لكن هذه المادة لم تحقق الغاية من التجريم ولم تخفض من مستوى الجريمة ومدى انتشارها، ولم تشمل كل أفعال الاختطاف، بل زادت خاصة في الآونة الأخيرة وتعددت أساليبها وطرقها وأصبحت أكثر خطورة وتهديدا لاستقرار الأفراد والمجتمع، ما زرع الخوف في نفوس الأشخاص على أطفالهم من وقوعهم ضحية في هذه الجريمة، ما دفع بالمشرع الجزائري باستحداث مادة جديدة في قانون العقوبات وهي المادة 293 مكرر 1، التي جاءت بتجريم فعل الخطف عندما يكون عن طريق العنف أو التهديد أو الاستدراج أو أي وسيلة أخرى مهما كانت بالقوة أو بالحيلة، وكذا في حالة مصاحبة فعل الخطف عن طريق العنف أو التهديد أو الاستدراج، التعذيب، أو العنف الجنسي أو تسديد فدية أو ترتب على فعل الخطف وفاة الطفل الضحية، ومنه نستنتج أن المشرع الجزائري جرم فعل الخطف عندما يكون في صورته البسيطة دون قوة أو حيلة، وكيفها على أساس أنها جنحة، ولكن عندما استفحلت هذه الجريمة وأصبحت تهدد استقرار المجتمع خاصة وأنها كانت تتم بالقوة والحيلة وبطرق وحشية استحدث المشرع مادة شملت في التجريم كل ذلك، وكيفت على أنها جناية قصد تحقيق الغاية من التجريم والحد من انتشارها.

العقاب كآلية قانونية لمكافحة جريمة اختطاف الأطفال: فالمشرع الجزائري حدد عقوبة القيام بجنحة خطف طفل دون عنف أو تهديد أو تحايل هي الحبس من سنة إلى خمس سنوات، وغرامة من 500 إلى 2000 دج، وهي عقوبة مناسبة لحجم الجريمة وخطورتها فهي جنحة، وكون أن الجاني قام بفعل الخطف برضا من الطفل المجني عليه، وتم اعتباره خطف لعدم الاعتداء برضا المجني عليه لصغر سنه، وهذه العقوبة مناسبة وتؤدي الغرض منها وتحقق الردع العام والخاص. وفيما يخص عقوبة فعل الخطف عن طريق العنف أو التهديد أو الاستدراج أو أي وسيلة أخرى، فينتقل التكييف من الجنحة إلى الجناية، والعقوبة فيها هي السجن المؤبد، وهذه العقوبة جاءت مناسبة لتحقيق الردع الخاص لخطورة الفعل الذي قام به الجاني، وكذا الردع العام للحد من تفشي هذه الجريمة واستفحالها ومشارفتها على أن تصبح ظاهرة يعاني منها المجتمع وتهدد استقراره، وتصبح العقوبة في أقصى درجاتها وهي الإعدام عندما يتعرض الطفل المخطوف للتعذيب أو العنف الجنسي مهما كانت طبيعته، أو إذا كان الدافع الابتزاز للحصول على فدية أو ترتب وفاة الطفل المخطوف، وهذه الأفعال كلها تدل على خطورة إجرامية وعلى سلوك منحرف لا بد من مكافحته عن طريق سن أقصى العقوبات وأشدها ، وهي الوسيلة الأنجع لتحقيق الغاية من العقوبة، والنجاح في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال.

دور المجتمع المدني في مكافحة اختطاف الأطفال: ارتأينا أن أهم من يمكنه من المؤسسات غير الحكومية وغير التابعة للدولة هي الأسرة كونها الخلية الأساسية في المجتمع، وكذا المؤسسات الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع المدني.

دور الأسرة في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال: الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، ولها الدور الأساسي في التنشئة الاجتماعية للفرد، ونموه ومدى تكييفه مع المجتمع واتجاهه نحو قبول مختلف القيود التي يفرضها المجتمع، والوسيلة التي يستخدمها الوالدان في معاملة الصغير وعلاقتهما معه، والظروف المختلفة المحيطة بالأسرة، كل ذلك وما إليه يكون له تأثير لا يجوز إغفاله في سلوك الفرد، فالأسرة بما تقدمه لأطفالها من استقرار نفسي وعاطفي ومادي، تشيع في نفوسهم الأمن والطمأنينة ما تجعل عملية غرس القيم الأخلاقية والاجتماعية واحترام القانون أكثر تقبلا وامتثالا، مما يساعدهم على مواجهة المواقف والصعاب التي تعترض حياتهم، ولما كان للأطفال أكثر تقبلا للإرشاد فهم كالعود اللين الذي يمكن توجيهه، فيجب على الأسرة أن تقوم بتوجيه وإرشاد أطفالها حتى لا يقعوا في هذا الجريمة، فمن جهة تنشئتهم لإبعادهم عن القيام بالجريمة ومن بينها جريمة اختطاف الأطفال، ومن جهة أخرى توعيتهم وحمايتهم من الوقوع ضحايا فيها(فريدة مرزوقي، 2011، ص73).

ومنه فهناك العديد من الوسائل التي يمكن للأسرة تعليمها لأطفالها وغرسها فيهم، للوقاية من جريمة اختطاف الأطفال ومكافحتها، منها ما هو ذاتي يعود لشخص الفرد ذاته، فالوقاية الذاتية والبد بالذات تعد من أهم الأمور التي يجب أن تؤخذ بالحسبان للوقاية العامة من الجريمة ويتمثل ذلك في عدة أمور:

أولا: تقوية الإيمان وإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، حيث إن تقوية الإيمان لدى الفرد يساعد على الاستقامة وحسن الخلق، وتحصين النفس ضد الأهواء وذلك بسد الذرائع والوسائل المؤدية للجريمة والتي ترتبط مباشرة بالغرائز الأساسية للإنسان، وإتباع الطرق المشروعة لإشباعها.

ثانيا: الابتعاد عن قرناء السوء لما لهم من تأثير مباشر في تزيين الانحراف السلوك وتحسنه.

ثالثا: التعاون مع أجهزة الأمن من خلال البلاغ عن كل ما يخل بالأمن، فذلك يعد خطوة إيجابية لمحاصرة الجريمة، ووسيلة ناجعة لمحاربة الجريمة، من خلال الصدق في القول سواء في الإدلاء بالمعلومات أو البلاغات يعد مطلبا اجتماعيا يجب السعي إليه، وكذا تقديم الشهادة عند الحاجة إليها لتوضيح أمر ما أو استجلاء موقف معين، ويساعد إدلاء المواطنين على تحقيق العدالة، وتحديد الجاني ومساعدة المجني عليه، ضرورة التقيد بالأنظمة وترسيخ احترام القوانين(أحمد عبد اللطيف الفقي، 2003، ص151).

دور المؤسسات الدينية في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال: لا شك أن الإسلام وهو يعالج موضوع حماية الأطفال في حرياتهم وأعراضهم وأنفسهم، أعطاه ما يستحقه فاقت اهتمام القوانين الوضعية، ويظهر الفرق في أن القوانين الوضعية تهتم فقط بالتجريم والعقاب، بينما الشريعة الإسلامية تذهب لأبعد من ذلك فهي تهتم بالتربية والإصلاح، وكذا الوقاية والعلاج ومن هنا كانت الحاجة ملحة لمكافحة الجريمة ومن بينها جريمة اختطاف الأطفال، يكون من خلال قيام العلماء الموثوق بعلمهم في غرس القيم والمبادئ الصحيحة والقادرة على مواجهة مثل أنواع هذه الجرائم، كذا قيام المسجد برسالته في التوعية والإرشاد لخطورة هذه الجريمة على المجتمع في استقراره وأمنه. (http://www.policemc.gov.bh)

دور الهيئات والمؤسسات الحكومية في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال: إن للمؤسسات الحكومية والهيئات التابعة للدولة دور مهم في مكافحة الجريمة وبالأخص الجريمة محل الدراسة، وأهم هذه المؤسسات هي:

دور المدرسة في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال: إن للمدرسة الحظ الأوفر في مجال التوعية ضد خطر جريمة اختطاف الأطفال، باعتبار أن المدرسة المكان الذي يقضي فيه الطفل فترة طويلة من وقته، ويتلقى فيه مبادئ علمية وقيما أخلاقية كثيرا ما يكون لها أثر قوي في توجيه سلوكه وتهذيب نفسه، فهي تعده لكي يكون مواطنا صالحا ويحترم القانون، والمدرسة تشكل في الواقع أول احتكاك للطفل في المجتمع خارج إطار الرعاية والتوعية الأبوية، ما توعيهم لخطورة الجرائم من بينها جريمة اختطاف الأطفال(أحمد عبد اللطيف الفقي، 2003، ص152)

الشرطة كجهاز لمكافحة جريمة اختطاف الأطفال: ثمة حقيقة لا بد من الإقرار بها، أن كل ما تقرره التشريعات الخاصة بالجرائم الواقعة لوقاية الأحداث وحمايتهم من الجرائم يعتمد إلى حد كبير على رجال الضبطية القضائية، خاصة وأن العديد من جرائم الاختطاف يكون الغرض منها تدريب الأطفال لتنفيذ بعض الجرائم كالتسول قصد تحقيق أرباح مالية ، وكذا في حالة اختطاف الأطفال قصد استخدامهم لإشباع الرغبات الجنسية وتعذيبهم، ويقع على رجال الضبطية القضائية عبء الإسراع لحماية هؤلاء الأطفال وضبط هؤلاء المجرمين، والتعاون مع السلطات والأجهزة المعنية لمتابعة المجرمين وكذا الأطفال الذين تعرضوا لمثل هذه الاعتداءات(أحمد عبد اللطيف الفقي، 2003، ص11-31-32).

الإعلام كجهاز لمكافحة جريمة اختطاف الأطفال: دور أجهزة الإعلام في مجال التوعية للوقاية من الجريمة دور هام وخطير جدا، وهي في متناول أعضاء المجتمع في معظم الأحيان، فهي مكن الوصول إليها في يسر وسهولة مثل الإذاعة والتلفزيون والصحافة، فالعالم أصبح قرية صغيرة بفضل وسائل الإعلام فما من حادثة تقع في العالم إلا وتصل الإنسان بسرعة فيتأثر بما يجري حوله، وتتكون لديه مواقف ذهنية معينة يمكن أن تميل به يمنة أو يسرة وفقا لرد فعله عليها وخلفياته الثقافية والفكرية، ولوسائل الإعلام وظائف أمنية تتجلى في مراقبة المجتمع ورصد مواطن الانحراف والإخبار عنها، والكشف عن المناطق الأكثر تشبعا وبيان الأجهزة المعنية بالمكافحة، وكذا إبراز التفسيرات المحتملة لأثر الجريمة على الظاهر الاجتماعية الأخرى، وتتم التوعية الصحيحة من خلال تخليص المواطن من القيم والاتجاهات السلبية المرتبطة بجهاز الأمن وقوى مكافحة الجريمة، وتخليصه من السلبية واللامبالاة حيال مظاهر الإجرام، فكثيرا من المواطنين تخيفهم سطوة المجرمين ويخشون مواجهتهم، ويجهلون طرق التعامل معهم في إطار القانون، ومن هنا فوسائل الإعلام تقدم المعرفة والتوعية الصحيحة باستمرار لتكون من عوامل ترسيخ مفاهيم صحيحة وإزاحة بعض المفاهيم الخاطئة، وحث المواطنين بالاهتمام بالقضايا الأمنية والتفاعل معها ومناقشتها، للتمكين من الاستحواذ على قدر من الوعي، وكذلك العمل على توسيع المجالات المعرفية للأفراد بتقديم المعرفة الواضحة والشاملة حول الجريمة، من خلال الإقناع باستخدام الحقائق والدليل العلمي والمنطقي، بحيث يتبنى الفرد اتجاهات إيجابية لمكافحة

جريمة اختطاف الأطفال، واليقين أن مقاومة الجريمة هو دور يجب أن يضطلع الجميع نحوها(أحمد عبد اللطيف الفقي، 2003، ص84).

10. الآثار السلبية المترتبة على اختطاف الأطفال:

من الآثار الغير مرغوب فيها والتي تنجم جراء تعرض الطفل للاختطاف ينتج عنه ضعف الثقة في النفس والشعور بالإحباط والميل إلى العدوان بالإضافة إلى القلق والشعور بالعجز والنقص والصراع الداخلي خاصة اللذين يتعرضون للاغتصاب والتحرش الجنسي، فلقد كشفت نتائج الدراسات التي أجريت على الأطفال ضحايا الاختطاف عن صورة إكلينيكية واضحة المعالم لم تكمن بؤرتها في صدمة الإساءة التي قد تتبدى آثارها فيما يعرف باضطراب ضغوط ما بعد الصدمة عند الأطفال وهو اضطراب يظهر في متلازمة من الأعراض مثل (الخوف الشديد والهلع والسلوك المضطرب أو غير المستقر ووجود صور ذهنية أو أفكار أو إدراكات أو ذكريات متكررة وملحة عن الصدمة والأحلام المزعجة (الكوابيس) أثناء النوم والسلوك الانسحابي والاستثارة الزائدة وصعوبة التركيز وصعوبات النوم، إن المشكلات النفسية والسلوكية الناتجة عن صدمة الاختطاف تظل قائمة ونشطة التأثير على الصحة النفسية للطفل لأنها بقيت كخبرة والصدمة تعيش مع الطفل والطفل يعيش معها سلوكيات شاذة وغريبة وتشمل بعادات غريبة في الأكل والشرب والنوم والسلوك الاجتماعي واضطراب في النمو الذهني والعجز عن الاستجابة أو للمنبهات المؤلمة كما يظهر لدى هؤلاء الأطفال أعراض انفعالية تتضمن الغضب والإنكار والكبت والخوف ولوم الذات والشك والشعور بالعجز وانخفاض تقدير الذات والشعور بالذنب والبلادة(فاطمة الزهراء جزار، 2014، ص230).

خاتمة:

ظاهرة اختطاف الأطفال من القضايا الهامة بالنظر إلى آثارها السلبية على أمن واستقرار المجتمع فعلى المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التوعية والتوجيه إزاء مخاطرها، كما يتوجب على المشرع الجزائري تكييف وإدخال تعديلات على قانون العقوبات الجزائري من خلال إدخال تعديلات أو إقرار مواد جديدة مشددة في حق كل من تسول له نفسه الاعتداء أو اختطاف فئة الأطفال، مع عدم الحق في الاستفادة من ظروف التخفيف لوضع حد لهذه الظاهرة، كما يتوجب على الإعلاميين ضرورة التوعية والتعريف بمخاطر هذه الظاهرة وأضرارها على الفرد والمجتمع.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد اللطيف الفقي (2003)، وقاية الإنسان من الوقوع ضحية للجريمة، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر.
2. الأمين سوبقات (2018)، الحماية الاجتماعية للطفل في الجزائر بين الواقع والمأمول، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
3. المادة 19 من الأمر رقم 75-64 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة،ج.ر، العدد 81، الصادر في 10أكتوبر 1975.
4. المادة 328، أمر 66-156، المتضمن ق.ع.ج.

5. أحمد بوسقيعة (2010)، الوجيز في القانون الجزائي الخاص، الجرائم ضد الأشخاص والجرائم ضد الأموال وبعض الجرائم الخاصة، الطبعة الحادية عشر، الجزء الأول، الجزائر.
6. المحكمة العليا (2010)، غرفة الجنايات، قرار رقم 609584، مؤرخ في 2010/09/23، قضية النيابة العامة ضد (خ.س)، المجلة القضائية، العدد02.
7. إدريس الفاخوري (2010)، تطبيق مدونة الأسرة في المهجر، د ط، منشورات مختبر البحث في قانون الأسرة والهجرة، وجدة.
8. أنيس حسيب المحلاوي (2011)، نطاق الحماية الجنائية للأطفال، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجنائي، د ط، دار شتات، مصر.
9. أحسن بوسقيعة (2007)، الوجيز في القانون الجزائي الخاص (الجرائم ضد الأشخاص والجرائم ضد الأموال)، ط7، الجزء الأول، دار هومة، الجزائر.
10. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (1994)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت.
11. إبراهيم مصطفى وآخرون (د ت)، المعجم الوسيط، د ط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا.
12. أميرة محمد بكري البحيري (2011)، الاتجار بالبشر وبخاصة الأطفال من وجهة النظر العلمية والنفسية والاجتماعية والقانونية، د ط، دار النهضة العربية، القاهرة.
13. جندى عبد الملك (2010)، الموسوعة الجنائية، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، منشورات الحلبي الحقوقية، مصر.
14. حسينة شرون، فاطمة قفاف (2018)، الدور الحمائي للهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة، حوليات جامعة الجزائر، العدد 32، الجزء الثاني.
15. خالد مصطفى فهمي (2007)، حقوق الطفل ومعاملته الجنائية في ضوء الاتفاقيات الدولية، د ط، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
16. دردوس مكي(2005)، القانون الجنائي الخاص في التشريع الجزائري، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزء 2.
17. طارق سرور (2003)، قانون العقوبات القسم الخاص، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، مصر.
18. طه زاكي صافي (1997)، القواعد الجزائية العامة فقها واجتهادا، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب.
19. عائشة بيه زيتوني(د.س)، انحراف الأحداث في الجزائر (التدابير التربوية والعلاج) دراسة ميدانية بالمركز المتخصص لإعادة التربية بالحجار، عنابة.
20. عبد المطلب عبد الرزاق حمدان (2005)، الحقوق المتعلقة بالطفل في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، مصر.
21. محمد رشيد رضا(1947)، تفسير المنار، ط2، دار المنار، القاهرة.
22. فوزية عبد الستار (1975)، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية.

23. فاطمة الزهراء جزار (2014)، جريمة اختطاف الأشخاص، رسالة ماجستير في العلوم القانونية تخصص في علم الإجرام والعقاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

24. فريدة مرزوقي (2011)، جريمة اختطاف قاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة يوسف بن خدة الجزائر 1، كلية الحقوق بن عكنون، الجزائر.

25. فخري عبد الرزاق الحديثي، خالد حميدي الزعبي (2009)، الموسوعة الجنائية، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، الجرائم الواقعة على الأشخاص، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الأردن.

26. قانون الإجراءات الجزائرية حسب آخر تعديل له الأمر رقم 11/02.

27. كينات فاطمة (2014)، جريمة اختطاف الأشخاص، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الليسانس، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

28. محمد أحمد المشهداني (2001)، شرح قانون العقوبات القسم الخاص في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، الدار العلمية، الأردن.

29. محمد علي سكيكر (2008)، العلوم المؤثرة في الجريمة والمجرم، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، مصر.

30. محمد قسيمة(2018)، وضع الطفل في حالة خطر وآليات حمايته حسب القانون الجزائري لحماية الطفل 15-12، مجلة التراث، العدد 29، المجلد الأول، الجزء الأول.

31. نبيل صقر وصابر جميلة (2008)، الأحداث في التشريع الجزائري، د ط، دار الهدى، عين مليلة.

32. نسرين عبد الحميد نبيه (2008)، السلوك الإجرامي، الطبعة الأولى، دار الجامعة الجديدة، مصر.

33. http://www.droit-dz.com/forum/showthread.p

34. http://ahmadbarak.com/category/studydetails/1059

35. http://www.policemc.gov.bh

تكييف استمارة الكشف عن المخططات المعرفية ل « J. Young »

Adaptation of the questionnaire of the cognitive schema of Young (YSQ-L3)

د.ديب زهيرة، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر-

Dib Zahera PHD department of psychology university of Sidi Belabess –Algeria-

الملخص: تهدف الدراسة الحالية إلى تكييف استمارة الكشف عن المخططات المعرفية، الذي صمم من طرف "J. Young » سنة 1998 (الطريقة القصيرة). هي أداة تتكون من 75 بند، مقسم إلى 15 مخطط معرفي مبكر سلبي غير مكيف، ومن اجل حساب الخصائص السيكومترية عن طريق حساب الصدق عن طريق التحليل العاملي والثبات عن طريق « Cranbach Alpha » على عينة متكونة من 68 فرد من كلا الجنسين تتراوح اعمارهم ما بين 13-30 سنة وذلك من خلال المقابلة النصف موجهة.

الكلمات المفتاحية: المخططات المعرفية، الصدق، الثبات.

Abstract: This study has to be able to adapt the questionnaire of the cognitive schemas established by Jeffrey Young, in 1998 (shorts form) is an instrument which contains 75 items, gathering 15 cognitive diagrams early negative misfits. To be able to adapt it one studied his validity has through the factorial analysis and reliability has through "Cranbach Alpha" on a sample of 68 people between 13 years and 30 years belonging to the two sexes has through maintenance semi-directing.

Key words: cognitive schemas, validity, reliability.

مقدمة:

الصحة النفسية هي تلك القدرة على التكيف مع البيئة، ومع ما يحيط بنا وهي مرتبطة أساسا بالاتزان النفسي والتوافق الاجتماعي، مع الشعور بالأمن والاستقرار وبالتأكيد امتلاكه البناء السوي للخصائص الشخصية والثقة بالنفس وتقدير الذات مرتفع خلال المواقف الحياتية التي يتعرض إليها الفرد التي يسعى إلى تأويلها وتفسيرها انطلاقا من نمط تفكير معين نشا من تجارب وخبرات سابقة والتي تتمثل في المخطط المعرفي.

مع قدوم الفيلسوف « E. Kant » الذي رأى أن هناك أنواع في تفكير الإنسان، حيث وضع أوّل نموذج سيكولوجي لمعالجة المعلومات التي يستقبلها الإنسان من عالمه الخارجي.

من هنا يمكننا التمييز بين صنفين، من خلالهما يمكننا تصور المخططات حسب (Jeffry Young، 2005، ص16).

مخططات تنتمي إلى بنية الجهاز العصبي:

استعمل مصطلح المخطط من طرف أطباء الأعصاب وذلك من أجل تعيين المراكز العصبية الخاصة بالهوية، ويعود الفضل لـ Head الذي أعطى مصطلح المخطط الجسمي Schéma corporel سنة 1918، ومركزه الفص الجداري الذي يعكس استقرار صورة الجسم والتصورات الخاصة بكل فرد خلال قيامه بنشاط معين، بغد ذلك جاء Barllet سنة 1932 الذي يرى أن المخططات المعرفية لها علاقة بذاكرة المعاني والتي تضم وتحفظ: المعاني والمصطلحات ومخطط النشاطات والأحداث...إلخ)
المخططات التي تمثل النظام الأساسي للحياة النفسية المرتبطة بالاعتقادات الراسخة من خلال التجارب المعاشة: بعد انفصال ""Alfred Adler" عن "Freud" أصبح يعتبر أول معالج نفسي فسر وشرح المخططات المعرفية، حيث تكلم عن "مخطط الإدراك"" Schéma du perception" وذلك من أجل تفسير النظرة الخاصة بكل فرد عن العالم الآخرين ونظرته إلى نفسه، وبعد ذلك جاء "Piaget" الذي دقّق وفسّر في مصطلح المخططات المعرفية ووضع تحديد المراحل الخاصة بالنمو المعرفي للطفل بعد تأثر "Beck" بأفكار "Piaget" ويعتبر "Beck" أوّل من استعمل مصطلح العلاج النفسي المعرفي في الخمسينيات لكنه سرعان ما تخلى عن مصطلح constructs لإبداله بمصطلح المخططات النابع من علم النفس الوراثي لـ " "Piaget ""psychologie génétique".

تعريف المخطط المعرفي:

لغويا: خطّط، يخطّط: هو برنامج أو نظام يسير عليه الفرد أو مؤسسة ما.

اصطلاحا: حسب Beck: المخطط هو عملية عقلية لمعالجة المعلومات التي تأخذ شكل حوار داخلي دائم. (Quentin Debrey, 2003, P25)

حسب "Piaget": إن المخطط برنامج معرفي مجرّد يستعمله الفرد كدليل لشرح تفسير المعلومات الآتية من المحيط الخارجي لإيجاد الحلول المناسبة.

حسب Young: الذي يعرفه على أنه نموذج معرفي وانفعالي يظهر مبكرا خلال مراحل النمو ويتكرّر خلال الحياة كلها.(Jeffrey Young, 2005, P34)

المستويات المعرفية (Quentin Debrey, 2003, P23): للفرد مستويات معرفية أساسية تتمثل فيما يلي:

أ.الأفكار الإرادية: وهي الأفكار التي يفكّر فيها الفرد شعوريا حيث يتميز بالوضوح، كما يمكن التعرف عليها من خلال الحديث مع الفرد أو الاستماع إليه.
ب.الأفكار الآلية: وهي عبارة عن أحداث معرفية متكررة تقع في "ما قبل الشعور arriére plan du champ de la conscience. وتكتشف هذه الأفكار من خلال التداعي الحر، كما تظهر بصفة للإرادية وسريعة نتيجة لظروف أو موقف قد يثيرها أو ينشطها وهي غالبا ما تترافق مع انفعالات شديدة.
ج.الأفكار غير الوظيفية: تتواجد على مستوى معرفي الوسيطي بين المخططات المعرفية والأفكار الآلية، وهي عبارة عن إحكتام شرطية تتخذ الشكل: إذا أنا.....فإني ....، وهي تتعلق عادة بتقدير الذات والعاطفة أو الحب وتقبل الآخر، وهي بمثابة الطريق الذي يؤدي إلى المخططات المعرفية.
د.المخططات المعرفية: وتتكون نتيجة وحدة الأفكار الآلية والأفكار غير الوظيفية، وهي تنشط من خلال التجارب الانفعالي على شكل صدى يسمعه الفرد باستمرار وتعتبر المخططات كمصطلحات مفتاحية لتحقيق نجاح العلاج النفسي المعرفي... إذ تقوم بتنظيم التجارب التي يمرّ بها الفرد فتصبح بنيات معرفية تملي على هذا الأخير سلوكاته.

وتعدّ المخططات المعرفية المنظم الأساسي لنظرة الفرد النفسية، كان يصف نفسه بأنه غبي...، قبيح...، فريد....، الأفضل.

أو توقع نظرة الآخرين له، على أنهم سوف يعجبون بي....، سيحبونني...، سيكرهونني،...، سيستغلونني،....، الأنا كما يدركه الآخرون.

أو نظرته للعالم الخارجي التي تتشكل على النحو التالي:

هذا قانون الغاب....، عالم رديء سيكون دائما على هذا الحال

من ميزة المخططات أنها خاصة بكل فرد، حيث تخزن على مستوى الذاكرة طويلة المدى، أين تصنف وترتب ما يسمح ذلك بتأويل المثيرات الخارجية بطريقة آلية لا شعورية، فالمخطط بذلك يعتبر كمرجع يرجع إليه الفرد لتفسير وتأويل المواقف الحياتية التي قد يتعرض إليها.

أصل المخططات المعرفية:

أ.**الحاجات العاطفية الأساسية**: تتشكل المخططات نتيجة الحاجات العاطفية الأساسية غير المشبعة خلال مراحل نمو الطفل وأهمّها:
-الحاجة للأمن عند التعلق بالآخر والتي تضم استقرار العلاقة، والأمن، وتعلم الاستماع للآخر، وقبول الآخر كيفما كان.
-الاستقلالية والقدرة من جهة والشعور وبهوية خاصة ومنفصلة عن الآخر من جهة أخرى.
-الحرية في التعبير عن الحاجات الخاصة بكل فرد ومشاعره.
-العفوية، والتكيف والتوافق.
- معرفة الحدود والقدرة على ضبط الذات.

وبالتالي فالشخص العادي هو الشخص الذي حقق ذلك الإشباع العاطفي أثناء مراحل نموّه، تسمح له بتكوين مخطط يساعده على عملية التكيف، عكس الشخص الذي لم يحقق إشباع العاطفي المطلوب الذي يرجع من مستوى الإحباط والقلق لديه، وبالتالي يسمح له ذلك بتكوين مخطط معرفي يعرقل عملية التكيف لديه.

ب. **دور التجارب المبكرة في الحياة**: إن التجارب القاسية التي يعيشها الفرد هي سبب تكوين المخططات المعرفية التي لا تسمح بعملية التكيف، فالمخططات التي تتكون مبكرا بسبب الصراعات والأزمات العائلية يصعب تغييرها، وغليه كلّما تأخر تكوين المخطط كلّما كان تأثيره أقل على الفرد، حيث يعتبر مخطط العزلة الاجتماعية أحد المخططات التي يتكوّن خلال مرحلة متأخرة من الطفولة وقد يستمر حتى فترة المراهقة، هناك أربع أنواع من التجارب قد يعيشها الطفل في مرحلة مبكرة من حياته التي تساهم في تشكيل المخطط الذي يسمح بالتكيف أو لا يسمح به وهي :
-الإحباط وعدم تلبية الحاجات: وتشمل ذلك الحرمان العاطفي الذي يعيشه الطفل خلال مراحل المبكرة والذي يؤثر سلبا على استقراره وفهمه، وعاطفته مستقبلا.
-الصدمة أو الضحية: في هذه الحالة يكون الطفل ضحية لسوء معاملة أحد الوالدين أو كلاهما فيعيش الطفل تحت وقع صدمة الرفض والإساءة.
-الرعاية المفرطة: عندما يعيش الطفل في كنف رعاية مفرطة تلبي له كل حاجاته ورغباته ويؤدي به ذلك إلى التواكل وعدم القدرة على تحقيق الاستقلالية وصعوبة إدراك مسؤولياته.
-التداخل أو التماهي الانتقائي لشخصيات مهمة: هنا يقوم الطفل بالتماهي لأحد الوالدين الذي يكون لديه تأثير على العائلة ويستطيع التحكم والسيطرة عليها وذلك من أجل القدرةعلى التكيف وسط العائلة مهما كان نمطها.

دور الطبع الانفعالي: هناك عوامل أخرى غير المحيط تستطيع أن تأثر في الطفل من خلال أحداث مبكرة وفقا لأبحاث كل من Inedman Reznik سنة 1988 حسب (Jeffry Young, 2005, P40) الذين يرون أن "الطفل طبعه فطري خاص به، قابل للملاحظة، ومن مميزاته أنه ثابت وخاص ويصف Jeffrey Young الطبع على أنه يشمل مجموعة من المواقف الحرجة التي تتداخل مع البعد الانفعالي، والتي تساهم في تكوين المخطط وهي:

أ- طبع الوالدين عكس طبع الطفل خلال مرحلة الطفولة.

ب- اختلاف اتجاه ظرف معين

جـ- محيط سيء أو ملائم يتحكم في الطبع الانفعالي للطفل.

د- طبع انفعالي يمكنه التحكم في المحيط العائلي للطفل.

ميادين المخططات المعرفية(Jeffry Young, 2005 :41) : إن المخططات المعرفية تمسّ مجموعة من الميادين والمتمثلة في:

1.**ميدان الانفصال والرفض Domaine séparation et rejet:** إن الأشخاص الذين يكونون هذا النوع من المخططات في هذا الميدان هم أشخاص غير قادرين على إقامة علاقات سليمة مع الآخرين ، فهم يظنون أن حاجاتهم العاطفية المتمثلة في: الاستقرار، الحماية، الاهتمام والحب لا يمكن للآخرين إشباعها وبالتالي إرضاؤهم.

ومن أهم المخططات التي تنتمي إلى هذا الميدان نجد:

أ- مخطط التخلي/ اللااستقرار :schéma d'abandon/stabilité هنا يدرك الفرد بأنه غير مستقر في علاقاته مع الآخرين غير موثوق بها، ويقتنع الفرد، أن الآخرين يدعمه ولن يعطيه الحماية والرعاية.

ب.مخطط الحرمان العاطفي :shéma de manque Affectif في هذا المخطط يرعى الفرد أن الآخرين لم يشبعوا حاجاته العاطفية وعدم الاهتمام به وعدم منحه الحنان والرعاية، وعدم وجود أشخاص يساندونه أو ينصحونه.
ج.مخطط الحذر/ الاستغلال schéma de méfiance/ abus ينتظر الفرد من الآخر سوء المعاملة الاستهزاء، الكذب النفاق و الاستغلال في هذه الحالة يتقنع الفرد إن كل إساءة قد تصدر من طرف الآخر هي مقصودة ومتعمدة.

د.المخطط عدم الكمال/ العارSchéma d'imperfection/honte يرى الفرد نفسه أنه شخص غير كفئ سيء، وغير قادر وبالتالي إذا ما أدرك أو اكتشف الآخرين ذلك فإنهم سيتخلوا عنه كما

أن الشخص الذي يكوّن هذا المخطط لديه حساسية زائدة نحو الانتقادات ورفضه التوبيخ والتأنيب الذي قد يوجه له.

ه. مخطط العزلة الاجتماعية :Shéma d'isolement social هنا يشعر الفرد بالعزلة وأنه لا ينتمي للعالم الخارجي كما يرى نفسه مختلف عن الآخرين .

2.**ميدان انعدام الاستقلالية وضعف الاستعدادات Domaine II : manque d'autonomie et performance:** إن الاستقلالية هي تلك القدرة على الانفصال عن العائلة والعمل كشخص مستقل عن الآخرين أما الشخص الذي يكوّن مخطط من هذا الميدان ليست لديه القدرة على الانفصال والعمل كشخص مستقل، فهو يرى أنه ينتمي دائما إلى والديه وبالتالي ليست لديه القدرة على تكوين هوية خاصة به والعيش كشخص مستقل ومتفرّد بذاته.

أ.التبعية/عدم الكفاءة : Schéma de dépendance/ Incompétance هؤلاء الأشخاص يظنون أنفسهم غير قادرين على تحمل المسؤوليات اليومية بدون اللجوء لمساعدة الآخر.

ب.الخوف من الأخطار أو الأمراض :Peur du danger ou de la maladie يعيش هؤلاء النوع من الأشخاص حالة خوف مبالغ فيها اتجاه الكوارث التي قد تحدث في أي وقت ومن أهم المخاوف نجد :

- على المستوى الصحي: مرض السيدا، سرطان، أزمة قلبية
- على المستوى الانفعالي: مرض عقلي، فقدان الحكم الصائب
- الكوارث الطبيعية: الخوف من المصعد، الجرائم، الطائرات، الزلازل، الفياضانات.

جـ. اللاتمايز/ ضمور الشخصيةFusionnement/Personnalité Atrophié

ونعني بهذا المخطط التعلق الانفعالي الزائدة اتجاه شخص أو عدّة وخاصة التعلّق بالوالدين فهو يرى أنه لا يمكنه العيش بسعادة دون أن يكون الآخر إلى جانبه.

د.الفشل :Echec ويعني هذا المخطط أن الشخص لديه الاعتقاد التام أنه فاشل وغير قادر على النجاح في أي حال من مجالات الحياة.

3.**ميدان انعدام الحدود Domaine III : manque de limites** إن الأشخاص الذين يكونون مخططا من هذا الميدان لم يدركوا الحدود اللازمة لكل موقف أو سلوكات ما حيث يفتقدون للضبط الذاتي كما يلاحظ لديهم انعدام المسؤولية وعدم قدرتهم على وضع أهداف من أجل تحقيقها مستقبلاً. كما نجد لديهم صعوبة في الوفاء بوعودهم واحترام خصوصيات وحقوق الآخرين ومن أهم مميزات الأشخاص الذين يكونون هذا المخطط نجد: الأنانية، حب التملّك، السيطرة، عدم القدرة على تحمل المسؤولية والنرجسية الزائدة.

أ.الافراط في الاهتمام بالحقوق الشخصية / العظمة /Droits personnels Exagérés Grandeur: في هذا المخطط يرى الفرد نفسه أفضل وأحسن من غيره وحقوقه وحاجاته تمر قبل حقوقه وحاجات غيره، كما يرى لأنه شخص فريد من نوعه وبالتالي يستطيع الحصول على ما يريده كما أن الأشخاص الذين يكونون هذا المخطط هم أشخاص متسلطين، يتحكمون في الآخرين بسهولة، ويفتقدون للتعاطف الوجداني.

ب. التحكم في الذات/عدم كفاية الضبط الذاتي Contrôle de soi/Autodiscipline insuffisant: الشكل الأساس لهذا المخطط هو عدم قدرة الفرد أو رفضه للتحكم الكافي في نفسه لأنه يرفض الإحباط الذي قد يواجهه خلال الحياة اليومية، في هذه الحالة يرفض الشخص تماما القيام بأعمال معينة حتى لا يتعرض للإحباط وبالتالي تفاديًا للمعاناة والصراعات النفسية.

4.**ميدان التوجه نحو الآخر Domaine Orientation vers les autres** : الأشخاص الذين لديهم مخطط من هذا الميدان يعطون أهمية كبيرة لمصالح وحاجات الآخرين حيث يعتبرونها من الأولويات وتأتي قبل مصالحهم وحاجاتهم الشخصية، وكذلك من أجل أن لا يتخلى الآخرين عنهم أو يقوموا بأعمال انتقامية اتجاههم ومن أجل تجنب المشاكل التي قد تحدث في حال رفض تلبية حاجات أو مساعدة الآخرين .

أ.الخضوع Assujettissement وهذا المخطط يعني الخضوع التام والشديد للآخر، لأنهم يظنون أنهم مجبرون على الخضوع وذلك من أجل تفادي غضبهم، تخليهم له أو ردّات فعلهم الانتقامية وهناك شكلين للخضوع:

- خضوع الحاجات: حيث أنهم يضحّون برغباتهم وأهوائهم من أجل الآخر.

- خضوع الانفعال: يحاولون كبت مشاعرهم وتعبيراتهم الانفعالية اتجاه الآخر، خاصة الغضب.

بالنسبة للشخص الذي لديه هذا المخطط تعتبر حاجاته، ومشاعره، وانفعالاته ليست لها أهمية مقارنة بحاجات ومشاعر الآخرين .

ب.التضحية بالذات :Abnégation الأشخاص الذين لديهم هذا المخطط يحاولون قد المستطاع إشباع حاجات ورغبات الآخرين على حساب رغباتهم وحاجاتهم الشخصية وهدفهم هو تجنيب الآخرين المعاناة، حتى لا يشعروا بالذنب والأنانية كما تعتبر هذه التضحية وسيلة لتحقيق الذات والرفع من قيمتها الشخصية وبالتالي إبقاء العلاقات لا أحسن ما يرام.

ج. ميدان اليقظة المفرطة والكف Domaine sur-vigilance et inhibition : في هذا الميدان يلغي الشخص عامل التلقائية في مشاعره وغرائز، المشكل الأساسي هو التعلم المفرط في ردّات فعله ومشاعره حيث يبدو الشخص صارما في سلوكاته وأفكاره، كما يلغي جميع الجوانب

الإيجابية للحياة كالرغبات والملذات والأصدقاء، والهوايات وغيرها... لدى الفرد الذين يكونون مخطط في هذا الميدان الاعتقاد أنه يمكن لحياته أنه تأخذ مسارًا سيئا إذا لم يكن يقظا وحذرًا.

د.التحكم الرائد فثي الانفعالات Surcontrôle emotionnel لهؤلاء الأشخاص التحكم المفرط والزائد في ردّات فعلهم العفوية المتمثلة في الأفعال والمشاعر والكلمات وهدفهم هو تجنّب فقدان السيطرة على غرائزهم أو فقدان تقدير واحترام الآخرين ومن أهم الميادين نجد. عملية الكف في حالة الغضب أو العدوان.

2- منهجية الدراسة:

أ.تعريف أداة استمارة المخططات المعرفية ل Young: استمارة الكشف عن المخططات المعرفية: حيث تعمل هذه الاستمارة أساسا على الكشف عن المخططات المعرفية من خلال تنشيط بعض الأحداث، التي تعتبر حسب الباحث قاسية والتي حدثت منذ الطفولة أعدّت هذه الاستمارة من طرف "Young " و "Brown " سنة 2001 وبعدّ Youngتلميذًا لـ Beck " الذي واصل أبحاثه حول المخططات المعرفية والنظام المعرفي الخاص بكل فرد، تتكوّن هذه الاستمارة من 75 سؤال مقسم إلى 15 مخطط معرفي وكل مخطط يحتوي على 5 أسئلة، وفي نهاية كل مخطط هناك رمز يتكوّن من حرفين حتى يستطيع الفاحص على التعرّف على المخططات بدون ذكرها، حتى لا يكون هناك تأثير على المفحوص. والمخططات هي:

-الحرمان العاطفي رمزها* ED الهجر/ الاستقرار* Ab الاستغلال/ الحذرMA

-الانعزال الاجتماعي* SI عدم الكمال/ العار* DS الفشلFA

-التبعية /عدم الخبرة* DI الخوف من الأخطار أو الأمراض* VH الخضوعSB

-اللاتمايز/ ضمور الشخصية* EM التحكم الزائد في الانفعالات- EI التضحية بالذاتSS

-آراء ملحة /الإفراط في النقد* us التحكم في الذات الضبط الذاتي* IS العظمة/ للإفراط في الحقوق الشخصيةET

تطبق هذه الاستمارة فرديا، أما بالنسبة لسلم التنقيط فهو مرقم من 1 إلى 6 حيث يجيب المفحوص حسب ما يشعر به وليس كما يفكّر فيه، لأن الانفعالات قادرة على تنشيط المخطط.

الجدول رقم **1** هو سلّم التنقيط الخاص باستمارة المخططات المعرفية

	سلم التنقيط
1	لا تنطبق علي تماما
2	نادرًا ما تبطبق علي
3	قليلاً ما تنطبق علي
4	تنطبق علي شكل متوسط
5	تنطبق علي في أغلب الأوقات
6	تنطبق هذه العبارة علي تماما

حيث يقوم المفحوص بوضع الرقم الذي يناسبه ويصفه تماما، ثم نقوم بجمع النقاط الخاصة بكل مخطط أعلى درجة هي 30 درجة فإذا تحصل المفحوص على العلامة من 25 إلى 30 درجة هنا يتحصل على المخطط الذي يعكس شخصيته.

صدق المقياس: اعتمدت الباحثة في دراسة صدق المقياس على ما يلي:

الصدق الظاهري: (صدق المحكمين) وذلك يعرضه على مجموعة من المتخصصين في قسم علم النفس بجامعة- تلمسان- ووجدنا أن المقياس يتمتع بدرجة مناسبة من الصدق الظاهري حيث يتميّز بدرجة مناسبة من الصدق الظاهري حيث يتميّز بوضوح العبارات وقصرها، سهولتها، ويتناسب مع مدى عمري واسع، كما يتميز بسهولة تصحيحه وحساب درجاته.

ال**صدق العاملي**: بعد ذلك تم إجراء التحليل العاملي لدرجات أفراد قاموا بمحاولات انتحارية باستخدام البرنامج الفرعي، وهو أحد برامج حزمة الحاسوب الإحصائية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

((SPSSالنسخة رقم 13.

أسفر التحليل العاملي لدرجات عينة تتكوّن من 68 شاب قام بمحاولة انتحار بطريقة المكونات الأساسية وبدون تدوير المحاور بطريقة فارماكس" Varimax" وكايزر Kaiser في التركيز فقط على الدرجات يحصل عليها الأشخاص الذين حاولوا الانتحار في المخططات المعرفية أعلنت النتائج وجود أربع عوامل أساسية تتوزع الأبعاد فيهما طبقا لدرجة تشبعها.

والعوامل الأربع هي كالآتي نفسها التي حددّها."Young "

1-الإنفصال والرفض.

2-نقص الإسقلالية والخبرة.

3 -نقص الحدود.

4-التوجه نحو الآخر

نتائج الدراسة:

بعد تطبيق الاستمارة، وتفريغ النتائج تحصلنا على ما يلي:

الجدول رقم 2: يبين مصفوفة العوامل بدون تدوير المحاور بطريقة كل من Kaiser و Varimax

المخططات	تشبعات العوامل بدون تدوين			
	الأول	الثاني	الثالث	الرابع
IS	0.661			
ED			0.506	0.354
AB			0.465	-0.803
MA		0.439	0.496	0.500
SI	0.704			
DS	0.328	-0.637	-0.348	
FA	0.799	-0.372		
DI	0.734			
VH	0.685			
EM	0.686	0.319		
SB	0.847			
SS	0.337	0.518	0.541	
EI	0.621			
US	0.539	0.557		
ET	0.673			

التعليق على الجدول: من خلال الجدول رقم**2** نلاحظ ما يلي: العامل الأول المتمثل في الإنفصال والرفض الذي يتشبع إيجابيا مع كل من التبعية عدم الخبرة (DI)، التحكم في الذات الضبط الذاتي (IS)، الانعزال الاجتماعي (SI) والفشل (FA)، الخضوع (SB)، التحكم الزائد في الانفعالات (EI) و العظمة والإفراط في الحقوق الشخصية (ET)، التحكم في الذات والضبط الذاتي (IS)، أما بالنسبة العامل الثاني المتمثل في نقص الاستقلالية والخبرة يتشبع إيجابيا مع كل من اللاتمايز وضمور الشخصية (SB)، التضحية بالذات (SS)، آراء ملحة والإفراط في النقد (US)، التحكم في الذات والضبط الذاتي (IS)، أما بالنسبة للعامل الثالث المتمثل في نقص الهدوء يشبع إيجابيا مع كل من الحرمان العاطفي)،الاستغلال والحذر (MA)، آراء ملحة والإفراط في النقد (US) بينما يتشبع سلبيا مع عدم الكمال والعار (DS)، أما بالنسبة العامل الرابع المتمثل في التوجه نحو الآخر يتشبع إيجابيا مع كل من الهجر واللااستقرار (AB) و آراء ملحة والإفراط في النقد (US)، بينما يتشبع سلبا مع التضحية بالذات (SS).

الجدول رقم 3 يسبب مصفوفة العوامل بعد تدوير المحاور بطريقة كل من Kairer و Vaumax

المخططات	تشبعات العوامل بعد تدوير المحاور			
	الأوّل	الثاني	الثالث	الرابع
ED	0.356		0.522	
AB				0.935
MA			0.834	
SI	0.690			
DS	0.580		-0.458	
FA	0.876			
DI	0.767			
VH	0.630			
EM	0.370	0.676		
SB	0.714	0.466		
SS		0.763		-0.333
EI	0.579			
US		0.625	0.365	0.330
ET	0.472	0.551		
IS	0.417	0.580		

التعليق على الجدول: من خلال الجدول رقم 3 نلاحظ ما يلي: العامل الأوّل المتمثل في الانفصال والرفض الذي يتشبع إيجابيا مع كل من الحرمان العاطفي)، الانعزال الاجتماعي(SI) ، عدم الكمال والعار (ds) الفشل(FA) التبعية وعدم الخبرة(DI) الخوف من الأخطار أو الأمراض (VH)اللاّتمايز وظهور الشخصية(EM) الخضوعSB) التحكم الزائد في الانفعالات.(EI)

أما بالنسبة بالعامل الثاني يتمثل في نقص الإستقلالية والخبرة يتشبع إيجابيا مع كل من الاستغلال والحذر (MA) اللاتمايز وظهور الشخصية(EM) التضحية بالذات (SS) الآراء الملحة والإفراط في النقد (US) بينما تتشبع سلبيا مع عدم الكمال العار (DS) الفشل .(FA) أما بالنسبة للعامل الثالث المتمثل في نقص الحدود يتشبع إيجابيا مع كل من الحرمان العاطفي (ED) والهجرا الإستقرار(AB) الإستغلال والحذر (MA) و التضحية بالذات (SS) بينما يتشبع سلبيا مع عدم الكمال العار (DS) أما بالنسبة للعامل الرابع المتمثل في التوجه نحو الآخر يتشبع إيجابيا مع الإستغلال والحذر (MA) والحرمان العاطفي (ED) بينما يتشبع سلبيا مع الهجر والإستقرار (AB).

ثبات المقياس: من أجل دراسة الثبات قمنا بتطبيق الإختبار على من فرد راشدين عاديين ثم قمنا بتفريغ النتائج بمساعدة نظام (SPSS) حيث استخدمنا طريقة " Crambakh" لأن نظام

التصحيح المتعدّد، الدلالة على مدى التجانس الداخلي الفقرات، حيث ثبت أن الإختبار ثابت بدرجة " 0.728" لأن الدرجة المحصل عليها أكثر من 0.6.

الجدول رقم4 لثبات استمارة المخططات المعرفية ل Young"

عدد الفقرات	درجة Crambach α
75	0,728

مناقشة النتائج:

من خلال نتائج الدراسة المحصلة عليها، أسفرت بعد إخضاع الأداة إلى دراسة الصدق من خلال دراسة الصدق الظاهري وصدق المحتوى من خلال التحليل العاملي، و كذا الثبات من خلال استعمال معامل الكرومباخ الفا، وبعد تفريغ النتائج أثبتت هذه الأخيرة ان استمارة "Young" للكشف عن المخططات المعرفية صادقة وثابتة، وذلك من خلال تطبيقها على عينة من الأفراد العاديين وكذا الكشف عن فاعليتها من خلال تطبيقها على مجموعة من الأفراد الذين قاموا بمحاولات الانتحار، وبالتالي فان المخططات المعرفية هي عبارة عن نظام معرفي مجرد يشكل للفرد مجموعة من الاعتقادات التي تملي على الفرد سلوكاته والتي تساعده على حل، فهم، وتفسير مواقف الحياة اليومية، وهذا حسب ما يمليه هذا المخطط وبالتالي هو ما يعكس مدى تكيف الفرد مع بيئته ومحيطه، حسب طبيعة المخطط المعرفي سواءا كان ايجابيا أو سلبيا، وحسب كل من Beck et Young فان المخطط السلبي المبكر يعتبر المخطط المسئول عن مختلف الاضطرابات النفسية والعقلية، والذي يتشكل مبكرا في حياة الفرد من خلال التجارب القاسية التي يعيشها وكذا عدم إشباع الحاجات العاطفية الأساسية، وهذا ما يساعد على تشكيل مخطط سلبي يعيق عملية التكيف، بالتالي ينعكس على الصحة النفسية للفرد والتي تعرف حسب المنظمة العالمية للصحة OMS على أنها مدى قدرة الفرد على التكيف.

إن عملية تكييف وتقنين الادوات السيكومترية في العلوم الاجتماعية، هي عملية معقدة وخاصة إذا تدخل العامل الثقافي، إن هذه الدراسة فتحت المجال للممارسين في مجال الصحة النفسية والعقلية وكذا الباحثين على توفير أداة ذات مصداقية والتي تحترم الخصائص السيكومترية (بعد إعادة حسابها)، وذلك للكشف عن المخططات المعرفية المسئولة عن مختلف الاضطرابات النفسية السائدة في بيئتنا حتى يمكن لهم حصرها، تشخيصها وبالتالي التنبؤ والوقاية.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة، استطعنا إثبات فاعلية استمارة Young " للكشف عن المخططات المعرفية، وذلك من خلال إخضاعها إلى دراسة الخصائص السيكومترية من صدق وثبات

وبالتالي توفير أداة مقننة وذات مصداقية من اجل الممارسين في الميدان، حتى تسهل مهمة الكشف والتشخيص المرتبط بطريقة التفكير والكشف عن النمط والنظام المعرفي المجرد، والذي يعطي فكرة حول طبيعة الفرد، شخصيته وأخيرا الوصول إلى المفاتيح الأساسية لعملية تشخيص الاضطراب وتحديد العلاج المناسب.

قائمة المراجع:

1.Bachelet.Richard(2011), Analyse et traitement de données, Paris.
2.Beaud, M(2005), L’art de la thèse, Casbah Editions, Alger.
3.Bouletreau et Chouanière(1999), Concevoir, Traduire et valider un questionnaire, Institut National de Recherche, Belgique.
4.Chambon.O et Poncet.F, Kiss.L(1988), Adaptation francaise,validation concurente et analyse factorielle de l’échelle de mélancolie de Beck et Rafaelsen, France.
5.Corroyer, Wolff, M(2003), L’analyse statistique des données en psychologie – Concepts et méthodes de base, Armand Colin, Paris.
6.Demeuse (2000), Mesure en psychologie et en éducation, Paris.
7.Debrey (2003), les personnalités pathologiques, 1ere ed, Paris.
8.Fernandez et Aulagnier(1999), Outils psychométriques,Canada.
9.Fortin. F(1994), Propriétés métrologiques des instruments de mesure, Montréal.
10.Henry et Demeuse(2003), Validité et fidélité des mesures, Paris.
11. Jehel (2000), Principe et limites de la psychométrie, Paris.
12.Lavarde Anne-Marie(2008), Guide méthodologique de la recherche en psychologie, de boeck, Bruxelles.
13.Young Jeffrey(2005), Thérapie des schémas, de boeck, Barcelone.

الملاحق: استمارة الكشف عن المخططات المعرفية "ليونغ"

الاسم: الجنس:

المستوى الدراسي: المستوى الاقتصادي:

السن: تاريخ اجراء الاختبار:

- تعليمات الاستمارة:

ان الارقام المدونة ادناه, تدل على التصريح ووصف الشخص لنفسه, لذا يرجى قراءة البنود جيدا والاجابة على كل بند كما تشعر به انفعاليا, وليس كما تفكر به, اختر نقطة من 1 إلى6 التي تناسبك اكثر بوضع الرقم المناسب في الخانة الخاصة "بالنقطة."

	سلم التنقيط
1	لا تنطبق علي تماما
2	نادرا ما تنطبق علي
3	قليلا ما تنطبق علي
4	تنطبق علي بشكل متوسط
5	تنطبق في اغلب الاوقات من حياتي
6	تنطبق علي هذه العبارة تماما

1	في اغلب الأحيان لم أجد شخصا يرعاني ويساندني أو يقلق لما قد يحصل لي	
2	عامة الآخرون لم يكونوا حاضرين من اجلي لمنحي العاطفة والحنان	
3	طوال حياتي لم اشعر أني عزيز بالنسبة لشخص آخر	
4	في اغلب الأحيان لم أجد الشخص الذي يستمع إلي ويفهمني ويهتم لحاجتي ومشاعري	
5	نادرا ما أجد شخصا ينصحني أو يساندني في اختيار الطريقة المناسبة في سير حياتي ED	
6	أتعلق بالأشخاص الذين اعرفهم خوفا من أن يتخلوا عني	
7	احتاج للآخرين بقدر ما أخاف من أن يتركوني	
8	أخاف من أن يتركني الأشخاص الذين أحبهم أو أن يتخلوا عني	
9	اشعر باليأس عندما أفكر في فقدان شخص عزيز علي	
10	أحيانا اشعر بالقلق خوفا من أن يهجرني الآخرين AB	
11	اشعر بان الآخرين يستغلونني	
12	ينتابني الشعور بان أكون على استعداد لمواجهة اي مكروه من طرف الآخرين	
13	الخيانة ما هي إلا مسالة وقت	
14	اشك كثيرا في نوايا الآخرين	
15	عادة ما استشعر النوايا السيئة للآخرين MA	
16	انا اختلف عن الآخرين	

17	أجد صعوبة في التكيف بحكم أني اختلف عن الآخرين	
18	اشعر باني شخص وحيد	
19	اشعر أني غريب عن الآخرين	
20	اشعر أني خارج الجماعات SI	
21	لا يوجد شخص يستطيع أن يحبني إذا ما اكتشف نقائصي	
22	لا احد يرغب في البقاء معي إذا ما اكتشف حقيقتي	
23	أنا لا استحق حب اهتمام واحترام الآخرين	
24	اشعر باني شخص غير محبوب	
25	لا داعي لان يتعرف على الآخرين لكوني مرفوض أصلا DS	
26	إن الأعمال التي أقوم بها لا تساوي شيئا أعمال الآخرين	
27	ليست لي القدرة للقيام بانجازات معينة	
28	أغلبية الأشخاص ناجحين في أعمالهم وحياتهم مقارنة بي	
29	لا املك الموهبة التي يملكها الآخرين عندما ينجزون أعمالهم	
30	لست شخصا ذكيا كالآخرين إذا ما تعلق الأمر بالعمل والدراسة FA	
31	لا اشعر بالقدرة على حل مشاكل الحياة اليومية	
32	تشكل لي مشاكل الحياة اليومية عبء ثقيلا	
33	اشعر بأنني افتقر إلى الحكمة	
34	افتقر إلى التحكيم السليم لمختلف المواقف الحياتية	
35	اشك في قدرتي على حل المشاكل اليومية التي قد تواجهني DI	
36	أتوقع دائما أن شيئا خطيرا قد يحصل	
37	لدي الشعور بأنه قد تقع كارثة طبيعية مالية جريمة او مرض في اي وقت	
38	أخشى من أن أتعرض للهجوم	
39	أخشى من فقدان كل ما املك وبالتالي العيش في البؤس	
40	أخشى من أن يتطور لدي مرض خطير حتى وان لم يشخص الطبيب ذلك VH	
41	أنا لا استطيع الانفصال عن والدي كما يقوم به أقراني	
42	اعتبر نفسي مشكلا من بين المشاكل التي يعاني منها والدي	
43	لا أتصور وأمي نستطيع كتمان الأسرار عن بعضنا بدون الشعور بالذنب أو الخيانة	
44	غالبا ما اشعر بان أمي تعيش من خلالي حيث انه ليست لي حياة خاصة بي	
45	غالبا ما اشعر انه ليست لدي هوية منفصلة عن والدي او شريكي	
46	أظن انه إذا قمت بما أريد فان ذلك سيجلب لي المزيد من المشاكل	
47	اشعر بأنه لدي الخيار إلا الخضوع لرغبات الآخرين تفاديا لردات فعلهم الانتقامية أو لهجرهم لي	
48	غالبا ما اترك الآخرين يتحكمون بمصيري	
49	عادة ما اترك الآخرين يفكرون مكاني وعليه اجهل ما هو أفضل لي	
50	أجد صعوبة عندما احتج على حقوقي حيث لا يضع الآخرون وزنا لمشاعري SB	
51	عادة ما اعتني بالأشخاص المقربين مني	
52	أنا شخص صالح لأني اهتم بالآخرين أكثر من اهتمامي بنفسي	
53	إن اهتمامي بالآخرين لا يترك لي وقتا لاهتم بنفسي	
54	لقد كنت دائما الشخص الذي يستمع لمشاكل الآخرين	

55	يرى الآخرون أني اهتم بالآخرين أكثر من اهتمامي بنفسي SS	
56	لدي الوعي الكافي لإظهار المشاعر الايجابية اتجاه الآخرين	
57	اشعر بالانزعاج عندما أتحدث عن مشاعري للآخرين	
58	يصعب علي أن أكون عطوفا وعفويا	
59	لدي القدرة على التحكم انفعاليا لدرجة أن الآخر يصفني باني خال من الانفعالات	
60	يرى الآخرون أني شخص يفتقر للانفعالات EI	
61	يجب أن أكون الأفضل في كل ما أقوم به حيث انه لا يمكنني القبول بأقل من ذلك	
62	أقوم دائما بما هو أفضل ولا أرضى بأقل من ذلك	
63	يجب علي القيام بجميع مسؤولياتي	
64	أظن انه لدي ضغط مستمر للقيام بالأعمال على أفضل ما يرام	
65	لا اسمح لنفسي بالانصراف بدون تقديم اعتذاري على أخطائي للآخرين US	
66	لدي صعوبة في تقبل الرفض كإجابة إذا ما أردت شيئا من شخص ما	
67	ترفض شخصيتي الفريدة من نوعها قبول القيود التي يفرضها على الآخر	
68	اكره أن يعارضني شخص ما أو يمنعني من القيام بشيء أريده	
69	أظن انه ليس علي إتباع القوانين واحترام اتفاقاتي مع الآخرين	
70	اشعر أن ما أهبه للآخرين يفوق قيمة ما اجنيه منهم ET	
71	لا استطيع تنظيم وقتي للقيام بأعمال روتينية مملة	
72	اشعر بالإحباط إذا لم استطع الوصول إلى هدف معين	
73	أحيانا أضحي بالأهداف قريبة المدى للحصول على أهداف بعيدة المدى	
74	لا استطيع إرغام نفسي لأقوم بأعمال غير مرغوب بها بالرغم من أنها لمصلحتي	
75	نادرا ما أفي بوعودي IS	

أثر برنامج تعليمي للتربية البدنية والرياضية في تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ الطور الثانوي

The impact of an educational program for physical education and sports in the development of emotional intelligence of secondary stage students

أ.بوخالفة حمزة: جامعة باجي مختار -عنابة، الجزائر

أ.بن الشيخ يوسف: جامعة باجي مختار -عنابة، الجزائر

Boukhalfa Hamza: Department of Physical Education - Faculty of Arts and Humanities and Social Sciences - Baji Mokhtar University - Annaba – Algeria

Ben Shikh Youcef: Department of Physical Education - Faculty of Arts and Humanities and Social Sciences - Baji Mokhtar University - Annaba – Algeria

الملخص: يهدف البحث الحالي إلى التعرف على اثر برنامج مقترح في تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية و التعرف على الفروق بين الجنسين في تنمية الذكاء الوجداني، استخدم الباحث المنهج التجريبي بأسلوب المجموعتان المتكافئتان (الضابطة والتجريبية) و اشتملت عينة البحث على 64 تلميذ وتلميذة، بواقع (40) تلميذ و(24) تلميذة، قام الباحث بإجراء الاختبار القبلي باستخدام مقياس الذكاء الوجداني، بعدها تم تطبيق البرنامج الذي يتكون من (18) وحدة، بعد إكمال تطبيق البرنامج، قام الباحث بإجراء الاختبارات البعدية حيث كان للبرنامج المطبق تأثير ايجابي في تنمية الذكاء الوجداني لدى عينة الدراسة كما ان للبرنامج التعليمي التأثير نفسه في تنمية الذكاء على الجنسين، وقد أوصى الباحث بضرورة اعتماد البرنامج في تنمية الذكاء الوجداني والتركيز على دور حصة التربية البدنية و الرياضية في الرقي بالنفس الانسانية من خلال أوجه النشاط الممارس.

الكلمات المفتاحية: الذكاء، الوجدان، المراهقة، حصة التربية البدنية، البرنامج.

Abstract: This research aims to identify the impact of the physical education and sports program on the development of emotional intelligence in secondary school students and identify gender differences in the development of emotional intelligence, the researcher has used the experimental method consisting of two equal groups (control and experimental) and a research sample of 64 students after (40 students and (24) students, the researcher conducted a preliminary test using the emotional intelligence scale, and the program consists of (18) units were

applied where the results of the study proved that the program has a positive role in improving intelligence, and recommended the researcher to adopt the program in the development of emotional intelligence and focus on The role of the Physical and sports education in human self-progress through aspects of the practitioner's activity through it.

Keywords: intelligence, Emotional, adolescence, physical education, program.

1- مقدمة :

إن التربية في أبسط مفهوم لها تعني عملية التوافق والتكيف فالتربية حسب هذا المفهوم عبارة عن عملية تفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وذلك بغرض التوافق أو التكيف بين الإنسان والقيم والاتجاهات التي تفرضها البيئة، تبعا لدرجة التطور المادي والروحي فيها، فالتربية تهدف إلى مساعدة الشخصية الإنسانية على أن تنمو نموا (انفعاليا، اجتماعيا، عقليا..الخ) سليما يحررها من الحقد والكراهية.(محمد عوض بسيوني، 1992، ص09)

والرياضية إحدى فروع التربية الأساسية التي تستمد نظرياتها من العلوم المختلفة وتستخدم عن طريق النشاط البدني المختار الموجه والمنظم لإعداد الأفراد إعدادا متكاملا مع ما يتلاءم مع حاجات المجتمع.

ويرى بشير غانديان "التربية البدنية والرياضية عملية تتم عند ممارسة أوجه النشاط الرياضي التي تنمي وتصون الجسم"

فهي تلعب دورا هاما جدا في تحقيق هذه الأغراض، كما تعمل على تطبيع الفرد على الرياضة فينشأ متفهما، متبنيا اتجاهات ايجابية نحوها، مكتسبا قدرا ملائما من المهارات الحركية التي تكفل له ممارسة رياضية أو ترويحية مفيدة وممتعة من خلال حياته، مما يساعده على بناء وتكامل التربية العامة التي تهدف إلى بناء وإعداد المواطن الذي يتطلع إليه مجتمعنا المسلم(أمين أنور الخولي، 1996، ص19- 20)

ان قضية إعداد البرامج إحدى القضايا التي تشغل المهتمين بشؤون التربية والتعليم حيث لم يعد التعليم مجرد توصيل العلم إلى المتعلم كما يظن بعض الناس ولكن تعدت وظيفت التعليم هذه الدائرة المحددة إلى دائرة التربية، والتعليم بمعناه المحدود جزء من التربية التي يقوم بين الفرد وعالمه (عالم الطبيعة، عالم المجتمع، عالم الأخلاق) وموقف المدرس بين المتعلم وعوالمه والتفاعل المستمر بين الفرد وبين هذه العوالم، فالمدرس يعين ويشرف ويوجه ويرشد حتى يوجه هذا التفاعل نحو الهدف المنشود(عبد الرحمن عيسوي، 1982، ص109)

ومن المؤكد أن للعاطفة والانفعالات دور مهم في توجيه الفكر والسلوك الإنساني، وتحديد علاقة الفرد بعالمه، ويزخر التراث النفسي قديما وحديثا بموضوعات تشير إلى وجود علاقة تفاعل متبادل بين مشاعر الفرد وتفكيره، فقد أشار بوزان إلى وجود علاقة بين الجانب العقلي والجانب الانفعالي(عبد الهادي السيد، 2002، ص249).

ومما لا شك فيه أن الذكاء العام التقليدي والذي تقيسه اختبارات الذكاء المعروفة، هام وضروري في الحياة الشخصية والدراسية، ولكن الذكاء الانفعالي هام أيضا وضروري مثل الذكاء العام ويمكننا القول أن الذكاء الانفعالي هو شرط مسبق لتطوير ولتحقيق قدراتنا العقلية المتنوعة، لذا نحتاج للتعرف على انفعالاتنا وعلى إعطاء مشاعرنا وحاجاتنا الداخلية الوصف المناسب والتسمية الملائمة، مما يفيدنا في تحقيق أهدافنا الحياتية والمهنية بما يتناسب مع حاجات ومشاعر الآخرين من حولنا(أبو حطب صادق، 1996، ص74).

كما نحتاج إلى تنمية المهارات اللازمة للوصول إلى طرق مناسبة لتحقيق أهدافنا وحاجاتنا المتنوعة، من خلال تهدئة انفعالاتنا الخاصة وصولا إلى ارتياحنا الداخلي وبعد ذلك نحتاج إلى تنشيط أنفسنا وتحريك كل قدراتنا الداخلية مثل الطاقة الداخلية، الجهد، الانضباط، المثابرة، المرونة، ثم التوجه نحو المصادر الخارجية المتوفرة حولنا ومنها، بناء شبكة علاقات اجتماعية فعالة من خلال التفاهم والحوار الناجح مع الآخرين، وتفهم حاجاته، والقدرة على التعاطف معه، وقراءة انفعالاته، وتحديد الحدود المناسبة بين الذات والآخرين.(غنيم محمد احمد، 2001، ص126).

وجاء هذا البرنامج المقترح لتنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ الطور الثانوي من خلال ممارسة النشاط الرياضي الموجه كوسيلة للفت الانتباه لضرورة الذكاء الوجداني للمراهق وهو البعد الغائب في إعداد البرامج التربوية من خلال اقتراحنا لبرنامج مستنذ لنظرية دانيال جولمان للذكاء الوجداني في التربية البدنية والرياضية وتسليط الضوء على الذكاء الوجداني.

2- إشكالية الدراسة:

يعد الذكاء الوجداني من أحدث أنواع الذكاءات في مجال الصحة النفسية وعلم النفس في الوقت الحاضر وإنما تطور هذا المفهوم نتيجة لطابع العصر الذي نعيش فيه والذي يتطلب رؤية عصرية لمفهوم الذكاء.

ويواجه المجتمع الآن العديد من التحديات الاجتماعية الصحية والثقافية والبيئية التي تتطلب من الفرد أن يكون على قدرات انفعالية عالية للتعامل معها والتواصل بكفاءة مع الآخرين ويطلق على الذكاء الوجداني أيضا الذكاء الانفعالي أو العاطفي وهو مجموعة من المهارات العقلية المرتبطة بتجهيز ومعالجة المعلومات الانفعالية وتختص بصفة عامة بادراك الانفعالات واستخدامها في تسهيل عملية التفكير وتنظيم الانفعالات (محدوب، 2016، ص163).

يعتبر الذكاء عاملا مهما ومؤثرا في الحياة الأكاديمية والاجتماعية والوجدانية للفرد، والذكاء باعتباره قدرة عامة كانت أول مكونات الإنسان قابلية للدراسة، وذلك من خلال ممارسة الفرد للذكاء في صور متعددة والتي شكلت للعلماء الأوائل النقاط الأولى في دراسة الذكاء بشكله العام وان مكانة الذكاء في علم النفس وسيطرته على جزء كبير من اهتمامات علماء النفس ودراساتهم جعلت له القدرة الحقيقية على تطوير الفرد وإنشائه لأفضل المجتمعات(محدوب، 2016، ص164) .

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال تركيزها على تنمية الذكاء الوجداني ومهاراته لدى التلاميذ، عن طريق بناء برنامج تعليمي تعلمي تطبيقي في حصة التربية البدنية و الرياضية ، يسهم في توعية التلاميذ بمشاعرهم وتنظيمها وضبطها في المواقف الصعبة واكتساب مهارات التعاطف مع الآخرين وقراءة مشاعرهم وتنمية دافعيتهم الذاتية وتحفيزهم لأنفسهم وبث الأمل فيها وتطوير مهارات التواصل الاجتماعي معهم، مما يسهم في تحقيق الاستقرار النفسي وبناء منظور إيجابي للذات مما يعد باعثا مهما في دافعية التعلم والإنجاز الأكاديمي لديهم، فضلاً عن أن معطيات مهارات الذكاء الوجداني تعد في جوهرها أساس الشخصية المتزنة الواعية التي تمتلك القدرة على ضبط انفعالاتها والإصرار على تحقيق الأهداف رغم المصاعب، إن المتتبع للدراسات التربوية في التربية البدنية، يجدها تفتقد لدراسات بحثية توظف مهارات الذكاء الوجداني في ظل قيمها السامية، وتعلي من شأنها في التربية السوية المتزنة للنشء، وتبرز أثرها في تحقيق الاستقرار النفسي لدى المراهق، إن الأنشطة الرياضية تبنى في ضوء استراتيجيات تساعد على التكيف مع تطورات العصر حيث تسمو بالنفس البشرية وتعمل علي ترقيتها بشكل سوي، محققتا في ذلك الآمال المنشودة للمجتمعات في أجواء آمنة مستقرة، وتلك الأجواء غير الآمنة في المجتمعات، دفعت أفرادها إلى تكثيف الدراسات النفسية حول الذكاء الانفعالي ومهاراته لتحقيق أهدافها في الاستقرار النفسي على كافة الأصعدة، تتجلي أهمية القيمة التربوية التي يمثلها الذكاء الوجداني في إعداد الأفراد منذ مراحله الأولي، إلا أن الواقع الحالي يؤكد قصور في البرامج القائمة على عادات الحياة النفسية والاجتماعية ودراسة أثرها في تنمية الذكاء الوجداني لدي المراهق كذلك التركيز علي دور العقل في العملية التعليمية التعلمية متناسين في ذلك احد اهم ركائزه وهو البعد العاطفي الوجداني للمراهق ومن هنا تتحدد مشكلة البحث الحالي في السؤال التالي:

-هل يمكن تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

3- فرضيات الدراسة:

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات الأداء البعدي و القبلي لأفراد المجموعة التجريبية ومتوسطات الأداء البعدي و القبلي لأفراد المجموعة الضابطة على الدرجة الكلية لمقياس الذكاء الوجداني تعزى إلى تطبيق البرنامج.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث في المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي لمقياس الذكاء الانفعالي تعزى إلى تطبيق البرنامج.

4- أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

- بناء برنامج تعليمي مستند إلى أبعاد الذكاء الوجداني لتنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ السنة ثانية ثانوي.

-معرفة أثر البرنامج المطبق في تنمية الذكاء الوجداني لدى افراد المجموعة التجريبية.

-معرفة دلالة الفروق لأثر البرنامج التعليمي في تنمية الذكاء الوجداني تبعا لمتغير الجنس.

5- أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال تركيزها على تنمية الذكاء الوجداني ومهاراته لدى التلاميذ، عن طريق بناء برنامج تعليمي تعلمي تطبيقي في حصة التربية البدنية والرياضية، يسهم في توعية الطلبة بمشاعرهم وتنظيمها وضبطها في المواقف الصعبة واكتساب مهارات التعاطف مع الآخرين وقراءة مشاعرهم وتنمية دافعيتهم الذاتية وتحفيزهم لأنفسهم وبث الأمل فيها وتطوير مهارات التواصل الاجتماعي معهم، مما يسهم في تحقيق الاستقرار النفسي.

نستنتج مما تقدم أن أهمية البحث تبرز خلال ما يلي:

-أهمية موضوع الذكاء الوجداني وارتباطه بمتغيرات الصحة النفسية حيث تسعى كل الأنظمة التربوية والتعلمية في العالم إلى تنشئة أبنائها على التعبير عن ذواتهم وانفعالاتهم بصورة سليمة.

-اهتمام الدراسة بعينة حساسة جدا وهي المكون الأساسي لجيل الغد وتتجلى في مرحلة المراهقة.

6- تحديد مفاهيم الدراسة:

الذكاء الوجداني:

الذكـاء: (ذكي فلان) -ذكًا: ذكا: فهو ذكي و(الذكاء): قدرةٌ على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار وعلى التكيف إزاء المواقف المختلفة. (مجمع اللغة العربية، 2004، ص314).

كما ورد أيضا: الذكاء ممدود: حِدَّةُ الفؤاد، والذكاء: سرعة الفطنة.

والذكاء في الفهم: أن يكون فهمًا عاما سريع القبول (ابن منظو، 1994، ص355-356).

اصطلاحا: يعرفه بينيه (Bineet) بأنه: "القدرة على الابتكار و الفهم الصحيح و التوجه الهادف للسلوك ".(عبد المجيد نشواتي، 2003، ص101)

ويعرفه أيضا بياجيه (Piaget): "هو عملية توافق وتنظيم"(سعد رياض، 2005، ص32).

ويعرفه بنتنر(Pintner): "بأنه القدرة الفرد على التكيف بنجاح مع ما يستجد في الحياة من علاقات" (سليمان الخضري الشيخ، 2008، ص61).

ويعرف أيضا بأنه: " القدرة على التحليل والتركيب والتمييز والاختيار، وعلى مواجهة المواقف الجديدة بنجاح، أو حل المشكلات الجديدة بابتكار الوسائل الملائمة. (محمد حمدان، 2006، ص160).

الوجـدان: الوجدان في عرف بعضهم هو: النفس وقواها الباطنة و(الوجدانِيّ) جمع وجدانيات ما يجده كل أحد من نفسه ما يدرك بالقوى الباطنة. (كرم البستاني وآخرون، 1991، ص888).

وقد ورد أيضا: الوجدان (في الفلسفة): يطلق أولا على كل إحساس أولي باللذة والألم، ثانيا: على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة. (مجمع اللغة العربية، 2004، ص1013).

اصطلاحـا: وهو في جوهره مشاعر وعواطف وانفعالات، ويعبر عنه سلوكيا ضمن الميول والاهتمامات والمواقف والاتجاهات والقيم والتوافق، ويعبر عنه أيضا ضمن التذوق والتقدير والتقبل والتفضيل والالتزام، فيظهر التلميذ ميوله واهتماماته واتجاهاته ومواقفه إزاء موضوعات

أو قضايا اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو إزاء أشخاص أو أفكار، أو إزاء مواد دراسية (بشير معمرية، 2007، ص164).

الذكاء الوجداني: حيث يعرفه سالوفي وماير وكاريوسو (Salovey, Mayer, Carioso) بأنه: "القدرة على مراقبة المشاعر والانفعالات الذاتية ومشاعر الآخرين".(سعاد جبر سعيد، 2006، ص10).

حصة التربية البدنية:

تعريف التربية: لقد عرف اللغويون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنها: إنشاءُ الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ورب الولدِ ربا: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه. (كمال منصف، 1990، ص15).

أما دور كايم فيرى فيها " تكوين الأفراد تكوينا اجتماعيا" أما الفيلسوف النفعي ميل فيرى أن التربية هي "التي تجعل من الفرد أداة سعادة لنفسه ولغيره." (فؤاد شاهين،2001، ص14).

التربية البدنية والرياضية: هي جزء من التربية العامة وأنها تشمل دوافع النشاطات الموجودة في كل شخص للتنمية من الناحية العضوية والتوافقية الانفعالية(محمود عوض بسيوني، 1990، ص22).

المراهقــة: هي مرحلة العمر التي تتوسط بين الطفولة واكتمال الرجولة والأنوثة وذلك بمعنى النمو الجسمي، وتحسب بدايتها عادة ببداية البلوغ الجنسي الذي يتفاوت الأفراد فيه تفاوتا واسعا يصل في الأحوال العادية إلى نحو خمس سنوات بين أول المبكرين وآخر المتأخرين. (محمد مصطفى زيدان،2001، ص149).

وتدل مرحلة المراهقة على مرحلة الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة أخرى من النمو يتأهب فيها لمرحلة الرشد، وهي تبدأ غالبا من سن البلوغ أي من 11 سنة أو 12 سنة من العمر وتنتهي عند سن 21 أو 22 سنة من العمر. (عبد الرحمان الوافي، 2006، ص161).

والمراهقة هي لفظ وصفي يطلق على المرحلة التي يقترب فيها الطفل وهو الفرد غير الناضج انفعاليا وجسميا وعقليا من مرحلة البلوغ، ثم الرشد، ثم الرجولة، والمراهقة بمعناها العلمي الصحيح هي المرحلة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرشد واكتمال النضج، فهي عملية بيولوجية في بدايتها وظاهرة اجتماعية في نهايتها (رابح تركي، 1982، ص206).

البرنامج Program

عرفه كود (Good, 1973) بأنه " مجموعة من الدروس والخبرات المخططة التي يكتسبها الطلبة تحت إشراف المدرسة أو الكلية (Good, 1973, p.157)

عرفه السعدي (1982) بأنه " خطة تصمم لتحسين العملية التربوية تستهدف تزويد الطلبة بخبرات واسعة وعملية يمكن أن ينتفعوا بها " (السعدي، 1982، ص21)

عرفه العتبي(1996) بأنه " عبارة عن مزيج متداخل من مجالات النشاطات والتفاعلات والخبرات التي مر بها أعضاء الجماعة بصفتهم أفراد وأعضاء في جماعة تساعد

فــي تطويرهم ونموهم بدنيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وهو وسيلة وليس غاية "(العتبي، 1996، ص13)

ثانيا: البرنامج التعليمي Instructional Program

عرفـه حسـين (1969) بأنـه " وسيلة ترمـي إلـى حـل مشـكلة قائمـة لزيادة كفاية وإتاحة الفرصة للمتدربين للبحث والتجريب في مجال نشاط معين وتسـاعد علـى القيام بواجبـات العمـل بطريقة أفضل. (حسين، 1969، ص82)

عرفـه كمـب(1985) بأنـه " المسـاهمة فـي نمـو الطالـب عـن طريق إحـداث تغير ايجابي في اتجاهات أو طرائق تفكيره ومعرفته أو مهاراته "(كمب، 1985، ص25).

التعريف الإجرائي للبرنامج التعليمي: هو مجموعة الـدروس التـي أعـدها الباحـث والتـي تبلـغ 18درس وتتضــمن مواقــف تهـدف إلــى تنمية الـذكاء الوجداني وتتضــمن الــدروس أنشطة عملية حركية وأنشـطة في نشاط كرة السلة لمسـاعدة الطلبـة ذوي الـذكاء الانفعـالي المـنخفض علـى تنمية ذكائهم الانفعالي.

7- الدراسات السابقة:

دراسة سعاد جبر سعيد بعنوان اثر برنامج تعليمي في التربية الإسلامية مستند إلى نظرية الذكاء الانفعالي في تنمية مفهوم الذات ودافعية التعلم لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا في الأردن حيث هدفت هذه الدراسة إلى التحقق من اثر برنامج تعليمي في تنمية مفهوم الذات ودافعية التعلم لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا، وللإجابة عن اسئلة الدراسة تم بناء برنامج تعليمي مستند إلى نظرية الذكاء الانفعالي، يغطي دروس مبحث التربية الإسلامية للصف التاسع في الفصل الدراسي الثاني للعام2006/2005 م جميعاً، وعددها (25) درساً، كما استخدمت الباحثة أيضا مقياس مفهوم الذات لبيرس – هارس، الذي تم تعريبه وتقنينه للبيئة الأردنية من قبل الداؤود (1982) للفئة العمرية (16-8)،كما استخدمت الباحثة مقياس دافعية التعلم الذي قام سليمان (1989) بتعريبه وتقنينه للبيئة الأردنية، وقد تكونت عينة الدراسة من (120) طالباً وطالبة من طلبة الصف التاسع الأساسي في مدارس مدينة المفرق الحكومية، موزعين عشوائياً إلى مجموعتين؛ الأولى تجريبية، وتكونت من (60) طالباً وطالبة، حيث تعرضت لبرنامج تعليمي مستند إلى نظرية الذكاء الانفعالي، والمجموعة الثانية ضابطة مكونة من (60) طالباً وطالبة تعرضت للطريقة الاعتيادية في التدريس، وللإجابة عن فرضيات الدراسة تم استخدام تحليل التباين المشترك (2x 2) لفحص الفروق بين المتوسطات والتفاعل بينها.

دراسة ثابت محمد خضير بعنوان اثر برنامج تعليمي في تنمية الذكاء الانفعالي لدى طلبة كلية التربية الأساسية حيث تكونت عينة البحث من مجموعة تجريبية وأخرى ضابطة بواقـع 60 طالـب وطالبـة، تـم تطبيق اختبـار قبلـي فـي مقياس الـذكاء الانفعـالي الـذي أعـده رزق 2003 لطلبـة الجامعـة بعـد تكيفه للبيئة العراقية فـي مجتمـع البحـث ممـثلاً بطلبـة المرحلـة الثالثـة فـي كلية التربية الأساسية و اختيرت عينة البحث بطريقة قصدية تم بعدها تطبيق البرنامج التعليمي الذي بناه الباحث لتنمية الذكاء الانفعالي ثم تم تطبيق الاختبار البعدي وبعد إجراء التحليل الإحصـائي باسـتخدام الاختبـار التائى توصـل الباحـث إلـى رفـض الفرضية الصفرية الأولـى إذ

تبين وجود فروق دالة إحصائيا لصالح المجموعة التجريبية وقبول الفرضية الصفرية الثانية حيث لم تظهر فروق حسب الجنس، إلى جانب رفض الفرضية الصفرية الثالثة حيث وجدت فروق دالة إحصائيا ولمصلحة طلبة التخصص العلمي.

دراسة رزق 2003 والمشار إليها في دراسة محمد خضير حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على فعالية برنامج التنوير الانفعالي في تنمية الذكاء الانفعالي لطلبة كلية التربية بالطائف جامعة أم القرى وتكونت عينة البحث من مجموعتين ضابطة عددها 83 طالبا وطالبة وتجريبية عدد أفرادها 29 من الطلبة استمرت التجربة لمدة شهر بواقع جلستين أسبوعيا مدة الجلسة 50دقيقة وقد أظهرت النتائج وجود فرق في متوسط درجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية وعن فاعلية واضحة للبرنامج.

8- مناقشة الدراسات السابقة:

باستعراض نتائج الدراسات السابقة التي تم ذكرها، نلاحظ أن هناك تبايناً في موضوعات هذه الدراسة من حيث أهداف البرامج المتعلقة بتنمية الذكاء ومحاورها، ولكن يبرز تركيزها في موضوع السلوك وأبعاد الشخصية وتنميتها، مقارنة مع توجيهها تربوياً ضمن المحتوى التعليمي، ودمجها مع المنهاج التعليمي بكافة فروعه، ويلاحظ خلو تلك الدراسات من دراسة تتناول بناء برامج تتعلق بالذكاء الانفعالي تستند إلى التربية البدنية والرياضية.

اتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة جميعا في كونه يهدف إلى تنمية الذكاء الانفعالي إلا انه اختلف مع دراسات كل من سعد جبير هاند وسلوكيوم وسميث في طبيعة المجتمع الذي أجريت عليه الدراسة اذ كانت الدراسات السابقة قد اختارت مجتمعاتها حسب طبيعة الموضوع كمجتمع لها في حين كان مجتمع البحث الحالي يشمل تلاميذ السنة ثانية من التعليم الثانوي كما اتفقت مع دراسة محمد خضير يضاف إلى ذلك أن البحث الحالي قد اتفق مع جميع الدراسات السابقة في إتباع المنهج التجريبي كمنهج بحثي له. وقد اختلف البحث الحالي عن الدراسات السابقة جميعا في اعتمادها برامج تدريبية في حين اعتمد البحث الحالي برنامجا تعليميا في حصة التربية البدنية و الرياضية ،فضلا عن أن دراسات كل من هاند و سلوكيوم و كرامر ومورس وسميث لم توضح الأداة التي استخدمتها في قياس الذكاء الانفعالي في حين كان مقياس الذكاء الوجداني هو أداة البحث الحالي وهو يتفق مع دراسة محمد خضير و دراسة رزق و اتفقت نتائج البحث الحالي مع نتائج الدراسات السابقة جميعا في وجود اثر للبرنامج تدريبا كان ام تعليميا في تنمية الذكاء الانفعالي، بعدم احتواء الدراسات السابقة التي تم ذكرها على أي دراسة تناولت موضوع الذكاء الوجداني في ضوء متغيراتها يمكننا القول انها كانت بمثابة إثراء لموضوع دراستنا بنسبة عالية في إثراء الجانب النظري للدراسة و ضبط متغيراتها و صياغة طرح إشكالية دراستنا حيث استفدنا الكثير من دراستي كل من سعد جبير و دراسة محمد خضير حتى في تحليل النتائج طبعا لقرب طرحهما و بيئتهما لدراستنا.

9- منهجية البحث وإجراءاته الميدانية:

منهج البحث: استخدام الباحث المنهج التجريبي بأسلوب المجموعتان المتكافئتان (الضابطة والتجريبية) لملائمته متطلبات البحث.

عينة البحث: اشتملت عينة البحث على 64 تلميذ وتلميذة من التعليم الثانوي بواقع(40) تلميذ و (24) تلميذة، حيث قسمت العينة إلى أربعة مجموعات، قسم التلاميذ فيها عشوائيا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة بواقع (20) تلميذ للمجموعة الواحدة، وقسمت التلميذات عشوائيا أيضا إلى مجموعتين تجريبية وضابطة بواقع (12) تلميذة للمجموعة الواحدة.

التصميم التجريبي:

وقد اختار الباحث التصميم التجريبي ذي المجموعة التجريبية الواحدة والمجموعة الضابطة الواحدة، حيث يشير (فان دالين،1988) إلى أن ذلك التصميم يمكن الباحث من التنبؤ بان اية فروق تلاحظ بين المجموعتين إنما هي نتيجة للمعاملة التجريبية (فاندالين، 1988، ص364)
ويؤكد كيرلنك، (kerlinger،1982) أن هذا التصميم يعد من التصميمات التجريبية ذات الضبط المحكم(kerlinger, 1973, p:335) والمخطط الآتي يوضح التصميم التجريبي للبحث حيث اعتمد الباحث تصميم المجموعتان المتكافئتان (الضابطة والتجريبية) وهو احد أنواع التصاميم التجريبية المستخدمة في البحوث التجريبية وكما موضح في الشكل (1) .

المجموعة	اختبار قبلي	معالجة تجريبية (متغير مستقل)	اختبار بعدي
التجريبية تلاميذ	الذكاء الوجداني	البرنامج المطبق	الذكاء الوجداني
الضابطة تلاميذ	الذكاء الوجداني	----	الذكاء الوجداني
التجريبية تلميذات	الذكاء الوجداني	البرنامج المطبق	الذكاء الوجداني
الضابطة تلميذات	الذكاء الوجداني	----	الذكاء الوجداني

الشكل (1) يوضح التصميم التجريبي للبحث

أدوات البحث: لتحقيق أغراض الدراسة، قام الباحث باستخدام الأدوات البحثية وهي على النحو التالي:

مقياس الذكاء الوجداني: بعد إطلاع الباحث على عدد من الاختبارات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وجد إن مقياس الذكاء الوجداني لقياس درجة الذكاء الوجداني، والذي قام بإعداده الدكتور فاروق السيد عثمان عام 2000 هو المقياس الملائم للدراسة الحالية، إذ إن هذا المقياس قد تم إعداده في البيئة العربية وسبق وان استعمل في الدراسات المحلية، ويمكن تطبيقه على عينة الدراسة.

يتألف المقياس من 58 عبارة وذلك بعد الرصد لمفهوم الذكاء الوجداني ورصد مختلف الخصائص السلوكية التي تعبر عن الذكاء الوجداني من خلال ما قدمه جولمان وماير

كيفية التصحيح لمقياس الذكاء الوجداني: يتكون المقياس من 58 عبارة وكل عبارة لها أربعة أبعاد هي: لا – أحيانا – غالبا – دائما، وتعطى الإجابة بـ: لا = 0، أحيانا = 01، غالبا = 02، دائما = 03.وهكذا يتم جمع هذه الدرجات في أبعاد ثم يتم حساب الدرجة الكلية والتي تترأوح

نظريا بين 0 لا يوجد ذكاء إطلاقا، و174 درجة قصوى للذكاء، من 0 إلى 87 ذكاء وجداني منخفض ومن 87 إلى 174 ذكاء وجداني مرتفع.

الخصائص السيكومترية:

صدق المقياس: اعتمد الباحث في ذلك الصدق الظاهري، وقد تحقق هذا النوع من الصدق من خلال عرض مقياس الذكاء الوجداني على مجموعة من الأساتذة في مجال علم النفس التربوي وأساتذة من كلية علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بالمسيلة.

صدق الاتساق الداخلي: وذلك بحساب معاملات الارتباط بين درجات كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية لاستجابات عينة الدراسة وقد بينت النتائج أن جميع المفردات دالة عند 0.01.

الصدق العاملي: تم حساب الصدق العاملي من خلال مصفوفة معاملات الارتباط بعضها ببعض وارتباطها بالدرجة الكلية للمقاس.

ثبات المقياس: اعتمد الباحث في حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية معتمدا نتائج العينة الاستطلاعية، ثم صحح الباحث هذا الارتباط باستعمال معادلة سبيرمان – برأون وقد تبين إن الاختبار يمتاز بدرجة عالية من الثبات سواء فيما يتعلق بالأبعاد الخمسة أو ما يتعلق بالدرجة الكلية. وكما مبين في الجدول (1).

جدول(1) يبين درجات ثبات العوامل بطريقة التجزئة النصفية لمقياس الذكاء الوجداني.

	ذكور	اناث	الكل
قبل التصحيح	0,70	0,67	0,71
بعد التصحيح	0,82	0,80	0,82

المصدر: من إعداد الباحث

البرنامج التعليمي: وهو عبارة عن برنامج تعليمي في التربية البدنية، مستند إلى نظرية جولمان في الذكاء الوجداني، تم بناؤه خصيصاً لأغراض الدراسة الحالية بهدف معرفة أثره في تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ الطور الثانوي.

الإطار النظري للبرنامج: يستند البرنامج في بنائه على وجهة نظر(جولمان) الذي حدد مهارات الذكاء الانفعالي بالآتي:

الوعي الذاتي، التنظيم الذاتي، الدافعية أو تحفيز الذات، التعاطف مع انفعالات الآخرين، التواصل.

10- مكونات البرنامج التعليمي:

يتكون البرنامج التعليمي من نشاطات تعليمية في التربية بدنية والرياضية توزعت على مهارات الذكاء الوجداني الخمس، وتتوزع المهارات على (18) حصة تطبيقية في نشاط كرة السلة إضافة إلى مجموعة من الألعاب الشبه رياضية، بواقع (4-3) حصص لكل مهارة، وتم تنفيذ البرنامج على مدار الفصل الأول و الثاني بحجم حصة أسبوعيا للموسم الدراسي 2016- 2017 بحكم برمجة حصة التربية البدنية و الرياضية في الجزائر بواقع حصة كل أسبوع، واستند تصميم البرنامج التعليمي على منظومة أساليب تعليمية متنوعة لغاية تحقيق أهداف البرنامج حيث يتمثل

الهدف الرئيسي للبرنامج في تنمية الذكاء الوجداني لدى تلاميذ السنة ثانية ثانوي بحكم إقبالهم في الموسم القادم على اختبار البكالوريا.

تعزيز الذكاء الوجداني في تدريس مادة التربية البدنية والرياضية.

ويتوقع في نهاية البرنامج أن يتمكن الطلبة من تحقيق الأهداف التي وضع لها البرنامج وهو تنمية الذكاء الوجداني.

11- التجربة الاستطلاعية:

من اجل التأكد من وضوح تعليمات الاختبار ووضوح فقراته للتلاميذ، والتعرف على ظروف تطبيقه وما يرافق ذلك من صعوبات أو معوقات، قام الباحث بتطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مؤلفة من (20) تلميذ وتلميذة من خارج عينة البحث ومن المرحلة الدراسية نفسها اختيروا عشوائيا، وقد بينة إن تعليمات المقياس وفقراته واضحة وانه صالح للتطبيق على مجموعتي البحث.

الاختبار القبلي لعينتي البحث: قام الباحث بإجراء الاختبار للذكاء الوجداني باستخدام مقياس الذكاء الوجداني ل فاروق السيد عثمان على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (64) تلميذ وتلميذة يمثلون مجموعات البحث الأربعة.

إجراءات تكافؤ مجموعات البحث: تتعـرض البحـوث التجريبية إلــى عـدة متغيرات وعوامـل تـؤثر علــى سـلامة التصميم التجريبي، ولكي لا تؤثر هذه العوامل علـى نتـائج البحـث كـان لابـد مـن ضـبطها بين المجموعتين مـن اجـل تحديد اثـر المتغير المستقل بشـكل دقيق ولأجـل ضـبط المتغيرات فقد عمـد الباحـث إلـى الإجراءات التالية:

قبل الشروع ببدء التجربة حرص الباحث على تكافؤ أفراد مجموعات البحث الأربعة إحصائيا في بعض المتغيرات التي يعتقد إنها قد تؤثر في سلامة التجربة وهذه المتغيرات هي:

-العمر الزمني للطلاب والطالبات محسوبا بالأشهر.

-الذكاء الوجداني بالاعتماد على درجات الاختبار القبلي.

-الجنس ذكور وإناث.

وفيما يلي توضيح لعمليات التكافؤ الإحصائي في المتغيرات بين مجموعتي البحث:

-العمر الزمني والذكاء الوجداني:

من اجل التحقق من تكافؤ مجموعات البحث الأربعة فيما بينها في متغيري العمر الزمني والذكاء الوجداني، من خلال معرفة دلالة الفروق بين متوسط أعمار أفراد المجموعات وكذلك درجة ذكائهم الوجداني، ولتحقيق ذلك استخدم تحليل التباين الأحادي (ANOVA)، وقد تبين من خلال النتائج إن القيم ف المحسوبة لمتغيرات البحث وللمجموعات الأربعة كانت أكبر من القيم الفائية الجدولية عند درجتي حرية (3، 60) وعند مستوى دلالة (0,05). مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المتغيرات المذكورة لدى عينة الدراسة بين المجموعات الأربعة، وهذا يدل على تكافؤ مجموعات البحث في العمر الزمني ودرجة الذكاء الوجداني. والجدولين (3، 4) يبينان ذلك.

الجدول (2) يبين متوسط العمر الزمني والذكاء الوجداني والانحرافات المعيارية لمجموعات البحث

	المجموعة التجريبية تلاميذ		المجموعة الضابطة تلاميذ		المجموعة التجريبية تلميذات		المجموعة الضابطة تلميذات	
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	لانحراف	المتوسط	لانحراف	المتوسط	لانحراف
العمر الزمني	196.2	13,42	199.5	10,22	176.25	11,8	175.25	8,53
الدرجة الكلية	125,3	18,14	123,8	16,42	121,72	17,65	120,28	16,32

المصدر: من إعداد الباحث

الجدول (3) يبين نتائج تحليل التباين الأحادي للفروق بين المجموعات الأربعة في متغيرات البحث

المتغيرات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	القيمة الفائية		مستوى الدلالة	الدلالة
					المحسوبة	الجدولية		
العمر الزمني	بين المجموعات	2624,19	3	874,73	1,927	2,75	0,05	غير دالة
	داخل المجموعات	25415,04	60	453,84				
	داخل المجموعات	4682,16	60	83,61				
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1314,63	3	438,21	1,604	2,75	0,05	غير دالة
	داخل المجموعات	15296,4	60	273,15				

المصدر: من إعداد الباحث

-التكافؤ في الجنس: تم إجراء التكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة في متغير الجنس وذلك باختبار عدد مماثل من كلا الجنسين في المجموعتين الضابطة والتجريبية وكما يتضح في الجدول التالي:

الجدول (04) توزيع أفراد المجموعتين الضابطة والتجريبية تبعاً لمتغير الجنس

المجموعة	الذكور	الإناث	المجموع
الضابطة	20	12	32
التجريبية	20	12	32
المجموع	40	24	64

المصدر: من إعداد الباحث

-تطبيق البرنامج:

تم البدء بتطبيق البرنامج في بداية الفصل الدراسي الأول وذلك بإعطاء وحدة تعريفية للبرنامج تم من خلالها تعريف التلاميذ بوحدات البرنامج وأهدافه وأهميته في تطوير الذكاء الوجداني لديهم، وكذلك كيفية سير الوحدات التطبيقية والجانب التنظيمي له، وفي الأسبوع الثاني تم تطبيق الوحدة التعليمية الأولى من البرنامج على مجموعتي البحث التجريبيتين.

يتكون البرنامج من 18 وحدة تعليمية، مدة الوحدة التعليمية (45-50) دقيقة، تعطى وحدة تعليمية واحدة كل أسبوع وبهذا استغرق تنفيذ البرنامج (18) اسبوع، وقد قام الباحث بالإشراف على تطبيق البرنامج بأكمله.

-الاختبار البعدي:

بعد إكمال تطبيق البرنامج التعليمي على مجموعتي البحث التجريبيتين للتلاميذ والتلميذات، قام الباحث بإجراء الاختبارات البعدية المتمثلة في مقياس الذكاء الوجداني ل فاروق السيد عثمان على المجموعتين المذكورتين وفي القاعة الرياضية نفسها التي طبقت بها الاختبارات القبلية، وبعدها تم جمع استمارات الإجابة لغرض تدقيقها وتصحيحها ثم معالجتها إحصائيا للحصول على النتائج.

12- الوسائل الإحصائية:

الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل الاختلاف، اختبار(ت) لعينتين متناظرتين، اختبار(ت) لعينتين مستقلتين.

13- عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها:

عرض نتائج الهدف الأول وتحليلها:

عرض نتائج الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية طلاب وتحليلها:

استخرج الباحث الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لنتائج اختبار الذكاء الوجداني القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية للتلاميذ، ولغرض التعرف على حقيقة الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمتغيرات المذكورة تم استخدام قانون (ت) للعينات المتناظرة ومعامل الاختلاف (خ)، والجدول (5) يبين النتائج.

جدول (5) يبين دلالة الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للذكاء الوجداني لدى تلاميذ المجموعة التجريبية والضابطة وبين المجموعتين

	حجم العينة	الاختبار القبلي			الاختبار البعدي			قيمة (ت)		الدلالة الإحصائية
		المتوسط	الانحراف	الاختلاف %	المتوسط	الانحراف	الاختلاف	المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	20	125,36	18,14	14,47	142,77	15,57	10,90	6,48	2,10	دالة
الضابطة	20	123,85	16,42	13,25	126,73	14,87	11,73	1,95	2,10	غير دالة
الكلية	40	142,77	15,57	10,90	126,73	14,87	11,73	4,94	2,02	دالة

المصدر: من إعداد الباحث

درجة الحرية = 19 مستوى الدلالة = 0,05

من خلال ملاحظة جدول (5) يتبين لنا وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي ولصالح البعدي في الذكاء الوجداني للمجموعة التجريبية تلاميذ، إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت اكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,10) درجة عند درجة حرية (19) ومستوى دلالة (0,05). وكذلك نلاحظ إن قيم معامل الاختلاف في الاختبار البعدي للمتغيرات كانت اقل من قيم معامل الاختلاف للاختبار القبلي وهذا يدلل على وجود تطور حقيقي لدى التلاميذ في الاختبارات البعدية.

كما يتبين لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي في الذكاء الوجداني للمجموعة الضابطة تلاميذ. إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت اقل من قيمتها الجدولية البالغة (2,10) درجة عند درجة حرية (19) ومستوى دلالة (0,05). وكذلك نلاحظ إن قيم معامل الاختلاف في الاختبارين القبلي والبعدي للمتغيرات كانت متقاربة ولكنها اقل عند الاختبار البعدي وهذا يدلل على وجود تطور بسيط لدى الطلاب في الاختبارات البعدية، والذي يفسره الباحث على انه ناتج من تأثير المواد العلمية الأخرى التي يتلقاها التلميذ والتي تتزامن مع تطبيق البرنامج الحالي.

ويتبين لنا وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبارات البعدية بين المجموعتين التجريبية والضابطة تلاميذ ولصالح التجريبية في الذكاء الوجداني. إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,02) درجة عند درجة حرية (38) ومستوى دلالة (0,05).

عرض نتائج الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية تلميذات:

استخرج الباحث الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لنتائج اختبار الذكاء الوجداني القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية للطالبات. ولغرض التعرف على حقيقة الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمتغيرات المذكورة تم استخدام قانوني (ت) للعينات المتناظرة ومعامل الاختلاف، والجدول (10) يبين النتائج.

يبين دلالة الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للذكاء الوجداني لدى تلاميذ المجموعة التجريبية والضابطة وبين المجموعتين

جدول (06) يبين دلالة الفروق بين الاختبارات القبلية والبعدية للذكاء الوجداني لدى تلميذات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة وبين المجموعتين

	حجم العينة	الاختبار القبلي			الاختبار البعدي			قيمة (ت)		الدلالة الإحصائية
		م	ن	خ	م	ن	خ	المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	12	121,72	17,65	14.50	139,74	11,30	8,08	6,03	2,23	دالة
الضابطة	12	120,28	16,32	13,56	124.60	15,06	12,08	1,88	2,23	غير دالة
بين المجموعتين	24	139,74	11,30	8,08	124.60	15,06	12,08	4,38	2,26	دالة

المصدر: من اعداد الباحث

درجة الحرية = 11 مستوى الدلالة = 0,05

من خلال ملاحظة جدول (06) يتبين لنا وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي ولصالح البعدي في الذكاء الوجداني للمجموعة التجريبية تلميذات، إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,23) درجة عند درجة حرية (11) ومستوى دلالة (0,05) وكذلك نلاحظ إن قيم معامل الاختلاف في الاختبار البعدي للمتغيرات كانت اقل من قيم معامل الاختلاف للاختبار القبلي وهذا يدل على وجود تطور حقيقي لدى التلميذات في الاختبارات البعدية.

كما يتبين لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبار القبلي والاختبار البعدي في الذكاء للمجموعة الضابطة تلميذات. إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت اقل من قيمتها الجدولية البالغة (2,23) درجة عند درجة حرية (11) ومستوى دلالة (0,05). وكذلك نلاحظ إن قيم معامل الاختلاف في الاختبارين القبلي والبعدي للمتغيرات كانت متقاربة ولكنها اقل عند الاختبار البعدي وهذا يدل على وجود تطور بسيط لدى التلميذات في الاختبارات البعدية، والذي يفسره الباحث أيضا على انه ناتج من تأثير المواد الأخرى والتي تتزامن مع تطبيق البرنامج الحالي.

كما يظهر لنا وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبارات البعدية بين المجموعتين التجريبية والضابطة تلميذات ولصالح التجريبية في الذكاء الوجداني، إذ إن القيم التائية المحسوبة لها كانت أكبر من قيمتها الجدولية البالغة (2,26) درجة عند درجة حرية (22) ومستوى دلالة (0,05).

مناقشة النتائج:

أشارت نتائج التحليل الإحصائي لمقياس الذكاء الوجداني، إلى اختلاف متوسطات القياس للمجموعتين التجريبية والضابطة، حيث لوحظ أن متوسط الأداء البعدي لأفراد المجموعة التجريبية التي طبق عليها البرنامج أعلى من متوسط الأداء البعدي لأفراد المجموعة الضابطة، أي أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسط الأداء البعدي لأفراد المجموعة التجريبية ومتوسط الأداء البعدي لأفراد المجموعة الضابطة على الدرجة الكلية لمقياس الذكاء الوجداني وهذا الفرق لصالح أداء أفراد المجموعة التجريبية، وتتفق مع دراسة مطر (2004) التي كشفت عن وجود ارتباط دال بين مهارات الذكاء الانفعالي والدافعية.

وتتفق النتيجة أيضا مع نتائج دراسة (Baldes&Moretto, 2000) التي هدفت إلى تحفيز الطلبة للتعلم من خلال برنامج تدريبي مستند إلى الذكاء الانفعالي والتعليم التعاوني، وأشارت نتائجها إلى أن البرنامج التدريبي قلل من السلوكيات غير الملائمة وحفز التلاميذ.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أشار إليه جولمان من أن الوعي الذاتي والتحكم في الاندفاعات والمثابرة والحماس والدافعية الذاتية والتعاطف واللياقة الاجتماعية هي أهم المهارات الانفعالية والاجتماعية التي تميز الأشخاص الأكثر نجاحا في الحياة (Goleman, 1995).

وهذا يؤكد أن هناك انفعالات تمدنا بالقوة، وهناك ما يستنفذ قوانا، والذكاء الانفعالي يمكننا من استخدام أفضل السبل لتصبح انفعالاتنا أداة طيعة قوية تساعدنا على تحقيق أقصى ما عندنا من إمكانيات، بدلا من أن تكون عائقا في وجهنا، وهنا تتأكد أهمية إدارة الانفعالات في مواطن الصراع والاكتئاب في منحنا هذه القوة، التي تمكننا من تجأوز المحبطات وتحقيق الأهداف ولا يمكن تحقيق ذلك دون دفع الفرد لذاته (روبنز، 2005، 12).

ومن هنا يمكن القول بأن البرنامج المعد لتنمية الذكاء الوجداني قد عمل على تحسين مستوى الذكاء الوجداني ورفعه لدى تلاميذ المجموعة التجريبية.

2-4 عرض نتائج الهدف الثاني وتحليلها:

1-2-4 عرض نتائج الفروق للاختبارات البعدية بين المجموعتين الضابطتين، وكذلك بين المجموعتين التجريبيتين للطلاب والطالبات:

جدول (07) يبين دلالة الفروق في الاختبارات البعدية للذكاء الوجداني بين المجموعتين الضابطتين والتجريبيتين (بين التلاميذ والتلميذات)

	حجم العينة	الضابطة (طلاب)			الضابطة (طالبات)			قيمة (ت)		مستوى الدلالة
		م	ن	خ	م	ن	خ	ك	ت	
البعدي للمجموعة الضابطة	32	126,73	14,87	11,73	124.60	15,06	12,08	1,46	2,05	غير دالة
البعدي للمجموعة التجريبية	32	142,77	15,57	10,90	139,74	11,30	8,08	1,68	2,05	غير دالة

المصدر: من اعداد الباحث

درجة الحرية = 30 مستوى الدلالة = 0,05

بعد أن تبين من النتائج السابقة إن للبرنامج التعليمي تأثير ايجابي في تنمية الذكاء الوجداني لكلا المجموعتين التجريبيتين تلاميذ و تلميذات، وتحقيقا لهدف البحث الثاني ارتأى الباحث التعرف على أفضلية التطور بين الجنسين من خلال مقارنة معاملات الاختلاف للاختبارات البعدية بينها وكذلك من خلال التعرف على الفروق في نتائج الاختبارات البعدية بين المجموعتين التجريبيتين لكلا الجنسين، ولتحقيق ذلك كان لابد أولا من التعرف على دلالة الفروق في نتائج الاختبارات البعدية بين المجموعتين الضابطتين والذي تبين من خلال نتائج سابقة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختبارات القبلية والبعدية لهما، وللتعرف على حقيقة الفروق في نتائج الاختبارات البعدية بين المجموعتين الضابطتين تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وقد تبين من النتائج المبينة أعلاه حيث دلت بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بينهما. وللتعرف على الفروق في نتائج الاختبارات البعدية بين المجموعتين التجريبيتين لكلا الجنسين تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وقد تبين من النتائج المبينة أعلاه التي جاءت بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بينهما، علما إن المجموعات الأربعة التجريبية والضابطة كانت متجانسة ومتكافئة في العمر الزمني وكذلك في اختبارات الذكاء الوجداني والجنسين قبل البدء بالبرنامج التعليمي.

وتختلف نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة رزق التي أظهرت فرقاً دالاً لصالح الإناث ولعل ذلك يرجع إلى نمط التنشئة الاجتماعية الذي يفرض وجوب التحلي بسلوك اجتماعي مقبول سواء من الذكور أو الإناث.

تتفق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه مطر (2004) إذ لم يكن هناك أثر دال إحصائياً لمتغير الجنس تعزى لأثر البرنامج المعد لتنمية الذكاء الانفعالي، وتتفق أيضا مع دراسة السامرائي (2005) التي كشفت نتائجها عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير الجنس في مجال تحفيز الذات لدى الطلبة المتفوقين في مدارس اليوبيل.

14- أهم نتائج الدراسة:

تبين لنا من خلال نتائج البحث السابقة تفوق مجموعتي البحث التجريبيتين لكلا الجنسين في الاختبار البعدي للذكاء على المجموعتين الضابطتين والذي يعزوه الباحث إلى فاعلية البرنامج المطبق وما يتصف به هذا البرنامج من مواصفات عملية علمية ساعدت وبشكل كبير في تطوير مستوى الذكاء الوجداني.

إذ يعتمد البرنامج على النشاطات البدنية والتي تعتبر مجال واسع للتعبير الحركي والغير حركي وفق ما يعرف بالتفاعل الرمزي حيث يسمح للتلاميذ التعبير بكل حرية كذلك التخلص من مجمل الضغوط النفسية والاجتماعية التي يفرضها واقع المدرسة والمجتمع ان طبيعة المادة تساهم بدرجة كبيرة في بناء مجموعة نظم نفسية واجتماعية تساعد التلاميذ وتشجعهم في رسم أفكار جديدة والتعبير عنها بحرية أمام زملائهم أو أمام جملة المواقف التي يتعرض لها التلميذ.

إن هذا البرنامج يبتعد عن البرامج التقليدية للذكاء الوجداني المتبعة عادة في التعليم من حيث مكونات البرنامج وطريقة تعليمه حيث يعتمد على النشاط الحركي الترويحي ممثلا في جملة من الألعاب الشبه رياضية بالإضافة إلى نشاط كرة السلة حيث يوضع التلميذ في جملة من المواقف الإشكالية، أن إيصال فكرة العمل للتلاميذ بصورة مبسطة ومشوقة ويعطي الحرية للتلميذ في التفكير وطرح أفكاره وآرائه دون قيود ودون حرج، مما يدفع التلميذ ويولد لديه الرغبة في التفكير لبناء علاقات اجتماعية مستقرة سواء للتلميذات أو للتلاميذ. كذلك ساعد البرنامج التلاميذ على تنمية الذكاء الوجداني وتنظيم سلسلة أفكارهم وانفعالاتهم وعرضها بشكل منظم.

15- التوصيات:

- الدعوة إلى تبني مهارات الذكاء الوجداني في مشاريع التخطيط والتطوير لمناهج التربية البدنية والرياضية، وتوظيفها في المحتوى التعليمي.
- ضرورة الاهتمام بتنمية الذكاء الوجداني لدى المراهق، واثرائه بالبرامج التعليمية المختصة بالذكاء الانفعالي.
- تفعيل برامج الذكاء الوجداني في علاج القلق وتعميق الإحساس بالرضى والسعادة لدى تلاميذ الطور الثانوي.
- التأكيد على عدم اقتصار دور المدرسة على تزويد التلاميذ منظومة المعارف المجردة، بل يجب أن تتسع تلك المنظومة التعليمية لتشمل الاهتمام بالوعي بمشاعرهم، وإدارتها إيجابياً، وضبطها عند الضغوطات، وتحفيزها للتفوق، واكتساب مهارات إيجابية في التواصل مع الآخرين.
- إدراج موضوعات الذكاء الوجداني في برنامج إعداد الأساتذة بشكل عام، وأساتذة التربية البدنية والرياضية على وجه الخصوص، وضمها في إطار الكفايات التعليمية، لأن ذلك يسهم في توفير بيئة انفعالية مستقرة من خلال تفعيل الأستاذ لمهارات الذكاء الوجداني في التعامل مع التلاميذ،

وبالأخص في مرحلة المراهقة، لأن ذلك يرسخ مشاعر آمنة مستقرة لديهم، تتأكد فيها صور الاحترام والتقدير تجاه أفكارهم وتساؤلاتهم في الموقف الصفي.

-إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول الذكاء الوجداني والتدريب عليه وأثره على متغيرات أخرى.

قائمة المراجع:

1.الزوبعي، عبد الجليل وآخرون(1981)، الاختبارات والمقاييس النفسية، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل.
2.بشير معمريه(2007)، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، منشورات الحبر، الجزء الثالث، الجزائر.
3.دانييل جولمان(2005)، الذكاء العاطفي، عالم المعرفة، الكويت.
4.سعاد جبر سعيد(2008)، الذكاء الانفعالي وسيكولوجية الطاقة اللامحدودة، عالم الكتب الحديثة وجدار للكتب العالمي، ط1، الأردن.
5.سعد رياض(2005)، الذكاء (مفهومه -أنواعه -قياسه -تنميته)، دار الكلمة، ط1، مصر.
6.سعاد جبر سعيد(2006)، أثر برنامج تعليمي مسند الي نظرية الذكاء الانفعالي في تنمية مفهوم الذات ودافعية التعليم لدى طلبة المرحلة الأساسية العليا، رسالة ماجستير، الأردن.
7.سعاد جبر سعيد(2006)، سيكولوجية التغير، عالم الكتب الحديثة، ط1، عمان – الأردن.
8.خوالد محمود(2008)، الذكاء العاطفي الذكاء الانفعالي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، عمان.
9.سليمان الخضري الشيخ(2008)، سيكولوجية الفروق الفردية في الذكاء، دار المسيرة، ط1، الأردن.
10.جابر عبد الحميد(2003)، الذكاءات المتعددة والفهم. القاهرة، دار الفكر العربي.
11.صفاء الأعسر وعلاء الدين كفافي(2000)، الذكاء الوجداني، دار قباء، دون طبعة، القاهرة.
12.دانيال جولمان(2001)، الذكاء العاطفي، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، العدد262، الكويت.
13.فان دالين، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون(1988)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
14.محمد مصطفى زيدان(2001)، النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية، القاهرة.
15.محمد عوض بسيوني(1992)، فيصل ياسين الشاطئ، نظريات وطرق التربية البدنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر.
16.محمود خوالدة، (2004)، الذكاء العاطفي الذكاء الانفعالي، دار الشروق، ط1، عمان.
17.مصطفى غالب(1991)، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة الهلال، ط1، بيروت-لبنان.
18.عبد الرحمان الوافي(2006)، مد خل إلى علم النفس، دار هومة، الجزائر.
19.عبد المجيد نشواتي(2003)، علم النفس التربوي، دار الفرقان، ط4، الاردن.
20.رابح تركي(1982)، أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
21.رابح تركي(2007)، مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
22.صالح حسن أحمد الداهري(2008)، علم النفس الارتقائي ونظرياته، دار الصفاء، ط1، عمان-الأردن، 2008.
23.ابن منظور(1998)، معجم لسان العرب، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت.

24.مجمع اللغة العربية(2004)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مصر.
26.محمد حمدان(2006)، معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن.
27.كرم البستاني وآخرون(1991)، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، ط31، بيروت.
28.محدوب احمد احمد قمر(2019)، الصحة النفسية والذكاء الوجداني وعلاقته ببعض المتغيرات، مجلة العلوم النفسية والتربوية، العدد 2 (1) مارس 2016.
29.السعدي عبد القادر سليمان(1982)، بناء برنامج لتنمية التفكير الناقد في تدريس الجغرافيا للمرحلة الإعداد، أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس القاهرة.
30.العتبى علاء شاكر(1996)، تصمم برنامج تعلمي في النشاط التمثيلي لتطوير مفهوم الذات لدى طلبة المرحلة الثانوية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، بغداد.
31.بشير معمريه(2008)، اكتشاف الموهوبين وفق نظرية الذكاء المتعدد، مجلة تنمية الموارد البشرية – مجلة متخصصة دورية محكمة متخصصة في الأبحاث التربوية والتنمية البشرية، العدد (6)، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

30.Gardener, H. (1983). Frames of mind: the Theory of Multiple Intelligence. New York: Basic Books.
31.Gardner,h, (1995), cracking open The IQ box, New York, Basic book
32.Goleman, D. (1995). Emotional Intelligence. New York: Bantam Books.
33.Kerlinger,F,N. (1973) ,Multiple Regression in BehavioralResearch, NY, Holt Rinehart and Winston ,London.

التنمية الاقتصادية وأثرها على المرأة القروية بالمغرب: حالة جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز

Economic development and its impact on rural women in Morocco: Case study: community'sksar srhir and ksar Al-Majaz Palace Province fahs Anjra

د الرواص بدر الدين، جامعة عبد المالك السعدي-المغرب
د زهير النامي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله-المغرب

ملخص: عرفت المرأة القروية في الأقاليم الشمالية للمغرب تطورا، بفضل برامج التنمية الاقتصادية التي خلقت تحولات جذرية ناتجة عن إنجاز مشاريع اقتصادية ضخمة أهمها المركب المينائي طنجة المتوسطي، على تراب إقليم الفحص أنجرة الذي أحدث ليواكب التحولات الناتجة عن إنجاز المركب المينائي. وقد ساهم المركب المينائي في تقوية البنية التعليمية بالإقليم، وتأهيل ترابه للإندماج في النسيج السوسيو اقتصادي الجهوي والوطني والدولي، والتخفيف من حدة الهشاشة التي راكمتها المنطقة منذ المرحلة الاستعمارية الاسبانية. وتعتبر جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز من أكثر الجماعات تأثرا بالتحولات الناتجة عن إنجاز المركب المينائي حيث استفادت المرأة القروية المنعزلة من تحسن البنية التعليمية ودعم عدة فاعلين ترابيين في دعم المرأة القروية وتشجيعها لتنشيط المجتمع المدني والمشاركة في تدبير الشأن الترابي بالجماعتين.

الكلمات المفتاحية: التنمية الاقتصادية، القطب المينائي طنجة المتوسط، مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية، المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

Abstract: rural women in the northern regions of Morocco have known development, due to the economic development programs that have created radical transformations resulting from the implementation of huge economic projects, the most important of which are the harbor of Tangier Mediterranean and the Renault Nissan plant, which was completed on the soil of the province of El-Fahs Anjra. The port complex contributed to strengthening' the educational structure in the region, which was created to cope with the transformations resulting from the completion of the port complex, and to prepare the soil of the region for integration into the socio-regional, national and international economic fabric, and to alleviate the fragility that the region has accumulated since the Spanish colonial phase. The groups of the Small Palace and Qsar Al Majaz are among the groups surrounding the port, and the groups most affected by the

transformations resulting from its completion. In addition to the boat, several earthen actors have contributed to developing the earthy act, supporting village women, and encouraging them to revitalize civil society and participate in managing the soil issue in the two groups.

Key words: Economic development, the port pole, Tangier Med, the Tangier Med Institution for Human Development, the National Initiative for Human Development, earthwork

مقدمة:

لقد احتلت مسألة التنمية السوسيو اقتصادية مكانا مهما بين الدراسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الفترة المعاصرة في إطار الاهتمام بقضايا التخلف والتنمية، وتوصيف ظاهرة التخلف وتحليل أسبابها وخصائصها، والعراقيل التي تواجه الدول في تبنيها لخطط التنمية.وتعتبر التنمية الاقتصادية مظهرا من مظاهر التنمية الترابية التي تراهن على خلق مشاريع اقتصادية لتنمية تراب ما، للانتقال من حالةٍ اقتصاديّةٍ إلى أخرى جديدةٍ؛ والاستفادة من خصوصياته المجالية، لخلق قيم مضافة.وإذا كانت المرأة تشكل ركيزة الأسرة القروية التي تمثل وحدة عمل وإنتاج، فقد ساهمت التنمية الاقتصادية بمشاريعها المتعددة إلى حد كبير في تنمية العنصر البشري، وتأهيله لمواكبة التحولات الناتجة عن هذه المشاريع. كما ساهمت التنمية الاقتصادية في تطور المرأة القروية، عبر إعادة الاهتمام بقدراتها في تنشيط المجتمع المدني، والرفع من المستوى المعيشي للأسر القروية والمشاركة في تدبير الشأن الترابي القروي.

الإطار المنهجي للدراسة:

1. إشكالية الدراسة:

تعالج هذه الورقة إشكالية المرأة القروية في شمال المغرب، ودور المشاريع الاقتصادية خاصة المركب المينائي طنجة المتوسط وقطبه الاجتماعي، الذي يتمثل في مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية في تطوير وضعيتها الاجتماعية، عبر الرفع من مستواها التعليمي وتأطيرها لتنشيط العمل الجمعوي والتعاوني بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز، التي تعتبر مجالات قروية هشة ومهمشة وتشجيعها من خلال دعم الاقتصاد الاجتماعي لتثمين المنتوج المحلي وخلق قيم مضافة، للتخفيف من حدة الفقر والهشاشة. إضافة إلى إبراز مظاهر التحولات التي عرفتها المرأة القروية بالجماعتين بعد إنجاز المركب المينائي طنجة المتوسطي. وتتفرع الإشكالية إلى عدة أسئلة فرعية:

-ما هو مفهوم التنمية الاقتصادية؟ ما هي أهم مشاريع التنمية الاقتصادية التي عرفتها المناطق الشمالية الهشة بالمغرب؟

-ما هو أثر هذه المشاريع على وضعية المرأة القروية بالمجال المدروس؟

-هل استفادت المرأة القروية في الرفع من مكانتها التقليدية وتنمية قدراتها والمساهمة في إبراز مؤهلاتها والمشاركة في تدبير الشأن المحلي؟

2. **أهداف الدراسة:** تهدف الدراسة إلى إنجاز مقارنة لوضعية المرأة القروية بالمناطق الشمالية الهشة بالمغرب والتحولات التي عرفتها بعد إنجاز برامج التنمية الاقتصادية اعتمادا على عدة مؤشرات بهدف:

-دراسة وضعية المرأة القروية قبل إنجاز المشاريع الاقتصادية.

-إبراز التحولات التي عرفتها المرأة القروية بالمناطق الشمالية بالمغرب بعد إنجاز المشاريع الاقتصادية.

-أهمية مشاريع التنمية الاقتصادية في تطور مكانة المرأة القروية في جماعتي القصر الصغير قصر المجاز.

المعطيات والوسائل:

ارتكزت المقالة على معطيات رسمية نوعية وكمية، خاصة المندوبية الجهوية للتخطيط، والمديرية الإقليمية للتعليم وبرامج عمل الجماعات الترابية. وقد حاولنا استغلال هذه المعطيات الرقمية لتحويلها إلى أشكال توضيحية كالجداول والمبيانات وخرائط.

3. منهجية وأدوات الدراسة

يقتضي البحث الجغرافي وضع الإشكالية التي تتعلق بظاهرة معينة مع استحضار عنصر المجال وتحليلها بمنظور جغرافي. وللإجابة عن الإشكالية تم الاعتماد على مقاربة معيارية إحصائية، عبر الاعتماد على أدوات متعددة كالجداول والمبيانات. وتتكون المداخلة من محورين هما التنمية الاقتصادية ووضعية المرأة في المغرب. في حين ارتكز المحور الثاني على دراسة التحولات التي عرفتها المرأة القروية بعد إنجاز المركب المينائي طنجة المتوسطي، ودور قطبه الاجتماعي المتمثل في مؤسسة طنجة المتوسط. إضافة إلى مساهمة المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. وأخيرا حاولنا بعض الخلاصات.

وللإجابة على الإشكالية، فقد حاولنا إبراز التحولات التي عرفتها المرأة القروية بالجماعتين، اعتمادا على المقاربة الاجتماعية من خلال عدة مؤشرات اجتماعية. إضافة إلى مقاربة مجالية كرطوغرافية عبر إنجاز خرائط لمجال الدراسة، وإبراز أهمية مراكز الإيواء في دعم تعلم المرأة القروية، والرفع من مستواها التعليمي.

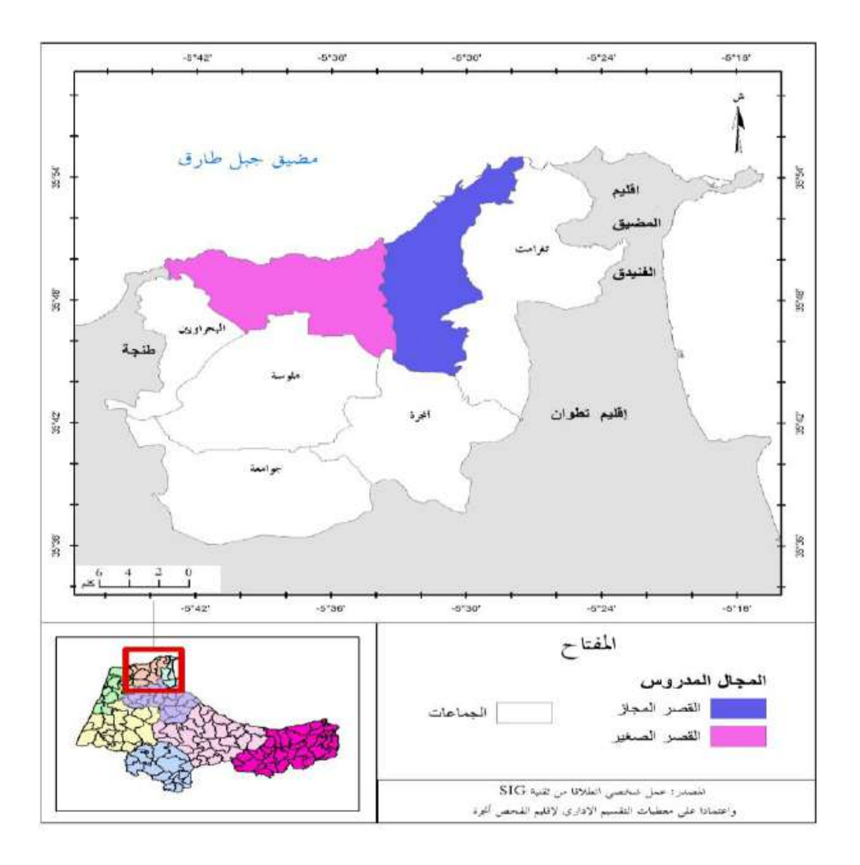
الإطار النظري والميداني:

1. موقع جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز بإقليم الفحص أنجرة كمجالات قروية هشة:

تقع جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز بتراب إقليم الفحص أنجرة بولاية طنجة بجهة طنجة تطوان الحسيمة. وتحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط، وجنوبا بجماعة ملوسة واجوامعة وشرقا بجماعة تغرامت وبليونش، وغربا بجماعة البحراويين ومقاطعة طنجة المدينة. وتتميز الجماعتين بسيادة طابع الارتفاع، حيث تمثل الجبال25% والهضاب65%. بينما تمثل السهول 10%. كما تتوفر على مجال ساحلي يطل على مضيق جبل طارق بحوض البحر الأبيض المتوسط، استقطب العديد من السياح والمصطافين للاستمتاع بالمناظر البحرية الخلابة. وقد أقرت السلطات قوانين للحد من ظاهرة السوحلة، بمنع البناء على الساحل وتوجيه العمران نحو المناطق الداخلية. ويبلغ الغطاء الغابوي بجماعة القصر الصغير ما يقارب 2089 هكتار بنسبة

10% من المساحة الغابوية، بينما يبلغ بجماعة قصر المجاز ما يقارب 1170 هكتار بنسبة 6% من المساحة الغابويةبالإقليم.

الخريطة رقم (1) توطين جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز بإقليم الفحص أنجرة بجهة طنجة تطوان الحسيمة



وتنتمي الجماعتين إثنيا إلى قبيلة أنجرة إحدى قبائل مصمودة الأمازيغية التي تعرّبت في عهد الدولة الموحدية. كما عرفت هجرات أسر أندلسية عديدة من الأندلس منذ القرن 15. هذا التمازج بين العنصر العربي والأمازيغي والأندلسي. إلى جانب صعوبة التضاريس. وهذا ما نتج عنه مجتمعا قرويا صارما، محافظا على موروثه الثقافي والاجتماعي، خاصة في التعامل مع المرأة. لقد ظلت قبيلة أنجرة عبر التاريخ منطقة مرور بين المغرب والأندلس، وثغرا جهاديا ضد الاحتلال الإيبيري. كما ظلت القبيلة طيلة قرونشديدة التشبث بهويتها الثقافية. هذا التشبث القوي

بالهوية الثقافية المحلية، قد ظل مؤثرا في الجماعة وعلاقاتها بالأفراد، وما بين الرجل والمرأة. ولعل التحولات الاجتماعية التي تشهدها الجماعتين بعد إنجاز المركب المينائي طنجة المتوسطي سمحت للأفراد باكتساب هامش جديد من الاستقلال الذاتي، والتعبير عن الذات. كما سمح للمرأة القروية من إبراز إمكانياتها الذاتية وتثمين منتوجها المحلي، والانخراط في تدبير الشأن الترابي (الهراس المختار،2002، ص155).

1- وضعية المرأة بالمغرب ورهاناالتنمية الاقتصادية:

1-1 وضعية المرأة القروية في المناطق الشمالية الهشة بالمغرب:

تعتبر المرأة المغربية إنتاج لوضع ثقافي، تحكمت في إفرازه الانهيارات التي عرفتها وسائل وأساليب الإنتاج عبر تاريخه. وعلى إثر التحولات الاقتصادية التي عرفها المغرب ابتداء من القرن 14م مع انتشار الطاعون والمجاعة والجفاف، وتعرض السواحل المغربية للاحتلال الإيبيري. عرفت العلاقة بين الأسرة ووسائل الإنتاج اختلالا، حيث أصبحت السلطة المطلقة في يد الأب باعتباره المسئول عن الأسرة ورعايتها. وفي هذا السياق تأسست الصورة الثقافية السلبية للمرأة من خلال تصور الرجال ليس كذات بل تلخصت النظرة في كونها مصدر الإثارة والعورة والإغواء والفتنة وعدم الثقة ومصدر العار(العنبي عبد الرحيم،2014، ص 136).كما شكل عمل المرأة القروية مزج بين العمل الداخلي كتربية الأولاد، والخارجي عن طريق تموين الحصادين بالغذاء وتنظيف البيادر، والمساعدة على نقل المحصول وتخزينه (العنبي عبد الرحيم،2014، ص137) فهي تشارك داخل الأسرة القروية في مختلف الأنشطة الفلاحية، بين امتهان بعض الحرف اليدوية كالغزل والصناعات التقليدية كإنتاج الجبن. ورغم ذلك فقد عانت المرأة القروية بشمال المغرب من قيود التقاليد والأعراف القروية، التي تمنعها من التعلم واعتبار التعليم لا ينسجم مع قيم الأنوثة وخصوصياتها. إضافة إلى أن الزواج هو مستقبل البنت وأن المدرسة فهي مضيعة المستقبل. كما ساهمت الوضعية الهشة لقرى شمال المغرب وفقرها، وغياب التجهيزات المدرسية، أو بعدها عن الدواوير بمسافة طويلة وغياب وسائل النقل. إضافة إلى توحل المسالك القروية بفعل الأمطار الغزيرة، وهذا ما يساهم في ارتفاع الأمية والهدر المدرسي خاصة في وسط الإناث. إضافة إلى الإقصاء الذي تعانيه المرأة القروية وانغلاقها وجهلها للمؤسسات الدستورية والترابية.

1- 2 مفهوم التنمية الاقتصادية وبعض نماذج المشاريع الاقتصادية المهمة في شمال المغرب:

لفقد راهنت مشاريع التنمية الاقتصادية التي أنجزت في المجالات الهشة القروية، على السعي وراء إعادة تأهيل المرأة القروية وتشجيعها لمواكبة التحولات الناتجة عن هذه المشاريع التنموية. وفي هذا الإطار يمكن تعريف التنمية الاقتصادية بكونها عملية انتقال من حالة التخلف إلى التقدم، عبر الاهتمام بتحقيق الأهداف التنمويّة المعتمدة على وجود استراتيجيّات عملٍ مناسبةٍ بهدف الوصول إلى معدّل النموّ الاقتصاديّ المطلوب(عجمية محمد، ناصف إيمان، 2008 ص9). وقد وضعت نظريات وأساليب وسياسات،بهدف البحث عن الوسائل والأساليب التي يتعين على الدول النامية إتباعها لتنمية اقتصادها، والتوجُّه نحو تحسين البيئة الداخليّة للمجتمع، وتطويرها عبر إحداث العديد من التغيرات الجوهرية في البنيات والهياكل الاقتصادية (عجمية محمد، ناصف

إيمان،2008، ص9). إضافة إلى الاستفادة من التّكنولوجي الدعم للتنمية الاقتصاديّة، عن طريق الاستثمار في الإمكانات والطاقات العلميّة والمعرفيّة المتنوّعة.ويعتبر المركب المينائي طنجة المتوسط من أكبر مشاريع التنمية الاقتصادية بالمغرب. وقد أنجز في 30 يوليوز سنة 2002 على حوض واد الرمل بجماعة قصر المجاز بإقليم الفحص أنجرة. هذا الإقليم الذي أحدث سنة 2003 لمواكبة التحولات الناتجة عن إنجاز المركب المينائي. ويتميز المشروع المينائي بموقع استراتيجي إذ يشرف على الساحل الجنوبي من مضيق جبل طارق، مواجها لأوروبا مضيق جبل طارق.لقد أنجز المركب المينائي في إطار السياسات العمومية الرامية إلى للرفع من قدرات البنيات التحتية الوطنية وتأهيلها لتواكب التطور الاقتصادي، والتحولات التي تعرفها محاور الاتصال العالمية، وتهم وضع استراتيجية وطنية حديثة لإصلاح الموانئ وتوسيعها وعصرنتها، وإنجاز مناطق الأنشطة الاقتصادية بمعايير وجودة عالمية. كما يدعم دوره المحوري كفاعل وشريك في المبادلات التجارية. ويرتبط المركب المينائي بأكثر من 174 ميناءا عالميا، و74 دولة وبقدرة استيعابية تصل إلى 9 ملايين حاوية و07 ملايين راكب و700 ألف شاحنة. ويتكون المركب من أربعة أقطاب: القطب المينائي، القطب الصناعي، القطب الخدماتي. إضافة إلى القطب الاجتماعي الذي سنتحدث عنه اليوم والذي تمثله مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية. وقد بلغ حجم الاستثمار الدولي في المركب مايقارب43مليار كاستثمار دوليمنه 25 مليار درهم كاستثمارات الوكالة الخاصة طنجة المتوسطي و18 مليار درهم كاستثمارات القطاع الخاص.وقد تمكن من استقطاب 3,5 مليار درهم من الاستثمارات الخاصة، وخلق أكثر من 9201 منصب شغل سنة 2017.

1-3 دور مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية في دعم المرأة القروية:

أحدثت مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية في ماي سنة2007.وتضطلع المؤسسة بصفتها شريك للمؤسسات الحكومية والجماعات الترابية والتنظيمات الجمعوية، بتجسيد مقاربتها المتحورة حول القرب والاستجابة لمتطلبات الساكنة. وذلكمن أجل المساهمة في تنمية المركب المينائي الضخم بانسجام مع محيطه، والعمل على خلق التوازن بين المركب المينائي والمجال البيئي والسوسيوثقافي للساكنة المحيطة به. مع العمل على إشراكها إنجاح المشروع الطموح. إضافة إلى العمل على استفادة الساكنة من هذه المشاريع. وقد ركزت المؤسسة مهامها حول التربية والتكوين والصحة، عبر تخصيص ميزانية ضخمة بلغت 130مليون درهم خلال الفترة الممتدة ما بين2007و2012 في إطار مقاربة التنمية المستدامة، وتفعيل التزام المركب المينائي بدعم الجانب الاجتماعي خاصة المرأة القروية، وذلك من خلال دعم انخراطها في النسيج الجمعوي، وتشجيعها لخلق أنشطة مدرة للدخل في إطار الاقتصاد الاجتماعي. كما ساهمت المؤسسة بتمويل النقل المدرسي بهدف تحسين ظروف تمدرس التلاميذ كمحور رئيسي لاستراتيجيتها. كما ساهم دعمها المالي في ارتفاع عدد المستفيدين من 468 تلميذ سنة 2009 إلى 2465 تلميذ بإقليم الفحص أنجرة سنة 2017. كما ساهمت المؤسسة في تحسين ظروف التعليم وخفض معدل الأمية ومكافحة الهدر المدرسي. كما لعبت دورا مهما في تسهيل الولوج للتجهيزات الصحية والتعليمية، وذلك بتوفير وسائل نقل خاصة بالإسعاف، وأخرى بنقل التلاميذ من

المؤسسات التعليمية إلى مقرات سكناهم. وقد رصدت المؤسسة ما يقارب 30 ألف درهم سنويا كدعم للنقل المدرسي، لضمان نقل يومي للتلاميذ من الدواوير البعيدة، على المؤسسات التعليمية. ومن أهم إنجازات المؤسسة، تأهيل 42 مدرسة قروية، والمساهمة في تقليص نسبة الأمية والحد من الهدر المدرسي عن طريق خلق مؤسسات القرب التعليمية والتكفل ببرامج محو الامية من خلال الساعات الليلية، ودعم النقل المدرسي، ودعم مشروع إحداث ثانوية للتعليم التقني بجماعة القصر الصغير، وتجهيز دور الطالبات للحد من الهدر المدرسي في صفوف الإناث، وإنشاء تجهيزات صحية للتقليص من وفيات الأطفال والأمهات.

الصورة رقم(1) مؤسسة ابتدائية بدوار الزرارع بجماعة القصر الصغير



الصورة بعدسة الرواص بدر الدين بتاريخ:22-1-2019

تبين الصورة مدرسة أنجزتها مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية في مدشر الزرارع. وهي من المدارس التي أنشأتها مؤسسة طنجة المتوسط بطراز معماري خاص ومميز، بالتنسيق مع الجماعة الترابية والمديرية الإقليمية للتعليم.

كما ظهرت مؤسسات عمومية تعمل على تطوير برامجومشاريع الاقتصاد الاجتماعي مثل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي ساهمت إلى جانب المركب المينائي طنجة المتوسطي ومؤسسته الاجتماعية في الرفع من مكانة المرأة القروية في جماعتي القصر الصغير والقصر المجاز وتنشيط برامج الاقتصاد الاجتماعي وتثمين المنتوج القروي المحلي.

1- 3 دور المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في تفعيل برامج الاقتصاد الاجتماعيوتأهيل المرأة القروية:

أطلق مشروع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2005.وقد شكلت فرصة لتدارك الخصاص الذي تعانيه التجهيزات والبنيات التحتية الأساسية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز، الشيء الذي فرض على أجهزة الحكامة توجيه أنشطة المبادرة الوطنية للتنمية البشرية نحو هذه القطاعات، مع الأخذ بعين الاعتبار أولويات كل قطاع على حدة،ومدى الوقع المباشر للمشاريع

على الساكنة المستهدفة. كما سعت المبادرة الوطنية إلى تحسين عيش الساكنة المحلية وتقوية البنية الطرقية، ودعم الصيد التقليدي بالنظر إلى الدور الذي يلعبه هذا القطاع في حفظ التوازن الاجتماعي الهش.كما سعت المبادرة الوطنية إلى دمج الساكنة في النسيج السوسيو اقتصادي، عبر إنعاش الأنشطة المدرة للدخل،مثل تهيئة محل للطرز والخياطة لصالح 50 مستفيدة، ودعم جمعية الساحل لتربية النحل لصالح 100 مستفيد بجماعة قصر المجاز. إضافة إلى دعم وإنعاش جمعية أنجرة للدرازة وتعاونية تربية النحل الديكي بجماعة القصر الصغير.

2-أثر المشاريع الاقتصادية على وضعية المرأة القروية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز:

2-1 تطور الوضعية الاجتماعية للمرأة القروية بعد إنجاز المشاريع الاقتصادية:

لقد عرفت جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز، تزايدا سكانيا ما بين سنة 2004 و2014، إذ ارتفع من 19611 نسمة سنة 2004 إلى 22467 نسمة سنة 2014، وهذا ما أثر على عدد الإناث.

الجدول رقم (1) توزيع عدد الإناث بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز ما بين سنة 2004 و2014

السنة	2004			2014		
الجماعة	الإناث	المجموع	النسبة	الإناث	المجموع	النسبة
القصر الصغير	5410	10995	27,58	6221	12850	27,68
قصر المجاز	4203	8616	21,43	4650	9617	20,69
المجموع	9613	19611	49,01	10871	22467	48,38

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 و2014.

يلاحظ من خلال الجدول رقم(1) أن عدد الإناث بالجماعتين ارتفع من 5410 نسمة إلى 6221 نسمة سنة 2014 بجماعة القصر الصغير. في حين تزايد من 4203 نسمة سنة 2004 إلى 4650 نسمة سنة 2014. كما عرفت نسبة الإناث تطورا من 49% سنة 2004 إلى 48,38% سنة 2014.

الجدول رقم (2) تطور متوسط الزواج بجماعتي القصر الصغير قصر المجاز ما بين سنة 2004 و2014

الجماعة	2004	2014
القصر الصغير	26,7	28,9
قصر المجاز	26,7	28,4
المعدل العام	26,7	28,6

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 و2014.

عرفت جماعتي القصر الصغير قصر المجاز من خلال الجدول رقم (2) تحولا في متوسط الزواج، إذ كان يبلغ متوسط الزواج سنة 2004 ما يقارب 26,7 سنة، لكنه ارتفع إلى 28.6 سنة 2014. ويعود ذلك إلى وعي المرأة القروية بالمجال بأهمية متابعة الدراسة، بعد تم إنجاز عدة مؤسسات تعليمية إعدادية وثانوية بالجماعتين، وتشجيع الجمعيات خاصة جمعيات النقل المدرسي على التحصيل، وضمان نقلهن في ظروف آمنة. إضافة إلى رغبتها في الخروج للعمل، خاصة وأن الزواج يشكل قيدا اجتماعيا للمرأة القروية، يحول دون التمتع بحقوقها وتحقيق رغباتها. وهذا ما سيساهم في ارتفاع معدل الخصوبة (عدد الأبناء لكل امرأة في سن الإنجاب). لقد صار الزواج مشروعا ثانويا بعد تحسن مستوى المرأة التعليمي، وظهور أنشطة المدرة للدخل لتثمين المنتوج المحلي وتسويقه. إضافة إلى ظهور القطب المينائي طنجة المتوسطي، الذي أثار اهتمام المرأة القروية لتأكيد حضورها مع الرجل.

الجدول رقم (3) تطور معدل الخصوبة بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز ما بين سنة 2004 و2014(%)

الجماعة	2004	2014
القصر الصغير	3,3	2,1
قصر المجاز	3,5	2,4
المعدل العام	3,3	2,5

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 و2014.

من خلال الجدول رقم (3) سجل معدل الخصوبة تراجعا بالجماعتين، إذ انخفض من 3,3%سنة 2004 إلى 2,1% سنة 2014 بجماعة القصر الصغير. كما تراجع من 3,5% إلى 2,4% سنة 2014 بجماعة قصر المجاز. ويعود ذلك إلى ارتفاع متوسط سن الزواج، ونمو وعي الإناث بأهمية التخطيط العائلي وتطور مستواهم التعليمي. إضافة إلى دور الجمعيات المحلية في تأطير النساء، وبضرورة تنظيم النسل الطوعي. كما أن انتشار الكهربة في المجال القروي، سيساهم في خلق تحولات اجتماعية على مستوى القيم الاجتماعية سواء تلك الخاصة بالعائلة أو بالعلاقة بين الرجل والمرأة أو بين الكبار والصغار. إضافة إلى بعض التغيرات المهمة لصالح التكيف مع التحولات الجديدة، إذ تتضح العلاقة بين غياب الإنارة وتعميمها وارتفاع أو انخفاض معدل الخصوبة(الهراس المختار، بنسعيد إدريس،1996، صص40-41).كما لعبت القنوات الإعلامية دورا كبيرا في مضاعفة الضغط الجنسي، والذي أصبح يزداد خطورة في غيبة الشروط الضرورية لتحقيق الزواج.وهذا ما أثر في حجم الأسرة القروية في الجماعتين.

الجدول رقم (4) تطور حجم الأسرة بجماعتي القصر الصغير وقصر الصغير ما بين سنة 2004 و2014 (%)

الجماعة	2004	2014
	متوسط حجم الأسر	متوسط حجم الأسر
القصر الصغير	4,9	4,3
قصر المجاز	5,0	4,4
المجموع	4.9	4,3

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 و2014.

يلاحظ من خلال الجدول رقم (4) أن حجم الأسرة قد عرف تطورا بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز، إذ تراجع متوسط حجم الأسرة من 4,9 فردا سنة 2004 إلى 4,3 فردا سنة 2014. ويعود ذلك إلى تراجع معدل الخصوبة وأهمية تنظيم الأسرة الذي تحث عليه السلطات الصحية. إضافة إلى خروج المرأة للعمل لتنشيط العمل الجمعوي. كما تأثرت المرأة القروية بتسرب القيم الحضرية من المدن المجاورة. وهذا ما نتج عنه تراجع الأسرة الموسعة المكونة من الأب والأم والأولاد والأحفاد والتي سادت في المجال القروي لصالح الأسرة الزوجية (أب وأم وطفلين) التي صارت تطبع خصائص الأسرة القروية بعد إنجاز المركب الميناني. كما ساهم القطب المينائي طنجة المتوسطي من استقطاب عمال من جهات مغربية مختلفة، حاملين ثقافات مختلفة عن ثقافة الجماعتين القرويتين اللتان تنتميان إلى قبيلة أنجرة المعروفة بحفاظها على تقاليدها وأعرافها الاجتماعية المتجذرة في تاريخ المنطقة.

الجدول رقم(5) أهمية المرأة القروية في البنية السكانية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز (%).

الجماعة	القصر الصغير			قصر المجاز		
المؤشرات	الرجال	النساء	المجموع	الرجال	النساء	المجموع
أقل من 6 سنوات	%12.2	12.8	12.5	10,7	11,0	10,8
من 6 إلى 14 سنة	%16.7	17.1	16.9	10,0	10,2	9,7
من 15 إلى 56 سنة	%61.6	61.4	61.5	58,8	59,4	59,3
60 سنة فما فوق	%9.6	8.6	9.1	8,9	7,4	8,2

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014.

يتبين من خلال الجدول رقم(5) أن الجماعتين تتميز بوجود بنية سكانية فتية. وذلك راجع إلى سيادة الفئات الشابة التي تتراوح بين 15 و56 سنة. وهذا المعطى يطرح إشكالية الاستدامة البشرية مع توفير مناصب الشغل، وبنية وتجهيزات أساسية كالصحة والتعليم. كما تشكل المرأة عنصرا مهما في مكونات هذه البنية الفتية والتي تتطلب مجهودات لتأطيرها في مؤسسات المجتمع المدني للاستفادة من طاقتها للرفع من المستوى المعيشي في الجماعتين، وتثمين المنتوج

المحلي لخلق قيم مالية مضافة. كما عرفت المرأة القروية تطورا بعد تحسن مستوى البنية المدرسية بالجماعتين، بعد إنجاز المركب المينائي طنجة المتوسطي. وهذا ما ساهم عبر مؤسسة طنجة المتوسط للتنمية البشرية، ودور المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، في تشييد وإصلاح عدة مؤسسات تعليمية، ودعم التمدرس والتخفيف من حدة الهدر المدرسي، عبر تمويل مشاريع النقل المدرسي بين المداشر والمؤسسات التعليمية. وهذا ما ساهم في ارتفاع عدد الإناث المتمدرسات.

الجدول رقم (6) تطور البنية المدرسية بالجماعتين ما بين سنة 2010 و2017

الجماعة	2010			2018		
	مجموعات مدرسية	إعداديات	ثانويات	م مدرسية	إعداديات	ثانويات
القصر الصغير	04	01	01	06	01	01
قصر المجاز	04	00	00	05	01	01
المجموع	08	01	01	11	02	2

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

نستخلص من الجدول رقم(6) أن البنية المدرسية بجماعة القصر الصغير وقصر المجاز عرفت تطورا، إذ تزايدت المجموعات المدرسية للتعليم الابتدائي من ثمان مجموعات سنة 2004 إلى 11 مجموعة مدرسية. كما تزايدت عدد الاعداديات من إعدادية وثانوية سنة 2004، إلى إعداديتين وثانويتين منها ثانوية تقنية. إضافة إلى مؤسستين تعليميتين تابعة للقطاع الخاص سنة 2018. وهذه البنية المدرسية الخاصة ستعمل إلى جانب قطاع التعليم العام، في الرفع من أهمية البنية المدرسية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز والرفع من عدد التلاميذ خاصة الإناث.

الجدول رقم (7) توزيع عدد التلاميذ الإناث بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز سنة 2017

الجنس	الذكور	الإناث	المجموع
القصر الصغير	3083	1392	4475
قصر المجاز	1570	762	2332
المجموع	4653	2154	6807

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

عرف عدد تلاميذ بالجماعتين من خلال الجدول رقم(7) ارتفاعا، إذ تزايد سنة 2017 إلى 6807 تلميذا وتلميذة. في حين بلغ عدد الإناث سنة 2017 ما يقارب 2154 تلميذة بنسبة 31,64%من مجموع التلاميذ بالجماعتين. ويعود ذلك إلى تحسن البنية المدرسية التي بلغت 11 مؤسسة ابتدائية وإعداديتين وثانويتين. وهذا ما ساهم في ارتفاع معدل التمدرس، وانخفاض معدل الأمية. كما تمكنت المرأة القروية من تقوية حضورها داخل المؤسسات التعليمية، حيث صارت تمثل% 43,54 من مجموع التلاميذ بالجماعتين. ورغم ضعف عدد الإناث المتمدرسات في الجماعتين

القرويتين، فقد نجحت المرأة القروية في تأكيد حضورها داخل المؤسسات التعليمية، وتجاوز العراقيل الطبيعية وبعد المسافات وقيود المجتمع القروي، لتصبح قرينا للرجال في الوسط التعليمي.ويعود ذلك إلى دور الطالبات التي تم إنجازها في المراكز الترابية لتشجيع الإناث خاصة اللواتي يأتين من مداشر بعيدة. كما ساهم النقل المدرسي في التخفيف من حدة الهدر المدرسي. كما أن تزايد درجة الوعي بأهمية ولوج الفتيات للتعليم وأهمية المجهودات المبذولة من طرف الفاعلين المحليين في تعميق مقاربة الإنصاف. كما أن ارتفاع عدد المتمدرسين، ساهم ارتفاع نسبة التمدرس خاصة تمدرس الفتيات بالإقليم.


الصورة رقم(1) داخلية الثانوية التقنية القصر الصغير



الصورة بعدسة الباحث الرواص بدر الدين بتاريخ 2020-2-23.

تبين الصورة رقم داخلية الثانوية التقنية القصر الصغير، أنجزت بدوار الشهبة بدعم من مؤسسة طنجة المتوسط والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية والمديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية بإقليم الفحص أنجرة، من أجل استقبال الفتيات والذكور من الدواوير البعيدة، والرفع من معدلات التمدرس في صفوف الإناث، والتخفيف من حدة الهدر المدرسي.

الجدول رقم (8) تطور معدل التمدرس في صفوف الإناث بالجماعتين مابين سنة 2004 و2014(%)

الجماعة	2004	2014
القصر الصغير	62,6	96,3
قصر المجاز	35,2	96,3
المجموع	48,9	96,3

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطروالبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

يلاحظ من خلال الجدول رقم(8) أن معدل التمدرس في صفوف الإناث ارتفع من 48,9 سنة 2004 إلى 96,3 سنة 2014 ويعود ذلك إلى تحسن البنية المدرسية، ودور جمعيات النقل المدرسي التي شجعت الإناث على الالتحاق إلى المؤسسات التعليمية من الدواوير البعيدة والمواظبة على التحصيل الدراسي. كما أثر بشكل إيجابي على الفئات العمرية خاصة فئة 6 -11 سنة.

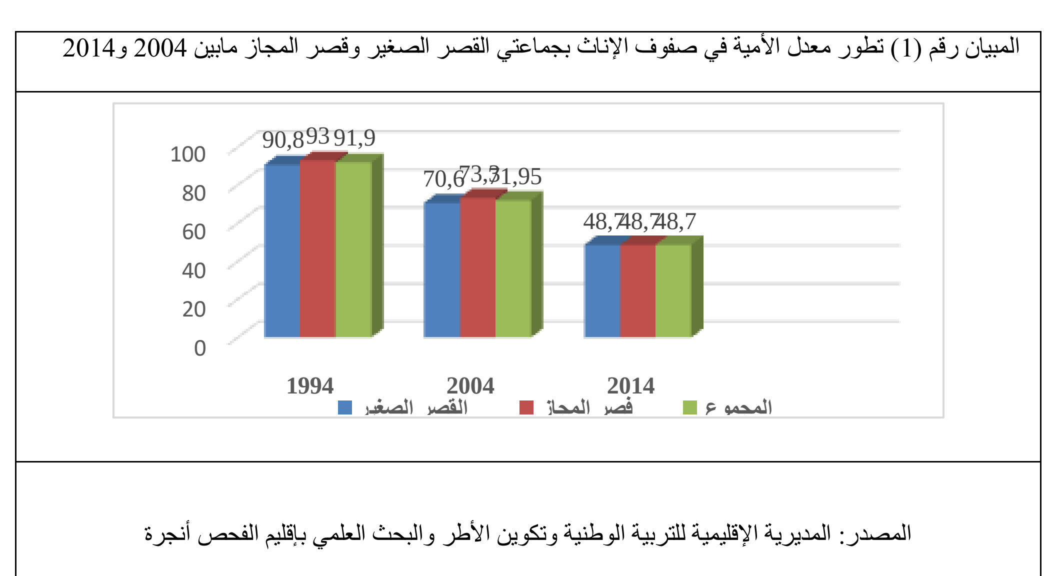
الجدول رقم (9) معدل تمدرس الإناث سنة 2018 بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز حسب الفئات العمرية (%).

المؤشر	6 سنوات	من 6-11 سنة	من 12-14 سنة	من 15-17 سنة
القصر الصغير	71,1	90,7	86,3	70,2
قصر المجاز	72,2	88,4	59,0	9,4

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

يتبين من خلال الجدول رقم(9) أن معدل تمدرس المرأة القروية بالجماعتين ارتفع في الفئات العمرية المرتبطة بالطور الابتدائي ما بين 6 و11 سنة، والطور الإعدادي ما بين 12 و14 سنة. ويعود ذلك إلى توسع البنية المدرسية.

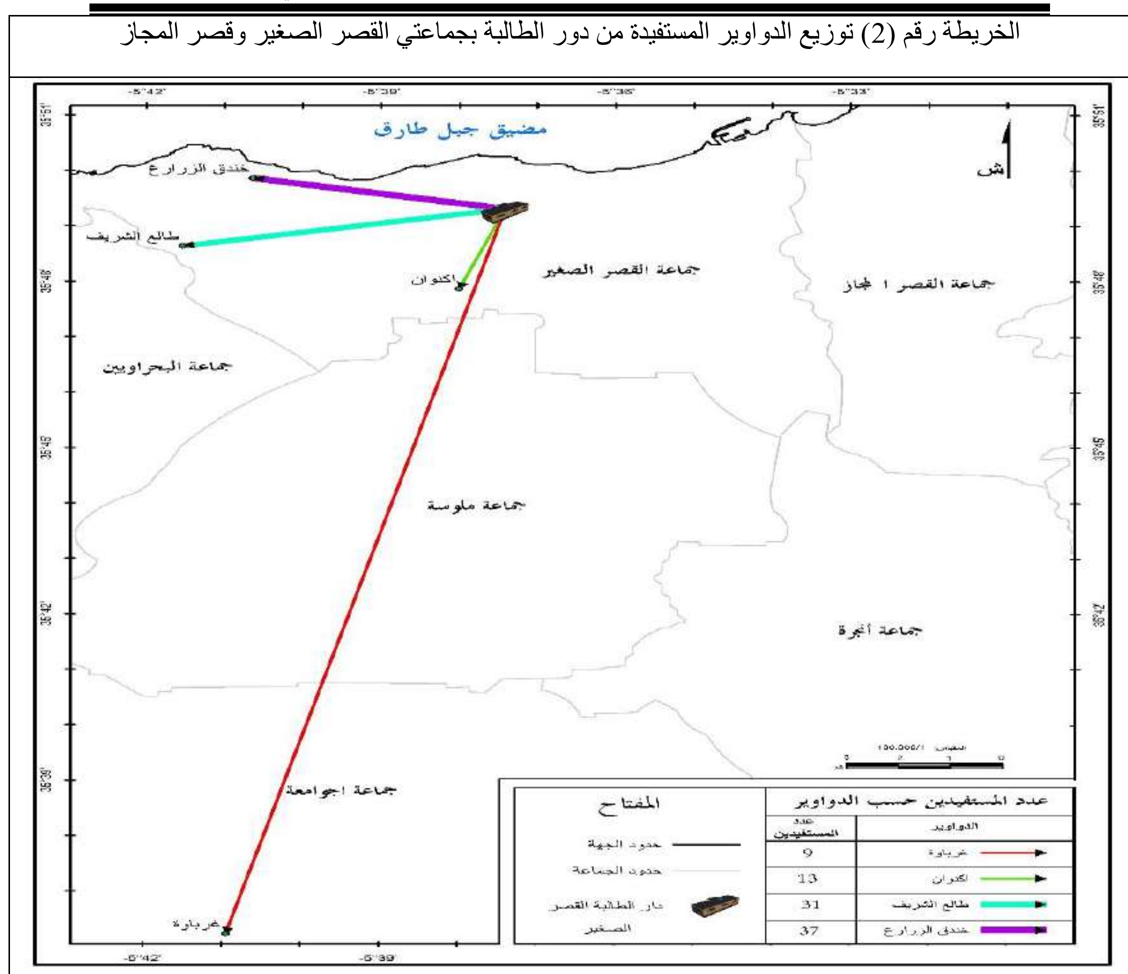
المبيان رقم (1) تطور معدل الأمية في صفوف الإناث بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز مابين 2004 و2014



المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة

عرف معدل الأمية في صفوف الإناث بجماعتي القصر الصغير وقصر المجازمن خلالالمبيان رقم (1) تطورا إذ انخفض المعدل من 90,85% سنة 1994 إلى 48,7% سنة 2014 بجماعة القصر الصغير. في حين انخفض المعدل من 93% سنة 1994 إلى 48,7% سنة 2014. ويعود ذلك إلى ارتفاع معدل التمدرس وارتفاع عدد التلاميذ وتحسن البنية المدرسية.كما ساهمت المؤسسات السوسيو ثقافية كداخليات الثانويات ودور الطالبات ودور الفتيات في الرفع من معدل التمدرس، وإيواء التلميذات التي تم استقبالهم من دواوير بعيدة.

الخريطة رقم (2) توزيع الدواوير المستفيدة من دور الطالبة بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز



المصدر: عمل شخصي انطلاقا على معطيات العمل الميداني: يناير2019

يلاحظ من خلال الخريطة رقم(2) أن مؤسسات الإيواء كدار الطالبة بجماعة القصر الصغير بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية قدساهمت في استقطاب التلاميذ الإناث من الدواوير البعيدة لاستكمال دراستهم الثانوية والحد من معدل الهدر المدرسي. وهذا ما نتج عنه ارتفاع المستوى التعليمي لدى المرأة القروية التي صارت تحصل على شواهد دراسية خاصة شهادة البكالوريا.

الجدول (10) توزيع المستوى التعليمي للمرأة القروية بالجماعتين سنة 2004 و2014 (%).

	الجماعة	بدون	أولي	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	جامعي
2004	القصر الصغير	71,6	1,7	23,2	2,2	0,8	0.5
	قصر المجاز	73,3	2,1	21,7	1,8	0,9	0,3
2014	القصر الصغير	41,5	16,1	27,4	8,9	4,7	1,4
	قصر المجاز	42,9	13,8	29,8	8,3	3,9	1,2

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطروالبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

لقد عرف المستوى التعليمي الخاص بالإناث من خلال الجدول رقم (10) تطورا. إذ تراجع عدد الإناث التي لا تتوفر على أي مستوى بجماعة القصر الصغير من 71,6 %سنة 2004 إلى 41,5 %سنة 2014 بجماعة القصر الصغير.كما تراجع العدد من 73,3% سنة 2004 إلى 42,9% سنة 2014 بجماعة قصر المجاز. مقابل ذلك ارتفعت جميع المستويات بالجماعتين من سنة 2004 إلى 2014، خاصة المستوى الإعدادي الذي تزايد من 2,2 %سنة 2004 إلى 8,9% سنة 2014 بجماعة القصر الصغير. بينما تزايد من 1,8% سنة 2004 إلى 8,3 %بجماعة قصر المجاز. ويعود ذلك إلى ظهور عدة مؤسسات تعليمية بالجماعتين، التي أنجزت بعد إنشاء القطب المينائي طنجة المتوسطي كإعدادية عبد الخطابي بجماعة قصر المجاز سنة 2014وثانوية القصر الصغير وثانوية القصر الصغير التقنية التي نجحت في إيواء التلميذات الإناث لمتابعة دراستهن الثانوية. كما ساهمت الوكالة الخاصة طنجة المتوسط في دعم التمدرس عبر تمويل نفقات النقل المدرسي وشراء الحافلات. كما عرفت وضعية المرأة القروية بإقليم الفحص انجرة تطورا إذ ساهم تطور مستواها التعليمي في المساهمة في تنشيط اليد العاملة.

الجدول (11) تطور أهمية المرأة القروية في مجال التشغيل بالجماعتينمابين سنتي 2004 و2014(%)

السنة	الجماعة	مستخدمة	أجيرة في القطاع العام	أجيرة في القطاع الخاص
2004	القصر الصغير	0,7	2,6	18,5
	قصر المجاز	00	1,3	41,8
2014	القصر الصغير	2,8	3,6	63,2
	قصر المجاز	3	2,4	56,4

المصدر: المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

يتبين من خلال الجدول رقم (11) لقد وضعية العمل لدى المرأة القروية عرفت تطورا، إذ ارتفعت أهميتها في القطاع الخاص بجماعة القصر الصغير من 18,5%سنة 2004 إلى 63,2%سنة 2014. بينما تزايدت أهميتها بنفس القطاع من 41,8% سنة 2004 إلى 65,4% سنة 2014. ويعود ذلك إلى ارتفاع المستوى التعليمي لدى المرأة القروية وظهور المركب

الميناني طنجة المتوسطي. وهذاما وفر فرص عمل مهمة خاصة. لكن ما لوحظ أن المرأة في الجماعتين لم تعمل إلا في مجال النظافة والبستنة والمطعمة.

إن فعالية التنمية القروية رهينة بإشراك السكان المعنيين في تدبير الشؤون الترابية وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بالأمور التي تهم حياتهم اليومية. وهذه أمور من صميم الحداثة السياسية(أقفلي حماني، 2002، ص11). وفي هذا لإطار ساهم انتشار التنظيمات الحزبية في البادية في استحداث ونشر أسس ومعايير جديدة للانتماء والتضامن والتنظيم من أجل الفعل الترابي. كما أن تواجد الأحزاب السياسية في العالم القروي من شأنه إفراز أشكال جديدة من المشروعية السياسية ترتبط بالممارسة الحزبية.مقابل المشروعية التقليدية القائمة على التقليد أو الحسب أو النسب أو الجنس(أقفلي حماني،2002، ص19).

لقد عرفت المرأة القروية في المغرب تطورا بعد إنجاز محاكم الأسرة، وتفعيل قنون الأسرة سنة 2004، إذ صار بإمكانها الاحتفاظ بممتلكاتها العقارية من أراضي. كما ساهم تطور مستواها التعليمي في تزايد تأكيدها بضرورة مشاركتها في تنشيط المجتمع المدني، وفي تدبير الشأن الترابي في المجال القروي. وفي هذا الصدد ساهمت المرأة القروية في نمو المجتمع المدني بالإقليم، عبر الانخراط الفعّال في العمل السياسي والجمعوي، والمساهمة في تدبير الشأن المحلي، عبر المشاركة في هيئات المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع. وتعد الهيئة آلية من آليات الديموقراطية التشاركية، إذ تتيح لممثلي الجمعيات وتنظيمات المجتمع المدني خاصة العنصر النسوي، القدرة على الاطلاع والمساهمة في بلورة السياسات التنموية. كما تمكنت المرأة القروية أن تجعل من هذه الهيئات كفضاء للتشاور وتبادل وجهات النظر بين المجتمع المدني والمجالس الترابية،في كل من جماعة القصر الصغير وقصر المجاز. وهذا ما سنلاحظه في الجدول التالي.

الجدول رقم(12) تطور التمثيلية النسائية في المناصب بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز سنة 2017

نوع التمثيلية	المجموع	الذكور	النسبة	الإناث	النسبة
عدد المستشارين بالجماعتين	30	22	73,33	08	26,66
عدد أعضاء هيئة المساواة	36	17	47,22	09	25
المجلس الإقليمي	118	100	84,74	18	15,25

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على برامج عمل الجماعات بإقليم الفحص أنجرة. والمندوبية الجهوية للتخطيط بجهة طنجة تطوان الحسيمة.

يتبين من خلال الجدول رقم (12) أن المرأة القروية نجحت بالحصول على تمثيلية في المجالس الترابية وفي هيئات المجتمع المدني. فرغم ضعف تمثيليتها في الجماعتين التي بلغت 27 % وبنسبة 25 % في هيئة المساواة والإنصاف. وبنسبة 15,25 % في المجلس الإقليمي، فقد أكدت على قدراتها في المشاركة في الرجل في تدبير الشأن المحلي.كما نلاحظ أن المرأة القروية تمكنت

من إثبات وجودها في الجماعات الترابية بالإقليم، حيث نجحت في الحصول على ثماني مقاعد من مجموع مقاعد المجالس الترابية السبعة المكونة للإقليم البالغة 131 مقعدا، بنسبة 23%.

الجدول رقم (13) توزيع عدد الجمعيات التي تديرها النساء بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز

الجماعة	ذكر	انثى	المجموع
القصر الصغير	6	5	11
قصر المجاز	6	1	7
المجموع	12	6	18
إقليم الفحص أنجرة	21	9	30

المصدر: عمل شخصي انطلاقا من العمل الميداني: نونبر2019

لقد تمكنت المرأة القروية من خلال الجدول رقم(13) من تأسيس ستة جمعيات بجماعة قصر الصغير وقصر المجاز، وهي جمعية حسانة الكبرى، وجمعية فرسيوة للتنمية، وجمعية الأمل، وجمعية المتوسط للنور، وجمعية المرأة والرياضة. ويعود ذلك إلى تطور البنية التعليمية وظهور عدة تجهيزات سوسيو ثقافية، التي ساهمت في رفع معد التمدرس، والتخفيف من حدة الهدر المدرسي في صفوف الإناث. إضافة إلى دور الفاعلين الترابيين كمؤسسة طنجة المتوسط والمبادرة الوطنية للتنمية البشريةووكالة إنعاش أقاليم الشمال، التي قدمت دعما لإنشاء مراكز لتقوية قدرات النساءودعم الاقتصاد الاجتماعي في إطار خلق أنشطة مدرة. إضافة إلى تأسيس جمعيات وتعاونيات نسوية التي سهرت على تأطير النساء وتشجيعهن على تثمين المنتوج المحلي.

الجدول رقم (14) توزيع النوادي النسوية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز سنة 2017

المؤسسات	النوادي النسوية	مجموع التجهيزات السوسيو ثقافية بالإقليم
العدد	2	13

المصدر: عمل شخصي اعتمادا على برامج عمل الجماعات القروية بإقليم الفحص أنجرة.

نلاحظ من خلال الجدول رقم (14) أن جماعة القصر الصغير وقصر المجاز تتوفر على ناديين نسويين من مجموع 13 مؤسسة سوسيو ثقافية موجودة بإقليم الفحص أنجرة. وقد لعب المجتمع المدني دورا حاسما في تدبير هذه التجهيزات السوسيو ثقافية والاستفادة من دعم الفاعلين الترابيين لصيانتها.

<table>
<tr><td>الصورة رقم(2) مركز تكوين وتقوية قدرات النساء بجماعة قصر المجاز</td></tr>
<tr><td>
</td></tr>
<tr><td>الصورة بعدسة الباحث الرواص بدر الدين بتاريخ: 2020-2-12</td></tr>
<tr><td>تبين الصورة مركز تكوين قدرات النساء الذي أنجز بمركز جماعة قصر المجاز، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية. وهو من المراكز التي أنجزت بالمنطقة لتنمية قدرات المرأة القروية.</td></tr>
</table>

خاتمة:

لقد خلصنا من خلال دراستنا أن المشاريع الاقتصادية والاقتصاد الاجتماعي، ساهمت في تطور وضعية المرأة القروية في جماعة القصر الصغير وقصر المجاز، حيث ساهمت من خلال تدخلاتها في:

-دور المركب المينائي طنجة المتوسطي عبر قطبه الاجتماعي في دعم المرأة القروية في جماعتي القصر الصغير وقصر المجاز باعتبارهما من الجماعات القروية الهشة في شمال المغرب.

-دعم البرامج التنموية، خاصة برامج فك العزلة وبرامج محو الأمية ودعم وتشجيع المرأة على التمدرس في العالم القروي.

-تطور هيئات المجتمع المدني في المجال القروي،وتفعيل مقاربة النوع عبر تشجيع تأسيس جمعيات تنموية نسائية للتحسيس والتوعية والتأطير، ودعم مشاريعها التنموية.

-دعم المرأة القروية من خلال تفعيل مشاريع الاقتصاد الاجتماعي عبر خلق أنشطة مدرة للدخل لتثمين المنتوج المحلي والرفع من مستوى المعيشة للتخفيف من حدة الهشاشة.

-تطور أهمية المرأة القروية كطرف أساسي في المشاركة في تدبير الشأن المحلي، وفي هيئات المجتمع المدني.

-استفادة المرأة القروية من مشاريع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ودعم الفاعلين المحليين للرفع من معدل تمدرسها.
-إن إنجاز مؤسسات تنشئة جديدة كالمؤسسات التعليمية، وتسرب القنوات الإعلامية عبر تعميم الكهرباء بالمجال القروي وظهور تنظيمات جمعوية وتعاونيات نسائية،لم تتمكن بعد في التأثير على القيم السلوكية، التي لا زالت جلّها تستمد مقوماتها من الإطار الأسري القروي كالطاعة والامتثال والعيب والحرام.
-أهمية الإطار القبلي الذي ما زال يحدد العلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد والأسر. إضافة إلى ظهور ازدواجية القيم في العالم القروي بين قيم قروية محافظة وقيم حضرية دخيلة. ولهذا يمكن أن نستنتج أن وضعية المرأة القروية بجماعتي القصر الصغير وقصر المجاز قد عرفت تطورا مهما، لكنها ما زالت تخضع لهيمنة التقاليد والموروث الثقافي القبلي.
-ضرورة إعادة الاهتمام إلى المرأة القروية وتنميتها بالمجال القروي، والتي تحتاج إلى نقاش معمق باعتبارها إشكالية المجال والمجتمع والثقافة، نظرا لهيمنة العوامل الثقافية والاجتماعية في التعامل مع المرأة. فعلاقة الرجل والمرأة لا تزال تخضع للتشريع الديني أكثر من المجالات القانونية الأخرى واختياراتها التي لا تراعى إلا نسبيا وبصفة محدودة ولا تحددها المؤشرات التعليمية أو العمرية أو الاقتصادية باستثناء بعض الفئات النسوية العاملة في مدينة سبتة المحتلة، أو تمارس العمل السياسي أو الجمعوي، أو انتمائها للنخبة السياسية بالمنطقة.
-خضوع الزواج للضغوطات الاقتصادية أكثر من الاختيارات الفردية والحرة. كما أن انتشار بعض السلوكات المنافية للتقاليد المحلية كالاختلاط، لم يلغي نهائيا مفهوم الشرف.

قائمة المراجع:

1. أقفلي حماني (2002)، الحزب والقبيلة، ملاحظات حول بعض عوائق التحديث السياسي في العالم القروي، مقتطف من كتاب التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 102، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس، الرباط.
2. بالدوين مبير(بدون تاريخ)، التنمية الاقتصادية، ترجمة جانت إسكندر، الشركة المصرية العامة للأنباء والنشر، القاهرة
3. بوشارب احمد(2016)، مغاربة في البرتغال خلال القرن 16 م، منشورات عكاظ، الرباط.
4. الحقاوي بسيمة(2012)، تمكين المرأة الريفية ودورها في القضاء على الجوع والفقر، التنمية والتحديات الراهنة، عرض تم تقديمه بمناسبة الدورة 56 للجنة وضع المرأة لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة. 28-2-2012، نيويورك.
5. عجمية محمد، ناصف إيمان(2008)، التنمية الاقتصادية، مطبعة البحيرة، مصر.
6. العنبي عبد الرحيم(2014)، الأسرة القروية بالمغرب من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك دراسة ميدانية لاتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير.
7. المديرية الإقليمية للتربية الوطنية وتكوين الأطر والبحث العلمي بإقليم الفحص أنجرة.

8. المرجان محمد(2002)، التحولات الاجتماعية بمنطقة الحوز الأنجرية، مقتطف من كتاب التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 102، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
9. المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2004 و2014.
10. نافزي جزواين(2017): التنمية الاقتصادية، ترجمة هبة عز الدين حسين وياسر عز الدين حسين، منشورات حميترا، مصر.
11. الهراس(المختار)(2002): الاسم الشخصي والتسمية والقبيلة واللقب والتفاعل الفرد/جماعة: حالة المجتمع الجبلي بأنجرة. مقتطف من كتاب التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 102. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط.
12. وزارة الداخلية: برنامج العمل الجماعي لجماعة القصر الصغير ما بين سنة 2017 و2022.
13. وزارة الداخلية: برنامج العمل الجماعي لجماعة قصر المجاز ما بين سنة 2017 و2022.

الظواهر السائلة في فلسفة زيجمونت باومان-العيش في زمن الخوف واللا أمن-

Liquid phenomena in the philosophy of Zygmunt Baumann-Live in a time of fear and insecurity-

د.عبد الغاني بوالسكك، جامعة الحاج لخضر باتنة 1-الجزائر

D. BoussekekAbdelghani, Université Batna 1 LHadj Lakhdar ALGERIE

الملخـص: بعد التحولات الحداثية التي عرفها الفكر الغربي والتي انتقل بفضلها من عصور الظلمات إلى أنوار الفكر، عرفت أوروبا الحداثة كظاهرة أو كمشروع جعلها تعيد التفكير في كل الظواهر والعلاقات وأدت إلى التفكير في زمن ما بعد الحداثة، حيث استطاع الفكر الغربي أن يؤسس لمرحلة الحداثة بمراجعات ومشاريع على مستوى الفكر والعمل، وهذا ما جعل الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي زيجمونت باومان يبدع مفاهيم جديدة حول الحياة والعنف والثقافة، ليؤكد أن زمن الحداثة قد دفع إلى التفكير في الظواهر التي كانت تمتاز بمفهوم جامد صلب، وبفعل تحولات الحداثة أصبحت مفهوما سائلا، ومن بين هذه المفاهيم مفهوم الخوف واللا أمن، من هنا فطبيعة هذا المقال تنصب في فلسفة الظواهر الاجتماعية التي تأثرت كغيرها بمعطيات الحداثة وما بعد الحداثة.

الكلمات المفتاحية: الخوف، اللا أمن، الحداثة، الظواهر السائلة، ما بعد الحداثة.

Abstract: After the modernist Transformations experienced by Western thought, thanks to which it moved from the ages of darkness to the lights of thought, Europe defined modernity as a phenomenon or as a project that made it rethink all phenomena and relationships and led to thinking in the post-modern era, where Western thought was able to establish the stage of modernity with reviews and projects on The level of thought and action, and this is what made the Polish philosopher and sociologist Zygmunt Baumann invent new concepts about life, violence and culture to confirm that the time of modernity has led to thinking about the phenomena that were characterized by a solid rigid concept, and by the transformations of modernity it has become a fluid concept, and among these The concepts are the concept of fear and insecurity. Hence, the

nature of this article focuses on the philosophy of social phenomena that, like others, were influenced by the data of modernity and postmodernism.

Key words: words: fear; insecurity; modernity; Liquid; phenomena; post modernity.

مقدمة:

بعد أن خرجت أوروبا من عصر الظلمات إلى عصر الأنوار بدأ الفكر الأوروبي يعرف نهضة فكرية وعلمية أدت إلى ظهور الحضارة الغربية، ومما زادها تطورا نتائج الثورة الصناعية، حيث شهدت أوروبا تراجعا كبيرا للفكر الخرافي والأسطوري واستقلالية عن الكنيسة، منذ ثورة غالي غاليلي وكوبرنيكوس، وهذا قادها إلى التفكير في التحرر من الفكر الظلامي والرجعي والذي سادها طيلة عصور وسطى مظلمة، وذلك بإعطاء أولوية للفكر الحر والفكر العلمي، والذي بفضله خرجت أوروبا من عصر الظلمات، وأعلن دخولها في العصور الحديثة، ومن هنا بدأت في التفكير في التحكم في الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان، فكانت الحداثة بكل مظاهرها، ودخل الإنسان الغربي في مرحلة الحداثة والتحديث فأبدع كل الوسائل التي تمكنه من الحياة برفاهية وشهدنا في هذه الفترة تراجعا للقيم والدين والأخلاق، ولم يعد يؤمن إنسان الحداثة إلا بمغرياتها ونسي ذاته، بل وحتى جانبه الروحي وظهرت أفكار علمانية تنادي بضرورة فصل الدين عن الدنيا بصورة نهائية، لأن العلم أعلن انتصاره، ومما زاد هذا الطرح قوة محاولة الغرب عولمة نموذجه الحضاري في العولمة على كل الدول والأمم والحضارات، على اعتبار أن الحداثة لا مفر منها والعولمة تفرض ذاتها بقوة، فظهر الإنسان العالمي والقيم العالمية، وأعلن نهاية التاريخ وسيطرة الرأسمالية والليبرالية، وذابت الفوارق بين الشعوب عن طريق وسائل الاتصال والإعلام، وظهرت الثقافة الغربية كنموذج تحاول أن تعمم على باقي الأمم، على اعتبارها النموذج الحداثي الذي أبدع الحداثة، ومن ثمة فرض الحضارة الغربية بكل مقوماتها على باقي الحضارات، وجعل العالم قرية واحدة، إلا أن ذلك أدى إلى ما عرف بصدام الحضارات والثقافات، ومن نتائج العولمة والحداثة السباق نحو التسلح وظهور المجتمع الاستهلاكي، مما اثر على الإنسان والبيئة وظهر من ينادي بما بعد الحداثة، لأن الحداثة خلقت لدى الإنسان نوع من القلق والخوف واللاأمن والمراقبة السائلة وهذا بدوره غير كثير من العلاقات والمفاهيم بين المجتمعات والشعوب، ومن هذه المفاهيم مفهوم الثقافة والحداثة والعنف والإنسان والقيم والحب والأخلاق والحياة وحتى الشر، حيث لا حظ الفيلسوف البولندي زيجمونت باومان أن هذه المفاهيم التي تدخل في أساس الفهم الإنساني لا بد أن تتغير وفقا لمعطيات الحداثة ولاحظ أن مفهومها الكلاسيكي ثابت لا يتغير، وبما أنه انتقلنا من زمن التحديث إلى الحداثة لا بد لهذه المفاهيم أن تتغير، ووضع ما أسماه بمصطلح السيولة، ما هي التحولات التي فرضتها الحداثة؟ وكيف انتقلنا بهذه المفاهيم من الصلابة إلى السيولة، وكيف انتقل الإنسان من الخوف الصلب إلى الخوف

السائل واللاأمن في زمن الحداثة؟ ما دور المراقبة السائلة في زيادة الخوف السائل أو نقصانه؟ وماذا ننتظر من زمن ما بعد الحداثة؟

وعليه اعتمدت المنهج التحليلي النقدي لتحليل ونقد أفكار باومان في تحولات الحداثة التي أدت إلى الانتقال من الصلابة إلى السيولة في المفاهيم والعلاقات والقيم، ولهذا كان الهدف تبيان ما أنتجته الحداثة من متغيرات وتأثيرات على الإنسان وذاته وأفكاره وقيمه وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، وحتى علاقته مع البيئة، ونقد كل منتجاتها، كما طرحت هذه الأفكار ضرورة الانتقال من زمن الحداثة إلى زمن ما بعد الحداثة، لأن منتجات الحداثة قد بينت تصاعد ظاهرة الخوف بمعناه السائل والذي أدى إلى الشعور كذلك باللاأمن مما يعني أن الحداثة أخلفت بوعودها للإنسان الذي كان يطمح إلى التقدم والرفاهية والعالمية والكونية والسعادة، وباعتبار زيجمونت باومان فيلسوف وعالم اجتماع بولندي اهتم بالظواهر السائلة بل هو من نحت هذا المصطلح، وباعتباره من رواد ما بعد الحداثة، وعلى اعتبار أن الدراسات حوله وحول فكره تكاد تكون منعدمة فقد ارتأيت أن أقدم تعريفا موجزا بهذا الفيلسوف العالم فمن هو زيجمونت باومان؟

1. زيجمونت باومان المولد والنشأة ومصادر فكره:

زيجمونت باومان **Zygmunt Bauman**فيلسوف وعالم اجتماع بولندي ولد في 19 نوفمبر1925، في بوزنان ببولندا، من أبوين بولنديين يهوديين(ويكبيديا، 2009)
انتقل إلى الإتحاد السوفياتي عند بداية الحرب العالمية الثانية وعمره أربعة عشرة عاما وعندما بلغ الثامنة عشرة عاما حارب في صفوف الفرقة البولندية في الجيش الأحمر ضد جيش هتلر، وبعد عودته إلى بولندا بعد الحرب، عمل باومان ضابطا سياسيا في الجيش البولندي خلال أواخر الأربعينيات وأواخر الخمسينيات، وفي عام 1948 تزوج جانينا لوينسون (**JanninaLeuinson**) (جون سكوت، 2009، ص85-86).

وقد اختبر زيجمونت باومان رعب الحرب، وعاش تجربة المنفى المؤلمة هذه التجارب جعلته نصيرا للمستضعفين وناقدا لاذعا للأوضاع الراهنة، اشتغل باومان في المخابرات العسكرية البولندية كمدرس في العلوم السياسية وخلال تلك الفترة (1953-1939)درس السوسيولوجيا فيأكاديمية وارسو في بولندا(رشيد العلوي2017)على يد كبار السوسيولوجيين البولنديين أمثال ستينسلو أوسوسكي وجوليان هوتشفيلد، غير أنه سيغادر قسم السوسيولوجيا نحو قسم الفلسفة، بسبب حظر علم الاجتماع في بولندا بحجة أنه علم اجتماع برجوازي وفي عام 1954 عمل محاضرا في جامعة وارسو، ثم أصبح أستاذا بروفيسورا في عام 1964 حيث استقر فيها إلى عام 1968، أين طرد رفقة عائلته في نفس السنة بعد شن الحزب الشيوعي حملة اتهامات بمعاداة السامية، وبذلك توجه إلى إسرائيل أين اشتغل كأستاذ محاضر في عدة جامعات بها حتى عام 1971، وبعدها غادرها أول ما جاءه عرضا للتدريس بجامعة ليدز ببريطانيا، لأن باومان أيقن حقيقة كونه ضحية دولة قومية عضوية (وهي بولندا) وبالتالي لم يشأ أن يقترف جرم القوميين في دولة قومية عضوية عنصرية (وهي إسرائيل)، وهذا ما صرحت وأفصحت عنه زوجته

جانينا لوينسون **Jannina Leuinson** « كانت إسرائيل تحكمها العصبية القومية، وها نحن قد فررنا للتو من القومية "البولندية" ولذا لم نرض أن نتحول من ضحايا دولة قومية إلى من يقترف الجرم ذاته (بحق الفلسطينيين)، في دولة قومية أخرى» ولم يتردد باومان في الرحيل إلى بريطانيا فور تلقيه عرضا للتدريس بجامعة ليدز وهناك تشكلت معالم مشروعه النقدي للحداثة الغربية ونزعتها القومية العنصرية(باومان،2014، ص28).

كما شغل أستاذا منذ 1971 في قسم علم الاجتماع، وأصبح فيما بعد رئيسا للقسم، ومنذ ذلك الوقت كانت كتب باومان تنشر باللغة الإنجليزية على وجه الحصر، عُدَّ منذ العقد التاسع من القرن الماضي، أحد أبرز أوجه حركة مناهضة العولمة النيوليبيرالية (رشيد العلوي2017) بعد وفاة زوجته جانينا عام 2009 أعاد الزواج من الباحثة في علم الاجتماع **"الكسندر حاسينكا"** وعاشت معه وبناته الثلاثة وأحفاده حتى وفاته المنية في09 يناير 2017 بمدينة ليدز عن عمر يناهز 91 سنة(ويكيبيديا).

2.تحولات الحداثة:

لقد عرف الغرب الحداثة منذ أن قطع الصلة بكل ما هو غير عقلاني علمي لينتقل إلى عصر الأنوار الذي مجد العقل والعلم، ولقد قدمت الحداثة وعود كبرى للإنسان الحديث والمعاصر في الرقي والتقدم والتطور، فلم يعد يؤمن إلا بالعقل والعلم، لكن بالمقابل خلقت لديه شعور بالقلق والخوف بخصوص القيم والذات والمجتمع والحياة، بل وإنسانيته الضائعة ولذا نجد الكثير من الفلاسفة الذين دافعوا عن المشروع الحداثي يتراجعون لما لاحظوه من تغول الحداثة التي تريد أن تلتهم الإنسان في كل أبعاده، ففكروا في مشاريع تنقذ الإنسان من نزعته الاستهلاكية المدمرة التي زرعتها الليبرالية الجديدة، وتعيد إليه القيم المفقودة وتنتشله من الاستلاب والاغتراب، ومن هؤلاء **زيجمونت باومان** الذي أدرك بان الحداثة كمشروع قد عرف تحولات وتغيرات وتطورات، في عالم مقدر لنا أن نعيش فيه، لقد أصبح الإنسان غريب في وطنه غريب عن ذاته، غريب عن مجتمعه، فلا بد من العودة إلى الذات وإلى الإنسان في كل أبعاده خاصة القيمية والأخلاقية في ظل عولمة حكمت بتصدع الدين وإلغاء كل الفوارق بين الأمم والثقافات والحضارات، في محاولة لفرض نمط واحد متجاهلة التعدد والتنوع والاختلاف بين الشعوب والأمم، إننا بقدر ما نعيش عصر النهايات بقدر ما نشهد ولادة تاريخ وإنسان ومجتمع جديد، وذلك بجعل الحداثة أكثر ديمقراطية تؤمن بالعدالة والحرية للإنسان وللإنسانية جمعاء، مبتعدة عن القلق والخوف واللاأمن الذي يشعر بها الإنسان الحداثي الذي يطمح إلى زمن ما بعد الحداثة، التي يمكن أن تعيد له قيمه وإنسانيته لذا فقد وجه باومان النقد لكل معطيات الحداثة ليكتشف أن الحداثة قد غيرت كثير من المفاهيم والمقولات الصلبة لتصبح سائلة، فظهر الخوف السائل والحب السائل والثقافة السائلة وغيرها، تماشيا مع معطيات الحداثة السائلة هي بدورها، إنها الحياة السائلة في زمن الحداثة السائلة التي يقول عنها باومان "فقد تحولت فكرة "التقدم" إلى واقع مرير وجبرية متطرف بعدما كانت أبرز تجليات التفاؤل والأمل الكبير بتحقيق السعادة الدائمة للجميع، فصارت ترمز إلى تهديد دائم وحتمي لا يبشر بالراحة ولا السكينة، بل ينذر بالشدة والمشقة الدائمتين ويمنع أية لحظة

للراحة...فلم تعد فكرة التقدم توحي بالآمال الكبرى والأحلام الجميلة، بل صارت تشير إلى معاناة من الأرق وكوابيس الخوف من التخلف عن ركب السائرين" (زيجمونت باومان،2017، ص34)، إن السؤال الذي أرق كثيرا زيجمونت باومان رغم إيمانه بأنه لا بد أن نعيش في هذا الواقع الذي فرضته العولمة والحداثة بكل معطياته هو فكيف تبدو الحياة السائلة في زمن الحداثة؟

3.في الحياة السائلة:

لقد تغير مفهوم الحياة، حيث غيرت معطيات الحداثة والعولمة كثير من المقولات والمفاهيم، فلم تعد الحياة هي العيش في أمان، ولم تعد هي البحث عن السعادة والرفاهية فبالرغم من الوعود الكبيرة التي قدمتها الحداثة في مشروعها من أنها وعدت الإنسان بحياة أكثر رفاهية ومتعة وتطور وتقدم، إلا أنها خلقت بالمقابل حياة مليئة بالخوف والقلق والاضطراب والانتحار والموت والعنف والقتل والإرهاب وأفول القيم والأخلاق، إنها إحدى أكبر نتائج العولمة والحداثة، وما وعدوا به من تقدم، فهو كما وصفه باومان "كلما تقدم المجتمع الحديث السائل تراجع بها الشهداء والأبطال الذين يجدون مأواهم الأخير في هذه الأيام بين الشعوب التي مازالت تحارب ما يبدو لكثير من أهل الكوكب (وربما لأغلبيتهم) حربا ضد ظروف يشق تحملها، بل وحربا خاسرة بالفعل، إنها حرب ضد القوى العسكرية والمالية العولمية الرهيبة التي تحاصر الأراضي البكر الباقية حتى تغرس نموذج حياتها الجديدة أينما ذهبت، وهي حياة تعني لمن يلقونها نهاية الحياة كما يعرفونها، بل وربما نهاية الحياة في حد ذاتها"(زيجمونت باومان، 2016، ص75).

إنها لنهاية مؤلمة يفتقد فيها الإنسان لكل قيمه، بل ولحريته ولسعادته التي طالما حلم بها في مجتمع ديمقراطي تقوده نخبة تمتلك ثقافة راقية، يزول فيه العنف والدمار وتنتهي فيه أزمات الإنسان المعاصر التي زادت بفعل فقدان الحرية والخوف واللاأمن، بل والخضوع لسيطرة الثقافة الاستهلاكية التي جعلت الإنسان ذو بعد واحد كما يقول **هربرت ماركوز**، إننا إذا أردنا أن نبني مجتمعا حديثا فعلينا أن نضع في مشروعنا هذه الأبعاد بالموازاة مع معطيات الحداثة الصلبة، لننتقل إلى حداثة سائلة، تؤمن بالسعادة والتسامح بين الناس، وكما يصفها باومان بقوله: "الحياة السائلة نحياها عادة في مجتمع حديث سائل، وهو مجتمع تتغير فيه الظروف التي يعيشها أعضاؤه بسرعة لا تسمح باستقرار الأفعال في عادات وأعمال...كما أن الحياة السائلة تماما مثل المجتمع الحديث السائل، لا يمكن أن تحتفظ بشكلها ولا تظل على حالها وقتا طويلا...إن الحياة السائلة حياة محفوفة بالمخاطر يحياها المرء في حالة من اللايقين الدائم وأشد هاجس يساور المرء في تلك الحياة هو الخوف من أن تأخذه على حين غرة، ومن الفشل في اللحاق بالمستجدات المتسارعة"(زيجمونت باومان، ص21- 22).

ونتيجة لمغريات الحياة السائلة في زمن الحداثة فإن باومان يؤكد أنه بقدر السعي وراء هذه الحياة بقدر ما تزداد المخاطر ويزيد الخوف من المستقبل ومن زوال السعادة، إننا أمام حياة حداثية تمتاز بالسرعة والتسارع، تضعنا مباشرة أمام مجتمع استهلاكي لا يتوقف وبالتالي لا يمكن أن نعيش هذه الحياة بعيدا عن الخوف وهو ما يؤكده باومان بقوله: "فليت حياتنا خالية من الخوف،

والزمن الحديث السائل الذي تعاش فيه حياتنا ليس خاليا من الأخطار والتهديدات، بل إن الحياة بأسرها في هذا الزمن هي صراع طويل خاسر على الأرجح ضد إمكانية التأثير السلبي المحتمل للمخاوف...باتت الحياة بحثا مستمرا واختبارا دائما للسبل والأدوات التي تعيننا على منع وقوع الأخطار"(زيجمونت باومان، ص31)

ولقد منحت الحداثة السائلة للإنسان الحرية أكثر من أي وقت مضى، ولكن هذه الحرية سلاح ذو حدين، فقد ارتقت بالفرد والمجتمع نحو التحرر والتخلص من كثير من السيطرة والقوة وألهمته كيف يتحرر من الطبيعة ومن غرائزه، وحتى من كثير من الأنظمة التسلطية وبعض المظاهر الاجتماعية، وبالمقابل أفقدت الإنسان الأمن والسعادة والراحة النفسية فأصبح أكثر قلقا واضطرابا وخوفا، بل ومعاناة، ولهذا يرى باومان "أن الشيء الوحيد المهم في اعتبارنا حرا والذي يجعلك تحافظ على أن تكون كذلك هو وجود "المجتمع الحر" أي مجتمع الأفراد الأحرار الذي لا يحرم عليك ولا عنك أن تفعل وفق رغباتك، ولا يعرضك للعقاب على مثل تلك الأفعال"(زيجمونت باومان، ص16).

4.في الحرية:

لا يمكن تصور الإنسان الحر إلا في مجتمع حر، إنها القاعدة التي يؤمن بها الفلاسفة وعلماء الاجتماع، والحرية في مجتمع الحداثة السائلة كما يرى باومان لا يقصد بها أن تفعل ما تشاء ولا تعني غياب كل الضوابط الاجتماعية والقيود الأخلاقية، بل على العكس من ذلك هي أن تفعل وأن تعيش وفق هذه الضوابط والقيود هو معنى الحرية الحقيقي، فبقدر ما يتحمل الناس مسؤولية أفعالهم بقدر ما يبرهنون على حريتهم، وهو ما يؤكده باومان في قوله:"ويكون الناس أحرارا بشكل أساسي باعتبارهم يتحملون مسؤولية نتائج أفعالهم، وفهم الحرية قد يستمد من بعض العقائد أو المعتقدات الأخلاقية المؤسسة دينيا أو المبينة قانونا أو بشكل فلسفي، كثيرا ما يكون الناس أحرارا بصورة أساسية، باعتبار حياتهم يمكن أن تكون لا شيء إلا مشروعهم الخاص، ولايتصورونها باعتبارها سلسلة تنازلات أو خضوع للضروريات" (زيجمونت باومان، ص55)

إنه المفهوم الجديد للحرية السائلة في مجتمع سائل، فرضته الحداثة السائلة بكل معطياتها وعليه:"إن تاريخ الحرية يقوم على سلسلة إعادة الصياغة وإعادة التعريف..فتاريخ الحرية يقيم جسرا يمتد فوق حسب المدى العريض للتشكيلات الاجتماعية بتعارضاتها الدقيقة وصراعات القوة"(زيجمونت باومان، ص ص56-57).

ولقد استطاع الإنسان الحداثي أن يكتسب كثير من الحرية خاصة الحرية الفردية والاقتصادية، وهي الحرية التي بنيت عليها كثير من الأنظمة السياسية والاقتصادية، وعرف إنسان الحداثة بعض الرفاهية والسعادة التي بحث عنها، ولكن باومان لاحظ إن الحرية في هذا المجتمع المعاصر والليبرالي تحديدا تفرض أن يكون البعض أحرار على حساب البعض الآخر، وبالتالي فهي حرية مزيفة، وهنا تكمن المفارقة في أنه "يوجد غموض عرضي في الحرية في شكلها

الحديث المقترن بالرأسمالية، تتطلب فاعليه الحرية أن يبقى بعض الناس الآخرين غير أحرار، فأن تكون حرا يعني أن يكون مسموحا بإبقاء الآخرين غير أحرار وأن تكون قادرا على ذلك، وهكذا فالحرية في حداثتها شكل محدود اقتصاديا لا يختلف عن ما قبل تطبيقاتها الحديثة فيما يتعلق بمضمون علاقتها الاجتماعية، أنها تكون كما كانت من قبل انتقائية، وربما هي تتحقق بشكل صحيح عند جزء من المجتمع فقط، إنها تشكل أحد القطبين في العلاقة التي قاعدتها نظامها المعياري والإجبار والتقييد قطبها الآخر"(زيجمونت باومان، ص80).

هذا ما تعنيه الحرية الاقتصادية، أما الحرية الاجتماعية أو الحرية بمفهومها الأخلاقي، في التي تفترض أن الإنسان باستطاعته أن يختار الخير والشر، باعتباره كائن أخلاقي، وبالتالي يستطيع أن يختار، ولذا فهو كائن مسؤول عن اختياراته، فلا يجب أن نقوم بالفعل ثم نتهم الإله بأنه من فرض علينا القيام بالفعل، فالله بريء والناس هم المسؤولون عن اختيارهم الحر، وهذا المفهوم الأخلاقي للحرية هو الذي يرتبط بالإنسان وإرادته ومصيره، إذ يتوفر عليه اختياره بين الخير والشر، وتحمل المسؤولية، يقول باومان في ذلك "وفقا لبيلاجوس"جعل الله الناس أحرارا" ولكونه جعلهم هكذا فإن الناس تستطيع الاختيار بين الخير والشر ووفقا لإرادتهم إنه أيقظهم ليعيشوا من أجل خلاصهم أو هلاكهم، ولكونهم أصبحوا أحرارا ووهبهم الإرادة الحرة ، فإنهم يتحملون تماما مسؤولية أفعالهم، حقا إن الله بقدرته الشاملة وهب الناس هبة لا ترد هي هبة الإرادة الحرة، وبذلك وضع الله مصير الناس في أيديهم وقرر رفض كل قوة فوق سلوكهم وبالتفويض أو بالوكالة"(زيجمونت باومان، ص59-60).

وعليه لا يمكن تصور إنسان حر إلا في مجتمع حر، هذه الحرية التي يتكلم عنها باومان هي الحرية الإنسانية التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يكون مسؤولا وقادرا على الاختيار ولهذا نجده يقدم نقدا للحرية في المجتمع الليبرالي، وحتى الاشتراكي، ولقد أدت هذه الحرية الحداثية السائلة إلى مجتمع مفتوح، كما أثرت في الإنسان وسلوكياته، وفي المجتمع وقيمه وظواهره، فبعد الغزو العولمي وتحولات الحداثة، ظهر الإنسان الحداثي الجديد، وتغيرت كثير من سلوكياته بتغير أفكاره التي فرضتها عليه العولمة والحداثة، فظهر العنف السائل والثقافة السائلة، وأصبح إنسان الحداثة أكثر خوفا من ذاته ومجتمعه ومستقبله.

5.في الخوف السائل:

في نظرنا لا يوجد عالم فيلسوف حلل ظاهرة الخوف واللاأمن مثل زيجمونت باومان حيث حلل هذه الظاهرة وبين كيف تغيرت من الصلابة إلى السيولة، نعم هناك من حلل هذه الظاهرة من الجانب النفسي كسيغموند فرويد، ومن الجانب الفلسفي جان بول سارتر، ومن الجانب الاجتماعي إميل دوراكايم، وغيرهم، وهذا ما يسميه زيجمونت باومان بالتحليل الصلب لظاهرة الخوف واللاأمن، الذي يركز على الخوف الطبيعي الغريزي وحتى الاجتماعي، أما الخوف اليوم الذي نشأ نتيجة تحولات الحداثة وظهور المجتمعات الحداثية وما بعد الحداثية مجتمعات الاستهلاك، فهو خوف سائل، انه خوف فرضته تيارات العولمة وانتقال المجتمعات إلى مجتمعات حداثية،

وتطور الرأسمالية والليبرالية، وتمجيد النزعة الفردية، وتفكك العلاقات الاجتماعية، وانهيار القيم الأخلاقية "لا شك أن العولمة أصبحت الآن حتمية وفي مسار يستحيل عكسه، لقد تم الوصول إلى نقطة اللاعودة وتم تجاوزها، لا عودة الآن، إن علاقاتنا فيما بيننا واعتمادنا على بعض صار عالميا، كل ما يحدث في مكان يؤثر على حياة الناس وفرصهم في العيش في مكان آخر، حسب الخطوات التي تتخذ في مكان ما، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ردود الفعل في كل مكان آخر، لا حدود سيادية مهما كثرت أو كثر سكانها وإمكاناتها تستطيع بمفردها أن تحمي ظروفها المعيشية أو أمن سكانها اعتماد بعضنا على بعض يحدث علىامتداد الكرة الأرضية" (زيجمونت باومان، 2016، ص46).

إنه زمن اللاأمن الذي فرضته الحداثة الغربية بمنطقها التداولي، عن ماذا يبحث الإنسان الحداثي العولمي؟ يتساءل زيجمونت باومان، هل على الوفرة والرفاهية؟ هل على السيادة والسيطرة التي جعلته يوما يضن أنه سيصبح إلها هل يسعى وراء المادة والاستهلاك بعيدا عن قيمه الروحية والأخلاقية، ماذا قدم له التطور؟

إن اضعف مخلوق يمكن أن يشعر الإنسان بالخوف، بل وبالرهاب وهو أعلى درجات الخوف إن أدق جرثومة أو ميكروب يمكن أن يقضي على الإنسان ويشعره بالخوف الرهيب كما يحدث مع فيروس كرونا، لقد عرت هذه الأمراض الإنسان من كل أبعاده وقيمه، لقد كشفت عن حقيقته الإنسانية وضعفه أمام أضعف المخلوقات، كما بينت أن العصرنة والتباهي بالتطور والتقدم العلمي والطبي لم يصل إلى الحد الذي يشعر الإنسان بالأمان والقوة والسيطرة، لقد أيقظت هذه الأمراض والمشاكل الاجتماعية الجديدة الإنسان من سباته، كما دفعت الإنسان لأن يفكر أكثر في بشريته وجنسه، ويبتعد عن الأنانية والغطرسة، وكشفت عن الوجه القبيح للعولمة والامبريالية والليبرالية المتوحشة، وأعادت طرح أسئلة العلاقة بين الإنسان وذاته وبين الإنسان وغيره، والإنسان وأخلاقه، فيما سمي بالبيوإطيقا، وبين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وبيئته وعقله وعلمه....الخ، إن الخوف واللاأمن جعل الإنسان يعيد كثير من حساباته، وكما يقول باومان:"إن الأمان هو عنوان اللعبة في عالم غير آمن فالأمان هو الغاية الرئيسية من اللعبة ومكافأتها الأسمى إنه قيمة تقزم عمليا إن لم يكن نظريا، وتدفع كل القيم الأخرى بما فيها تلك القيم الأحب والأكثر بغضا لديهم، ولهذا السبب أفصحوا عن السبب الرئيس لرغبتهم بإيذائنا في عالم متزعزع كعالمنا"(زيجمونت باومان، ص319-320) من هنا يصل زيجمونت باومان ليصف لنا بدقة الحياة السائلة في زمن الحداثة السائلة التي تحول فيها الخوف من خوف صلب إلى خوف سائل، إنه أكثر خطرا على الفرد والمجتمع والقيم، إنه الدمار الذاتي لكل هؤلاء، إنه إحدى مخلفات الحداثة المتغولة التي التهمت كل ما يرتبط بالإنسان من قيم عليا سواء أكانت اجتماعية أم ديني لقد لهثت العولمة والحداثة إلى إنتاج وضع بشري وإنسان حديث يفتقد إلى القيم الجمالية والخير والحب والسلام، لقد أعلنت الحرب على الإنسان، بما أنتجته من مغريات ومعطيات لقد تجاوزت إنتاج الأسلحة النووية الفتاكة، إلى إنتاج إنسان مدمر، والى إنتاج أسلحة دمار شامل لكل الشعوب والأمم، إنه السلاح البيولوجي الذي لا يميز بين البشر، ولا يمكن التحكم فيه، وهذا ما زاد من خوف الإنسان وشعوره باللاأمن، يقول باومان في ذلك "فما أن يحل الخوف بالعالم الإنساني، فإنه

يكتسب قوته الذاتية الدافعة ولا يتطلب منطق تطوره اهتماما يذكر وقلما يحتاج لأي استثمار إضافي حتى ينمو وينتشر، بل لا يمكن إيقافه، فالخوف من الخطر ليس الطامة الكبرى، بل امتداده وتحوله، فالحياة الاجتماعية تتغير عندما يعيش الناس خلف الأسوار ويستأجرون الحراس ويقودون سيارات مصفحة، ويحملون الأسلحة ويحضرون دورات تدريبية في فنون القتال وتكمن المشكلة في أن هذه الاحتياطات تعيد تأكيد الشعور بالخلل، بل إنها تساعد على توليد هذا الشعور"(زيجمونت باومان، ص32-33).

ويزداد الخوف يوما بعد يوم، انه شعور متزايد نتيجة لما يفرضه الواقع الاجتماعي المعيش فلا يمكن التخلص من هذا الخوف السائل، بل إنه أصبح جزء من حياتنا اليومية، إنه يتبعنا في كل لحظة من لحظات حياتنا، في الشارع وفي البيت، وفي محلات البيع، ومطاعم الوجبات السريعة، إننا نخاف أن نلمس شيء فيه جراثيم فتاكة وفيروسات قاتلة، إننا نخاف أن نأكل وجبات سريعة بها مواد مضافة تتسبب في السرطانات بكل أنواعها، أصبحنا نخاف أن نصافح أو نعانق، أصبحنا نخاف من الإشعاعات في الهواتف الذكية والتلفزيونات وأجهزة الكومبيوتر ومواقع التواصل الاجتماعي، أصبحنا نخاف من المواد المنظفة، ومن الأغذية واللحوم المعدلة وراثيا، أصبحنا نخاف من المواد المعاد رسكلتها، أصبحنا نخاف حتى من الهواء الذي نتنفسه إنه الخوف السائل بل الرهاب الذي فرضته العولمة والحداثة على الإنسان الذي أنتجها، باحثا عن السعادة والرفاه والأمن، وهكذا " تدفعنا المخاوف إلى القيام بفعل دفاعي، وعند القيام به فإنه يحول الخوف إلى وجود مباشر ملموس، فاستجاباتنا هي التي تعيد صياغة الهواجس المخيفة باعتبارها واقعا يوميا يجسد كلمة الخوف المجرد، فلقد استقر الخوف الآن بالداخل وهو يتسرب إلى أنشطتنا اليومية المعتادة، وقلما يحتاج إلى مثيرات أخرى من الخارج فالأفعال التي يولدها يوما بعد يوم مستمدة بكل الدافعية والطاقة التي يحتاجها لإعادة توليد نفسه، وربما يكون التوليد الذاتي لفخاخ الخوف والأفعال المنبعثة من الخوف هو أهم الآليات المتنافسة على الاقتراب من النموذج المثالي للآلة الخيالية التي لا تتوقف أبدا ما إن تبدأ حركتها"(زيجمونت باومان، ص33).

وهنا نجد زيجمونت باومان بعقلية عالم الاجتماع المتمرس والفيلسوف المفكر يحلل هذه الظاهرة وفقا لمعطيات الحداثة ويقوم بتشريح هذا الواقع المخيف المرعب عندما يقول: "وهكذا ننشغل بتحديد "العلامات السبع للسرطان" و"الأعراض الخمس للاكتئاب" أو ننهمك في طرد الروح الشريرة التي يمثلها كل من ضغط الدم المرتفع، وزيادة نسبة الكولسترول والتوتر والسمنة، إننا نبحث عن أهداف بديلة حتى نفرغ فيها فائض الخوف الذي لا يجد منافذ طبيعيه... فكل قفل إضافي نضعه على باب الدخول بسبب الشائعات المتوالية عن المجرمين وكل تعديل للنظام الغذائي...يجعل العالم أكثر إثارة للهلع، وقد يزيد الناس تحفزا للدفاع والاحتراس، وهذا يزيد للأسف من المقدرة التوليدية الذاتية للخوف"(زيجمونت باومانص35)والأكثر من ذلك لا حظ باومان أن هذا الخوف واللاأمن اليوم أصبح يدر أموالا طائلة على الشركات العملاقة التي أبدعت في إنتاج كل ما يطلبه الإنسان لمحاربة خوفه والأموال التي تستفيد منها تعيد بها إنتاج الخوف من جديد، حتى تستمر في البيع والأرباح ولقد أطلق باومان على أموالها رأس مال الخوف، وهنا يقول: "فالخوف موجود وهو يتسرب إلى الوجود الإنساني اليومي، بينما يتوغل الاقتصاد الحر

في أساساته، وتتداعى الحصون الدفاعية للمجتمع المدني، فالخوف موجود، ويبدو أن وفرته لا تنتهي...واقع الأمر أن استغلال رأس مال الخوف أمر ثابت تماما، بل هو تقليد يعود إلى السنوات الأولى للهجوم الليبرالي الجديد على الدولة الاجتماعية"(زيجمونت باومان، ص40)، كما يؤكد باومان أن الخوف هو السبب في انتشار ظاهرة العنف والإرهاب، سواء الداخلي أو الدولي ومنها الحروب، ولقد أكد أن كثير من الحروب كان سببها الخوف من الإرهاب كما حدث في العراق وأفغانستان، وبالمقابل يرى باومان أن المجتمعات والأمم لم تعد تتحكم في الحاضر وهذا هو السبب الرئيس لخوفها من المستقبل، لقد أفلت منا الحاضر بما أحدثته العولمة من تسارع رهيب في نقل التكنولوجيا والمعلومات ورؤوس الأموال، مما جعل المستقبل غير واضح أمام البشرية، وهذا ما يولد خوف عام، وضبابية مفرطة لقد "ولدت المخاوف ذات الطابع الحديث في أثناء الجولة الأولى من تحرير السوق وسيرورة النزعة الفردية، في وقت انفكت أو تقطعت فيه روابط القرابة والجيرة، روابط كانت متينة تعتصم بحبل الجماعة والثقة روابط كانت تبدو أبدية لكنها عاشت على أي حال منذ زمن بعيد، فكان النموذج الحديث الصلب لإدارة الخوف يميل إلى إحلال الروابط المصنوعة محل الروابط الطبيعية التي دمرت تماما، واشتملت هذه الروابط المصنوعة النقابات والاتحادات والكيانات الجمعية...كان أفول ذلك التضامن ينذر بنهاية النموذج الحديث الصلب لإدارة الخوف" (زيجمونتباومانص86)لقد افتقد الإنسان المعاصر لتلك الروابط التي تشعره بالأخوة والمحبة والتسامح حيث كان لا يأبه للأمور الاحترازية في بيته ومجتمعه وحتى عمله، لكن تحولات الحداثة جعل الخوف ملازم للإنسان كضله، فافتقد للسعادة وللعلاقات الإنسانية، وتفككت الروابط وذابت القيم"إن المجتمع الحديث السائل هو أداة تحاول أن تهون من صعوبة الحياة مع الخوف، فإذا كانت الحداثة الصلبة قد اعتادت أن تغزو المخاوف واحدا تلو الآخر، فإن الحداثة السائلة تكتشف الآن أن الصراع ضد المخاوف هو مهمة مدى الحياة"(زيجمونت باومان، وديفيد ليون،2017، ص107).

خاتمة:

والنتيجة التي يصل إليها باومان من تحليله السوسيولوجي لظواهر الحداثة السائلة، أن زمن الحداثة الغربية بكل ما تحمله من أفكار ومشاريع حاولت الخروج بالإنسان من الخضوع إلى السيادة والسيطرة، حيث استطاع أن يسيطر على الطبيعة، وان يتحرر من كثير من الحتميات الذاتية والخارجية، وأن يخطو خطوات عملاقة في سلم الحضارة مكتشفا بذلك قدراته الخارقة، وموظفا ايهاها لصالحه، إلا أن ذلك أدى بالمقابل إلى تراجع الإنسان والإنسانية في سلم القيم والأخلاق، حيث طغت المادة والرأسمال الفاحش، واحدث هوة بين من يملكون ومن لا يملكون، فظهر الصراع والحروب، وزاد تمرد الإنسان وطغيانه، وأراد أن يصبح إلها، متجبرا، مؤمنا بالعلم والعقل، وهذا ما خلق بالمقابل انهيار منظومة القيم، وتراجع الإنسانية، وفقدان الشعور بالذات والآخرين، وانهيار مقومات الحضارة، فأصبح هناك عنف ممنهج وإرهاب متوحش، وحياة سائلة تفتقد للقيم الجمالية والإحساس بالوجود، وثقافة مائعة تتحكم فيها قيم الاستهلال،

وأصبح الزمن سائلا بما يعرفه من تسارع وتغيرات، ولهذا أصبح الخوف واللاأمن هما الصفتان السائدتان في مجتمع الحداثة كنتيجة حتمية.

وعليه يمكن أن نقول أن الخوف السائل ارتبط بالحداثة، وأنه ملازم لنا في حياتنا اليومية، وهو يزداد يوما بعد يوم، نظرا لزيادة طرق التهديد للإنسان والمجتمعات، سواء أكانت فردية أم جماعية وسواء من الطبيعة، أم من الإنسان ذاته، وما ينتجه يوميا، خاصة وأن إنسان الحداثة والعولمة لم يعد يفكر إلا بلغة الأرقام والأرباح والأسهم، لقد تجاوز الإنسان اليوم التفكير في القيم والأخلاق والإنسانية بقدر ما يفكر في الرفاه والتقدم والمتع حتى ولو أدى ذلك إلى زوال الإنسانية، لقد أصبح إنسان الحداثة مجرد رقم في أسهم المضاربين الرأسماليين الجشعين، وأصبح العلم تابعا للسلطة والمال، ولذا يرى باومان أن أدنى تحدي للبشرية يضعها على المحك، كتحدي فيروس كرونا اليوم، وعليه لا بد من مراجعة كل القيم التي فرضتها العولمة والحداثة، والبحث عن مستقبل أفضل للبشرية التي تسير في اتجاه مجهول.

إن الخوف لا يولُد إلا الخوف والعنف والإرهاب، إنه يحُد من العلاقات، ويقضي على التعاملات الإنسانية، إنه يزداد يوما بعد يوم، مما يؤدي إلى الشعور باللاأمن، إننا نموت في اليوم ألف مرة كما قال باومان، إننا نبتعد عن إنسانيتنا وقيمنا وأخلاقنا وديننا، إننا نحارب من أجل حياة أفضل، لكن علينا بالمقابل أن نراجع كل معطيات الحداثة، وأن نخضعها للإنسان، ونجعلها تابعة لا متبوعة، نحن من يصنع الحداثة وليست هي من تصنعنا، لقد حققت الحداثة قفزة نحو الأمام عندما أخرجت الإنسان من قدر أعمى كما عبر عن ذلك باومان، لكن لتقذف به في خوف أكبر، إنه الخوف المرتبط بالألم عند الإنسان، ذلك أن الإنسان يتألم وأكبر ألم فيه هو أنه كائن عاقل واع مبدع، فخوف الحيوان غريزي، أما خوف الإنسان فواع صادر عن شعور وقلق، إن إنسان الحداثة أصبح أكثر احترازا من غيره، لقد أصبح ينظر إلى العالم الخارجي على أنه خطير، وفيه تبث أروع المخاوف والرعب، مما قاده إلى الانزواء والعزلة، وهذا بدوره ولد لديه مخاوف أكبر وأمراض وعقد، إنه اليوم أكثر من أي وقت مضى يجد نفسه فعلا بين المطرقة والسندان.

فلا بد من مراجعات تتم على مستوى الوعي بالحداثة ومعطياتها، والعولمة وطبيعتها علينا أن نسعى للتحرر الإيجابي الذي يقود الإنسان إلى الارتقاء بإنسانيته، لا أن يعود به القهقرى، فالحضارة ليست ما ننتجه من وسائل وأشياء، بل ما نزرعه من قيم وأخلاق، إن التطور الذي يجب أن يكون هو الذي يوازي بين الإنسان وذاته ومجتمعه وأخلاقه وبيئته ينطلق من معطيات الماضي ليؤسس للحاضر بنظرة استشرافية إلى المستقبل، يحفظ فيه الإنسان وجوده وحق الأجيال القادمة، متخلصا من غرائزه التدميرية وسلوكه العنيف وأنانيته المفرطة، مراجعا في نفس الوقت سلم القيم التي تنبني عليها حضارته وثقافته وإنسانيته.

وكما يقول باومان "إذا كان جوهر الحداثة في مرحلة الصلابة يتمثل في التحكم في المستقبل وتثبيته، فإن شغلها الشاغل في مرحلة السيولة إنما يتمثل في ضمان استقلال المستقبل وحريته، ودرء التهديد الذي يمثله أي استغلال مبكر للفرص الخفية المجهولة التي ربما يأتي بها المستقبل، أو التي لا بد من أن يأتي بها"(زيجمونت باومان، ص28).

قائمة المراجع:

1.باومان زيجمونت(2014)، الحداثة والهولوكوست، ترجمة حجاج أبو جبر، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة.

2.باومان زيجمونت(2017)، الأزمنة السائلة، العيش في زمن اللايقين ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

3.باومان زيجمونت(2016)، الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت،(الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

4.باومان زيجمونت(2017)، الخوف السائل، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

5.باومان زيجمونت(دس)، الحرية ترجمة فريال حسن خليفة، مراجعة محمد سيد حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة.

6.باومان زيجمونت(2016)، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة سعد البازعي وبثينة الابراهيم، (الإمارات، دار كلمة.

7.باومان زيجمونت(2017)، وديفيد ليون، ، المراقبة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

8.سكوت جون(2009)، خمسون عالما اجتماعيا أساسيا المنظرون المعاصرون ، ترجمة محمود محمد حلمي مراجعة جبور سمعان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت.

9.العلوي رشيد، يناير 2017، زيجمونت باومان من الحداثة الصلبة إلى الحداثةالسائلة، تم استرجاعها في تاريخ 2020/04/04 منالموقعالالكتروني(https://aawsat.com/home/article/828101)

10.ويكبيديا، يناير،2009 زيجمونت باومان، تم استرجاعها في تاريخ 2020/04/04 من الموقع الالكتروني (https://ar.wikipedia.org/wiki)

جيرونتولوجيا الشيخوخة المُسنّ، بين سيكولوجيا النهاية وسوسيولوجيا العمر الثالث

Gerontology of Aging: The elderly between the psychology of the end and the sociology of the third age

أحمد الدهمي

مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس- المغرب

Ahmed Ed-douhmy

Sidi Mohamed Ben Abdellah university, Fes-Morocco

ملخص: تعتبر الجرونتولوجيا ملتقى طرق علمية مختلفة؛ لأن مهمتها إرشاد علوم كـ: السيكولوجيا، السوسيولوجيا، والبيولوجيا إلى الطريق التي ينبغي أن تسلكها في مقاربتها للشيخوخة.والدول المتقدمة وعت باكرا أهمية المقاربة العلمية للشيخوخة؛ فرأينا كيف تكاثرت العديد من المجلات العلمية المتخصصة التي تحمل في عنوانها لفظ جيرونتولوجيا، وخصصت اليونسكو أيضا مبحثا في هذا المجال مع إصدارات عديدة.هذا المقال له رهان هو فتح نافذة على المسن بمنظوري علم النفس والسوسيولوجيا في إطار المقاربة الجيرونتولوجية في حدود رؤية بانورامية عامة حول وضع المسن وكيف قارب علما السوسيولوجيا والسيكولوجيا قضايا المسنين.

الكلمات المفتاحية: جيرونتولوجيا، المسن، الشيخوخة، سوسيولوجيا المسن، سيكولوجيا المسن.

Abstract: Gerontology is a crossroads of different scientific methods; its mission is to teach science such as psychology, sociology, and biology to the path it should take in its approach to aging.And the developed countries early aware of the importance of the scientific approach to aging; we saw how many specialized scientific journals have proliferated, bearing the title of the word Gerontology, UNESCO has also devoted a topic in this area**.**

This essay is a bet to open a window on older people from the perspectives of psychology and sociology within the framework of the

gerontological approach within the limits of a general panoramic view on the situation of the elderly and how sociology and psychology have approached the issues of the elderly.

Keywords: Gerontology, Elderly, Aging, Sociology of the elderly, Elder psychology.

مقدمة

من هو المسن؟ هذا السؤال يجيب عنه علم هو الجيرونتولوجيا أو علم الشيخوخة، وهذه التسمية الأخيرة تسمية عربية لا تبدو لنا موفقة؛ لأن رنينها العربي لا يعكس صوتها الحقيقي في لغتها الأم. نقترح أن يسمى إما الجيرونتولوجيا مباشرة أو علم المسنين، أو علم التقدم العمري. هذا العلم حديث الولادة، هذا إذا ما جاز لنا تسميته علما؛ لأن الجرونتولوجيا هي فقط ملتقى طرق علمية أو قل هي مصب علوم مختلفة؛ لأنها في النهاية إنما هي منارة هادية مهمتها إرشاد علوم كـ: السيكولوجيا، السوسيولوجيا، والبيولوجيا إلى الطريق التي ينبغي أن تسلكها في مقاربتها للشيخوخة(Cariou, Michel,1982,P147).

وهذا ما يشهد عليه التعريف الذي قدمه Michel Philibert ميشال فيليبير **"هي الدراسة العلمية للتقدم العمري الإنساني"** والمقصود هو حصيلة ما تقدمه تلك العلوم في مقاربتها للمرحلة العمرية المسماة شيخوخة. هكذا إذن سنسميه **تخصص الجيرونتولوجيا.**

الجيرونتولوجيا تخصص عقدت له مؤتمرات عالمية عديدة، مؤتمر 1960 أشهرها بإشراف Pacaud(باكو) إلى جانب ثلة من الأطباء وعلماء النفس، والسوسيولوجيين وعلماء الديموغرافيا (إذ أن هناك شيخوخة للمجتمعات أيضا، وهذا ما تتناوله الديموغرافيا).

وما يدعو للإعجاب أن الدول المتقدمة وعت باكرا أهمية المقاربة العلمية للشيخوخة؛ فرأينا كيف تكاثرت العديد من المجلات العلمية المتخصصة التي تحمل في عنوانها لفظ جيرونتولوجيا، وخصصت اليونسكو أيضا مبحثا في هذا المجال مع إصدارات عديدة.

أما المجتمعات العربية ؛ فيبدو أنها تمتص نسغ الحياة وتلقي بالأفراد إلى المجهول عندما يشيخون، وإذا كان المجتمع المغربي يتكفل فيه الجيل اللاحق بالسابق (وهذا ما لن نعول عليه طويلا) من ناحية الرعاية؛ فإن علومنا الإنسانية هي أيضا على ما يبدو قد شطبت من قاموسها شيئا اسمه المسنون. أما الجيوروتتولوجيا فإن هذه العلوم لم تصب فيه أي شيء.

فإذا ما كان لهذا المقال من رهان فهو فتح نافذة على المسن بمنظوري علم النفس والسوسيولوجيا في إطار المقاربة الجيرونتولوجية في حدود رؤية بانورامية عامة.

أهمية وأهداف الدراسة:

إن دراسة الشيخوخة من المنظورين السيكولوجي والسوسيولوجي تكتسي أهميتها من ضرورة رد الاعتبار لفئة المسنين في عالمنا العربي، فإذا كانت المجتمعات العربية توقر المسن و ترسخ في الأذهان والسلوكات الاحترام الواجب للمسنين وتُرسي قيما إيجابية فيما يتعلق بالتضامن و التكافل تجاه هذه الفئة، فإنه من جهة أخرى هناك على العموم نوع من النقص على مستوى برامج و مشاريع الرعاية الاجتماعية خصوصا و أنه حتى هذه المشاريع غالبا ما لا تلقى إقبالا لكونها تظل دوما موصومة بأنها تعبير عن عدم رغبة الأبناء في التكفل بآبائهم و أمهاتهم بالإضافة إلى التغيرات الكبيرة التي عرفتها بنيات الأسر عربيا و تحولاتها في ظل إيقاع متسارع للحياة الاجتماعية. ومن هنا أهمية هذه الدراسة إذ أنها تمنح معرفة أعمق بماهية المسن سيكولوجيا و سوسيولوجيا و تسلط الضوء على أهم قضاياه، و من جهة أخرى فهي تعد مدخلا مفيدا للاطلاع على حقل هام من حقول الدراسات في العلوم الإنسانية وهو حقل الجيرونتولوجيا أو علم الشيخوخة.

أما الأهداف التي سطرناها فهي تتأسس على تقديم الأطر النظرية التي قامت بدراسة المسنين سيكولوجيا و سوسيولوجيا و ذلك قصد تمكين القارئ من التعرف على أهم قضايا الجيرونتولوجيا و تقديم المفاهيم الأساسية التي تمت صياغتها لفهم و تفسير الأبعاد النفسية للمسن و الأبعاد الاجتماعية لعلاقاته بمحيطه الاجتماعي و ذلك من أجل اقتراح مسارات للتفكير العلمي في العلوم الإنسانية فيما يخص هذه الفئة.

أولا :الجيرونتولوجيا – La gérontologie- العلم بالمسنين

الجيرونتولوجيا هي علم الشيخوخة، موضوعها دراسة أشكال وأسباب التغيرات التي يُلحقها التقدم في السن بالكائنات الحية على جميع الأصعدة البيولوجي، السيكولوجي والاجتماعي وعلى مستوى كل أشكال التعقيد (جزيئة- خلية- عضو- جسد- جماعة) والأمر هنا لا يتعلق بتخصص علمي قائم الذات، بل بمقاربة خاصة لمشكلات الحياة، فكل الترسانة التقنية والمفاهيمية لمختلف العلوم يمكنها، وكذلك ينبغي عليها أن تسهم في ازدهار الجيرونتولوجيا.

كلود باليي وآخرون في مقالهم بالإنسكلوبيدياأونيفرساليسEncyclopidiaUniversalis يقسمون الجيرونتولوجيا إلى: بيولوجية: مهمتها تحديد التغيرات التي يلحقها الزمن بالكائنات الحية، بقياس مدى انخفاض الكفاءات الفيزيولوجية والسيكولوجية ومحاولة رصد نصيب تأثير كل من الوراثة والمحيط على اختلاف وتيرة الشيخوخة من فرد لآخر، فهي إذن جيرونتولوجيا تجريبية.

-جيرونتولوجيا إكلينيكية أوgériatrie : تركز على دراسة العلاقة بين التقدم في السن ومختلف الأمراض التي تصيب الأشخاص المسنين، وتحاول تطوير وتحسين العلاج لمقاومة هذه الأمراض.

-المقاربة السيكولوجية: - ملحقة بالجيرونتولوجيا الإكلينيكية – تهتم بدراسة التغيرات الذهنية والعاطفية للمسن، وكذا الاختلالات السيكولوجية التي تظهر عند هذه الشريحة من بني البشر.

-جيرونتولوجيا اجتماعية Gérontologie sociale : تهتم بدراسة كافة التغيرات التي يلحقها التقدم في السن بالعلاقات الاجتماعية بين الأفراد. وكذا أثر الوضعيات الاجتماعية للمسنين على الجوانب الاقتصادية (Balier,Claude et all Gérontologie Encyclopaedia universalis, 2011).

كلمة Gérontologie ندين بها لـ"ميتشنيكوف" (1903م)، لكن كان يجب انتظار مرحلة الحرب العالمية الثانية كي يظهر المصطلح بحلته العلمية الكاملة، وبالضبط في الولايات المتحدة(Levet-Gautrat,Maximilienne , & Fontaine, Anne, 1987, P3).

يمكننا إذن وبناء على ما قدمناه أعلاه أن نمضي قدما إلى الحديث عن الجيرونتولوجيا الإكلينيكية ومعها المقاربة السيكولوجية من جهة، ومن جهة أخرى رصد الخطوط العريضة للجيرونتولوجيا الاجتماعية، إذ هذان الحدّان العلميان: السيكولوجيا والسوسيولوجيا هما اللذان أطرنا فيهما اشتغالنا على الموضوع كما أشرنا إلى ذلك آنفا في مقدمة هذا المقال .

الجيرونتولوجيا الإكلينيكية Gérontologie clinique: تبقى هي نافذتنا على المعارف البيولوجية حول الشيخوخة؛ إذ التطبيقات التجريبية على النموذج الحيواني لا تَعِد بالكثير؛ لأنه ما من كائن حي استطاع أن يطيل أمد حياته مثلما فعل الكائن الإنساني. وهكذا فإن ما ميز دراساتها هو رصدها لما يسمى التراكم المفضي إلى المرض، وكذا رهانها على إيجاد علاجات مناسبة للأمراض التي شخصتها، فكان عليها أن تتحول إلى قاض يحكم في مختلف قضايا الطب الوقائي والعلاجي الذي تبقى هي، أي الجيرونتولوجيا الإكلينيكية من يحدد ويوجه ويثمن ما يصل إليه هذا الطب.

المقاربة السيكولوجية: وتتناول الشخص المسن من مختلف الزوايا السيكولوجية التي تتيح تشكيل صورة سيكولوجية عن المحطة العمرية – الشيخوخة – وأثرها على الفرد. ويمكننا الحديث هنا عن السيكولوجيا الجنسية للمسن؛ أي الوضع العاطفي والجنسي وأثره على التشكيلة النفسية للمسن. كما يمكن الإشارة إلى السيكولوجيا المعرفية للمسن، إضافة إلى سيكولوجيا الذاكرة عند المسن، والسيكولوجيا المرضية للمسنين.

الجيرونتولوجيا الاجتماعية Gérontologie sociale: تهتم بدراسة شيخوخة الجماعات البشرية **vieillissement des populations** وأثرها على الجوانب الاقتصادية والسيكولوجية والاجتماعية على مستوى الجماعات الإنسانية أو على مستوى الفرد. ويمكننا القول

أنها سوسيولوجيا شيخوخة، بالجمع والمفرد. وقد عرفت هذه الجيرونتولوجيا انطلاقتها سنة 1954 على يد **Tibbits**(تيبيتس) الذي كان عرابا لهذه التسمية؛ حيث امتد المبضع السوسيولوجي في دراسة المسنين إلى قضايا: الوضعية المادية والأخلاقية، والمكانة الاجتماعية، والأدوار الاجتماعية، تأثير وحضور المسن في المجتمع، اندماج وتأقلم المسن، أشكال التقبل والاحتواء من عدمها إزاء المسن ...إلخ

إذا كانت الجيرونتولوجيا بما هي علم للشيخوخة ضامّة لعلوم مختلفة، تبقى نواتها الصلبة هي المسن وما يعتريه من التغيرات وأثر ذلك عليه جسديا ونفسيا واجتماعيا، وأثر ذلك على محيطه وأثر محيطه عليه باعتبار وضعيته العمرية؛ فإننا سنقتصر على مجهري السيكولوجيا والسوسيولوجيا لمقاربة الموضوع، وإلقاء نظرة علمية على ما نحن سائرون باتجاهه لا محالة نقصد حافة العمر والحياة.

ثانيا: المسن وسيكولوجيا النهاية

1.سيكولوجيا المسن:

أ.النمو؟: لقد قام علماء النفس بنسخ وإلصاق دراسة التحولات المعرفاتية على التطورات البيولوجية للنمو، باعتبار العمر الكرونولوجي متغيرا مستقلا رئيسا، واحتمال الوفاة ونسبة الوفيات كمتغير تابع. كان هذا إلى حدود 1970، لقد دفعت ثلاث وقائع هامة إلى إعادة النظر في هذا المنظور.

أولا: أدت ملاحظات علمية ودراسات إلى أن بعض السيرورات المعرفاتية لا تتأثر بالسن: القدرة على تخزين المعلومات واحدة من ضمنها.

ثانيا: تبين أن الفروقات التي تَظهر أنها في علاقة مع التقدم في السن ليست بالضرورة معزوّة إلى تغيرات.

ثالثا: أظهرت معطيات تجريبية أن استعادة مهمة للقدرات هي ممكنة حتى سن متقدمة. وأن قدرات جديدة يمكن أن تنبثق في هذه المرحلة بالكثير من التدريب(Bideaud, Jacqueline, Houdé, Olivier, &Pedinielli, Jean-Louis. 1994.P528).

هكذا فذكاء الراشد وذكاء المسن لا يمضيان في مسار ثابت أو محدد. بل هو ذكاء متعدد الأبعاد، متعدد الاتجاهات، يتميز بتنوع كبير حسب تعدد الأفراد. يتميز أيضا بمطواعيتهSa plasticité يتعلق الأمر إذن بتحولات تبدو كتوليفة متفاوتة الدرجات لسيرورة من التراجع وسيرورة من النمو حسب منظور بالتسBaltes الألماني، وهذا المنظور هو الذي سنعتمده لمقاربة الشيخوخة سيكولوجيا من زاوية سيكولوجيا النمو عموما. وسنقدمه انطلاقا من مجموع القضايا التي ذكرها في كتابه Life spain and Behavior Propositions والتي تبين السمات الرئيسة للتحولات المعرفية التي يحملها معه التقدم في السن(Bideaud,Jacqueline, Houdé, Olivier,&Pedinielli, Jean-Louis, 1994, P524).

القضية1: السمة الرئيسة لذكاء المسن هي الثبات والاستقرار في مخزونه وطاقته الذهنية، وفي قدرته الوظائفية في نظام عادي. (وسط عادي).

القضية 2: إذا ما كان التراجع موجودا في الاشتغال الذهني؛ فإنه يتجلى أساسا في المهام التي تتطلب حدا أقصى من الموارد ومستوى رفيعا من الفعالية [ومعنى ذلك أن الأمر ليس مرتبطا بالسن في حد ذاته، وإنما هو معزوّ لقلة المران].

القضية 3: يمكن أن تحصل تغيرات إيجابية ذهنية عند المسن [والمقصود أن الربح والخسارة يتوازنان. مثلا ليست هناك فروقات مهمة إذا ما قارنا على مستوى المسن وغيره، فيما يتعلق بالذاكرة في عمومها، أو الأفكار العامة للنصوص.

القضية 4: مع التقدم في السن، أهداف أغلبية الأفراد تصبح أقل توجيها نحو الفعالية عكس فئات الشباب.

القضية 5: إحدى أهم السمات المتعلقة بالنمو عند المسن هي التخصص والتركيز على الخصائص الفردية La spécialisation sur caractéristiques individuellesفروقات مهمة تم رصدها على مستوى التحولات المعرفاتية؛ سواء أسلبية، أم إيجابية.

القضايا 6 - 7- 8: تركزت على البعد السوسيولوجي للنمو السيكولوجي للمسن:

-المنتمون من المسنين إلى أوساط ثقافية راقية يستمرون نشطين ومتأقلمين وفاعلين، ما يفسر فعاليتهم وكفاءتهم.

-البقية تتميز بمحدودية القدرة على التأقلم مع متغيرات البيئة المحيطة.

-الوضع البيولوجي الفردي ليس ثابتا في هذه المرحلة أو تلك من التقدم في السن، فهو يحافظ على نوع من المطواعية.

ب.الذاكـــرة: لا مراء في أن التقدم في السن يؤدي إلى نقصان في الذاكرة، وهو ما أظهرته أبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية National Institute of Mental Healthتحت تسمية Age associeted memory impairment.

يمر التذكر أو الذاكرة عموما بالآليات التالية Encodage,stockage,Récupérationترميز – تخزين – استرجاع، في الشيخوخة يبدو أن التخزين Stockage قد نجا، لكن فيما يتعلق بفعالية عمليات الترميز والاسترجاع فقد تأثرت بعامل التقدم في السن.

الترميز يحول المعلومة إلى أثر ذاكري Trace mnésique، والمسنون لا يستطيعون القيام بعمليات ترميز فعالة. أما الاسترجاع فهو عملية الاستعادة للمعلومة عن طريق الدخول إلى الأثر الذاكراي وهو نوعان: السريع أو الأوتوماتيكي، والاسترجاع المتحكم فيهcontrôlée، وهو ما نميزه في Know وRemember.((Syssau, Arielle. 1998,P452، الأول يغدو مع التقدم في السن أكثر هيمنة (المسن لا يقوم بالاسترجاع وإنما يتعرف المعلومة).

تنطلق الأبحاث حول شيخوخة الذاكرة من كون أصل النقص في الموارد المعرفاتيةCognitives راجعا إلى أن النظام المعرفاتي الإنساني نظام محدود.

تتراجع ذاكرة العمل من حيث القدراتMémoire de travail ما يؤدي إلى صعوبات في إنجاز المهام، الشيء الذي يفضي إلى ارتفاع عبء المعالجة.

هناك أيضا تراجع لسيرورة الكبح Inhibition (أي التخلص من المعلومات غير المفيدة) في مقابل مقاومة سيرورة التنشيط للتقدم العمري، ونحن نعلم أن سيرورة الكبح تؤدي وظيفتين أساسيتين: ضبط آلية التنشيط مع عدم تثبيت غير المرغوب فيه من المعلومات، وكذا إقصاء ومسح ما ليس مرغوبا. الأولى تنجو في الشيخوخة، بينما تتأثر الثانية بشكل كبير.

أيضا عند المسن يحصل Le ralentissement cognitif البطء المعرفاتي، وهكذا اقترح بعض الباحثين (Salthouse)(سالتهاوس) تفسير الشيخوخة المعرفاتية بتباطؤ سرعة المعالجة.

هناك أيضا نقص على مستوى الميتا ذاكرة يسجل عند المسن، مع تركيز بعض الأبحاث على دور العامل العاطفي؛ إذ رغم السن فإن تدخل هذا العامل يعزز أو لا يعزز المقدرات الذاكراتية. ويمكننا القول أنه في الذاكرة ما كل شيء يشيخ.

ج.المسن والتحليل النفسي: بول لوران آسونPaul- LaurentAssoun، يبين أن الأمر يتعلق بشيخوخة الليبيدو، علينا أولا أن نقوم بضبط تناسق حدث الشيخوخة على ساعة اللاوعي، وعليه فالشيخوخة هي كلمة تصف سلسلة من التأثيرات الخاصة، ما الذي يشيخ إذن؟

الإجابة عن هذا السؤال الصعب تتمثل في كلمة واحدة: الليبيدو. لأن هذه الأخيرة هي المادة الخام (مجازا) للنفسية. الشخص إذن محكوم تطوره وقدره بليبيدوه الخاصة. والشيخوخة تمس بناء على ذلك الموقف من التمتع بها على مستوى الترجمة النفسية لها؛ لأن لِلّيبيدو تاريخا La libido a une histoire، لذلك فهي تتطور((Assoun, Paul-Laurent,1983,P170

غير أن السؤال لا يكمن في: هل الليبيدو قابلة للنقص والتدهور والتآكل؟

ولكن: ما الذي يحدث لليبيدو في تطورها حتى يؤدي إلى تغير القدرة على الاستمتاع؟

يمكن مقارنة الليبيدو بالخمر الذي إما يعتق أو أنه يصير قريبا من الخلّ. فلنحدد الليبيدو المعتقة أو الجيدة، والليبيدو الخلّية، وكيف يحدث تغير المذاق.

الليبيدو ترافق مراحل نضج الجسد، فبعد عاصفة المرحلة ما قبل التناسلية، وقيظ المرحلة التناسلية، نصل إلى الدرجة صفر للبنية؛ لأنه ما من مرحلة ما بعد تناسلية !

لقد اشتهر فرويد بفكرته عن أن الأناس المسنين لا يمكن تربيتهم، و مقصوده من هذه الفكرة بعبارة أخرى هو أنه لا يمكن أن نفلح في جعلهم يتخلصون من التثبيت La fixation الذي حصل في حياتهم. وهكذا فالمسن لا يتميز بالقابلية للتربية بالألمانية :Erziehbarkeit ما يجعله بتأثير الزمن في نفس وضعية الاستبعاد والإقصاء التي حدثت للشاذ والمريض النفسي منذ البداية.

عند المسن أسئلة كهذه: هل يحبني الآخر؟ هل أستطيع أن أحبه؟ سؤالان منغرسان في قلب الليبيدو؛ لأنهما يحيلان على أزمة العلاقة بين الذات المسنة والموضوع. وهو ما يخلق ظهور علاقة جديدة بالمحرم L'interdit، وتصبح العلاقة بين "هُو" المسن و"أناه الأعلى" كعدوين يغضان الطرف عن البضائع المهربة على حدودهما التي كانت منيعة فيما مضى. ويصبح الأمر وكأن الأنا صار محبوبا من طرف الهو، ما يفرض مراوحة للمسن بين مكانين: الحكمة La sagesse والشذوذ.

2.المسن والتعلم:

إن أغلب الدراسات المتوفرة حول التعلم في مرحلة العمر المتقدم، تعتمد المقارنة بين عينتين: الأولى لمجموعة مسنة، والأخرى لمجموعة شابة. لكن هناك صنفا آخر يركز على تتبع السيرورات المعرفية والتعلم على شريحة من الأفراد وذلك على امتداد مراحل طويلة من تقدمهم في السن. الأولى تدعى الدراسة بالعينات Etude par échantillonnage والثانية تدعى Diachronique متعاقبة، وكلا الفئتين يخلص إلى أن بعض الوظائف الإدراكية والمعرفية تغدو مع التقدم في السن أقل كفاءة وفعالية، بينما تظل أخرى مستقرة، في حين يحصل نمو أو تحسن للبعض الآخر. وعموما فإن التطور الملاحظ يمكن رصده كما يلي: مع التقدم في السن نصير أكثر بطء، والذاكرة تصبح أقل فعالية، لكن معارفنا العامة وثقافتنا وتحكمنا في الآليات اللغوية تتحسن كلها، إضافة إلى تنامي القدرة على حل المشكلات بطريقة أكثر أصالة.

هناك أيضا تمييز بين الذكاء المرنL'intelligence fluide والذكاء المتبلور L'intelligence Cristallisée.الأول يبدأ في التراجع ابتداء من سن الأربعين، بينما الثاني يبقى قارا، بل يزداد أحيانا ويتحكم المسنون بشكل جيد جدا في الكفاءات اللغوية العليا، ويتوفرون على معرفة واسعة بالعالم والتجارب الحياتية.

هناك أيضا تراجع عند المسن فيما يتعلق بمعالجة المعلومات، وتراجع ثان في ذاكرة العمل والذاكرة طويلة الأمد، بينما يبقى الرصيد المعجمي مستقرا بلا تدهور، بل يزداد تحسنا.

إن التراجعات الملاحظة أو إن شئنا التدهور لا تلعب فيه التربية، أو الانتماء الطبقي دورا حاسما، وإنما تراجع الإدراكات الحسية (السمع والبصر) هو الحاسم في التراجع الإدراكي، والمعرفاتيcognitif(DellaChiesa, Bruno, 2007,P228).

فالتراجع المعرفاتي المرتبط بالتقدم في السن يتأثر بشكل كبير بالعامل البيولوجي مثلما أثبت Baltes(بالتس) وLindenberger(ليندنبرغر) . الشيخوخة إذن تؤثر على استخدام استراتيجيات التعلم فيما يتعلق بالمهام المعرفاتية، خصوصا إذا ما وضع المسنون في بيئات لم يعتادوا عليها. هكذا فإن المسنين مثلا لم يقدروا على الجمع بين مهمتين مختلفتين في دراسة لـ Li(لي) وآخرين؛ حيث لم يتوفقوا كثيرا في القيام بتذكرها، بينما نجح الشباب بكل سهولة في ذلك. النتيجة: تتدهور كفاءات المسنين التي أشرنا إليها علما أنها تعد حاسمة في التعلم.

وهكذا، فإذا كان التعلم في الشباب والرشد يستهدف بالأساس تنمية الاستقلالية؛ فإنه عبر مراحل العمر اللاحقة يصبح مستهدفا لتدبير فقدان الاستقلالية الجسدية، واستخدام الشبكات الاجتماعية الموضوعة رهن إشارة المسن بطريقة خلاقة ومنتجة. إن هدفه الأعلى الوقاية من التبعية والاتكال Prévenir la dépendance

وعلى هذا فإن ما يميز تعلم المسن، أو ما ينبغي التركيز عليه في هذا التعلم هو البيئات الاجتماعية والثقافية أكثر من التركيز على الجوانب البيولوجية أو المعرفية؛ لأنها تميز ثلاثة أنواع من الشيخوخة: العادية – التقريبية - المرضية.

وسيرورة الشيخوخة تختلف من فرد لآخر؛ لذلك فإن التعلمات واستراتيجياتها ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الأنواع، وكذا الاختلافات الفردية.

من زاوية نوروتربوية؛ فإن التقدم في السن يؤدي إلى نقص في حجم المادة الرمادية.(DellaChiesa, Bruno. 2007,P331). لكن لم يثبت أن هناك نقصا في عدد النورونات، لكن الأبحاث في النهاية تجمع على أن التقدم في السن له أثر على نقص تنشيط الباحات الدماغية المسؤولة عن الإدراك؛ لذلك يتم الاستنجاد بمناطق دماغية مختلفة وإضافية (أو مكملة) من أجل مواجهة التدهور (أو التراجع) في كفاءات معالجة المعلومة، وبالتالي فإن التعلم يرتكز بالأساس من ناحية نوروتربوية على هذا الاستنجاد أو التنشيط الجديد.

وما دام الأمر كذلك؛ فإن هذه المطواعية الدماغيةPlasticité du cerveau يتم الحفاظ عليها، أو أنها تبقى مستمرة حتى مع التقدم في السن.

لقد بينتLa neuroimagerie(التصوير العصبي) الوظيفية أن هناك فروقات مرتبطة بالسن فيما يتعلق بتنشيط المناطق الدماغية أثناء عملية إنجاز المهام الإدراكية والمعرفية، وبالتالي أثناء التعلم، وأن هذه الفروقات متمركزة بالضبط في .Le cortex préfrontal(قشرة الفص الجبهي)

لقد ظهرت تقنيات جديدة فيNeuroimagerie(التصوير العصبي) مثل L'imagerie du tenseur de diffusion (DTI)(تصوير موتر الانتشار) والتي تسمح بملاحظة مجموع الخلايا العصبية في الدماغ البشري الحي، وبناء على هذه الملاحظة يتم ربط العلاقة بين التغيرات المعرفاتيةLes changements cognitifs والتغيرات في حجم المادة البيضاء، وهذه العلاقة هي جد مهمة وحاسمة؛ لأننا نعلم أن الوظائف التنفيذية Les fonctions exécutives العليا هي جد حساسة ومتأثرة بالتقدم في السن، وفي نفس الوقت هي جد حاسمة وأساسية في التعلمات الجديدة، والتعبيرات المختلفة عن الذكاء المسمىL'intelligence fluideالذكاء المرن.

لهذا فإن أهم ما تركز عليه الأبحاث الجديدة في التعلم، خصوصا ما تعلق منها بتخصص النوروتربوية؛ هو فيما يخص المسنين أن تهيّء بيئات التعلم بشكل جيد، وأن يتم استثمار

التجارب الشخصية للمسن، والاعتماد عليها؛ سواء أفي علاقته مع ذاته، أم في علاقته مع الآخرين، والانتباه إلى أن المسن في تعلماته يحتاج وقتا أطول لحل المشكلات، لكن دون نسيان أن مكتسباته تغدو أكثر تنظيما وأكثر فعالية.

عموما، يمكن اختصار كل هذه المعطيات المتعلقة بتعلم المسن في العبارتين التاليتين: Respecter l'autonomie de celui qui apprend، (احترام استقلالية من يتعلم) وFavoriser la coopération(و تيسير التعاون)، تسهيل التعاون و احترام استقالية الشخص الذي يتعلم . مع تنويع الطرائق(DellaChiesa, Bruno, 2007,P339).

ثالثا المسنوسوسيولوجيا العمر الثالث:

1.سوسيولوجيا للشيخوخة:

إن دراسة هذا البناء أو كيف يشيد المجتمع مفهوم الشيخوخة؛ تكمن في تحليل الطريقة التي يبنين structure بها المجتمع هذه السن من الحياة. من أجل ذلك لا بد من إيلاء الأهمية للفاعلين الاجتماعيين الذين يساهمون في هذه البنينة، والدولة بعد ذلك عبر السياسات الاجتماعية التي تنتهجها، وهكذا نسلط الضوء على مؤسسة "التقاعد"، وكيف تم إنشاء مفاهيم كـ"العمر الثالث"، "المسنون المرعيون"، وكذا دراسة التمثلات الاجتماعية للشيخوخة، وأخيرا رصد طبيعة العلاقات بين الأجيال العمرية.

أ.**التقاعـــد:** الشيخوخة المعاصرة لا يمكن فهمها اجتماعيا إلا باستحضار إقامة المجتمعات المعاصرة لمؤسسة التقاعد، سنضرب صفحا عن التحقيب التاريخي لظهورها؛ إذ لا فائدة لدينا من تتبع تطور التقاعد الفرنسي مثلا، ولا سبيل إلى العثور على ذلك المغربي، لكن عموما يمكن القول أنها حاصل تفاعل الحركة العمالية وأرباب العمل والدولة.

لقد شكل التقاعد وسيلة من وسائل الدولة لمحاربة البطالة عند الشباب، وشكل لأرباب العمل فرصة لتقليل موظفيهم وتشبيب أطر مقاولاتهم(Caradec, Vincent. 2001,P12).

مع التقاعد سيتم ضبط الإيقاعات العمرية للعمل المأجور، عبر ثلاث مراحل عمرية:

-الشباب: مرحلة التمهيد للعمل.
-الرشد: العمل المنتج.
-الشيخوخة: مرحلة التقاعد، والتكفل عن طريق مؤسسات وأنظمة الرعاية. يمكن نعت هذا بـ"مأسسة مراحل الحياة" كما أطلق عليهMartin Kohli(مارتن كوهلي) وذلك بإنشاء تكافل اجتماعي بين الأجيال. غير أن الظاهرة الملاحظة هي حاليا عملية الجمع بين التقاعد وفي نفس الوقت ممارسة عمل إلى جانب ذلك. وهو ما سيدفع مستقبلا إلى إعادة تفاوض بين الأجيال حول إعادة الترتيب لعمر العمل Le temps de travail.

لقد ساهم التقاعد أيضا في إنشاء مفهوم "العمر الثالث" الذي راج بشدة في سبعينيات القرن الماضي، إن هذا المصطلح كان يريد القطع مع لفظة شيخوخة، بالإحالة أكثر على شباب جديد. وقد كانت الدولة الفرنسية كمثال منخرطة في سياستها تجاه المسنين بإحداثها لمشروع "إدماج المسنين في المجتمع". من خلال خدمات عديدة وتجهيزات ووسائل الرعاية. وقد كان لهذه السياسة أثر إيجابي على تحويل اتجاه السياسة العمومية المتعلقة بالمسنين من التركيز على البعد الاقتصادي إلى التركيز على البعد الاجتماعي. وهو ما أفرز انقلابا في علاقات القوة بين الأجيال Inversion des rapports de force؛ إذ أصبح المسنون يرفضون أن يكونوا عالة على أبنائهم؛ فاتجهوا أكثر إلى الاعتماد على أنفسهم في ظل التسهيلات المقدمة.

ب.التمثلات حول الشيخوخة: هناك أرضيتان تنبسط فوقهما التمثلات الاجتماعية حول الشيخوخة: "التدهور" Le declin والشيخوخة الجيدة bien vieillir.
لقد أصبحت الشيخوخة عند البعض مرادفة للتدهور، ومحملة بثقل سلبي يجعلها كمصطلح، شبيهة بالميز العنصري، درجة أن باحثا كـ "روبير باتلر" Robert Batler يصف هذا التمثل السلبي بـ âgisme(الكِبر) على غرار العنصريةRacisme . غير أن هذا التمثل الانتقاصي، أثبتت الأنثربولوجيا عدم كونيته، وعليه أثبتت اجتماعيته فالميريMeruفي كينيا لا ينظرون إلى الشيخوخة على أنها تدهور، وإنما على أنها نضج و نجاح في الحياة.

هناك تمثل ثان أكثر إيجابية، يقضي بأن الشيخوخة الناجحة ممكنة، وأنه يمكننا أن نشيخ بطريقة جيدة وبالتالي في تعارض مع الرؤية السابقة التي ترتبط بكون الشيخوخة علامة على النهاية والتدهور، غير أنه في نظرنا فإن هذا التمثل الثاني منطلق من الأول.

ج.العلاقة بين الأجيال: من بين الأمور التي تحرص عليها المجتمعات، هو تنظيم العلاقات بين الأجيال وكلمة الأجيال هنا تقال سوسيولوجيا بمعنيين:
-الدورة العائلية أو الجيل العائلي (جد – أب – ابن...)
-نسمي المعنى الثاني Générations du welfare، ونقصد: الشباب في طور التكون – النشطون – والمتقاعدون.
ونوعا الجيل هذان يحيلان على أشكال مختلفة من التكافل، التكافل العائلي، التكافل العمومي، وكلا التكافلين يتقاطع ويتبادل التأثير والتأثر. حسب قراءتين مختلفتين يمكننا النظر إلى هذه العلاقة:

-الأولى: التكافل العمومي عوَّض التكافل العائلي، هذا الأخير الذي تراجع بفعل التحديث الصناعي الرأسمالي، وتراجع أيضا بفعل ما أحدثه إدخال التكافل العمومي نفسه. (تعرضت هذه القراءة للنقد).
-الثانية: عكس الأولى ترى أن الحداثة لم تلغ التكافل العائلي لصالح العمومي، وإنما العائلي مستمر من خلال التدفق المساعداتي في الاتجاهين مادي من المسن إلى الأبناء، وخدماتي تعاوني من الأبناء تجاه المسن(Caradec, Vincent. 2001,P37-38) غير أن هذه العلاقة التكافلية

تبقى مهددة دوما بتلك الاتكالية التي قد تطبع توجه المسن نحو الأبناء. ما يغلب على هذه العلاقات بين الأجيال هو لا تكافؤ توزيع ثروات الدولة؛ إذ يميل الميزان لصالح المسنين في السياسات العمومية، مثلا الإنفاق على دور الرعاية على حساب المساعدات العائلية.

د.المسنون: فئة عمرية لا متجانسة

الأكثر تقدما في السن: رغم كونهم اعتماديين بشكل كامل على غيرهم؛ لكنهم يميلون نحو كونهم أكثر هشاشة، وذلك لتآكلهم الفيزيولوجي والجسدي.

يتميزون بالتقوقع الاجتماعي داخل فضاء البيت ورفض الخارج، وذلك راجع لسببين: اعتبارهم البيت كمَعلَم مرجعي وكحماية من كل الأذى الخارجي.

يعتبرون البيت معلما هوياتيا؛ لأنه رمز لاستمراريتهم، جسر بين ما هم عليه وما كانوه، ثم معلم فضائي وزمني، مليء بالذكريات الدافئة.

الخاصية الثانية لهؤلاء هي نقص الروح الاجتماعية La baisse de sociabilité . فالاحتمال كبير جدا أن يكون المسن هنا فقد شريك حياته، عند النساء أكثر من الرجال الوفيات في الأصدقاء والأقرباء والانغلاق داخل البيت يؤدي بشكل كبير إلى انخفاض هذه الروح الاجتماعية.

المسنون المعتمدون على مساعديهم: نقسم المساعدين إلى مساعدين غير رسميين(غير محترفين) Informels (أسرة، أصدقاء، جيران، متطوعون). ومساعدين محترفين، وعملهم يتكامل في العناية بالمسن، ولا ينبغي أن نفهم هذه العناية فقط اتجاه ما هو خدماتي أو مادي، ولكن أيضا في وظيفة الحماية والحفاظ على الرابط الهوياتي واستمراريته.

المسنـــون المهاجــرون: هؤلاء ظلوا لمدة طويلة في الهامش، هناك 8% من المتقاعدين مهاجرون (في فرنسا) تعلن أغلبيتهم أنها مرتاحة في تقاعدها وفي البلد المستقبل(Caradec, Vincent. 2001,P84) الذي يتعلقون به، الغالبية تبقى (حالة فرنسا) في البلد المستقبل بعد التقاعد، ما يدعو إلى الانتباه هو أن المسن المهاجر مندمج بشكل كبير في المجتمع، مع الحفاظ على العلاقة بالبلد الأصل. لكن الوضعية التي تبدو غير مريحة هي تلك الخاصة بالنساء المسنات المهاجرات واللائي ليست لهن الموارد المالية الكافية أو تغطية صحية، ولا يتقن اللغة في بلد المهجر.

الشيخوخة كسيرورة وكتجربة

انتقالات الشيخوخة: يبقى المرور إلى التقاعد متميزا بظواهر ثلاث، جعلت التقاعد مرغوبا من طرف المسنين: - نهايات مسار مهني صعبة – الحساسية تجاه كل ما يتعلق بالعمل سيكولوجيا وجسديا – ما أصبح يمنحه التقاعد من إمكانات لتحقيق المسن لمشاريع تسمح له بتحقيق الذات. وهذا الانتقال يبدو صعبا فيما يخص فئتين: الأطر الموظفة العليا، والنساء اللائي يعتبرن العمل وسيلة للهروب من الانغلاق البيتي بعد نضج الأبناء. ويمكننا تقسيم الفئات المسنة في علاقتها بالانتقال إلى التقاعد كما يلي:

L'acteur novateur الفاعل المجدد : يكون انتقاله صعبا.

L'acteur pluriactif : الفاعل متعدد النشاط انتقال عادي(Troadec, Thomas.1998).
ويبقى التأثير على الانتقال التقاعدي مرتبطا بعاملين أساسيين:

-الطريقة المستقبلية لعيش المسن.
-مدى فجائية التقاعد.
هناك أيضا مسألة الترملLe veuvage، الذي يهم النساء أكثر من الرجال، انتقال مؤلم يعيشه المسن أو المسنة، ما يتطلب إعادة هيكلة وتنظيم لحياة الأرملة أو الأيم، ما ينعكس على تغير هويته، وكذا إعادة تنظيم علاقاته الاجتماعية، الترمل هو فراغ البيت، الوحدة المؤلمة. ما يثير الانتباه أن العلاقات مع الأسرة أو الأبناء تضيق لصالح انفتاح علائقي خارجي(Caradec.V,P84).

هناك أيضا انتقالات أخرى كالدخول إلى دور الرعاية وأثره على هوية المسن.

نظريـــــات: النظريات الأمريكية بين 1950 و 1960، لم تكتف بوصف الشيخوخة اجتماعيا، بل حاولت تقديم الدعائم العلمية لشيخوخة ناجحة، وهذا ما لم ينل حظوته عند الباحثين الفرنسيين، وعموما يمكن تقسيم النظريات السوسيولوجية للشيخوخة إلى فئتين:
-نظريات النشاط أو الفاعلية
-نظريات التحرر من الالتزام
نظريات النشاط: تمت صياغتها في حدود 1950، معتمدة على دراسة Robert Havighurst وRuth Albrecht على عينة مسنين تعيش في قرية صغيرة بالغرب الأوسط لأمريكا؛ حيث أبدى المسنون ارتياحهم، واختلفت درجة هذا الارتياح بحسب الوضعية الاجتماعية. وعليه؛ فإن الشيخوخة الناجحة Le vieillissement réussiتمر عبر الحفاظ على درجة عالية من الانخراط والالتزامL'engagement بحيث يتم تعويض المفقودLes pertes أو الخسائر الاجتماعية للشيخوخة بأدوار جديدة كالمسن المواطن، أو المسن الأسري المرتبط بممارسة أدوار الجد كمؤسسة اجتماعية، مع المرونة في هذه الأدوار. (Caradec, Vincent. 2001)

نظرية التحرر من الالتزام: La théorie du désengagement: اعتمدت على دراسة لـ Elaine CummingوWilliam Henri وقدم لها تالكوتبارسونز، ووظفت نتائج البحث على عينة مسنين من كانساسKansas city؛ حيث تم رصد ابتعادéloignement أو تحرر من الارتباطdésengagement بين المسن وبقية أعضاء النسق الاجتماعي الذي ينتمي إليه، يترجم هذا التحرر بتقليل الأدوار الاجتماعية للمسن عبر قلة في التفاعلات الاجتماعية التي صارت مركزة أكثر على الروابط العاطفية وليس على التضامن الوظيفي، ونتيجة هذا التغير، يحصل توازن جديد في النسق. هكذا بحده من الاجتماعي يعيش المسن حياة هادئة لكي "يمر من حياة كانت طويلة إلى موت محتوم، لكن في هدوء"(Caradec, Vincent. 2001,P98).

ويتميز هذا التحرر أيضا بالمميزات التالية: متبادل، وظيفي، غير معكوس، وكوني فتراق نتيجة À l'amiable يؤدي إلى اتفاق ودي توفير العمل وإدماج الشباب وتجنب أثر الموت المفاجئ على المجتمع وما يخلفه من خلل، كما هناك أيضا المقاربات الفينومينولوجية للشيخوخة المرتكزة على العوالم الاجتماعية.

أهم نتائج الدراسة:

يتبين لنا إذا أن الجيرونتولوجيا أو العلم بالمسنين علم يحتاج إلى مزيد من التمكين و الاهتمام، و حيث أنه ملتقى طرق العديد من العلوم من بينها السيكولوجيا والسوسيولوجيا، فإن الأبحاث في هذين التخصصين محتاجة اليوم إلى المزيد من دراسة قضايا المسن، ورغم أن المجتمعات العربية هي مجتمعات شابة مقارنة بمجتمعات أخرى كما هو الحال مثلا عند بعض المجتمعات الأوروبية، و رغم أن مجتمعاتنا ما زالت تحافظ على أشكال من الرعاية لهذه الفئة، رعاية ذات طابع تكافلي تحركها القيم الأسرية و المجتمعية أكثر منها رعاية مؤسسية حكومية، فإن هذا المعطى نفسه هو دليل وباعث على المزيد من الاهتمام العلمي بهذه الفئة. لقد وقفنا على أن سيكولوجيا المسن طابعها تراجع في العديد من الوظائف بحكم التقدم في السن ونفسية شديدة التغير والتقلب، كما أن العلاقات الاجتماعية من الناحية السوسيولوجية تتميز بجدتها على المسن: التقاعد مثلا، الترمل في بعض الحالات، وبينا أيضا أن المسنين ليسوا فئة متجانسة نهائيا، بالإضافة إلى إنارة العديد من المعطيات حول التمثلات عن الشيخوخة، و لذلك فإننا من خلال ما تقدم نرى أن الأبحاث العربية في مجالي السيكولوجيا و السوسيولوجيا ينبغي أن تنصب على قضايا المسنين و أن لا يترك هذا المجال غفلا و أن يتم إيلاؤه العناية اللازمة.

خاتمة

إن النظرة التي تسكننا دوما، هي أن الشيخوخة تنتمي إلى فضاء المستقبل، تنتمي إلى الحافة العمرية حيث لا رجوع، نقطة الوصول، لذلك كمجتمعات عربية رمينا بها علميا إلى خانة المؤجل و البعدي، لأننا لسنا مجتمعات هرمة، و رمينا بكل ما هو علمي إلى انتظارية محرقة، و الحال أن الشيخوخة مجرد لفظ ينبغي أن نخلصه مما لحقه من تهميش علمي، و من أجل ذلك لا بد أن نطرح على أنفسنا الأسئلة المستعجلة قبل فوات الأوان:

ما هو الباراديغم الذي تشتغل في إطاره العلوم الإنسانية العربية عموما، و المغربية خصوصا؟

هل علومنا الإنسانية هي إفراز لزخم اجتماعي و إنساني، وهل تناسلت قضاياها من رحم الراهن؟أم أنها فقط تمرين علمي تطبيقي للعدة العلمية الغربية؟ و هل هذا التنزيل المراني يلمس موطن الجرح ؟أم أنه يتيه و يغترب عن موضوعه العربي؟ و ما موقع الشيخوخة في أولويات البحث العلمي عندنا؟

تبدو الشيخوخة كقضية ممحوة من أجندة علومنا الإنسانية، والرهيب أن هذا الشباب الجامح تنفقه مجتمعاتنا في لا مبالاة.

ليس لدينا جيرونتولوجيا لأن هذه تتنفس هواء علوم أخرى على رأسها السيكولوجيا، فأين سيكولوجيانا؟

وماذا أعددنا لذلك اليوم علميا يوم نجد أنفسنا على عتبات الهامش، يوم نشيخ؟

في انتظار قيام جيرونتولوجيانا، لا بد من إعادة إنهاض لعلومنا الإنسانية على أسس علمية متينة ببعثها من رمادها الاجتراري و تخبطاتها المنهجية، و تيهها الموضوعاتي، و حيرتها البارادیغمية.

لا بد من إعادة جدولة للديون المعرفية العلمية كي نحدد القضايا الملحة، و لنحرص على جعل الشيخوخة في قلب الأولويات العلمية، لأننا باستبعادها نقصي أثمن ما تصل إليه الإنسانية و هو عصارة تجاربها، المسنون ذاكرة البشرية، إن أي إهمال لدراسة المسن علميا سيؤدي لا محالة إلى خلل في التعاقب الجيلي، لقد وقفنا على حداثة علم الجيرونتولوجيا في الغرب، و بينا أن الغرب لم ينهض إلى مسنيه إلا بعد أن شاخ، نحن لم نشخ بعد لذلك فالأوان لم يفت بعد من أجل فتح ورش الجيرونتولوجياالعربية، اليوم نحن في مرحلة التساؤل و التشخيص و الأمل و الترقب، و هذه طبعا هي الخطوة الأولى.

قائمة المراجع:

1.Assoun, Paul. Laurent. (1983). Le vieillissement saisi par la psychanalyse. Communications, 37(1), 167-179

2.Balierclaude et all, Encyclopaediauniversalis, version électronique 2011, article : Gérontologie.

3.Bideaud, Jacqueline, Houdé, Olivier, &Pedinielli, Jean-Louis. (1994). L'homme en développement. 2éd.Presses universitaires de France.

4.Caradec, Vincent. (2001). Sociologie de la vieillesse et du vieillissement. Domaines et approches (3e édition). Armand Colin.

5.Cariou, Michel. (1982). Psychologie et vieillissement. Cahiers de la méditerranée, 24(1), 147-160.

6.DellaChiesa, Bruno. (2007). Comprendre le cerveau: naissance d’une science de l’apprentissage. Paris. Ed. OCDE.

7.Levet-Gautrat,Maximilienne , & Fontaine, Anne (1987). Gérontologie sociale. Presses universitaires de France.

8.Syssau, Arielle. (1998). Le vieillissement de la mémoire: Approche globale et approche analytique. L'année psychologique, 98(3), 451-473

9.Troadec, Thomas. (1998). Les salariés ont-ils un âge?.Gérontologie et société, (85), 17-38.

دور النظريات الاجتماعية المعاصرة في تنمية المجتمع الجزائري

The role of contemporary social theories in the development of Algerian society

د. زيوش سعيد، جامعة الشلف-الجزائر

Ziouche said, Hassiba Benbouali University Of Chlef, Algeria

الملخص: إن متطلبات العصر الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين جعلت من التنمية قضية إنسانية ملحة، ولعل مجرد الإشارة إلى الانفجار السكاني وإلى مشكلة الطاقة بأنواعها والغذاء وإلى الهوة السحيقة بين الدول المتقدمة والدول الفقيرة تكفي دليلاً على أن التنمية مشكلة إنسانية معاصرة، حيث أن قضية التنمية ليست مشكلة أو اهتمام جهة واحدة وإنما هي مشكلة على الجميع أن يتحدوا في البحث لها على منصة صلبة لوضع أسس سليمة مبنية على مبدأ المصلحة المشتركة، والتي تحقق التنمية في كل المجالات.

الكلمات المفتاحية: النظريات، التنمية، المجتمع، الفرد، الأبعاد.

Abstract: The requirements of modern times in the second half of the twentieth century have made development an urgent humanitarian issue. The mere mention of population explosion, the problem of energy of all kinds and food, and the huge gap between developed and poor countries suffice as proof that development is a contemporary human problem. Problem or interest of one hand, but it is a problem for all to unite in the search for a solid platform to establish sound foundations based on the principle of common interest, which achieve development in all areas.

Keywords: theories, development, society, individual, dimensions.

مقدمة:

إن ما يسود الآن في الجزائر وغيرها من الدول النامية من تقديم الشخصية (الذاتية) على الموضوعية ومن الدور الكبير الذي تلعبه المعرفة والعلاقات الشخصية والألفة الفردية في وضع الأفراد في هذا المكان أو ذاك قبل الصفات الاجتماعية والموضوعية ومدى الالتزام بالقضية ليس جوا يناسب دولة عصرية فهو لا يضع الفرد حيث يستطيع أن يؤدي دوره كما ينبغي وكما هو أهل للمنصب الذي يشغله وبالتالي هذا الأمر قد يجعل المشاريع التنموية في الجزائر لا تستفيد من كفايتها الحقيقية وذلك عن طريق التقرب والوسائط المختلفة للمحاباة للتوظيف أو نيل مشروع ما وحاجة كل فرد إلى أن يحمي نفسه باتصالاته لا بعمله ومجهوده الأمر الذي ينطوي على انعكاسات سلبية خطيرة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر لو تأملنا ما فقدته الجزائر وغيرها من البلدان النامية الأخرى من خبراء وتقنيين في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية ...ممن هاجروا طوعاً أو كرهاً لعدة أسباب مختلفة، وما أنفقت عليهم الجزائر من مبالغ مالية هامة لأن يصبحوا على ما هم عليه الآن ضمن مدة زمنية طويلة لأدركنا حقيقة خطورة الوضع وهذه الخسارة التي نتجرعها.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هي النظريات التي يمكن الاعتماد عليها لتحقيق التنمية على ضوء ما تملكه الجزائر من مقومات طبيعية واقتصادية واجتماعية وسياسية؟ وهل هناك تعارض بين القول بأن التنمية مشكلة عالمية ومشكلة محلية أم أنها تؤدي إلى قضية واحدة؟

وفي ورقتنا البحثية سنحاول تسليط الضوء على قضية التنمية في الجزائر، إذ يجب معالجتها من كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية بغية الوصول لتشخيص سليم وصحيح لمشكلة التنمية في الجزائر وكذا محاولة معرفة نظريات التنمية التي تتماشى والواقع الجزائري، حيث سنتناول في هذه الورقة مفهوم التنمية الشاملة من خلال النظريات الحديثة للتنمية في النقاط الآتية كما يلي:

أولاً: التنمية الشاملة

ثانياً: النظريات المعاصرة للتنمية

ثالثاً: أبعاد تنمية المجتمع الجزائري

أولاً: التنمية الشاملة

1- مفهوم التنمية الشاملة:

ظهر مفهوم التنمية وما يتصل به كمصطلح استخدمه الباحثون والمحللون نتيجة التغيرات التي ظهرت في العالم عموماً، فمنذ بداية عصر الاستعمار نظرت البلاد الغربية المتطورة إلى البلاد

الأخرى نظرة استعلائية, وكان من الأساليب التي استخدمتها هذه البلاد المستعمِرة إدعاء رغبتها بتطوير وتنمية البلاد التي طمعت بخيراتها وأرادت السيطرة عليها، وقد برز هذا بصورة واضحة وجلية منذ الحرب العالمية الثانية، وكان من الطبيعي أن تحدد البلاد الغربية المستعمِرة المعايير التي تفرّق بين التقدم والتحضّر وبين ما هو متخلف وما هو حضاري, بسبب سيطرتها وتغلّبها، وكان من أهم المعايير التي وضعت للتمييز بين البلاد المتخلفة والبلاد المتحضرة مدى الازدهار الاقتصادي والسياسي والعلمي, والذي ينعكس على الوضع المجتمعي والمعاش للأفراد، والذي يحدد مدى قوة الدولة وتأثيرها في الأحداث العالمية (محمد سيد محمد، 1988، ص24).

وبالتالي ظهرت هناك عدة مفاهيم للتنمية وهذا باختلاف المتغير المرتبط بالتنمية فإننا نجد التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية والتنمية الثقافية وغيرها من مجالات الحياة الأخرى، لكن سنستعرض في ورقة بحثنا أهم المفاهيم المتعلقة بالتنمية الشاملة.

لقد عرفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع عدة تعريفات نذكر منها:

وتهتم التنمية بجميع الأفراد والجماعات والتخصصات والمهارات المختلفة من ناحية تفاعلها مع بعضها البعض بحث تكون غير متنافرة ولا متناقضة ولا يمنع نمواً أحدهما نمو الآخر أو يعرقله.

ودائماً التنمية المستديمة تسعى للأفضل وتكون قابلة للاستمرار ويعتبر الإنسان فاعل ونشطة ومشارك أساسي في التنمية وليس مجرد مستفيد من منتجات التنمية، وتستهدف التنمية التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرها والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرة والهادفة في التنمية وفى التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها مع زيادة معدلات النمو الاقتصادي وتحقيق العدالة في توزيع الدخل القومي واقتلاع مواطن الفقر المطلق في المجتمع المعينة.

ووفقاً لهذا المفهوم فإن الإنسان هو الموضوع الاساسى في التنمية البشرية - يعنى دراسة الأبعاد (مكونات - أنواع - غايات) كإشباع الحاجات المختلفة مثل (رفع مستوى المعيشة - رفع مستوى التعليم - تحسين نوعية حياة الإنسان منها : (السياسية - الاقتصادية - الاجتماعية - الثقافية - الفكرية - العلمية)، حيث أن التنمية مفهوم له مدلولات أو متغيرات : (اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو إدارية أو قانونية ...الخ) وتتحقق التنمية كناتج لتفاعل كل هذه المتغيرات مما يودى إلى إحداث التغير الجذري الشامل للنظام القائم في المجتمع ككل واستبداله بنظام آخر أكثر كفاءة وقدرة وفقاً لرؤية جماهير الشعب وثقافتها ومصالحها الوطنية.

فالتنمية عبارة عن عملية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وبيئية شاملة، ولا يمكن أن ينحصر التنمية في النمو المادي في (الطرق - الكهرباء - المباني.... الخ) فقط، ولكننا نرى أن مفهوم التنمية الشاملة يجب أن يكون مرافق بتغيرات هيكلية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والإدارية خلال فترة طويلة من الزمن، ولا يمكن أن يكون مستوى دخل الفرد أو معدل نمو دخل الفرد هو المؤشر الرئيسي والوحيد على مدى تقدم المجتمعات باتجاه التنمية.

2- خصائص التنمية:

- التنمية ترعى تلبية الاحتياجات القادمة، وأيضاً احتياجات الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، فهي تراعي الحفاظ على المحيط الحيوي في البيئة الطبيعية سواء عناصره ومركباته الأساسية كالهواء، والماء مثلا، أو العمليات الحيوية في المحيط الحيوي كالغازات مثلاً، لذلك فهي تنمية تشترط عدم استنزاف قاعدة الموارد الطبيعية في المحيط الحيوي، كما تشترط أيضا الحفاظ على العمليات الدورية الصغرى، والكبرى في المحيط الحيوي، والتي يتم عن طريقها انتقال الموارد والعناصر وتنقيتها بما يضمن استمرار الحياة أو ما يسمى التنمية للموارد البيئية.
- التنمية تضع تلبية احتياجات الأفراد في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية الحاجات الأساسية والضرورية من الغذاء والملبس والتعليم والخدمات الصحية، وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياة البشر المادية والاجتماعية أو ما يسمى بالتنمية للنمو الاجتماعي .
- التنمية متكاملة تقوم على التنسيق بين سلبيات استخدام الموارد، واتجاهات الاستثمارات والاختيار التكنولوجي، ويجعلها تعمل جميعها بانسجام داخل المنظومة البيئية بما يحافظ عليها ويحقق التنمية المتواصلة المنشودة (سلمان رشيد سلمان، 1986، ص72).

وتجدر الإشارة إلى أن أبرز المؤشرات الأساسية للتنمية تتمثل فيما يلي:

-التنمية عملية وليست حالة، وبالتالي فإنها مستمرة ومتصاعدة، تعبيراً عن تجدد احتياجات المجتمع وتزايدها.

-التنمية عملية مجتمعية، يجب أن تساهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة أو مورد واحد.

-التنمية عملية واعية، وهذا يعني أنها ليست عملية عشوائية، وإنما عملية محددة الغايات، ذات إستراتيجية طويلة المدى، وأهداف مرحلية وخطط وبرامج.

-التنمية عملية موجهة بموجب إرادة تنموية، تعي الغايات المجتمعية وتلتزم بتحقيقها، وتمتلك القدرة على تحقيق الاستخدام الكفء لموارد المجتمع، إنتاجاً وتوزيعاً، بموجب أسلوب حضاري يحافظ على طاقات المجتمع.

-أهمية إحداث تحولات هيكلية، وهذا يمثل إحدى السمات التي تميّز عملية التنمية الشاملة عن عملية النمو الاقتصادي. وهذه التحولات في الإطار السياسي والاجتماعي، مثلما هي في القدرة والتقنية والبناء المادي للقاعدة الإنتاجية.

-إيجاد طاقة إنتاجية ذاتية، وهذا يتطلب من عملية التنمية أن تبني قاعدة إنتاجية صلبة وطاقة مجتمعية متجددة. وأن تكون مرتكزات هذا البناء محلية ذاتية، متنوعة، ومتشابكة، ومتكاملة، ونامية، وقادرة على مواجهة التغيّرات في ترتيب أهمية العناصر المكونة لها، على أن يتوفر لهذه القاعدة التنظيم الاجتماعي السليم، والقدرة المؤسسية الراسخة، والموارد البشرية المدربة والحافزة، والقدرة التقنية الذاتية، والتراكم الرأسمالي الكمي والنوعي الكافي.

-أن ترتبط التنمية بإطارها الاجتماعي والسياسي من خلال الحفز والتشجيع، ويتمثل ذلك في نظام الحوافز القائم على أساس الربط بين الجهد والمكافأة، إضافة إلى تأكيد انتماء الفرد لمجتمعه من خلال تطبيق مبدأ المشاركة بمعناها الواسع، وكذلك جانب العدالة في توزيع ثمرات التنمية وتأكيد ضمانات الوجود الحيوي للأفراد والجماعات، وللمجتمع نفسه، فهذه الجوانب بالإضافة إلى كونها تمثل أهداف التنمية، هي في الوقت نفسه مصدر قوة وسائلها وفاعلية وكفاءة أدائها.

وفي الواقع فإن معظم تقارير الدول التي تم تقديمها لسكرتارية الأمم المتحدة حول تنفيذ الحكومات لخطط التنمية تركز على تعداد المشاريع التي تم تنفيذها والاتفاقيات التي تم توقيعها والمصادقة عليها، وكان معظم هذا التقييم نظريا وإنشائيا ويخضع لمزاج المؤسسة التي تعد التقرير، وهي دائما مؤسسة حكومية يهمها التركيز على الايجابيات وعدم وجود تقييم نقدي حقيقي. ولهذا حاولت لجنة التنمية في الأمم المتحدة الوصول إلى مؤشرات معتمدة للتنمية لكنها لم تنتشر على مستوى العالم حتى الآن(محمد الأمين قرين، 2008، ص22).

ثانياً: النظريات المعاصرة للتنمية:

تكمن أهمية النظريات المعاصرة في كونها تساهم في وضع الأسس التي تبنى عليها الخطط المستقبلية للتنمية وبالتالي تعتبر كمنهاج مبدئي لتقديم أفضل الأساليب التي قد تحدث فرقاً إيجابياً من ناحية التنمية والتغيير وسنوضح باختصار أهم النظريات التي نعتبرها مهمة في عصرنا الحالي وهي كالآتي:

1- النظرية البنائية الوظيفية: يعد التحليل الوظيفي أداة هامة لوصف المجتمع ككل وتوضح عناصره البنائية ووظائف كل منها , ويهتم المنظور الوظيفي بتحليل الوحدات أو الأنساق الاجتماعية الكبرى لحياة الاجتماعية، خاصة التي نجد لها تعبيرا في أنماط السلوك الاجتماعي والتنظيمي(طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص22)، حيث تستند النظرية الوظيفية بوصفها إحدى النظريات الأساسية في علم الاجتماع إلى مجموعة من القضايا والمفاهيم والمصطلحات التي تعتبر شائعة بالدرجة التي تجعل من هذه المدرسة بالفعل – الأكثر انتشارا واستخداما من قبل الدارسين و الباحثين في مجال على الاجتماع وفي هذا الصدد يقول " هوريس كالن horece kallen " في مقالته عن " الوظيفة في دائرة معارف العلوم الاجتماعية " أن الوظيفية ترجع إلى الحركة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في الفلسفة تحت تأثير الدارونية على العلوم – البيولوجية والاجتماعية، أما خصائصها المميزة فتظهر في اهتمامها الأول بالعلاقات ونواحي النشاط أكثر من اهتمامها بالمادة ذاتها، ويرى كالن " kallen " إن الأفكار المتميزة التي تعبر عن الوظيفة هي " الانتقال والأنماط الدينامكية والعلمية والنمو والامتداد والانبثاق , ويستمر "كالن " في شرحه للوظيفة فيقول : كانت الوظيفية تعالج فيما مضى على أنها " متغير معتمد " أو خاصية لبناء ثابت، ولكن الوظيفية اليوم ينظر إليها باعتبارها " المتغير المستقل " وارتد البناء أو الصورة إلى المحل الثاني (محمد عاطف غيث، 1990، ص77).

يمكن تعريف النظرية الوظيفية أن لكل جزء من أجزاء البناء الاجتماعي وظيفة هامة يؤديها والتي يسعى من خلالها إلى إشباع احتياجات الكائن الانسانى في المجتمع فهي تنظر للمجتمع على انه نسق ذو أجزاء مترابطة وظيفيا والوظيفة هي القيام بإشباع الحاجة والمشكلات تحدث بسبب عدم إشباع الحاجات(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص52).

ونحن نعتقد بأنها مجموعة من العمليات التي تهدف إلى خلق وظيفة لكل جزء من أجزاء المجتمع والعمل على إدراج علاقة ترابطية بين أجزاء هذه المكونات.

كما يرى الوظيفيون أن المجتمع يعمل بطريقة مماثلة لقيام الكائن الحي بوظائفه، ويشار إلى هذه المقارنة بالمماثلة العضوية " ومن ثم فان النظم الاجتماعية تقوم بأداء وظائفها معا من اجل مصلحة المجتمع ككل، مثلما تقوم مختلف أجزاء الجسم البشرى بوظائفها معا من أجل مصلحة الجسم(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص92).

يفترض الوظيفيون انه من الضروري – من الناحية العملية أن يكون بعض الأفراد والجماعات أكثر قوة من غيرهم، لان هناك عددا محدودا منهم هو الذي يمكنه أن يتخذ القرارات المهمة ومن ثم فلا بد أن يكون هناك قادة في التنظيمات وفى المجتمع، والأعم الاضطرابات والفوضى(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص59).

يحدث التغير الاجتماعي في رأى الوظيفيين عندما يتبين انه ضروري من الناحية الوظيفية فعلى سبيل المثال توسعت المجتمعات المعاصرة في الأنظمة التعليمية لان تلك المجتمعات بحاجة إلى مزيد من المتعلمين بدرجة اكبر من المجتمعات الأقل تقدما, ويمكن أن يحدث التغير من خلال التكيف أو التكامل ويحدث التكيف عندما تقوم مؤسسة قائمة بإعادة التكيف لمقابلة الاحتياجات الجديدة ويحدث التكامل عندما يتبنى المجتمع عنصرا جديدا ويجعله جزاءا منه فالمجتمع قد ينجح أو يفشل في إدماج مجموعة من المهاجرين فيه، و يميل الوظيفيون إلى التفكير في التغيير بطريقة تطورية (تدريجية) لا ثورية، نلاحظ أن أنصار الوظيفية لم يتركوا إلا مجالات محدودة لوجهة النظر القائلة بان الفرد يمكن أن يتحكم في حياته بدرجة كبيرة إذا ما نحينا جانبا قدرته على تغيير المجتمع، وفى رأى "دوركايم" أن الفرد هو محطة الوصول وليس محطة المغادرة، وبلغة أخرى فان على الاجتماع في رأيه ليس موضوعة الفرد (محمد سيد محمد، 1988، ص52)، وفى هذا الصدد نلاحظ أن " دوركايم " اهتم بفهم الظواهر الاجتماعية وتأثيرها على المشكلات الاجتماعية ويرى أن علم الاجتماع يهتم بالظواهر الاجتماع يهتم بالظواهر الاجتماعية والالتزامات الأخلاقية الجمعية والتي حدد " دوركايم " خصائصها فيما يلي :

جمعية: تتصف أنها خارجة عن شعور الفرد والتفكير الذاتي بل يتلقاها الفرد من المجتمع الذي ينشأ فيه.
إلزامية: أي أنها تفرض نفسها على شعور الفرد وسلوكه سواء وافق الفرد على ذلك ام لم يوافق.
إنسانية: تنشأ داخل المجتمع الإنساني.
تلقائية: أي يمارسها الفرد دون تردد لأنها من صنع المجتمع كالمعتقدات الدينية.

مترابطة: أي ترتبط مع بقية الظواهر الأخرى ومع البيئة الاجتماعية.

وفى إطار النظرية البنائية الوظيفية نعرض لما نشره " روبرت ليند r . lind " وزوجته " هيلن ليند h . lind" فى مؤلفهما بعنوان " الميدلتون middle town في عام 1929 وتمثل هذه الدراسة في الواقع محاولة منظمة لفهم مجتمع محلى أمريكي يمثل إلى حد ما طرازا من المجتمعات المحلية الأمريكية وهو مدينة "منسيس muncic" بولاية ايزيانا، ونظر الباحثان إلى هذا المجتمع المحلى باعتباره نسقا ثقافيا مغلقا نسبيا، يحاول أن يشبع الحاجات الأساسية لأعضائه ولقد تم التعبير عن هذه الحاجات باستخدام مصطلحات واسعة مثل مقومات المعيشة (الحصول على احتياجات الحياة) وتأسيس سكن، وقضاء وقت الفراغ، والمشاركة في نشاطات المجتمع المحلى وخاصة في أمور الحكومة ولدراسة هذه الموضوعات جميعها، استعان الباحثان بأداة الملاحظة بالمشاركة حيث استخدمها بنفس الطريقة التي تتبع في الدراسات الاثنولوجية، بالإضافة إلى استخدام الباحثان بعض المصادر والوثائق التاريخية والبيانات الإحصائية (نيقولا يتماشيف، 1990، ص324) ، ولقد أوضحت نتائج الدراسة أن طابع إشباع الحاجات الذي كان سائدا في " الميدلتون " يعبر عن نمط معين في البناء الاجتماعي، قسم على أساسه الباحثان سكان المجتمع إلى طبقتين أساسيتين :

الطبقة الأولى: طبقة رجال الأعمال

الطبقة الثانية: الطبقة العاملة

وتؤدى كل من هاتين الطبقتين وظائف أساسية مختلفة إلى حد ما وهذا يعنى عدم تحقيق الغرض الذي يذهب إلى وجود تكامل داخل النسق الاجتماعي والثقافي، فحياة المجتمع المحلى قد تنطوي في الواقع على تشابك يبلغ حد التعقيد بحيث تبدو بعض النشاطات الثقافية متناقضة إلى حد ما.

نقد النظرية الوظيفية: نرى انه ليست القضية هي ما إذا كانت الوظيفية منظورا على صواب أو على خطأ، بل القضية هي كيف تبدو الوظيفية مفيدة ومرشدة لنا؟ ومن المؤكد أن الوظيفية تساعدنا في التفسير الوصفي بما تقوم به المؤسسات، وهناك ميزة أخرى لا يمكن إغفالها ألا وهي لها أن المنظور الوظيفي لا يبدو محافظا بشكل تام، إذ أن فكرة المعوقات الوظيفية أو الخلل الوظيفي تشير إلى أن بعض النظم قد تكون ضارة، وقد تؤدى إلى خلل المجتمع وعدم توازنه. (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص60).

ومن أوجه النقد التي وجهت إلى المنظور الوظيفي انه يجد صعوبة في التعامل مع الإحداث التاريخية وعمليات التغيير الاجتماعي والأمر الذي جعل هذا المنظور يتعرض للنقد على أساس إغفاله فكرة التغيير الاجتماعي لذلك اعتبر النقاد ان المنظور الوظيفي يدخل في إطار النظريات المحافظة التي تميل إلى تدعيم النسق أو الوضع الاجتماعي القائم (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص61)، وفى إطار البنائية الوظيفية نستعرض نظرية أخرى وهي:

2- نظرية الأنساق الاجتماعية: تحاول نظرية الأنساق الاجتماعية عند "تالكوت بارسونز" التوليف بين المنظور البنائي الاجتماعي عند "دوركايم" ومنظور الفعلي الاجتماعي عند "ماكس فيبر" webeer مع أراء علماء اجتماعيين آخرين أبرزهم "فرويد" ، يرى "بارسونز" أن الناس يكتسبون القيم والمعايير (القواعد) والأدوار الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية ، وأن النجاح في اندماج قيم المجتمع ومعاييره وأدواره شرط لازم للنظام الاجتماعي , وأن الإخفاق في اكتسابها أو قبولها علامة على الانحراف.

ويشمل مفهوم النسق الاجتماعي عند "بارسونز" البناء والأداء الوظيفي معا وكل نسق من الأنساق الفرعية الأربعة يشبع حاجة إنسانية أساسية، ويشير "بارسونز" إلى هذه الحاجات بـ " الدوافع " أو " اللوازم الضرورية " فالاقتصاد يشبع دافع التكيف (أي الاحتياجات المادية) وتوفر الأنساق السياسية الفرعية او نظام الحكم إطارا مؤسسيا لتحقيق الأهداف، وتعمل المؤسسات القريبة على المحافظة على النمط (نماط السلوك المقبولة) وإدارة التوتر (العواطف) ويحقق النسق الثقافي والاجتماعي الفرعي وظيفة التكامل (التنسيق بين مختلف أجزاء النسق وضبطها) والوصول إلى الأهداف(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص143).

تقوم نظرية النسق الاجتماعي على أن المنظمة الاجتماعية يمكن النظر إليها ككل يتكون من أجزاء يوجد بينهما اعتماد وظيفي.

حيث تقوم نظرية النسق الاجتماعي على افتراض أساس مؤداه " أن كل المنظمات الاجتماعية بجميع أشكالها تعتبر انساقا اجتماعية تتألف من وحدات اجتماعية سواء أفراد أو جماعات، وتمثل انساقا فرعية داخل النسق الكبير ويوجد علاقات وظيفية بينها (التنمية، 2016)

وتوجد مسلمات أساسية لنظرية النسق الاجتماعي هي:

-أن النسق يتألف من مجموعة الأجزاء المترابطة مع بعضها البعض بحيث أن ما يحدث في جزء منها يكون له تأثيره على باقي أجزاء النسق.
-يجب الحفاظ على الأنساق في حالة توازن وان تكيف نفسها دائما او تحاول الحفاظ على حالتها.
-توجد دائرة تغذية عكسية داخل النسق لتزويده بالقدرة على التغير (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص105).

ويوجد نوعان من الأنساق الاجتماعية:

-النسق المفتوح :open system حيث يسمح لمدخلاته بالعبور أي يسمح بتبادل الطاقة والمعلومات (الموارد) مع الأنساق الأخرى في البيئة.
-النسق المغلقclosed system : حيث لا يسمح لمدخلاته بالعبور، أي أن المنظمة تحاول الاعتماد كليا من الداخل ولا تسمح بالتبادل مع البيئة (جوردن مارشال، 2007، ص391).
وقد نستفيد بدرجة كبيرة من نظرية الأنساق في الكشف عن تأثير بعض المدخلات من موارد بشرية وخصائصها من حيث التخصص والخبرة وموارد مالية ومادية تساعد الجمعية على أداء دورها التنموي من خلال الاتصال بالأنساق الأخرى في المجتمع من جمعيات ومنظمات مجتمعية

وسياسية وجهات داخلية وخارجية ممولة والنسق يتأثر بغيره من الأنساق الأخرى وبالعديد من الظواهر والمؤثرات المحيطة.

ونستطيع الاستفادة من النظرية البنائية الوظيفية في تنمية المجتمع بصفة عامة كما يلي:

-انه يمكن القول بان كل مجتمع يتكون من عدد من الأنساق الاجتماعية المتخصصة مثل النسق التنموي، السياسي، التعليمي، الديني، ولكل نسق وظيفة تساهم في تكيف المجتمع.
-أن النسق التنموي يتولى مسئولية التنمية والتخطيط والاعتماد المتبادل بين النسق التعليمي والاقتصادي حيث المهارات اللازمة والإمكانيات.
-عند فحص الوظيفيون للجانب التنموي، وجمعيات تنمية المجتمع المحلى فإنهم ينظرون إلى نتائج كل من تقدم لهم خدمات.
ونحن نتبنى المدخل الوظيفي كموجة لدراسة الجمعيات المحلية، فيجد انه يحاول اكتشاف وظائف الجمعيات بالنسبة للمجتمع المحلى من جهة، وبالنسبة لباقي الأجزاء المجتمعية من جهة أخرى، وهناك استراتيجيات ملائمة لتحقيق التنمية، فدور الجمعيات المحلية له صور عدة منها:

1-**الإستراتيجية الإمبريقية العقلانية**: التي تعتمد على رغبة المجتمع المحلى واستيعابه.

2- **الإستراتيجية التربوية**: وهي تعتمد على تغيير نقس الفعل من خلال تغيير نسق الفعل من خلال تغيير نسق القيم والمعاني والتصورات.

3-**إستراتيجية القوة**: وتعتمد في تحقيق التنمية على القانون والإجراءات السياسية والاجتماعية والمراقبة والتدعيم وحفظ التوازن والعمل على التكيف والارتباط الاجتماعي وتحاشى الصراع في تحقيق الخدمات.

والمدخل الوظيفي يركز على أن هذا الدور التنموي يتم أساسا لتعويض انسحاب الدولة وتلطيف حدة المشاكل الناجمة عن سياسات التكيف الهيكلي وخاصة الفقر والبطالة.

3- النظرية التفاعلية الرمزية: بعد أن استعرضنا النظرية البنائية الوظيفية كإحدى النظريات الكبرى في علم الاجتماع جاء الدور لعرض إحدى النظريات التي تهتم بتحليل الأنساق الاجتماعية الصغرى وهي: التفاعلية الرمزية. تعد التفاعلية الرمزية إحدى المنظورات السوسيولوجية الأساسية المعاصرة هذا المنظور على أسس فلسفية ونفسية فقد تأثر هذا المنظور بالفلسفة البرجماتية (النفعية) pragmatic philosophy(طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص106).

فالتفاعلية الرمزية هي نظرية أمريكية بارزة في علم النفس الاجتماعي تركز اهتمامها على طرق تكوين المعاني خلال عملية التفاعل وهى تضع في المحك الأول من اهتمامها تحليل معاني الحياة اليومية عن طريق الملاحظة المباشرة وزيادة درجة الألفة (مع المبحوثين) ثم تعتمد على ذلك في الوصول إلى فهم الإشكال الأساسية للتفاعل الانسانى، وقد تأثرت التفاعلية الرمزية تأثيرا قويا

بالبرجماتية , وبمدرسة شيكاغو في علم الاجتماع , والكتابات الفلسفية "بجورج هربت ميد" ، أما المصطلح نفسه فقد اقره "هربرت بلومر h . blumer " في سنة 1937(طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص109).

ويمكن القول أن للنظرية أربعة أسس رئيسية هي:

يتولى **الأساس الأول** إلقاء الضوء على الطرق التي يجيد بها البشر التعامل بالرموز باعتبارها سمة مميزة لهم فهم وحدهم من بين كل الكائنات الذين يستطيعون بفضل الرموز إنتاج الثقافة واستخدامها في نقل تاريخ معقد من جيل إلى جيل ويبدى التفاعليون الرمزيون دائما اهتماما ملحوظا بدراسة الطرق التي يضفى بها الناس معان على أجسامهم وعلى مشاعرهم وعلى ذواتهم وعلى تواريخ حياتهم والمواقف التي يمرون بها وعموما العوالم الاجتماعية الكبيرة التي يوجدون فيها وتستخدم في مثل هذه الدراسات الإستراتيجية البحثية الملائمة مثل الملاحظة بالمشاركة والتي من شأنها أن تمكننا من الوصول إلى معرفة هذه الرموز والمعاني.
ويقودنا ذلك إلى **الأساس الثاني** وهو موضوع العملية والظهور فالعالم الاجتماعي في نظر التفاعليين عبارة عن شبكة دينامية جدلية والمواقف تواجهها دائما نتائج غير مؤكدة أو مستقرة والحياة وتواريخ كل حياة منخرطة على الدوام في عملية تحول لا تثبت على حال واحد ولا تتوقف عن الطفرات والاهتمام هنا لا ينصب على معرفة الأبنية الصارمة (كما هو الحال في مدارس نظرية أخرى عديدة في علم الاجتماع) وإنما ينصب على ملاحقة مسارات النشاط بما يرتبط بها من عمليات تؤازرهم ومما ينجم عنها من نتائج.
الأساس الثالث للتفاعلية يهتم بإلقاء الضوء على العالم الاجتماعي بوصفه يقوم تماما على التفاعل، فلدى أصحاب وجهة النظر هذه لا يوجد فرد وحيد منعزل، فالبشر في حالة ارتباط دائم مع الآخرين واهم وحدة أساسية في التحليل التفاعلي هي الذات (الأنا) و تهتم بالطرق التي يستطيع الناس أن ينظروا إلى أنفسهم كموضوعات، ويضطلعوا بدور الآخرين من عملية أداء الدور، وتبدو هذه الفكرة بصورة جلية في فكرة "تشارلز كولى" عن مرآة الذات وفى فكرة "ميد" g . h . head الأكثر عمومية عن الذات.
الأساس الرابع في التفاعلية الرمزية وهو مشتق من" جورج زيمل" g . simmel هو أن تنظر التفاعلية إلى ما وراء هذه الرموز والعمليات والتفاعلات لكي تحدد الأنماط الأساسية للحياة الاجتماعية فالتفاعليون يبحثون عن العمليات الاجتماعية الحقيقية وهكذا فعندما يدرسون خبرات الحياة الخاصة بالأطباء وعازفي فرق الرقص الموسيقية ومتعاطي المخدرات يستطيعون أن يعثروا على العمليات المشتركة الفعالة وراء كل تلك التجمعات التي تبدو متباينة وبعيدة عن بعضها (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص115).
ومن أوجه النقد التي وجهت للتفاعلية الرمزية ما يلي:

-اهتمامها بدراسة الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الصغيرة
-صعوبة التعامل مع الجوانب التنظيمية الكبيرة داخل المجتمع
-صعوبة التعامل مع العلاقات بين المجتمعات
-صرفت انتباه الباحثين عن دراسة القضايا الأساسية للمجتمع ونقد الأوضاع القائمة
-جذبت انتباه الباحثين إلى دراسة التفاصيل الصغيرة في الحياة الاجتماعية وبذلك تكون قد استبعدت النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في مجال الدراسة (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص86).

4- نظرية الدور: هناك اتجاهان مختلفان داخل نظرية الدور أحدهما تطور في إطار الانثروبولوجيا الاجتماعية ل " رالف لنتون" ويولي أهمية بنائية للأدوار القائمة داخل النظام الاجتماعي، وهنا تصبح الأدوار مجموعة مترابطة مؤسسيا من الحقوق والواجبات المعيارية، ويعد تفسير "تالكوت بارسونز" المعروف لدور المريض مثالا واضحا على هذا الاتجاه(عبد القادر حاتم، 2005، ص18).

أما الاتجاه الثاني فهو في نزعته العامة يميل إلى علم النفس الاجتماعي، ويركز على النشاطات المتضمنة في صنع الأدوار وتوليها وممارستها، وهذا الاتجاه جزء من تراث التفاعلية الرمزية وهذا المنظور يحلل الحياة الاجتماعية مجازيا على طريقة الدراما والمسرح، ويظل الاهتمام موجها إلى ديناميات ممارسة الأدوار حيث لا تكون مجرد توقعات ثابتة وإنما هي نتائج ومخرجات متجددة باستمرار(بول تسرتين، 1999، ص31).

5- نظرية العولمة Globalization Theory : يمكن القول أن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرا لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر أساسا بانحياز الباحثين الإيديولوجيين.

وإذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها وهي:

-انتشار المعلومات بحيث تصبح معروفة لدى جميع الناس.

-زيادة معدلات التشابك بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.

-تمكين الاتفاقيات والبرتوكولات بين الدول فيما يخص الحدود.

وبالتالي فمفهوم العولمة مثله مثل مفهوم المجتمع المدني العالمي كلاهما مفهوم حديث في أدبيات العلوم الاجتماعية ويحظى هو الأخر بالكثير من الجدل، وهذه العمليات الثلاثة نجدها متضمنة بشكل أو بآخر المجتمع المدني العالمي لان الاتصال والانتشار ألمعلوماتي والمعرفي هو الذي أسهم في خلق المجتمع المدني العالمي(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص90)، أما مشروع العولمة هو مشروع تاريخي مثل التنمية بالضبط بمعنى أن مشروع العولمة يؤسس مشروعا ليس وطنيا وإنما مشروعا عالميا في الإدارة الاقتصادية للموارد منفردا وليس متكررا، بحيث تتبعه كل الدول على الطريقة الغربية، و بتعبير آخر فإن الرأسمالية تؤسس نفسها بنفسها بحرية دون محاربة لها من الطبقات العاملة كما في مشروع التنمية، ومن ثم ارتبطت بنخب الطبقات الحاكمة في هذه الدول، إضافة إلى نخب صندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية بمعنى تشكلت نخبة عالمية ضد النخب الوطنية إذن مشروع العولمة جعل من التنمية مفهوما جديدا يشير إلى المشاركة في السوق العالمية (عبد القادر حاتم، 2005، ص19).

وفى ضوء الاعتراف بالدور الواضح للمنظمات غير الحكومية بدأ البنك الدولي منذ ثمانينيات القرن العشرين الاعتماد المتزايد عليها باعتبارها شريكا في تخطيط وتصميم وتنفيذ ومتابعة المشروعات التي يتولاها البنك وهذا التعاون أو الاعتماد ليس قاصرا على منظمات غير حكومية دولية فقط بل يمتد لمنظمات غير حكومية محلية، وأصبحت هذه المنظمات المحلية تستحوذ عام 1998 على حوالي 80% من المشروعات الممولة من البنك الدولي (طلعت ابراهيم لطفي، 2006، ص105).

العولمة هي عملية دمج اقتصادي من خلال مؤشرات محلية لتعطى وجها محليا لعمليات العولمة مثل توسيع الشركات العابرة للقوميات وتهدف إلى:

-التخفيف من أعباء الحياة.

-زيادة الوقت الذي يتصرف فيه المرء طبقا لما يراه.

-زيادة إنفاق الطاقة.

والملاحظ أن المحلية غالبا عكس العولمة لان حدودها اجتماعية وليست جغرافية ولعل الاعتماد على المحلية يرجع إلى عدة أمور منها:

-تآكل قدرات الحكومة على إدارة شئون الثورة الوطنية.

-ظهور طبقات جديدة من رجال الأعمال.

-تفكك نظم الرعاية العامة وانسحاب الدولة من دورها في الرعاية.

-الاضطرابات الغذائية وتصدير فكرة التصدي السياسي أو الفوضى الخلاقة (مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص115)

ونحن نرى أنه لا بد من محاولة إيجاد نموذج محلى يقوم على المسلمات التالية:

-إن التنمية ليست هي النمو الاقتصادي ولذا لا ينبغي الاعتماد على المؤشرات الاقتصادية ولا ينبغي تقويم التجارب التنموية بها.
-إن التنمية ليست مشروعا بل عملية مستمرة
-إن التنمية هي عملية من خلالها يقوم الأفراد بتكوين أنفسهم إعادة تكوينها وكذلك ظروف حياتهم ليبنوا حضارتهم طبقا لقيمهم واختياراتهم.
-إن التنمية يجب أن يقوم الأفراد بها وان كانت غاية التنمية هم الأفراد فهم وسائلها وأدواتها.
-اخذ البيئة المحلية في الاعتبار كما هي وليس كما ينبغي أن تكون والباحث يتبنى مفهوم مجرد للعولمة بأنها " متعددة الأبعاد فهي سياسية وأيديولوجية واقتصادية وثقافية.. والواقع يشير إلى عولمة كثيرة من الأشياء كالسلع والخدمات والأموال والبشر والمعلومات والتأثيرات البيئية وكذلك يمكن عولمة الأشياء المجردة كالأفكار والأعراف والممارسات السلوكية والأنماط

الثقافية(محمد عاطف غيث، 1990، ص33)، ونرى من أوجه النقد التي وجهت لنظرية العولمة التالي:
-العولمة في حد ذاتها مشكلة وليست حل لمشاكلنا.
-لم تسمح لكل الدول للدخول من أبوابها.
-هناك غموض بشأن مستقبلها.
-وجود صعوبات في فهم واقعنا وتباين إدراكه.
-ضرورة البحث عن بديل للعولمة في التحول نحو ديمقراطية محددة ونشطة.

ثالثاً: أبعاد تنمية المجتمع الجزائري:

والملاحظ من خلال التعريفات السابقة أن التنمية تتضمن أبعادا متعددة تتداخل فيما بينها من شأن التركيز على معالجتها إحراز تقدم ملموس في تحقيق التنمية المستهدفة، ويمكن الإشارة هنا إلى أربعة أبعاد نراها حاسمة ومتفاعلة هي كل من الأبعاد الاقتصادية والبشرية والبيئية والتكنولوجية: (أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص99).

1- الأبعاد الاقتصادية:

1 –1 حصة الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية: فبالنسبة للأبعاد الاقتصادية للتنمية المستدامة نلاحظ أن سكان البلدان الصناعية يستغلون قياسا على مستوى نصيب الفرد من الموارد الطبيعية في العالم، أضعاف ما يستخدمه سكان البلدان النامية. ومن ذلك مثلا أن استهلاك الطاقة الناجمة عن النفط والغاز والفحم هو في الولايات المتحدة أعلى منه في الهند ب 33 مرة، وهو في بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ال "OCDE" أعلى بعشر مرات في المتوسط منه في البلدان النامية مجتمعة(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص100).

2-1 إيقاف تبديد الموارد الطبيعية: فالتنمية الشاملة بالنسبة للبلدان الغنية تتلخص في إجراء تخفيضات متواصلة من مستويات الاستهلاك المبددة للطاقة والموارد الطبيعية وذلك عبر تحسين مستوى الكفاءة وإحداث تغيير جذري في أسلوب الحياة، ولا بد في هذه العملية من التأكد من عدم تصدير الضغوط البيئية إلى البلدان النامية، وتعني التنمية الشاملة أيضا تغيير أنماط الاستهلاك التي تهدد التنوع البيولوجي في البلدان الأخرى دون ضرورة، كاستهلاك الدول المتقدمة للمنتجات الحيوانية المهددة بالانقراض (محمد عاطف غيث، 1990، ص32).

3-1 مسؤولية البلدان المتقدمة عن التلوث وعن معالجته: وتقع على البلدان الصناعية مسؤولية خاصة في قيادة التنمية المستدامة، لأن استهلاكها المتراكم في الماضي من الموارد الطبيعية مثل المحروقات – وبالتالي إسهامها في مشكلات التلوث العالمي- كان كبيرا بدرجة غير متناسبة. يضاف إلى هذا أن البلدان الغنية لديها الموارد المالية والتقنية والبشرية الكفيلة بأن تضطلع بالصدارة في استخدام تكنولوجيات أنظف وتستخدم الموارد بكثافة أقل، وفي القيام بتحويل اقتصادياتها نحو حماية النظم الطبيعية والعمل معها، وفي تهيئة أسباب ترمي إلى تحقيق نوع من المساواة والاشتراكية للوصول إلى الفرص الاقتصادية والخدمات الاجتماعية داخل مجتمعاتها.

والصدارة تعني أيضا توفير الموارد التقنية والمالية لتعزيز للتنمية المستدامة في البلدان الأخرى – باعتبار أن ذلك استثمار في مستقبل الكرة الأرضية(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص101).

1-4 تقليص تبعية البلدان النامية: وثمة جانب من جوانب الروابط الدولية فيما بين البلدان الغنية والفقيرة يحتاج إلى دراسة دقيقة. ذلك أنه بالقدر الذي ينخفض به استهلاك الموارد الطبيعية في البلدان الصناعية، يتباطأ نمو صادرات هذه المنتجات من البلدان النامية وتنخفض أسعار السلع الأساسية بدرجة أكبر، مما يحرم البلدان النامية من إيرادات تحتاج إليها احتياجا ماسا. ومما يساعد على تعويض هذه الخسائر، الانطلاق من نمط تنموي يقوم على الاعتماد على الذات لتنمية القدرات الذاتية وتأمين الاكتفاء الذاتي وبالتالي التوسع في التعاون الإقليمي، وفي التجارة فيما بين البلدان النامية، وتحقيق استثمارات ضخمة في رأس المال البشري، والتوسع في الأخذ بالتكنولوجيات المحسنة(مصطفى خلف عبد الجواد، 2002، ص110).

1-5 التنمية الشاملة لدى البلدان الفقيرة: وتعني التنمية الشاملة في البلدان الفقيرة تكريس الموارد الطبيعية لأغراض التحسين المستمر في مستويات المعيشة، ويعتبر التحسين السريع، كقضية أخلاقية، أمر حاسم بالنسبة لأكثر من 20% من سكان العالم المعدمين في الوقت الحالي. ويحقق التخفيف من عبء الفقر المطلق نتائج عملية هامة بالنسبة للتنمية المستدامة، لأن هناك روابط وثيقة بين الفقر وتدهور البيئة والنمو السريع للسكان والتخلف الناجم عن التاريخ الاستعماري والتبعية المطلقة للقوى الرأسمالية. أما الذين لا تلبى لهم احتياجاتهم الأساسية، والذين ربما كان بقائهم على قيد الحياة أمرا مشكوكا فيه، فيصعب أن نتصور بأنهم سيهتمون بمستقبل كرتنا الأرضية، وليس هناك ما يدعوهم إلى تقدير مدى صلاحية تصرفاتهم للاستدامة، كما أنهم يجنحون إلى الاستزادة من الأطفال في محاولة لزيادة القوة العاملة للأسرة ولتوفير الأمن لشيخوختهم(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص104).

1- 6الحد من التفاوت في المداخيل : فالتنمية الشاملة تعني إذن الحد من التفاوت المتنامي في الدخل وفي فرص الحصول على الرعاية الصحية في البلدان الصناعية مثل الولايات المتحدة وإتاحة حيازات الأراضي الواسعة وغير المنتجة للفقراء الذين لا يملكون أرضا في مناطق مثل أمريكا الجنوبية أو للمهندسين الزراعيين العاطلين كما هو الشأن بالنسبة لبلادنا؛ وكذا تقديم القروض إلى القطاعات الاقتصادية غير الرسمية وإكسابها الشرعية؛ وتحسين فرص التعليم والرعاية الصحية بالنسبة للمرأة في كل مكان، وتجب الإشارة إلى أن سياسة تحسين فرص الحصول على الأراضي والتعليم وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية لعبت دورا حاسما في تحفيز التنمية السريعة والنمو في اقتصاديات النمور الآسيوية مثل ماليزيا وكوريا الجنوبية وتايوان(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص103).

2-الأبعاد البشرية:

2-1 تثبيت النمو الديموغرافي: وتعني التنمية الشاملة فيما بالأبعاد البشرية العمل على تحقيق تقدم كبير في سبيل تثبيت نمو السكان، وهو أمر بدأ يكتسي أهمية بالغة، ليس لأن النمو المستمر للسكان لفترة طويلة وبمعدلات شبيهة بالمعدلات الحالية أصبح أمرا مستحيلا استحالة واضحة فقط، بل كذلك لأن النمو السريع يحدث ضغوطا حادة على الموارد الطبيعية وعلى قدرة الحكومات على توفير الخدمات. كما أن النمو السريع للسكان في بلد أو منطقة ما يحد من التنمية، ويقلص من قاعدة الموارد الطبيعية المتاحة لإعالة كل ساكن(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص60).

2-2 الاستخدام الكامل للموارد البشرية: كما تنطوي التنمية الشاملة على استخدام الموارد البشرية استخداما كاملا، وذلك بتحسين التعليم والخدمات الصحية ومحاربة الجوع. ومن المهم بصورة خاصة أن تصل الخدمات الأساسية إلى الذين يعيشون في فقر مطلق أو في المناطق النائية؛ ومن هنا فإن التنمية الشاملة تعني إعادة توجيه الموارد أو إعادة تخصيصها لضمان الوفاء أولا بالاحتياجات البشرية الأساسية مثل تعلم القراءة والكتابة، وتوفير الرعاية الصحية الأولية، والمياه النظيفة. والتنمية الشاملة تعني –فيما وراء الاحتياجات الأساسية- تحسين الرفاهية الاجتماعية، وحماية التنوع الثقافي، والاستثمار في رأس المال البشري- بتدريب المربين والعاملين في الرعاية الصحية والفنيين والعلماء وغيرهم من المتخصصين الذين تدعو إليهم الحاجة لاستمرار التنمية(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص62).

2-3 الصحة والتعليم: ثم إن التنمية البشرية تتفاعل تفاعلا قويا مع الأبعاد الأخرى للتنمية الشاملة. من ذلك مثلا أن السكان الأصحاء الذين نالوا من التغذية الجيدة ما يكفيهم للعمل، ووجود قوة العمل الحسنة التعليم، أمر يساعد على التنمية الاقتصادية. ومن شأن التعليم أن يساعد المزارعين وغيرهم من سكان البادية على حماية الغابات وموارد التربة والتنوع البيولوجي حماية أفضل(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص108).

2-4 أهمية دور المرأة: ولدور المرأة أهمية خاصة ففي كثير من البلدان النامية يقوم النساء والأطفال بالزراعات المعيشية، والرعي وجمع الحطب ونقل الماء، وهم يستخدمون معظم طاقتهم في الطبخ، ويعتنون بالبيئة المنزلية مباشرة. والمرأة بعبارة أخرى هي المدبر الأول للموارد والبيئة في المنزل –كما أنها هي أول من يقدم الرعاية للأطفال- ومع ذلك فكثيرا ما تلقى صحتها وتعليمها الإهمال الصارخ مقارنة بصحة الرجال وتعليمهم. والمرأة الأكثر تعليما، لديها فرص أكبر في الحصول على وسائل منع الحمل، كما أن معدلات خصوبتها أقل في المتوسط، وأطفالها أكثر صحة. ومن شأن الاستثمار في صحة المرأة وتعليمها أن يعود على القابلية للاستدامة بمزايا متعددة(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص64).

2-5 الأسلوب الديمقراطي الاشتراكي في الحكم: ثم إن التنمية الشاملة على المستوى السياسي تحتاج إلى مشاركة من تمسهم القرارات، في التخطيط لهذه القرارات وتنفيذها، وذلك لسبب عملي هو أن جهود التنمية التي لا تشرك الجماعات المحلية كثيرا ما يصيبها الإخفاق. لذلك فإن اعتماد

النمط الديمقراطي الاشتراكي في الحكم يشكل القاعدة الأساسية للتنمية البشرية الشاملة في المستقبل(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص65).

3-الأبعاد البيئية:

1-3 إتلاف التربة، استعمال المبيدات: بالنسبة للأبعاد البيئية نلاحظ أن تعرية التربة وفقدان إنتاجيتها يؤديان إلى التقليص من غلتها، ويخرجان سنويا من دائرة الإنتاج مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. كما أن الإفراط في استخدام الأسمدة ومبيدات الحشرات يؤدي إلى تلويث المياه السطحية والمياه الجوفية. أما الضغوط البشرية والحيوانية، فإنها تضر بالغطاء النباتي والغابات أو تدمرهما. وهناك مصايد كثيرة للأسماك في المياه العذبة أو المياه البحرية يجري استغلالها فعلا بمستويات غير مستدامة، أو أنها توشك أن تصبح كذلك(أحمد عبد العزيز النشامى، 2009، ص119).

2-3 حماية الموارد الطبيعية: والتنمية الشاملة تحتاج إلى حماية الموارد الطبيعية اللازمة لإنتاج المواد الغذائية والوقود –ابتداء من حماية التربة إلى حماية الأراضي المخصصة للأشجار وإلى حماية مصايد الأسماك- مع التوسع في الإنتاج لتلبية احتياجات السكان الآخذين في التزايد، وهذه الأهداف يحتمل تضاربها، ومع ذلك فإن الفشل في صيانة الموارد الطبيعية التي تعتمد عليها الزراعة كفيل بحدوث نقص في الأغذية في المستقبل. وتعني التنمية الشاملة هنا استخدام الأراضي القابلة للزراعة وإمدادات المياه استخداما أكثر كفاءة، وكذلك استحداث وتبني ممارسات وتكنولوجيات زراعية محسنة تزيد الغلة. وهذا يحتاج إلى اجتناب الإسراف في استخدام الأسمدة الكيميائية والمبيدات حتى لا تؤدي إلى تدهور الأنهر والبحيرات، وتهدد الحياة البرية، وتلوث الأغذية البشرية والإمدادات المائية، وهذا يعني استخدام الري استخداما حذرا، واجتناب تمليح أراضي المحاصيل وتشبعها بالماء(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص65).

3-3 صيانة المياه: وفي بعض المناطق تقل إمدادات المياه، ويهدد السحب من الأنهار باستنفاد الإمدادات المتاحة، كما أن المياه الجوفية يتم ضخها بمعدلات غير مستدامة، كما أن النفايات الصناعية والزراعية والبشرية تلوث المياه السطحية والمياه الجوفية، وتهدد البحيرات والمصبات في كل بلد تقريبا. والتنمية الشاملة تعني صيانة المياه بوضع حد للاستخدامات المبددة وتحسين كفاءة شبكات المياه. وهي تعني أيضا تحسين نوعية المياه وقصر المسحوبات من المياه السطحية على معدل لا يحدث اضطرابا في النظم الإيكولوجية التي تعتمد على هذه المياه، وقصر المسحوبات من المياه الجوفية على معدل تجددها(أحمد عبد العزيز النشامى، 2009، ص120).

4-3 حماية المناخ من الاحتباس الحراري: والتنمية الشاملة تعني كذلك عدم المخاطرة بإجراء تغييرات كبيرة في البيئة العالمية – بزيادة مستوى سطح البحر، أو تغيير أنماط سقوط الأمطار والغطاء النباتي، أو زيادة الأشعة فوق البنفسجية – يكون من شأنها إحداث تغيير في الفرص المتاحة للأجيال المقبلة. ويعني ذلك الحيلولة دون زعزعة استقرار المناخ، أو النظم الجغرافية

الفيزيائية والبيولوجية أو تدمير طبقة الأوزون الحامية للأرض من جراء أفعال الإنسان(أحمد عبد العزيز النشامى، 2009، ص117).

4- الأبعاد التكنولوجية:

1-4 استعمال التكنولوجيات الدولية الموثوقة: كثيرا ما تؤدي المرافق الصناعية إلى تلويث ما يحيط بها من هواء ومياه وأرض، وفي البلدان المتقدمة النمو، يتم الحد من تدفق النفايات وتنظيف التلوث بنفقات كبيرة؛ أما في البلدان النامية، فإن النفايات المتدفقة في كثير منها لا يخضع للرقابة إلى حد كبير، ومع هذا فليس التلوث نتيجة لا مفر منها من نتائج النشاط الصناعي، وأمثال هذه النفايات المتدفقة تكون نتيجة لتكنولوجيات تفتقر إلى الكفاءة أو لعمليات التبديد، وتكون نتيجة أيضا للإهمال والافتقار إلى فرض العقوبات الاقتصادية، وتعني التنمية الشاملة هنا التحول إلى تكنولوجيات أنظف وأكفأ وتقلص من استهلاك الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية إلى أدنى حد، وينبغي أن يتمثل الهدف في عمليات أو نظم تكنولوجية تتسبب في نفايات أو ملوثات أقل في المقام الأول، وتعيد تدوير النفايات داخليا، وتعمل مع النظم الطبيعية أو تساندها، وفي بعض الحالات التي تفي التكنولوجيات التقليدية بهذه المعايير فينبغي المحافظة عليها(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص122).

2-4 المحروقات والاحتباس الحراري: كما أن استخدام المحروقات يستدعي اهتماما خاصا لأنه مثال واضح على العمليات الصناعية غير المغلقة، فالمحروقات يجري استخراجها وإحراقها وطرح نفاياتها داخل البيئة، فتصبح بسبب ذلك مصدرا رئيسيا لتلوث الهواء في المناطق العمرانية، وللأمطار الحمضية التي تصيب مناطق كبيرة، والاحتباس الحراري الذي يهدد بتغير المناخ، والمستويات الحالية لانبعاث الغازات الحرارية من أنشطة البشر تتجاوز قدرة الأرض على امتصاصها؛ وإذا كانت الآثار قد أصبحت خلال العقد الأخير من القرن العشرين واضحة المعالم، فإن معظم العلماء متفقون على أن أمثال هذه الانبعاث لا يمكن لها أن تستمر إلى ما لا نهاية سواء بالمستويات الحالية أو بمستويات متزايدة، دون أن تتسبب في تغير عالمي للمناخ، وسيكون للتغييرات التي تترتب عن ذلك في درجات الحرارة وأنماط سقوط الأمطار ومستويات سطح البحر فيما بعد – ولاسيما إذا جرت التغييرات سريعا- آثار مدمرة على النظم الإيكولوجية وعلى رفاهية الناس ومعاشهم، ولاسيما بالنسبة لمن يعتمدون اعتمادا مباشرا على النظم الطبيعية(أحمد عبد العزيز النشامي، 2009، ص124).

3-4 الحد من انبعاث الغازات: وترمي التنمية الشاملة في هذا المجال إلى الحد من المعدل العالمي لزيادة انبعاث الغازات الحرارية، وذلك عبر الحد بصورة كبيرة من استخدام المحروقات، وإيجاد مصادر أخرى للطاقة لإمداد المجتمعات الصناعية، وسيكون من المتعين على البلدان الصناعية أن تتخذ الخطوات الأولى للحد من انبعاث ثاني أكسيد الكربون واستحداث تكنولوجيات جديدة لاستخدام الطاقة الحرارية بكفاءة أكبر، وتوفير إمدادات من الطاقة غير الحرارية تكون مأمونة وتكون نفقتها محتملة، على أنه حتى تتوافر أمثال هذه التكنولوجيات، فالتنمية الشاملة تعني استخدام المحروقات بأكفأ ما يستطاع في جميع البلدان(جهينة سلطان العيسوي، 2002، ص95).

وكتعقيب لما سبق لهذه الأبعاد فإننا نرى أنها قد أهملت جانباً مهما في المجتمع الجزائري الا وهو الموارد التي يتوفر عليها والتنسيق بين الاحتياجات التي يطالب بها المجتمع المحلي، ونشير في هذا الصدد إلى قوة اليد العاملة التي تزخر بها الجزائر، إضافة إلى ذلك نجد انفسنا امام معضلة أخرى وهي هل تتفق هذه الأبعاد والتقاليد والنظم الاجتماعية التي تسود المجتمع الجزائري، حيث نجد في بعض الأحيان أن تجسيد مشروع تنموي معين يلقى معارضة من طرف المواطنين بحجة تعارضه مع طبيعة المنطقة أو أن المواطنين أنفسهم غير متفقين مع بعضهم البعض مما قد يؤدي إلى تأخر إنجاز المشاريع التنموية، وبالتالي السير ضمن حلقة مفرغة، إذن ما يجب القيام به من اجل ضمان خطط تنموية طويلة الأمد سنوضحه في النتائج التالية:

5-أهم نتائج الدراسة: من خلال ما سبق يمكننا أن نرسم دور جديد للنظريات المعاصرة من أجل المضي في التنمية الشاملة للمجتمع الجزائري باتباع النقاط الآتية:

-العمل من اجل وضع خطة استراتيجية علمية تُعنى بالبحث عن الموارد التي تتوفر عليها كل منطقة (ولاية) ومن ثم وضع مخطط زمني لتنفيذ البرامج التنموية.
-التأكيد على دور المواطن في إثراء البرامج التنموية من خلال الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني التي تلعب دوراً هاما في الوساطة بين المواطن والإدارة والعمل على تقريب وجهات النظر.
-إتاحة الفرصة للشباب الراغب في الإبداع من خلال توفير الموارد المالية مع شرط عدم الاخلال بشروط الاستفادة.
-إعطاء دفعة قوية للحرفيين والعاملون في ميدان الصناعة التقليدية.
-تغيير مفهوم المجتمع نحو السياحة الداخلية وتشجيعها وخلق أسعار تنافسية وهذا لما تمتاز به الجزائر من مناطق سياحية من الدرجة الأولى.
-تسهيل إجراءات الاستثمار بالنسبة للشباب الراغب في خلق مؤسسات كبرى
-الاهتمام أكثر فأكثر بالميدان الفلاحي وتقديم كل التسهيلات للفلاحين من أجل ضمان محصول فلاحي ذو نوعية جيدة.
-البدء بالتفكير جدياً في الخروج من بوتقة الصادرات الطاقوية إلى صادرات متنوعة تسهم بقدر كبير في خلق التوازن الاقتصادي.

خاتمة:

مع تنامي اهتمام مختلف وسائل الإعلام بالقضايا التنموية أصبح الرأي العام أكثر اهتماما بإيجاد حلول لمشاكل الفقر والتدني في نوع ومستوى الخدمات، وكيفية التخطيط للتنمية مع الأخذ بعين الاعتبار ملائمة النظريات التي تبنى عليها إيديولوجية التنمية، وقد بدا واضحا لهذه الدراسة أن عملية التحول إلى التنمية لحماية المجتمع بالدرجة الأولى تتطلب جهود كل المجتمع الجزائري فهي مطلب مبرمج ويجب أن ينجز من قبل الجميع وبلا استثناء، وفي الحقيقة فإنه كلما درسنا وحللنا الموقف كلما زاد إدراكنا في نهاية الأمر بأن المشاكل التنموية المتعددة ليست إلا وجوه مختلفة لأزمة واحدة ووحيدة، هي بالتأكيد، أزمة إدراك تنبع من حقيقة أن معظم الناس وخاصة المؤسسات الاجتماعية الكبيرة في الدول المتقدمة تتبنى مفاهيم (لم تعد ملائمة لمعالجة مشاكل عالم اليوم) نموذج الحداثة الذي هيمن على الثقافة الصناعية الغربية لقرون من الزمن تمكن

خلالها من صياغة المجتمع الحديث وأثر بشكل كبير في كل أنحاء العالم من خلال فرضه لعدد من الأفكار والقيم كالنظرة للعالم كنسق أو نظام ميكانيكي مؤلف من عناصر بناء أولية، والنظرة لجسم لإنسان كآلة، والنظرة للحياة في المجتمع كصراع تنافسي من أجل البقاء، والإيمان بالقدرة على تحقيق تقدم مادي غير محدود من خلال النمو الاقتصادي والتقني.

فضلا عن ذلك لا يزال كثير من المفكرين الغربيين ينظرون للتنمية بطريقة براغماتية مادية لا على أنها وسيلة لتحقيق توازن استراتيجي بين احتياجات المجتمع وما يملكه من مقومات وإنما كمحاولة لإزالة جزء من التوتر في العلاقة المتداخلة بين الحضارة وبيئتها، وبرغم أن مجرد نضال المجتمع العالمي للانتقال من مرحلة النقاش النظري حول المشاكل التنموية إلى مرحلة وضع خطط عملية نحو إزالة ذلك التوتر يمثل جانبا ايجابيا، إلا أنه يجب في نفس الوقت الاعتراف بأن غياب فهم أو رؤية واضحة حول التوجه العام لحركة الحضارة في المستقبل يمثل جانبا سلبيا من مشروع التنمية، من هذا المنطلق ترى هذه الدراسة أن العالم بحاجة إلى تنمية متوازنة تركز مبدأ الوقاية بدلا من العلاج، وهذا يعني أن التنمية ليست فقط مسألة فردية، بل أنها تتعامل مع كافة المؤسسات الفاعلة في المجتمع، تعتمد بالأساس على متغير رئيسي هو ما يستطيع المجتمع الجزائري كمجتمع نامي تحقيقه بواسطة الثروات التي يتوفر عليها.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد العزيز النشامي(2009)، مفاهيم في التنمية، دار الحرية للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
2. أماني قنديل(2002)، المجتمع المدني العالمي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، مصر.
3. بول تسرتين(1999)، عناصر استراتيجية التنمية في المستقبل ـ اهمية التنمية البشرية، مجلة التمويل، ع(256)، صندوق النقد الدولي، واشنطن. الولايات المتحدة الأمريكية.
4. جهينة سلطان العيسوي(2002)، علم الاجتماع، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.
5. جوردن مارشال(2007)، موسوعة علم الاجتماع. ط2. المجلد الأول، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار الهدى، القاهرة، مصر.
6. سلمان رشيد سلمان(1986)، العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
7. طلعت إبراهيم لطفي(2006)، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، مصر.
8. عبد القادر حاتم(2005)، العولمة مالها وما عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
9. محمد الأمين قرين(2008)، المؤشرات البيئية للتنمية المستدامة، مؤتمر التنمية المستدامة، جامعة سبها، ليبيا.
10. محمد سيد محمد(1988)، الإعلام والتنمية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
11. محمد عاطف غيث(1990)، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.

12. مصطفى خلف عبد الجواد(2002)، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، مصر.
13. نيقولا يتماشيف(1990)، نظرية علم الاجتماع – طبيعتها وتطورها، ترجمة محمد عودة وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.
14. http://www.un.org/ar/development (موقع الأمم المتحدة قسم التنمية)

الإخوة في حداد: بين المعاناة والصمت. أي كفالة نفسية؟
Brothers in mourning :between suffering and silence What psycholological care ?

د.بركوش فايزة، جامعة الجزائر 2- الجزائر

ملخص: تعد الوفاة المفاجئة صدمة عنيفة، تمس كل فرد من أفراد الأسرة وكذا ديناميتها، لأن الحدث الصدمي يعمل على تخريب الدينامية والروابط الأسرية، قمنا بالإهتمام بخصوصية سياق الحداد والمعاش النفسي لدى الوالدين والإخوة والتغيرات التي تحدث لديهم بعد الفقدان.

بالنسبة للإخوة الحداد يكون مضاعف من خلال فقدان الأخ أوالأخت إضافة لذلك غياب توفر الوالدين من الجانب النفسي بسبب الحداد الذين يقومون به.

تصورات الموت بالنسبة للطفل تختلف عن الراشد. والحداد لدى الطفل يتم على حسب مراحل النموالسابقة التي مر بها. وعليه مساعدة الوالدين للتكلم عن الموت وإعطاء مكان للأطفال في الطقوس الجنائزية التي تحيط الموت لها دور وقائي هام.

للتخفيف من هذه المعاناة النفسية تطرق الباحث للكفالة النفسية الملائمة للإخوة، التي تساعدهم على إعادة البناء والتوازن النفسي وتسهل سيرورة عمل الحداد من خلال إعطاء أهمية للجماعات التحتية وهي الإخوة، الأزواج والأسرة، لأنها تعد أظرفة جماعية مساعدة في زمن أول على حماية الطفل، وفيما بعد تتدخل المساعدة النفسية لمساعدة كل فرد من الأسرة على حسب وتيرته، خصائصه وموارده الشخصية.

الكلمات المفتاحية: الأولياء، الحداد، الإخوة،، الكفالة النفسية، الموت، معاناة نفسية.

Abstract: Sudden death is a violent shock that affects every member of the family and its dynamism, because the traumatic event works to sabotage the dynamism and family ties.

For brothers, mourning is multiplied by the loss of a brother or sister, in addition to the absence of parents' availability from the psychological side due to the mourning they do.

Perceptions of death for a child differ from the adult. And mourning for the child is based on the previous stages of development that he went through. Therefore,, helping parents to talk about death and giving children a place in the funeral rituals surrounding death, plays a preventive role.

To alleviate this psychological suffering, the researcher discussed the appropriate psychological care for the brothers, which helps them to rebuild and balance the psychological side and facilitate the process of mourning by giving importance to the sub-groups, namely the brothers, husbands and the family, because it is a collective circumstance helping in the first time to protect the child And later, psychological assistance intervenes to help each member of the family according to his pace, his characteristics and his personal resources.

Keywords: parents, mourning, brothers, psychological care, death, psychological suffering.

مقدمة:

تُحدث وفاة طفل، اهتزاز انفعالي شديد يمس الأسرة، خاصة لما تحدث بصفة غير منتظرة (حادث، مرض شديد، وفاة مفاجئة...) ودون إنذار مسبق. أمام وفاة قاسية وغير مفهومة، يكون الوالدان في حالة صدمة، حيث يسألون الأطباء، وأجوبة هؤلاء تُمثل بالنسبة لهم سند في هذه اللحظة المؤلمة.

الموت في تعريفها تبعث إلى توقف الحياة، علما أن الحياة والموت مترابطان، وعليه فرويد Freud يقول: " الموت هي مخرج ضروري لكل حياة، كل فرد من بيننا... يجب أن يدفع هذه الغرامة... ونحاول عدم التكلم عن ذلك " (Cau, 2002, p 54)

الدراسات الأولى حول الأطفال الذين تعرضوا لفقدان فرد تعود إلى ستين سنة لما قبل، من طرف كل من فرويد Freud، بولبي Bowlby، روبرترسن Robertson، إلاّ وأن كانت هناك إختلافات بين العلماء حول التفسيرات النظرية لدى الباحثين، حيث هناك من إعتبر أن الأطفال دون سن الخامسة لا يحسون بالمعاناة وألم، إلاّ وأننا نجد كل من بولبي (1960) وروبرتسن اللذان أكدا على أن الأطفال على الرغم من عدم نضجهم المعرفي والإنفعالي إلاّ وأنهم يعيشون معاناة من خلال فقدانهم لشخص مقرب لهم. حيث تم وصف لديهم ثلاثة مراحل متتابعة من خلال طلب رد الشخص المفقود، الحزن والانفصال وذلك لدى الأطفال الذين فقدوا أمهاتهم. (Moralès-Huet, Mintz, 2010,p27)

أشارت كلاين أن حداد الشخص البالغ يشابه حالة الطفولة التي عاشها، عند مفارقته لأمه خاصة في مرحلة الفطام.

في الواقع عندما يفاجئ الشخص بفقدان أو إنفصال فهو يقوم بإحياء الحداد الأصلي إعادة وتأهيل الموقف الكئيب. لكن ماذا يشمل هذا الأخير وما هي علاقته مع ظاهرة الحداد؟ في هذا الموضوع نختصر صيرورة هذا الموقف حتى نستطيع فهم عملية الحداد : خلال هذه المرحلة يشعر الطفل بالألم والحيرة حيث أنه يخاف من فقدان الأشياء الجيدة مثل ثدي الآم الذي يمثل الحب، الصلاح

والآمان فهولا يستطيع مقاومة هذا الفقدان وفي غضون هذا الوقت يتأقلم الطفل مع العالم الخارجي وهكذا تتم عملية الاستيعاب وبفضل استعاباته يبني علاقة حب جديدة مع موضوعات خارجية تتوافق مع خبرات اللاواعية (جلاب، خطوط، 2018، ص211).

وفاة الطفل، تمس كل فرد من الأسرة بصفة مميزة، والاعتراف به يسمح بالعيش والعيش مع بعض. الاهتمام بمعاش والدي الطفل المتوفي وكذا إخوته وأخواته، يسمح بالدخول في سياق الحداد دون حدوث تفكك الروابط العائلية.

في الواقع عدم الاعتراف بالآخر في خصوصياته، انفعالاته وعواطفه هذا يُعيق تحول المعاناة إلى الفكر ويزعج تطور عمل الحداد والذي يعتبر سياق فردي وجماعي في آن واحد. كما أن الحداد لا يمثل فقط خطوات تُتبع للوصول لنهاية في وقت معين، إنما ينشط ويُرصَن خلال حوادث حياة الزوجين، هو سياق يتم في كل الحياة.

مصطلح الحداد يبعث إلى أحاسيس الألم، المعاناة النفسية. يتميز عمل الحداد بمجموعة من الاستجابات النفسية والجسدية الناتجة عن موت شخص له مكانة، وعليه عمل الانفصال والتكيف يأتي فيما بعد. هذه الاستجابات النفسية والجسدية تسمح بالقيام بعمل بهدف الانفصال بعد فقدان الشخص الذي له أهمية بالنسبة للفرد وعليه يسمح له لتقبل الوضعية وبالتالي تكيفه مع الوضع الجديد. (Kaour,2017 , p88)

الطفل المتوفي، يستمر في الوجود داخل نفسية الوالدين وكذا إخوته وأخواته. ويعمل الجهاز النفسي على حماية الفرد من الإثارات الداخلية والخارجية ويسمح ببناء دينامية منظمة أو مرضية.

طور أنزيوAnzieu مصطلح " الظرف الجماعي" هذا الظرف له نفوذية متغيرة تسمح بضبط التبادلات بين الوسط العائلي والخارجي. يقوم بحماية من الخارج لما يحدث داخل الجماعة. هذا الغشاء الواقي يُسهل التبادلات والتغيرات دون أن تصبح كثيرة النفوذية أو منغلقة. صدمة قد تؤدي إلى تمزق في هذه الحماية وتجعل حياة الجماعة في خطر الموت، أين الروابط التي تجمع العائلة تصبح هشة، وهذا ما قد يُحدث تغيرات في إعادة التركيب لمجموع النسيج العلائقي العائلي(Coq, Romano, 2011, p 356)

وعليه الاهتمام بكل فرد من الأسرة، هذا يسهل لكل فرد سياق الدخول في الحداد دون أن يقطع روابطه مع الأفراد الآخرين من الأسرة، في الواقع لأن عدم الاعتراف من طرف الآخر في خصوصيات الانفعالات، العواطف هذا يعيق تطور الفكر للمعاناة وكذا عمل الحداد، والذي يعد سياق فردي وجماعي في آن واحد.

الموت تجعل الروابط الأسرية هشة، وعليه الأخصائي النفساني يتدخل للأخذ بعين الإعتبار كل فرد من هذه الأسرة وكذا الروابط الجديدة التي ستبنى.

المختص النفسي له دور هام في مساعدة هذه الأسرة التي تمر على أزمة نفسية، من خلال تشجيع الأطفال والأولياء على التواصل اللفظي والغير لفظي فيما بينهم، وذلك من خلال إحترام المختص النفسي لكل فرد من خلال خصائصه، موارده الشخصية، وتيرته وثقافته.

تعريف الحداد:

اشتقت كلمة الحداد من كلمة لاتينية Dolère ومعناه الألم والمعاناة، وهي الحالة المؤلمة التي يجد فيها الشخص نفسه اثر تعرضه لفقدان شخص عزيز عليه. يرى "فرويد" أن الحداد هو ردة فعل نتيجة فقدان شخص عزيز أو شيئ يحمل مكانة كالوطن، الحرية أو موضوع مثالي، فالحداد هو عمل انفصال ونهاية على الأقل، انقطاع وعدم استمرارية، تقطع لعلاقة، لاستثمار الروابط أو تعلقه.(جلاب، خطوط، 2018، ص208)

يعرف الحداد على أنه فقدان شخص قريب والاستجابة لذلك الفقدان معا، وأهم ما يميز استجابة الحداد هو المعاش المؤلم والتثبيط وعدم الاهتمام بالعالم الخارجي.

كما أنه " حملة المشاعر المرتبطة بذلك الموقف والعلامات الخارجية الملاحظة على الذين فقدوا الشخص القريب".

تتميز المراحل الأولى لعمل الحداد بحالة الصدمة حسب "هانس"، بحيث تمس الفرد بكامل وظائفه الجسمية، حياته النفسية، نشاطاته اليومية وحياته العلائقي(واكلي، شوادرة، 2018، ص 76)

إذ يعتبر الحداد نشاطا نفسيا يكون كاستجابة لتجربة أليمة، يعيش فيها الشخص حالة من الاكتئاب جراء فقدان موضوع محبوب، كما يقول فرويد" :أنه بعد فقدان موضوع خارجي جد مستثمر، يضطر الليبيدو إلى اتخاذ إجراء الانسحاب المليء بالقلق والألم حتى يتمكن الأنا من استرجاع حريته . بعد كل حداد، يعيش الشخص حالة فقدان للموضوع الخارجي أو الداخلي، تاركا وراءه الشعور بالتخلي والإحساس بالذنب، وبالتالي عمل الحداد يسمح بالحفاظ على أمن واستقرار الأنا، أما إذا لم يتم الحداد إزاء الموضوع المرغوب والمستثمر فإن ذلك يجعل الشخص يعيش في خضم الصراعات النفسية، غير قادر على التكيف مع واقعه الداخلي والخارجي الموضوعي، أي أن سيرورة الحداد النفس ي بفقدان الموضوع المستثمر، ثم يتم استبداله بموضوع داخلي يعوض الموضوع المفقود، وقد تكون هناك محاولة تقمص الموضوع المفقود، هذا الموضوع المدرج داخليا قد يكون "جيد" أو عكس ذلك، ثم يتم الحداد فيصبح الموضوع المدخل غير مستثمر. كل هذا يتم دفاعا من الأنا – بفضل آلياته الدفاعية الفعالة – ضد الألم الذي قد يسببه عمل الحداد ليحمي الشخص عن طريق الإرصان النفسي طبعا من القلق ومن الاضطرابات النفسية(جلاب، خطوط، 2018، ص208-209).

يعتبر الموت أحد التجارب التي تفرض على الإنسان أن ينفصل عن أعزائه، فينجر عن ذلك جملة من المشاعر النفسية المؤلمة، يصطلح عليها بعمل الحداد، تتدخل في مساعدة الحاد على تجاوز تجربة الفقدان، بما تتضمنه من سياقات نفسية وميكانيزمات دفاعية. والى جانب السياقات النفسية التي يوظفها الحاد بصورة تلقائية، والتي تعمل لصالح الانفصال وتجاوز الأزمة، فإن الطقوس الجنائزية التي يقوم بها الأفراد عند الموت، تساهم في دفع الحاد إلى مواجهة الواقع، ولومؤقتا، من خلال الممارسات المختلفة التي يضطلع بها الأفراد(زقار، بن عيسى، 2019، ص664).

مراحل الحداد: وضع ميشال انوس في كتابه باثولوجيا الحداد 3 مراحل أساسية لعمل الحداد وهي:

المرحلة الأولى -الصدمة :يشكل تلقي الخبر المؤلم صدمة نفسوجسدية حادة لدى الفرد وتختلف الشدة باختلاف العوامل المؤدية للموت، وطريقة الموت، السن، الجنس ... وقد يشكل الرفض الوجه الواضح للصدمة وقد يتطور هذا الرفض إلى إلغاء الحقيقة، يمكن تجاوز الصدمة ببعض الاستجابات الانفعالية كالصراخ، أو بعض الأعراض الجسدية مثل خفقان القلب، انخفاض ضغط الدم... وتأخذ هذه الاستجابات صور ة أخطر من الاستجابات الأخرى، تختلف الاستجابات وأوقاتها بحسب الأشخاص فهناك من تتأخر استجاباتهم لوقت معين وهذا ليس اضطراب، لكن إذا تأخرت أو إنعدمت فإنها تعيق عمل الحداد.

المرحلة الثانية- المركزية أو الحالة الاكتئابية: أهم ما يميز هذه المرحلة ظهور أعراض اكتئابية كالانسحاب، المزاج الحزين، والتي تدوم شهورا أو أكثر في الحالات المرضية، إن المرحلة الاكتئابية لا تبدأ إلا بعد تحقيق التفريغ الانفعالي المذكور سابقا، حيث يتم أولا إعادة معايشة الماضي وذلك باسترجاع كل الذكريات والصور التي كان الفقيد موجودا فيها من اللاشعور إلي الشعور وربطها بفكرة الاختفاء أو عدم الوجود، وعندما يكون استحضار هذه الذكريات بالخيبة والحزن والألم يدل على السير السوي للحداد.

يعيش الفرد في هذه المرحمة حالة من الانطوائية نتيجة الجهد المبذول في استحضار الذكريات تجعله غير قادر على سحب الاستثمار من الموضوع المفقود إلى مواضيع جديدة حيث يعيش الأنا بالفراغ والغضب اتجاه الموضوع المفقود الذي قام بهجره لكنه يحاول أن يحمي ذاته باللجوء إلى ميكانيزم المثالية بذكر محاسن المفقود.

المرحلة الثالثة- الشفاء أونهاية الحداد: يبدأ الرجوع إلى حب الموضوعات الجديدة وبناء علاقات أيضا، وعادة ما يبدأ هذا الرجوع في الأحلام، يرى بعض العلماء أن تخطي المرحمة الاكتئابية مؤشر جيد لتجاوز الحداد بسرعة، لكن انوس يرى أن السرعة في استثمارات جديدة قد يكون لديه وجهة أخرى وهو الشبه بالموضوع المفقود وبالتالي لا يكون الاستثمار منفصلا عن الموضوع المفقود(جلاب، خطوط، 2018، ص212-213).

وفاة الطفل:

ابتداء من القرن الثامن عشر، نسبة وفيات الأطفال عرفت نقص، وعليه تُعاش خاصة كحدث مؤلم يعيشه الوالدين ويحمل طابع صدمي.

قد تكون أسباب الوفاة راجعة لمرض، مما يحدث انقلابات عميقة في الأسرة، فيكون هناك من جهة، أمل لكل فرد في شفاء الطفل، ومن جهة أخرى خوف من مخرج مؤلم، وهذا قد يستمر لسنوات. في هذه الحالة، وفاة الطفل تُعاش كعجز وانهيار أمام المرض.

في حالات أخرى، وفاة الطفل قد تحدث بصفة مفاجئة، مثلا حادث منزلي أو حادث مرور، وهناك حالات للانتحار أوأمراض حادة، وهي غير منتظرة، فتُحدث صدمة عنيفة ومُخربة للوالدين (Coq, Romano, 2011, p 356)

يعتبر الموت أحد التجارب التي تفرض على الإنسان أن ينفصل عن أعزائه، فينجر عن ذلك جملة من المشاعر النفسية المؤلمة، يصطلح عليها بعمل الحداد، تتدخل في مساعدة الحاد على تجاوز

تجربة الفقدان، بما تتضمنه من تجارب نفسية وميكانزمات دفاعية(زقار، بن عيسى، 2019، ص662)

الحداد هو سياق عادي، لا يمكن تجنبه والذي يمتد على عدّة أشهر وحتى عدّة سنوات، والفرد يعي بدرجة حبه وتعلقه بالآخر، ويسترجع تدريجيا ذلك الحب ليستثمره في شيء معين أو شخص معين دون أن ينسي الميت، ببناء علاقات أخرى معه، أكثر إستقلالية وأقل ألم.

في زمن أول، يكون في حالة هلع من المعاناة، يحس بالفراغ، ينكر موته، يظهر التأنيب(إحساس بنوع من المسؤولية في موته)، يحس أنه يختلف عن الآخرين. والوالدين ينغلقون في معاناتهم، لا يمكنهم فهم أو مساعدة أبنائهم. (Oppenheim,2015,p105)

حداد الوالدين:

الراشد الذي يفقد أحد أبناءه يكون في وضعية صعبة، لأن هذه الوفاة تُخالف النظام الطبيعي، لأن من المعروف أن وفاة الأبناء تأتي بعد وفاة الوالدين. ومنه فحداد الطفل يكون عادة من الحداد المعقد.

يعتبر حداد الأطفال الرضع الذين توفوا في بطن أمهم أو بعد الولادة، حداد من الصعب القيام به، ويعود ذلك للوقت الضيق الذي قضاه الرضيع والأولياء مع بعض، لأن الاستثمار النرجسي يكون كبير.

عمل الحداد يكون فردي، ويرجع لنوعية العلاقة مع الطفل وكذا معاش الوالد وشخصيته. الحداد:"هو عمل إعادة البناء والتوازن بعد هذا الفقدان المفاجئ والعنيف. ويكون على حسب التجارب الأولى من وجود هذا الوالد: على حسب الأم الواقية، التي تستجيب من قرب لحاجياته لما كان طفل، وكذا الانفصالات والفقدانات التي تحدث في حياته" (Bourguin,2005,p245).

في البداية، عمل الحداد يمر بلحظات الإنكار والرفض للواقع، مع إحساس بأنه كابوس وسيزول، ومنه يحدث انغلاق حول الذات وإكتاب أين يفقد كل اهتمام. يمر الوالدان بلحظات يحسون فيها بالجنون، وكذا الرغبة في الموت للالتحاق بطفلهم المتوفي.

وفاة الطفل، تجعل الوالدين في حالة هشاشة وضعف. كلمات، أفعال الأقارب والمحيط قد تمثل بالنسبة لهم سند كبير أو بالعكس تزعجهم وتجرحهم. عادة ما يريد المحيط أن يلعب الدور الحامي من الانفعالات والألم للوالدين، يكون هدفهم التخفيف من المعاناة. فيقترحون عليهم النسيان وعدم التكلم عن هذا الطفل، مَحي كل آثاره وأدواته، وحتى عدم رؤية جثته، أو العكس، إجبارهم للقيام بذلك غير أنهم غير مهيئين. كل هذه النصائح أو التحفظات من طرف المحيط قد تزعج الوالدين في أفعال يحسونها ضرورية بالنسبة لهم .

كما وُجد أن ما هو ضروري ومساعد للوالدين، لا يكون نفسه لآخرين. عادة ما يلجأ المحيط لاستعمال عبارات تهدف لخفض المعاناة جراء فقدان طفلهم، مثل" أنتم صغار السن، ستنجبون أطفال آخرون" وهي عبارات خاطئة ومؤلمة. هي خاطئة لأن التجربة توضح أن كلما الطفل توفي في سن صغير، كلما كانت التبادلات قليلة بينه وبين والديه، وبالتالي يصعب استدخال هذا الواقع المؤلم، وهذا ما قد يمس هويتهم كأولياء.

عند الإعلان عن وفاة الطفل. في البداية يمر الأولياء عن حالة صعق والتي تجتاح شخصيتهم وهذا ما يجعلهم في حالة شلل نفسي على المستوى العاطفي والمعرفي.
الأولياء يحاولون حماية أنفسهم من هذا الخبر من خلال التكذيب وإنكار موت طفلهم، وهناك من يمر عن حالة تخدير عاطفي والتي تسمح لهم بتأجيل آثار الصدمة الانفعالية التي يعيشونها، وآخرون، يلجئون للبكاء ومعاناة نفسية شديدة تؤدي بهم لحالة اكتئاب. والتي تظهر على المستوى الجسدي من خلال : اضطرابات النوم، التغذية وتعب عام. وعلى المستوى الفكري والعاطفي تتميز بصعوبات التركيز والانتباه.
لما يشهد الوالدان "وفاة ابنهم"، تناذرات صدمية عادة ما تظهر، خاصة إعادة معايشات حسية(صور، رائحة، صوت).
حداد الوالدين يتميز بشدة وعمق أحاسيس التأنيب والتي تُعبَّر تارة بغضب، والذي يكون موجه نحو الأقارب أو الفريق المُعَالج لابنهم المتوفي. هذا التأنيب لدى الوالدين يعكس شدة الجرح النرجسي الذي يمثل بالنسبة لهم عجز من عدم قدرتهم على الحفاظ عن حياة طفلهم.
حداد الإخوة:
في العائلة، الإخوة هم كذلك يمرون عن عمل نفسي لإعادة توازنهم، لأنهم معنيين مباشرة بهذه الموت. ومنه يواجهون هذا الفقدان والتغير المفاجئ.
الأخت أو الأخ الذي توفى كان صديق لهم في اللعب، وكذلك كان ينافسهم في حب الوالدين، وهذا ما يؤدي بهم لغيرة، عدوانية وبالتالي تكون لديهم رغبة لاشعورية في التخلص من هذا الأخ، وإذا صاحبت هذه الرغبة اللاشعورية وفاة الأخ هذا يُذنبهم، عليه هم بحاجة ماسة لتأمينهم على أن لا أحد مسئول عن هذه الموت: لا الأب، لا الأم ولا هم كذلك. الإخوة هم بحاجة لطمأنتهم عن مدى حب والديهم لهم وعلى أن هذا الحب لن يتغير.
للتموقع والبناء الجيِّد للإخوة، هم بحاجة لإخبارهم أن أخيهم أوأختهم توفي، دون التوقف عند عبارات خاطئة مثل " أخوكم أو أختكم نائمة" أو" إنه ذهب(ت)". وعليه الصمت عن الموت، هذا لا يحمي من الصدمة، إنما يزعجهم في بناءهم(Hanus,2001p17).
وضعيات الوفيات عديدة، كل واحدة تؤدي لصعوبات خاصة بتلك الوضعية. الحداد بعد الإصابة بمرض السرطان أو مرض مزمن يكون صعب، لأن الأولياء يكونون منذ أشهر "مهتمين" بهذا الطفل المريض وهذا ما قد يبعدهم عن أطفالهم الآخرين. بعد الوفاة، الإخوة هم بحاجة ماسة للإحساس بالسند والطمأنينة اتجاه الفقدان وكذا نحو نقص الانتباه المحسوس في فترة ما قبل وفاة أخيهم أو أختهم. وهذا ما يكون جد صعب بالنسبة للراشدين، لأنهم هم كذلك في حالة ضعف.
الانقلاب النفسي الذي حدث جراء الفقدان، يجعل الطفل وكذا الراشد في وضعية معاناة وجودية. عمل الحداد يكون أكثر صعوبة لدى الطفل وذلك راجع لشخصيته التي هي في طور البناء ومعارفه التي تنمو تدريجيا. كما توضحه ميلاني كلاين "أن الحداد هو مرض عادي"، لأن إذا كان الفرد يعيش فترة أزمة، صدمة، صعق، فقدان للتوازن " سيجد موارد في ذاته، لإستدخال الشخص المفقود" إلاّ وأن الطفل يجد صعوبات في إيجادها لأن موارده متركزة حول نموه.

إذا كان الرضيع يجهل الموت، إلاّ وأنه يدرك الفرق بين وجود الشخص المحبوب وغيابه، وعليه الغياب المطول واللانهائي لبعض التنبيهات والاتصالات (صورة، صوت...) هي التي توضح الموت .يُدرك الرضيع السياق الانفعالي الذي يُحيط هذا الغياب.(Hanus,2001,p18)

إخوة الطفل المفقود، متأثرين بمعاناة أولياءهم وكذا بتغير الروابط بين الأولياء والأطفال، كما يتساءل الأخ عن مدى حزن أولياءه لو كان هو الذي توفي. يُعاني الأخ أو الأخت من فقدان " الشبيه بهم"، وشدة المعاناة راجعة لنوعية الروابط بين الإخوة ورتبة الأخ المفقود (سنه، جنسه). الممارسة العيادية، تُظهر أن لما يفقد الإخوة أخاهم أو أختهم، يحدث لديهم تخريب في سياقا التقمص والانفصال، ومنه قد لا يتعرف الطفل عن هويته أبدا وكذا عن هوية الآخر. ومنه يحدث لديه خلل في الهوية والتي قد تكون مصدر ضغوطات شديدة. يحس الطفل الذي فقد أخاه أو أخته، أنه هو الذي توفي أو بُتر جزء منه، وهذا ما يوضح أن " أنا" و" الآخر" يبنى ولا يُعطى.

وعليه تظهر أهمية الأخ في بناء هوية الطفل، من السهل الفهم أن لما طفل يقول أنه اشتاق لآخاه المفقود، لا يعني فقط فقدان رفيقا له، وإنما جزء منه.

الاضطرابات التي تظهر لدى الطفل، خاصة صغير السن، لا يهتم بها المحيط لأنها تختلف عن أعراض الراشد مثلا نجد: اضطرابات اكتئابية (بكاء، غياب اللعب، حزن) وتظهر من خلال سلوكات اليقظة الزائدة، اضطرابات القلق، ألام سيكوسوماتية، اضطرابات السلوك، تناذر الصدمة النفسية وذلك خاصة إن كانوا شاهدين لموت أخيهم. بينما آخرون لا يظهرون أي عرض وتكون سلوكاتهم ذات أنا مزيف، مع تكيف زائد للوضع. كما لا يرغب الطفل إظهار حزنه، لكي لا يزيد من معاناة والديه، ومنه يتعلم كيف يخفيها ويُحرفها. ويريد كذلك طمأنة والديه ويساعدهم على تسيير صدمتهم، على الرغم من عمل الحداد الذي يقوم به.

يقوم الطفل بإخفاء عميق لانفعالاته حتى " ينساها"، مع العلم أن لما يُنكر ويكبت معاناته، دون قدرته على محيها بصفة سحرية، هذا ما يؤدي لتكيس معاناته في الجهاز النفسي، وبالتالي تظهر آثار مرضية على المدى البعيد.(Romano, 2009,p294)

يختلف الأطفال في قدراتهم المعرفية ومواردهم النفسية العاطفية وذلك حسب السن، لأنه يكتسب في سن مؤخر مبدأ الزمن ولا مرجعية الموت، وهذا ما يجعلهم في وضعية انتظار مؤلمة ومنه يعيق بناء مشاريعهم المستقبلية. وفي هذه الوضعية الصعبة، الطفل يرفض التقدم في حياته.

على غرار الحداد الذي يقوم به كل طفل. الموت تقوم بتخريب الدينامية الأخوية وتُجبرهم على القيام بتنظيمات جديدة.

معاناة الرابط الأخوي تظهر من خلال ظهور عنف ما بين الأطفال دون أن يكون ذلك مسبقا. كما قد نجد أن الرابطة الأخوية تشتد وأن كل طفل لا يمكنه الانفصال عن أخيه ويعيشون في مراقبة مستمرة للآخر والتي تهدف لطمأنة الذات. العلاج النفسي الفردي وكذا الجماعي يظهر هنا أنه ضروري. مساندة سياق الحداد لدى الإخوة والأخوات، يكون خاصة من خلال إنصات الراشد لتفكير هؤلاء، غضبهم وقلقهم . الأطفال في هذه اللحظة يريدون وضع كلمات، صور لأحاسيسهم ليفهمها الأولياء. قبول هذا التفكير والكلام يشجع التبادل بين الوالدين والأطفال، وهذا ما له دور محول هام. ومنه، لما يسمح ويشجع الراشدين على التعبير حول الموت، الطفل "المفقود"،

"الراحل" بإيقاعهم، بوسائلهم المعرفية والانفعالية الخاصة بهم، هذا يشجع الأطفال على تقبل هذا الواقع.

وعليه وفاة أخ أو أخت هي تجربة مؤلمة جدا للطفل، وعادة ما يكون حداد الإخوة شديد، ويؤدي بهم لمعاناة كبيرة. وعادة ما يكون مهمل من طرف الوالدين والمعالجين، ويمكن أن يترك آثار إلى الأبد والتي بدورها تؤثر على خيارات حياة هؤلاء الأطفال وعلى وجودهم المستقبلي، وعليه يجب أن نهتم بهذا الحداد في حد ذاته وليس الآثار التي تنجر عليه في المدى البعيد(.(Oppenheim,2015,p105

خصوصية الحداد المعاش من طرف الطفل:

الطفل يستجيب للحداد بطرق مختلفة على حسب مرحلة النضج والاكتسابات الجسدية، النفسية والمعرفية. مفهوم الغياب، الموت، الحداد، لها أنغام لأصوات مختلفة على حسب سن الطفل.

مرحلة الطفولة تتميز بنمو يمس كل الجوانب النفسية والجسدية والعرفية وهذا يتطلب منه طاقة كبيرة، وعليه في حالة الحداد، الطاقة النفسية اللازمة لإرصان هذا العمل تجعله لا يمكن أن يستعملها في نموه العام(De Broca,2010, p155).

إدراك الموت وعيش الحداد لدى الأطفال حسب سنهم:

الموت هوعالم مجهول، يحاول الطفل تصوره، وعليه الموت له نظرياته الخاصة بالطفل، مثلا الطفل قبل سن السادية، الطفل يدرك الموت كانفصال، في سن خمسة وستة سنوات، يبدأ يتصور الموت على أنها عالمية ولا رجعية، ولن الطابع السحري لتفكير الطفل في هذا العمر يجعل حداده يتميز بسلوك مزدوج: يدرك أن الشخص توفي، ولكن يتكلم معه وينتظر عودته. وهذا ما يدل على أن إدراك الموت وعمل الحداد يختلف على حسب المرحلة العمرية.

جدول رقم (1) - إدراك الموت وعمل الحداد على حسب مرحلة النموللطفل

سن الطفل	مرحلة النمو	إدراك الغياب	مفهوم الموت	عمل الحداد
من 9 أشهر إلى 3 سنوات	خلال الثلاث سنوات الأولى من حياة الطفل، النمو مُكرس لإرصان الهوية الجسدية(0إلى 9 أشهر) والهوية النفسية من (0 إلى 36 شهر)	الغياب غير متحمل ويعتبر مرادف للموت بالنسبة له. عيشه ورفاهيته تعتمد على الآخر، وعليه كل غياب يولد لديه الخوف رغم أنه لا يعبر عنه.	مفهومه للموت يعد جد بدائي. وتتناسب بالنسبة له فكرة سحرية ودورية. ويؤمن أن والديه لديهم مسؤولية فيما يخص الحياة والموت	عمل الحداد غير موجود كما لدى الراشد. عمل الحداد يبدأ لاحقا، يعيش معاناة والديه كأنه تم إهماله ولم يتم إستثماره. وما يميز نوعية نومه هو كثرة الكوابيس.
من 3 إلى 6 سنوات.	هذه المرحلة ترتكز حول اللغة وظهور الرمزية, في هذه المرحلة من نموه، لا يفهم جيدا مفهوم الوقت، الفضاء، الأبعاد والحركات، إلا وأنه يحاول فهم بعض الظواهر من خلال ظهور "لماذا؟" لفهم السببية.	الغياب يكون أكثر تقبل من الناحية الفيزيولوجية لأن الطفل لديه إمكانياته الخاصة لتحقيق حاجاته، ونفسيا يتفه أن	يواجه عدة تناقضات، يبدأ في عيش الموت كمعاناة نفسية ناتجة عن انفصال دون عودة ممكنة. الطفل يبحث عن حلول لمواجهة	في هذه المرحلة، يربط الموت بكائن شرير. كما أن للمحيط الأسري يساعد الطفل على عيش الحداد من خلال فهمه لواقع

		الابتعاد هن الوالدين ليس مرادف الانقطاع.	الفراق، خاصة وأن لديه إمكانيات لأن يفهمه الآخر. يعلم أن الموت موجودة (معرفيا) ولكن لا يتقبل الواقع.	الموت. لما الوالدان يخفيان الحداد، الطفل يعيش ذلك الموت بخوف شديد.
من 7 إلى 8 سنوات.	هذه المرحلة حاسمة وفي تطور الطفل لأنها تناسب مرحلة تعلم القراءة والكتابة، وتعتبر مرحلة المرور من عالم التبعية إلى الاستقلالية الاجتماعية. هنا الطفل يبدأ الخروج من العالم الخيالي، ويفرق بين ما يعلم به ويؤمن به.		الموت تعتبر غريبة بالنسبة له، وقد تأخذ شكل شبح، الموت تخيل أكثر من الواقع، ويفهم أنها تمس كل الأفراد، ويبدأ الاهتمام بالطقوس الجنائزية.	يظهر كآبة كبيرة مرتبطة هذا الفقدان، لأن يعلم أن الفرد الذي مات لا يعود.
من 8 سنوات إلى المراهقة	هذه الرحلة مكرسة للنمو المعرفي، بمعنى استدخال مصطلحات حسية واستدخال مصطلحات مرتبطة بالعالم والمنطق، بحثا عن الهوية. المحتوى الرمزي للغة تهدف لربط الأفكار بينها وإخراج الطفل من عالمه الخاص. حيث أنه يمكنه أن يؤثر ويتأثر بالآخر.		هنا يدرك الطفل الجانب المجرد، يهتم بالطقوس الجنائزية وبمصير ذلك الجسد. خلال المراهقة، مع اكتساب الاستقلالية، هذا ما يعقد عيش مرحلة الحداد.	يقترب كثيرا عمل الحداد للراشد.

(De Broca, 2010, p153-159)

عيش الإخوة للموت في صمت:

إخفاء الموت للطفل أو الإخوة تعد خطئ كبير، وهذا ما يؤدي بهذا الطفل إلى الخوف الزائد من الموت وتجنب كل المحن التي قد يعيش. وحدث الفقدان يغير وجهة الطفل لنظره للحياة, وعليه هذا يتطلب تدخل أفراد المحيط من أولياء، أقارب اتجاه الإخوة للتعرف على الاستجابات الضارة بتطور طفلهم وذلك في الوقت المناسب.

الطفل له الحق في الصراحة وله الحق في طمأنته في قدراته على مواجهة موت أخيه أو أخته. وعليه تدخل الأولياء يساعده على التخلص من الصعوبات، وعليه معاناة الأخوة يجب أن لا تعاش في صمت لأنهم في حاجة للتعبير وشخص ينصت إليهم ويعترف بهم,

كما أن رفض الأولياء لموت طفلهم يجعل الإخوة لا يتقبلون وبالتالي يعيشون معاناتهم في صمت لعدم التعبير عن آلامهم، كما أن الطفل في مرحلة النمو سيقوم بتأجيل حداده الخاص لحمي نفسه من تلك الصعوبات، وهذا جد سيئ بالنسبة للطفل أي تقوم بتخريبات كبيرة عندما تنفجر في مرحلة ما من حياته. (Glorion,2003, p29)

الكفالة النفسية للإخوة في الحداد:

كيف تتم المرافقة النفسية؟ المختص النفسي يجب أن يكون حذر وعليه من الضروري عدم الحكم على أحاسيس الطفل وإنما الطفل نفسه هو الذي يعبر عنها. وما نعلمه أن عند فقدان فرد من الأسرة، هذا يخرب عدة أبعاد فيها من بينها التواصل الأسري، حيث عادة لا يتم التكلم عن ذلك مع الإخوة أو إستعمال مصطلحات موحية. هنا يتدخل المختص النفسي والذي له دور هام في مساعدة أسرة تطلب المساعدة، ليس بأخذ مكان أو دور في هذه الأسرة وإنما إعطاء بعض التوصيات البسيطة من خلال :

إعلام الإخوة: يجب أن يُعلم الإخوة بموت أخيهم وظروف موته، والشرح للأسرة على أن عدم الإعلام وإخفاء ذلك يعد صدمة نفسية أخرى.

مساعدة الإخوة على التعبير: الطفل عند فقدانه لفرد مقرب يحس بنوع من التأنيب، وعليه القول للطفل " أن هذا ليس من ذنبك، ولست مسئول عن هذه الموت "، لأن الطفل يدرك العالم الخارجي على أنه سحري، وعليه يصعب في التعرف على ما يفكر فيه.

مساندة محيط الإخوة: ما يميز حداد الطفل على أنه مرتبط بالراشد، أين الأولياء هم نفسهم في حداد، حيث عندما يرفض الراشد فقدان الابن هذا يكون حتمي لدى الأخ، وعليه مساندة الأولياء يساعد كثير الأبناء على تخطي هذه المرحلة(Glorion,2003, p29).

العمل العلاجي مع الإخوة الذين فقدوا أخ أو أخت يخضع لتغيرات عديدة وديناميته تُسجل في الزمن .خصوصية التكفل بالإخوة الذين عاشوا حدث صدمي، يجبرنا على العمل حول الزمن، لأن الصدمة تجعل الضحية في زمن " خارج-زمن" في وسط يتميز بموت المراجع والاعتقادات الداخلية. وعليه العلاج يرتكز في إعادة النظر في الزمنية والخروج من جماد الصدمة.

ما يُميز خصوصية آثار الصدمة لدى الراشد والطفل هو النضج النفسي، حيث يكون الطفل في تطور وبناء من خلال العلاقة مع الآخر . وعليه يحدث الفقدان تخريبات في الأظرفة النفسية التي هي في طور النمو. الحدث الصدمي يبقى تجربة فردية، والتي لا تكون لديها نفس الآثار بالنسبة لكل الأفراد الذين واجهوا الصدمة، وهذا يعود لقدرة الإدراك واستدخال الوضعية المرتبطة بالموارد الداخلية والخارجية المرصنة تدريجيا منذ بداية الحياة.

هدف العمل العلاجي، هو توفير مكان وزمان للإخوة والأخوات، لعلاج الرابط الأخوي، أين يتقاسمون معاناتهم . في الحصة العلاجية، عند حضور الوالدين، عادة ما لا يعبر الأطفال عن أحاسيسهم.

خلال **الزمن الأول**، من المستحسن أن تنظم في الأيام القليلة التي تأتي بعد الحدث(الفقدان)، أين يتم استقبال الإخوة والأخوات في مكان هادئ وآمن، مع وجود بعض اللعب، الكتب...الخ

في **زمن ثاني**، نطلب من الراشدين عدم البقاء في القاعة، ليكون الطفل حر للتعبير عن معاشه، وعلى المختص أن ينسجم مع مختلف التعبيرات الطفولية واقتراح طرق أخرى للتعبير. لما الطفل يلعب، يحكي، يرسم، هنا تظهر انفعالاته، وتظهر صراعاته وقلقه المرتبط بالحدث الصدمي.

الأخصائي النفساني يتدخل هنا، ليساعد الطفل على الترميز والتعبير، وذلك باحترام تعبيراته الصادمة ومكانزماته الدفاعية المعبرة.

في **زمن ثالث،** الحصة تسمح بجمع كل الأطفال وأولياءهم، وهنا يُقال للأولياء ما لم يتمكن الأطفال التعبير عنه، وهناك حالات أين يتم اقتراح علاج نفسي للأولياء.(De Broca,2013,p167)

موت الطفل، تؤدي لآثار نفسية خاصة على كل فرد من الأسرة. ويتمثل دور الأخصائي النفساني عند العمل مع الأسرة التي تكون في حالة حداد، في ضمان إبقاء والحفاظ على الدور الوالدي الذي يقوم به الوالدان، ومحاولة تجاوز التأنيب الذي يتخبط فيه الوالدان والإخوة الذين فقدوا أخاهم.

العلاج النفسي لهذه الأسر، يلعب دور ظرف نفسي واقي، يقوم بالحفاظ على الروابط بين أفراد هذه الأسرة التي تعرضت للتخريب جراء الفقدان، كما يتم الأخصائي النفساني بالتشجيع على التعبير اللغوي والغير اللغوي بين أفراد الأسرة المتعرضة للحداد. ويتم كل ذلك على حسب إيقاع، نموذج وموارد كل فرد من هذه الأسرة. (Hanus,2008,p 350)

خلاصات البحث:

-تصورات الطفل للموت تختلف على حسب السن، حيث عند الفقدان لفرد قد لا يظهر الطفل أي رد فعل للحزن، هذا لا يعني على أنه لا يمر على مرحلة الحداد. وعليه من الضروري تقبل دون اندهاش لما يعبر عنه الطفل.

-تحفيز الإخوة الذين فقدوا أخ أو أخت على الكلام هذا يساعدهم على الخروج من الجماد وتثبيت الذكريات، وهذا ما يساعد على زرع بذور ظهور الإرجاعية . يكتشف الإخوة على أن الموت يمكن التحدث عنها، على أن ليس محرم وليس قاتل وإنما هذا يساعد على العيش، وهذا ما تناسب مع دراسة موريال ديروم (Muriel Derome,2013)

-الإخوة لهم الحق في دمجهم في ظروف الحياة الأسرية وذلك بالحذر، أي هناك شروط خصائص الطفل الذي تميزه. لا نحمله ما لا يستطيع عليه.

-يجب إعلامهم عن مرض الأخ، خطورته وحتى عند التقرب من نهاية الحياة.

-للإخوة الحق في المشاركة في الطقوس الجنائزية للأسرة، وهم بحاجة للعبير عن معاناتهم رفق راشد يوفر لهم الأمن.

-التكلم مع الأطفال عن الموت قبل حدوثها، ليتمكنوا من التفكير عن معنى الحياة. وهذا ما يشجع ظهور سياق الإرجاعية لدى الطفل على حسب (Boris Cyrulnick , 2003).

-يشجع الأخصائي النفساني، الوالدين للتحدث لأبناءهم على موت طفلهم مع إخوته، وذلك في جو مليء بالحنان والتعرف الجيد بخاصية كل طفل منهم والروابط التي تربطهم مع الطفل المتوفي.

خاتمة:

لما تفقد الأسرة طفلها، يجب الانتباه لسير عمل الحداد لدى الراشدين(الأولياء) ولدى الأطفال (الإخوة)، هؤلاء الآخرون يكونون مرتبطون باستجابة المحيط، وعليه يجب إعلامهم بسير الأحداث، بإيجاد كلمات مناسبة لسنهم، حيث عند غياب ذلك قد يؤدي لكف نفسي (تدهور دراسي، إكتآب...)، والظن أن الإخوة لا يحسون أولا يرون ما يحدث, لأن إن حرم الطفل من معلومات

حول أحداث وفاة أخيه، يشعر كأنه تم حذف جزء من تاريخ حياتهم. وعليه، فالذهاب "الزيارة الميت" في المقبرة مثلا، يُعد مهما ،لأن ذلك يساعد الإخوة على بناء تصورات حول جسد أخيهم ومكان تواجده. كما أن وجود الأولياء يُعد مهما في هذه اللحظة لتقاسم المعاناة المرتبطة بالفقدان.

لوفاة الطفل أثر صدمي خاص على كل فرد من العائلة، هذا الأخير مرتبط بعدة متغيرات، تظهر عند حدوث الفقدان منه يأخذ معنى في التاريخ الفردي.

الوالدان هنا يكونان بحاجة لتأمينهم على قدراتهم الوالدية، وكذا قدرتهم على إكمال ممارسة هذه المهمة الوالدية مهما كان سبب وفاة ابنهم.

من وجهة النظر التطبيقية، تعد مساندة كل فرد أمرا مهما، بإيقاعه، على حسب أنماطه وكذا قدراته في إيجاده لموارد في روابطه مع الجماعة التي ينتمي إليها. كما يتدخل الأخصائي ليساعد ويشجع الاتصال اللفظي والغير اللفظي بين أفراد هذه الأسرة، لأن هذا الاتصال يأخذ مكانا ومعنى في سياق تاريخ كل فرد ينتمي لهذه الأسرة.

في هذا الإطار يتفق معظم المؤلفين على أن موت أو وفاة شخص عزيز يضاهي أصعب تجربة يعيشها الفرد بل يتجاوز المعاناة الحادة التي يتخبط فيها نتيجة موت القريب(واكلي، شوادرة،2018، ص 77)

قائمة المراجع:

1. نادية شرادي(2011)، الحداد النفسي إزاء موضوع الحب الأولي وعلاقته بالتوافق الزواجي، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
2. جلاب مصباح، خطوط رمضان(2018)، الاستجابات النفسية لعمل الحداد لدى التلميذ اليتيم من وجهة نظر المعلمية-دراسة ميدانية بمدارس ولاية المسيلة-، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد 2، العدد 09، جامعة تبسة.
3. زقار رضوان، بن عيسى هاجر(2019)، مكانة الطقوس الجنائزية في سياق الحداد في منطقة تمنراست، المجلد 11، العدد 04، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى، تمنراست.
4. واكلي بديعة، شوادرة سماح(2018)، الحداد في ظل الممارسات الثقافية، نفسانيات وأنام، المجلد 2، رقم 01، جامعة الجزائر 02.
5. Boudoukha Abdel-Halim(2009), Burn-out et traumatismes psychiques , Dunod, Paris.

6. Bourgeois Marc-Louis(2006), Etude sur le deuil, méthode qualitative et méthode quantitative, *Annales médico-psychologique* ; n°164 , France.
7. Bourgeois Marc-Louis (2013), le deuil aujourd’hui, *Annale médico-psychologique*, n°171 ,France
8. Bourguin Martin-Alin (2005), le deuil après la mort brutale d’un enfant : place d’un soutien psychologique, *Archive de pédiatrie*, n°12 ,France.

9. Cau Sylvie (2002), Famille, mort, deuil…, EMPAN, vol 3,n°47, France
10. Coq Jean-Michel, Romano Helene, Scelles Régine(2011), La mort d'un enfant : processus de deuil dans le groupe familial, *Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence*, n°59 , France.
11. Crocq Louis (2012), 16 Leçon sur le trauma, Odile Jacob. France
12. De Broca Alain (2013), deuil chez l'enfant, enfant endeuillé, Annales médico-psychologique, n°171 , France.
13. De Broca Alain, (2010), Deuils et endeuillés, Elsevier, Masson, France
14. Glorion Françoise (2003), Accompagner l'enfant en deuil, Centre Laennec, vol 1, n°51, France
15. Hanus Michel (2001), La résilience, à quel prix ?, Maloine, France
16. Hanus Michel(2008) le deuil après suicide, perspective psy, vol 4 , n°47, France.
17. Kaour Fatma Imène (2017), Réactions de deuil suite au suicide d'un proche, Revue recherches psychologiques et éducatives, vol 10, n°C, Algerie
18. Moralès-Huet Martine , Mintz Anne-Sophie, (2010), L'attachement : approche clinique, France, Masson
19. Oppenheim Daniel (2015), Fratrie en deuil, Revue Jalmalv, n°121, Press universitaire de Grenoble. France
20. Romano. Helene (2009), Incidence du trauma sur le lien fraternel , Neuropsychiatrie de l'enfance et de l'adolescence, n°57 , France.

التعاون العربي الأوروبي: التعليم العالي نموذجا

Arab-European Cooperation:Higher Education as a Model

د. عائشة بن النوي، جامعة باتنة01، الجزائر

Dr. Aicha Bennoui, University of Batna 01, Algeria

الملخص: لقد شكل التعاون الدولي على الدوام موضوعا شائكا ومثيرا للجدل عند أكثر من صعيد والتعاون في مجال التعليم العالي خاصة، بل ويتعداها جدلية كونه يشكل محور رئيسيا من محاور التطور والتنمية، ومظهرا من مظاهر الاكتفاء الذاتي يجب أخذه بعين الاعتبار عند صياغة أي مشروع تعاوني أو تحالفي أو ما شابه، ويمتاز العالم العربي بتنوع علاقاته وتعددها، فمن الدول العربية من هو مرتبط بعلاقات صداقة وتعاون مع المجتمع الدولي في عدة مجلات منها السياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات، مما يؤثر حكما على واقع قطاع التربية عموما وقطاع التعليم العالي تحديدا وعليه فإن الورقة البحثية تهدف إلى تسليط الضوء على أهمية تضافر الجهود الدولية في مجال التعليم العالي، وخاصة في اهتمامات مؤسسات التعليم العالي من جانب التعاون العربي الأوروبي، لتتطرق الدراسة إلى أهم البرامج الأوروبية المتاحة عربيا وذلك نظرا لحجمها وتأثيرها، ومع ذكر لواقع التعليم العالي والمؤشرات المفسرة له،وكذا في إبراز أهم نقاط القوة والضعف الخاصة بمجال التعاون العربي الأوروبي.

الكلمات المفتاحية: التعليم، التعليم العالي، التعاون، التعاون العربي الدولي الأوروبي.

Abstract : International cooperation has always been a thorny and controversial topic at more than one level and cooperation in the field of higher education in particular, and even beyond controversy as it constitutes a major axis of development and development, and an aspect of self-sufficiency that must be taken into account when formulating any cooperative project or Alliances or something similar, and the Arab world is distinguished by its diversity and multiplicity of relations. Some Arab countries are linked to friendship and cooperation with the international community in several magazines, including political, economic and other fields, which in effect affects the reality of the education sector in general and the higher education sector in particular so that it does not It was devoid of interests and the specific goals of each party, and therefore the

research paper aims to highlight the importance of concerted international efforts in the field of higher education, especially in the interests of higher education institutions on the part of Arab-European cooperation, so that the study addresses the most important European programs available in the Arab world, given Because of its size and impact, and with a mention of the reality of higher education and the indicators explained to it, as well as highlighting the most important strengths and weaknesses of the Arab-European cooperation field

Key words: education, higher education, cooperation, Arab-European international cooperation

مقدمة:

لقيت فكرة التعاون الدولي بين مؤسسات التعليم العالي بشكل عام قبولا واسعا بوصفها إحدى السبل المهمة لتطوير المعرفة وتبادلها، ونقلها، ويحدث التعاون الدولي ضمن مظلة اكبر تتمثل في وزارات التعليم العالي أو ما يقوم مقامها لتنظم آليات التعاون عن طريق وضع المعايير أو الضوابط التي تكفل سير عملية التعاون بشكل سلس ومثمر ومتابعة سير العمل في مشروعات التعاون، وذلك في إطار السياسة العامة وبما يكفل تحقيق الأهداف والخطط الاستراتيجية، ونتيجة لتطورات الراهنة في مختلف المجالات التقنية، والتي جعلت العالم قرية صغيرة لم يعد التعاون الدولي في التعليم العالي ترفا تمارسه الأمم المتقدمة وتحتكره بين المجتمعات الناهضة، ولكنه في واقع الأمر ضرورة ملحة تحتاجها جميع البلدان على حد سواء فإذا لم تعن الدول ومؤسساتها العلمية وبخاصة الجامعة على الانفتاح والتعاون مع الجامعات العالمية فإنها قد تتخلف عن الركب الحضاري، ولن تجد حلولا صحيحة لمشكلاتها المتعددة والتحديات الكبرى التي تواجهها.

1.الإطار النظري للدراسة:

1.1. إشكالية الدراسة:

تحاول الدول العربية في السنوات الأخيرة النهوض باقتصاداتها والالتحاق بركب الدول المتقدمة، وذلك من خلال تطبيق العديد من النماذج التنموية وإدراكا منها أن نجاح هذا السعي يتوقف إلى حد كبير على التعليم بشكل عام، والتعليم العالي بشكل خاص، فأخذت تعمل على إصلاح قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في سبيل تنمية رأس مالها البشري وبالتالي إلى تحقيق التنمية المستديمة(محمد مدياني، فاطمة الزهراء طلحاوي، 2018، ص248)، وبموازاة ذلك يزداد التعليم العالي أهمية عند أصحاب القرار المكلفين برسم الخطط التنموية للشعوب والمجتمعات التي يتولون زمام الأمور فيها، مما يرتب على هذا القطاع مسؤوليات جساما في تحديد أولويات وآلية تطوير الذاتي ومساهمته في رسم الخطط الآيلة لتحقيق الأمن والأمان، وفي ظل هذه التحديات والأزمات الكبرى التي تواجهها معظم أنظمة التعليم العالي في الوطن العربي وفي ظل المتغيرات الإقليمية،والدولية التي برزت على الساحة الدولية من الإتجاهات المترسخة للعولمة وتزايد أهمية التكتلات الإقليمية، ولابد من ان يواجه التعليم العالي في الوطن العربي وجميع

مؤسساته تحدي التكامل والتعاون والتنسيق الذي لم يصبح فقط ضرورة متأكدة، بل حاجة ماسة لإخراجه من العديد الأزمات وتصحيح الأوضاع التي يمر بها في الوقت الحاضر(عبد الله بوبطانة، 2009، ص3)، وذلك من اجل بناء صلات وثيقة مع الإنتشار العلمي، والتي تؤسس لمبادرات تحيى التعاون ضمن الأقطار العربية ونظيرتها الأوروبية تحقيق والتكامل المرجو ومع سواها من دول العالم ذات الاهتمام المشترك

وعليه بناءا على هذا الطرح فإن التساؤل الذي نطرحه للإجابة على إشكالية الدراسة فهو كالآتي:فيما تتمثل أهمية التعاون العربي الأوروبي؟ وما هو واقع التعليم العالي في الوطن العربي؟ ما هي أنواع ومجالات التعاون والتكامل الدولي؟ وفيما تتمثل أنماط التعاون العربي مع الدول الأوروبية؟ وما هي أهم البرامج الأوروبية المتاحة عربيا؟

2.1. الهدف من الدراسة: وتسعى الورقة البحثية إلى:

-عرض المفاهيم والأفكار المرتبطة بالبحث العلمي والتعليم العالي

-الإطلاع على واقع التعليم العالي في الوطن العربي ومؤشراته

-تشخيص لأهم برامج التعاون العربي الدولي وخاصة الأوروبي من خلال البرامج الأوروبية المتاحة عربيا

-إبراز نقاط القوة والضعف

3.1 تحديد مصطلحات الدراسة

البحث العلمي: هو البحث الذي تختص به كليات ومعاهد التعليم الجامعي والبحث العلمي، في سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضاريا متوخية في ذلك المساهمة في رقي الفكر وتقدم العلم، وتنمية القيم الإنسانية وتزويد البلاد بالمتخصصين والفنيين والخبراء في مختلف المجالات وإعداد الإنسان المزود بأصول المعرفة وطرائق البحث المتقدمة والقيم الرفيعة ليساهم في بناء وتدعيم المجتمع وصنع المستقبل وخدمة الإنسانية(أيمن يوسف، 2008، ص15).

كما يعرف "فوضيل دليو" البحث العلمي على أنه المصدر الأساسي للخبرة والمحور الأساسي الذي يدور حوله النشاط الثقافي والمهمة الأولى له هي توصيل الأخلاق والمعرفة الإنسانية في مجالاتها النظرية والتطبيقية(فوضيل دليو وآخرون، 2001، ص78).

في حين تعرفه "وفاء محمد البرعي" بأنه: "أهم المواقف التي يتطلع إليها المجتمع في سعيه لتطوير نمط الحياة فيه، والبحث العلمي يمثل مرحلة التخصصية من التعليم الذي يعد القيادات والكوادر اللازمة للتغيير والمهارات الضرورية للتجديد في شتى المجالات، كما تعرفه على أنه كافة المؤسسات التي تعمل كمراكز تطوير الثقافة في المجتمع وتجديد فكره، في مقابل حفظ التراث الحضاري وتنمية مدارك الأفراد باستمرار في ضوء التغيرات المحيطة به خارجيا(وفاء محمد البرعي، 2002، ص290).

ولقد جاء "أحمد الخطيب" بالبحث العلمي على أنه هو المسئول الأساسي الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة الاتصالات والمعلومات، وهو المطلوب منه حل المشاكل اليومية التي تواجه المجتمع في مجال الإنتاج والخدمات وإعداد البحوث والدراسات والاستشارات العلمية وتقديمها

إلى صناع القرار في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصناعية والإدارية(أحمد الخطيب، 2003، ص160)

التعريف الإجرائي للبحث العلمي: هو المرحلة المتقدمة والمتخصصة من البحث يتلقاها الطالب أثناء المرحلة الجامعية، يتعلم خلالها مناهج وأساليب البحث العلمي وطرق البحث بأنواعها وهو المسئول عن تقديم البحوث الأكاديمية والتي من خلالها تتخذ أهم القرارات من الجهات المختصة

التعليم العالي: هو التعليم الذي يتعلق بموضوعات معقدة بالغة الأهمية للباحثين، في حاجة إلى دقة بالغة في علم المناهج، وهو المسئول عن ارتفاع مستوى معرفة الطلاب ويعرفه الدكتور "سعيد طه محمد" على أنه أداة رئيسية لتحقيق الأمن القومي وتحقيق التنمية الشاملة(سعيد طه محمود، محمد ناس السيد، 2003، ص26)، وأداة لبناء الجيش والأسطول القوي، وتحقيق التنمية الشاملة لمختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية (Mazouni Abdollah,1969, p60)

مفهوم الجامعة: هي مؤسسة علمية تتمثل وظائفها في التدريس والبحث العلمي، وخدمة المجتمع،وتعرف أيضا "بأنها المكان الذي يدرس أوضاع المجتمع ومشكلاته وتعمل على إيجاد الحلول الجذرية لها حيث أنها توظف الدراسة، والبحث العلمي لمعالجة المشكلات الاجتماعية وتعدها إعدادا للعمل"(نبيل محمد نوفل، 1990).

كما تعرف بأنها" مؤسسة اجتماعية طورها المجتمع لغرض أساسي هو خدمته، وخدمة المجتمع حسب هذا المفهوم تشمل كل جانب من جوانب نشاطات الجامعة(عامر محمد الضبياني وآخرون، 2018، ص121).

التعريف الإجرائي: هي مؤسسة تعليمية تسعى لخدمة المجتمع من خلال أهدافها التعليمية والبحث العلمي وخدمة المجتمع لتحقيق تنمية شاملة لجميع مجالات الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وإعداد الكوادر البشرية المؤهلة لذلك

-**مفهوم التعاون العلمي**: يقصد به، مختلف الأنشطة والتبادلات والعلاقات العلمية التي تجرى بين عدة أطراف، فموضوعه محدد بالميادين العلمية، ومن أشهر التعاريف المقدمة له تعريف الأستاذ "توسكوز" الذي يعرفه بأنه" :تبادل المعارف أو فرضيات البحث وتحقيقها على المستوى الدولي مع تحويلها إلى نشاطات مشتركة يفترض فيها إنشاء معارف جديدة(صادق العلالي، 2010، ص198-190).

2. واقع التعليم العالي والبحث العلمي ومؤشراته في الوطن العربي:

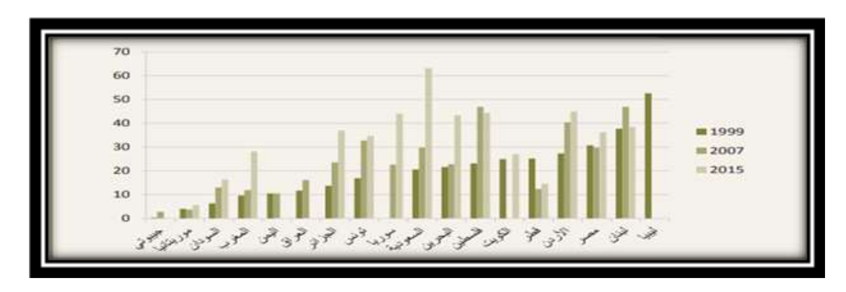
تعد مؤسسات التعليم العالي أهم نقاط الاتصال بالعالم الخارجي للفرد سواء تعلق الأمر بالتعمق في البحث العلمي ومواصلة المسيرة البحثية أو التوجه نحو عالم الشغل، فهي مؤسسات ذات أثر فاعل وحيوي في المجتمع؛ حيث تعد الركيزة الأساسية للتعليم العالي، حيث تسهم هذه في بناء

الإنسان معرفيا وثقافيا وخلقيا على النحو الذي يساعد على تنمية الموارد البشرية في كافة التخصصات التي تحتاجها خطط التنمية المستدامةكما أن الجامعة تهدف أساسا إلى تهيئة الظروف للتفاعل بين الطالب والأساتذة من خلال الدراسة والبحث وصولا إلى تحقيق أهداف المجتمع، وقيادة التغيير فيه بالشكل الذي يضمن تفعيل الحلقات السوسيو اقتصادية وينعكس إيجابا على جميع المجالات(معوض صالح الدين، 1987)، ويشهد التعليم العالي في الوطن العربي تزايدا كميا متسارعا في المؤسسات الجامعية الحكومية والخاصة والطلبة الملتحقين بها؛ حيث ازداد عدد الجامعات من 233 جامعة عام 2003 (المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات، 2008)إلى395 جامعة عام 2008، ثم ما يقارب 500 جامعة عام 2012أي بزيادة نسبتها 114 %،وجاء هذا التوسع الكمي الكبير في التعليم العالي نتيجة للنمو الديمغرافي؛ إذ قدر إجمالي عدد السكان في الدول العربية عام 2014 بنحو 377 مليون نسمة، وقدر معدل النمو السكاني بنحو 4.2% للفترة (1980-2014)وهي نسبة مرتفعة مقارنة بمتوسط معدل النمو السكاني في العالم الذي يقدر بـ 1.6%، كما أن نسبة الفئة العمرية الأقل من 15 سنة تقدر بـ 33%،وبالتالي هذه الكتلة تشكل ضغطا على الموارد في الدول العربية من أجل توفير ما تحتاجه من تعليم وعمل وخدمات اجتماعية.

1.2. التوسع في فرص الالتحاق بالتعليم العالي

1.1.2 معدلات الالتحاق الخام بمؤسسات التعليم العالي في الدول العربية

الشكل رقم(01): معدلات الالتحاق الخام بمؤسسات التعليم العالي في الدول العربية للسنوات 1999و2007و2015



المصدر:(رمزي سلامة ، 2018، ص140).

من خلال البيانات الموضحة في الشكل، والتي تخص معدلات الالتحاق الخام بمؤسسات التعليم العالي لدول العربية لسنوات 1999و2007و 2015 وبناءا على المعدلات الملاحظة في سنة 2015 فإنه سيتم تقسيم الدول العربية إلى ثلاثة مجموعات رئيسية فيما يخص معدلات الالتحاق الخام بمؤسسات التعليم العالي في الدول العربية وهي كالآتي:

المجموعة الأولى: حيت تتكون المجموعة الأولى من جيبوتي، وموريتانيا وقطر والسودان، ويضاف إليها العراق واليمن والتي تشهد معدلات التحاق منخفضة جدا تتراوح ما بين 3%

وحوالي 16%، وعلى سبيل المثال يعود التدني الكبير في معدلات الالتحاق في قطر على نحو أساسي إلى عزوف الذكور عن الالتحاق بالتعليم العالي(و قد بلغت نسبة الذكور في عام 2015 6.3%، في حين بلغت عند الإناث 43.9% وهو معدل عالي مقارنة بسائر الدول العربية

المجموعة الثانية: وتتكون من الكويت، المغرب، تونس، مصر، الجزائر، لبنان حيث تتراوح معدلات الالتحاق ما بين 27% وحوالي 39% والتي تقرب من المعدل العربي

المجموعة الثالثة: وتضم كل من البحرين وفلسطين والأردن والسعودية حيث تتراوح معدلات للالتحاق فيها ما بين حوالي 43% وحوالي 63% متخطية بذلك المعدل العربي العام، ويلاحظ على نحو خاص ازدياد معدل الالتحاق في المملكة العربية السعودية الذي أصبح يضاهي المعدلات الملحوظة في الدول الصناعية للذكور والإناث على حد سواء، كما نلاحظ المعدلات الأعلى للالتحاق عند الإناث في كل من الجزائر والبحرين، والأردن والكويت ولبنان وفلسطين و تونس

2.1.2 تطور اعداد الطلبة ونسبة الملتحقين بمؤسسات التعليم العالي:

الشكل رقم(02): تطور اعداد الطلبة و نسبة ازدياد الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي



المصدر:(رمزي سلامة، 2018، ص142).

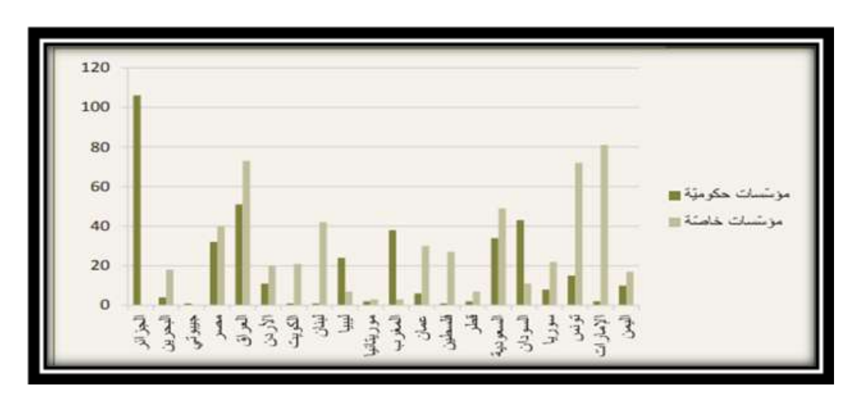
يبن الشكل رقم 2 صورة عن تزايد أعداد الطلبة الملتحقين بمؤسسات التعليم العالي في عدد من مناطق العالم لسنوات 1999 و2007و2015، وكذا يظهر النسبة المئوية للازدياد، فقد شهدت المنطقة العربية أقل نسبة في زيادة عدد الطلبة الملتحقين، على الرغم من الزيادة السكانية الكبيرة، وذلك بالنسبة إلى سائر مناطق العالم فقد سجلت في الدول النامية إجمالا زيادة بلغت215% بينما لم تبلغ الزيادة في المنطقة العربية سوى 120% ويدل ذلك على ان معظم الدول العربية لازالت بحاجة إلى توسع كمي في مجال الالتحاق بالتعليم العالي، إذا ما أرادت أن تتخذ موقعا مناسبا بين الأمم والشعوب تحت ظل العولمة في إطار المجتمع واقتصاد المعرفة والذي يتطلب خططا ومعالجات

2.2 تطور عدد مؤسسات التعليم العالي و دورها في زيادة فرص الالتحاق: شهدت المنطقة العربية في مطلع الألفية الثالثة ازدياد في عدد مؤسسات التعليم العالي لم يسبق له مثيل بفعل إعتماد دول المنطقة منذ العقد الأخير من القرن العشرين سياسات انفتاح وتشريعات سمحت

للقطاع بإنشاء مؤسسات التعليم العالي أو فروع لها(رمزي سلامة، 2018، ص143)، وهو ما سيوضحه الشكل التالي:



الشكل رقم(03): تطور العدد التقريبية لمؤسسات التعليم العالي في الدول العربية لعام2017



المصدر(رمزي سلامة، 2018، ص143).

ويظهر الشكل التفاوت بين الدول العربية فيما يخص نظم التعليم العالي ومدى إنتشار مؤسسات التعليم العالي وعلى سبيل المثال في لبنان لديها جامعة واحدة، وحكومية لكنها ذات فروع عديدة وتستقطب ما يقارب 40% من الطلبة، بينما يلتحق سائر الطلبة في 42 جامعة ومعهدا عاليا متخصصا، أما في الجزائر فيتوزع طلبة التعليم العالي ما بين 50و56 كلية ومعهدا عاليا جميعها حكومية، ما في تونس جميع الجامعات حكومية بينما لا يرخص للقطاع الخاص إلا بإنشاء كليات ومعاهد عليا متخصصة، وفي المغرب هناك شبه غياب للقطاع الخاص بينما يفوق عدد الكليات والمعاهد العليا المتخصصة الحكومية عدد الجامعات، وتنفرد الإمارات العربية المتحدة بالعدد الأكبر من المؤسسات الخاصة التي تتوجه على نحو عام إلى أبناء الوافدين المقيمين في الدولة بدافع العمل

3.2 الإنفاق الحكومي علي التعليم العالي في الوطن العربي: يعتبر التعليم العالي في الوطن العربي من الأمور المستحدثة، باستثناء مصر، حيث نجد أن ظهور التعليم العالي في الوطن العربي كان مرتبطاً بالاستعمار، لذلك نجد أن معظم بدايات البلدان العربية في مجال التعليم العالي كان في منتصف وأواخر القرن الماضي، حيث لم يتجاوز عدد الجامعات العربية في بدايات القرن الماضي عشر جامعات، ولكن بدأ العدد يتزايد في حقبة الخمسينات والستينات، وهي تلك الفترة التي بدأت فيها كثير من دول العالم المستعمرة تنال استقلالها بما فيها بعض البلدان العربية، حيث انتبهت الحكومات الوطنية بعد الاستقلال بأنه لا مجال لتحقيق التنمية والرفاه الاقتصادي والاجتماعي لتلك الشعوب إلاّ من خلال وجود كوادر مؤهلة ومدربة قادرة علي وضع الخطط المحكمة، ومن ثم القدرة علي التنفيذ بكفاءة والفعالية، وقد انعكس ذلك في عملية إنشاء الجامعات

والمعاهد الفنية العليا وفيما يتعلق بحجم الإنفاق الحكومي علي التعليم العالي فيالوطن العربي ومقارنته مع بعض المناطق في العالم وهو ما سيوضحه الجدول التالي

جدول رقم 01: نسبة الإنفاق الحكومي إلى الناتج الإجمالي للتعليم لعام 2010 لدول العربية و بعض المناطق في العالم

المنطقة	النسبة
الدول العربية	% 3.9
شرق أوربا وآسيا الوسطي	4.1%
أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي	5.3%
جنوب آسيا	3.2%
أفريقيا جنوب الصحراء	5.2%
العالم	4.9%

المصدر: تقرير التنمية البشرية للعام 2013م

المصدر:(طارق عبد الله تيراب، عبد العظيم سليمان المهل، 2015، ص56).

يوضح الجدول السابق أن حجم الإنفاق الحكومي علي التعليم ككل منسوباً إلي الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية يعتبر أقل بكثير عن المعدل العالمي الذي بلغ حوالي 4.9%كما نلاحظ أيضاً انخفاضه عن معدلات مناطق شرق أوربا وآسيا الوسطي 4.1%أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي5.3%أفريقيا جنوب الصحراء 5.2%إلاّ أنها تتفوق فقط علي منطقة جنوب آسيا التي بلغ معدلها حوالي 3.2%ويتضح أيضاً ضعف حجم الإنفاق الحكومي علي التعليم العالي في الوطن العربي من خلال مقارنة نسبة إنفاقه الحكومي إلي الناتج المحلي الإجمالي للتعليم ككل ببعض المناطق في العالم(طارق عبد الله تيراب وآخرون، 2015، ص56).

3.التعاون والتكامل الأكاديمي(قراءات في التعاون العربي الأوروبي):

1.3 أهم النماذج المطبقة في التعليم العالي في الوطن العربي: خلف الاستعمار تبعية كبيرة لدول العربية وخاصة في مجال التعليم العالي، فقد أصبح استمرارية للأنظمة والنماذج الكبرى في العالم، وهذه النماذج على اختلافها تتقاسم في صفتين أساسيتين وهما عدم استقلالية الجامعة عن الحكومة ونوع المصادر التمويل، وتختلف هاتين الصفتين بنسب متفاوتة من دولة عربية إلى أخرى، وعليه فإن هناك عدة نماذج مختلفة توارثتها عن هذه القوى منذ نهاية القرن 19 وهي كالتالي:

النموذج النابليوني: ظهر هذا النموذج في فرنسا بعد الثورة الفرنسية وانتشر في دول جنوب أوروبا ويعني بالوظيفة الاجتماعية للتعليم و يهدف إلى إعطاء أهمية وظيفية للتعليم العالي حيث يعترف رواد هذا النموذج بالجامعة كمؤسسة تنشر المعرفة العالية وتقوم بعملية التدريس والتلقين، والتكوين من أجل مد المجتمع بقيادات مدربة ومهيأة ثقافيا لخدمته، فقام هذا النموذج بالتخلي عن الآراء والتفكير الفلسفي والكوني ، وتوجه نحو مهمة مختلفة وهي إعداد الرأس المال البشري

الضروري لإعادة التوازن للبلاد والانسجام مع النظام الاقتصادي والاجتماعي والاقتصادي الجديد ومتطلباته، فظهرت التخصصات الجامعية ومفهوم الشهادة الجامعية والتي تعد ضرورية من اجل الحصول على وظيفة أو مهنة معينة(لامية بوكرع، 2018، ص63)، ومن مميزاته الحد من استقلالية الجامعة.

النموذج الهامبولدي: وظهر هذا النموذج في ألمانيا وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسه "وليام همبلدت" فهو يجمع بين البحث العلمي والتعليم العالي، وضمان الاستقلالية الذاتية للتعليم العالي والبحث العلمي كشرط ضروري لجودة المعرفة حيث تميز هذا النموذج باللامركزية وتشجيع المبادرات الجامعية من جهة وحث الجامعات على التنافس، والتطوير الذاتي وإتاحة الفرصة لاختيار التخصصات الدراسية بحرية مع رفض إنتشار المعاهد المهنية المتخصصة، الأمر الذي يتناقض.

النموذج السوفياتي: لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تقاربا بين بعض الدول العربية والمعسكر الشرقي عامة والاتحاد السوفياتي خاصة، حيث عقدت عدة اتفاقيات ثنائية لتناول الخبرات وإتاحة الفرص الدراسية لطلاب في الجامعات والمعاهد السوفيتية وهذا ما يدفعنا إلى الإشارة باختصار إلى أهم ما يميز نظام التعليم العالي في الاتحاد السوفياتي(لامية بوكرع، 2018، ص63):

-تكافؤ الفرص أمام القاعدة العريضة من السكان وبذلك فإنه يعتبر تعليما للجماهير ومجانا.
-هناك درجة كبيرة جدا من المركزية في إدارة التعليم العالي حيث تسيطر وزارة التعليم العالي على معظم المؤسسات بالإضافة إلى هذه النماذج تنتشر في الوطن العربي ثلاثة أنواع رئيسية من مؤسسات التعليم العالي وهي:

المعاهد والكليات المتوسطة: والتي يجري فيها إعداد القوة البشرية لمدة سنتين أو ثلاثة سنوات بعد الدراسة في مرحلة الثانوية وتمنح هذه المؤسسات شهادات مهنية وفنية، وتختلف تسميات هذه المؤسسات من دولة إلى أخرى ففي الأردن يطلق على هذه المؤسسات كليات المجتمع، في مصر والعراق بالمعاهد الفنية.

المعاهد والمدارس العليا: ويتم التكوين فيها لمدة أربع سنوات أو أكثر بعد الدراسة في مرحلة الثانوية وتمنح هذه المؤسسات درجة ليسانس، وتعرف أيضا بالمعاهد القومية، وبالمغرب والجزائر بالمعاهد الوطنية، وفي مصر بالمعاهد العليا وغالبا ما تكون هذه المعاهد تابعة لوزارة التعليم العالي.

الجامعات: وهذا النمط السائد أو المنتشر في جميع الدول العربية ويكون فيها الطالب وتمنح له درجة الليسانس أو الماجستير أو الدكتوراه.

2.3 مجالات التعاون والتكامل الأكاديمي: يرتكز التعاون الدولي في التعليم العالي على أربعة مجالات رئيسية، وهي نفس المجالات التي من المفترض أن يرتكز عليها التعاون الإقليمي حتى يكون فاعلاً وقادراً على الخوض في مجالات التعاون الدولي، وهذه المجالات هي:

الحراك الطلابي: أشار إعلان القاهرة حول التعليم العالي في الوطن العربي(اليونسكو، 2009)إلى أن نسبة الحراك الطلابي بين لدول العربية تمثل حوالي 2 %من إجمالي الطلاب المقيدين في الوطن العربي، وهذه النسبة قد تكون الأدنى بين أقاليم العالم الأخرى بالرغم من أهميتها في توثيق التعاون والترابط الأكاديمي بين الجامعات المرسلة وتلك المستقبلة.

وفي إحصائية حديثة لليونسكو للعام 2006 بلغ مجموع الطلاب العرب الدارسين في جميع أقاليم العالم ما يقارب 183 000، يدرس منهم في البلدان العربية حوالي 29 000 طالب والبقية يدرسون في جامعات ومؤسسات في الأقاليم الأخرى من العالم،وتستحوذ الولايات المتحدة وأوروبا على النصيب الأكبر من هؤلاء الطلاب حيث يبلغ عدد الطلاب العرب الدارسين فيها حوالي131000 طالب، هذا يعني أن التبادل الطلابي بين الدول العربية لا يصل إلى أكثر من 6.5 %من مجمل الحراك الطلابي العرب في جميع أقاليم العالم بالرغم من أن عددا غير قليل من الجامعات العربية قد طورت برامجها ومراكز التميز فيها تصل في بعض الأحيان إلى المعايير العالمية.

وفي هذا المجال تبرز حقيقتان مهمتان وهما:

-إن التضخم في إرسال الطلاب إلى الدول المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا يؤدي في النهاية إلى زيادة معدلات هجرة الأدمغة العربية وهي الظاهرة التي فقدت بها الدول العربية أعداداً هائلة من الكفاءات لا يمكن تعويضها وهي إحدى أسباب تخلف مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدول العربية، وتشير الإحصاءات إلى أن ما بين 40-50 %من الطلاب العرب الدارسين في أمريكا وأوروبا يفقد بسبب الهجرة، وفي تقديرات أخيرة لجامعة الدول العربية قدر أن العالم العربي قد فقد ما بين عام 1980 وعام 2000 أكثر من 850 000 من علماء ومتخصصين بسبب هجرة الأدمغة(بوبطانة عبد الله، 2009، ص9).
-إن الحراك الطلابي بين الدول العربية يعتبر من أهم المتغيرات التي تؤدي إلى توطيد العلاقات والروابط الأكاديمية وتساعد في تكثيف التعاون والتكامل بين مؤسسات التعليم العالي في هذه الدول.

تبادل الأساتذة والباحثين: قدر المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي (+10)حجم حراك الأساتذة بين الدول بـ 6 %من إجمالي أعضاء الهيئة الأكاديمية في الوطن العربي، وبالرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة حول حراك الأساتذة والباحثين على المستوى الدولي، إلا أن هذه النسبة تبدو ضئيلة بالنسبة إلى حجم قطاع التعليم العالي الواسع في الوطن العربي، ويفضل الأساتذة والباحثون العرب التوجه لاستكمال الدراسة أو إجراء بحوث ما بعد مرحلة الدكتوراه إلى الجامعات الأجنبية وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا فإن ما يقارب من 80 %من الأساتذة الحاصلين على إجازات تفرغ دراسية يتوجهون إلى جامعات أجنبية بدلا عن الجامعات العربية بالرغم من وجود عدد من الجامعات العربية المتميزة في مجالات تخصصهم، وأن 70 ألف من خريجي الجامعات العربية، وعلى الخصوص الأطباء والمهندسين العرب، يهاجرون سنوياً للبحث عن فرص عمل في الخارج وأن خسائر المنطقة العربية جراء الهجرة يقدر بحوالي1.6

مليار دولار سنوياً، وقدر نفس التقرير أن 54 %من الطلاب العرب الدارسين في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم الأم،وكما هو الحال بالنسبة إلى الحراك الطلابي، فإن الوضع الراهن لحراك الأساتذة والباحثين له ثلاثة جوانب سلبية على التكامل والتعاون الأكاديمي، يمكن تلخيصها فيما يلي

-عدم استفادة الجامعات العربية ومراكز البحوث من خبرات وتجارب هذه الكفاءات.

-محدودية مساهمة هذه الكفاءات في تدعيم التعاون والتكامل بين الجامعات ومراكز البحوث عن طريق توأمة الجامعات، وتطوير برامج دراسية مشتركة وتنفيذ برامج بحوث مشتركة.

-المساهمة في تضخيم معدلات هجرة الأدمغة.

تطوير البحوث المشتركة: لم تتمكن الجامعات العربية بشكل منفرد من المساهمة الفاعلة في إنتاج المعرفة وتبادلها، نظراً للإمكانات المحدودة المخصصة للبحث العلمي، حيث تنفق الدول العربية ما يقل عن.0.04 %من ناتجها المحلي الإجمالي، وتصل هذه النسبة في اليابان أكثر من 3 %، ونظرا كذلك تخلف البنى التحتية لهذا القطاع وفقدان الكتلة الحرجة من العلماء والباحثين بسبب المعدلات الكبيرة لهجرة الأدمغة، ولهذا صنفت الدول العربية من بين الدول المستوردة للمعرفة والتكنولوجيا وزادت الهوة المعرفية بينها وبين الدول المتقدمة، بالرغم من أن المعرفة قد أصبحت المتغير الرئيسي في عمليات التنمية مع تناقص واضح في دور الموارد المادية والبشرية في هذا المجال، وبالرغم من وجود مجموعة من القضايا القومية ذات العلاقة بغالبية الدول العربية والتي تستدعي ليس فقط تطوير برامج للبحوث المشتركة بل إنشاء أكاديميات عربية ومراكز للتميز للبحث في هذه القضايا بشكل جدي مثل التصحر، المياه، البيئة، الفقر، الطاقة المتجددة، إلا أنه إلى وقتنا الحاضر تعالج هذه القضايا بشكل منفرد وفي إطار جهود مشتتة من الدول العربية لم يكن لها أي مردود في السابق(بوبطانة عبد الله، 2009، ص10-11).

تشبيك وتوأمة الجامعات: لقد أثبت التشبيك والتوأمة، من خلال البرنامج الذي أطلقته اليونسكو في العام 1991" كراسي اليونسكو وتوأمة الجامعات"، نجاحاً كبيراً في تفعيل التعاون بين الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في جميع قارات العالم (شمال/جنوب، جنوب/جنوب، شرق/غرب،) ويظل التشبيك والتوأمة عاملين رئيسيين في عمليات التعاون والتكامل الأكاديمي.

3.3 مظاهر التعاون الأوروبي العربي: إن التعاون في المجال العليم البحثي يتخذ نموذجين أساسين(منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية، 2009، ص43)، وهما:

1.3.3 النموذج الأول: هو نموذج البرامج المشتركة الأوروبية العربية الذي يعتمد على مزود أو مزودين أوروبيين وعدة مستفيدين كما هو الحال في بعض المشاريع المنبثقة عن برنامج"تومبوس".

2.3.3النموذج الثاني: هو نموذج المزود الواحد والشريك العربي الواحد مع عدة مستفيدين كما هو الحال في برنامج ماجستير التحول الاقتصادي والذي يستقبل طلاب من سوريا، والأردن، ومصر واليمن وتونس بالإضافة إلى طلاب من الألمان.

4. أنماط التعاون العربي مع الدول الأوروبية:تسعى الدول العربية إلى دعم البحث العلمي الجامعي ليقوم بدوره الفعلي في تنمية المجتمع والاقتصاد، ولأجل ذلك، تعمل المؤسسات الجامعية، من خلال الانفتاح على الجامعات الأوروبية ودعم التعاون والتبادل معها، على الاستفادة من تجاربها فـي تطبيق المعايير الدولية الحديثة في التعليم العالي.

1.4. على المستوى الإقليمي: اتّفقت 7 دول عربية وأوروبية شاركت في المؤتمر العربي الأوروبي للتعليم الجامعي الذي انعقد في مصر في العام 2015 بحضور ممثلين عن جامعات من البحرين ومصر والسودان التواصل وتبادل الخبرات بين الجامعات العربية وعمان وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا على حتمية التواصل وتبادل الخبرات والأوروبية من أجل تطوير منظومة التعليم الجامعي، ودعم البحث العلمي وذلك عبر دعم البعثات المشتركة بين الدول المشاركة، ومن شأن تنفيذ ذلك تحسين أداء الجامعات العربية(جواد الخزار، 2018، ص400)، وذلك من خلال التركيز على معايير جودة محددة جرى تطبيقها في الجامعات الأوروبية، وكانت بمثابة نقطة الانطلاق للتطوير والتحديث ولتخريج طالب العلم يواكب احدث ما وصلت إليه منظومة التعليم في أوروبا، من دون الحاجة إلى السفر للدراسة، ومن أهم الأمثلةعلى تنفيذ مقررات المؤتمر والتي يمكن ذكرها في النقاط التالية:

-تجربة التعاون الجامعي المصري الألماني الذي أنتج مشاريع عدة من بينها فروع جامعة برلين التقنية القائم في محافظة البحر الأحمر والذي يعتبر إحدى أهم المؤسسات التي تسهم دعم التبادل العلمي بين مصر وألمانيا بالمشروعات البحثية المشتركة.
-تم التأكيد في المؤتمر العربي الأوروبي الرابع للتعليم العالي المنعقد في الرباط في (نيسان2017) على تكثيف التبادل العلمي بين مؤسسات التعليم العالي العربية ونظيرتها الغربية.
-فتح آفاق أمام الأكاديميين والباحثين العرب للإستفادة من التقدم والتطور اللذين بلغتهما الجامعات الأوروبية.
-الدعوة إلى خلق منصات بحثية يستفيد منها الشباب الباحثين العرب عطاء المزيد من الدعم للأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تتطرق إلى تحديات العالمية كالمياه والطاقة
-تشجيع العلوم متعددة الاختصاصات والتعليم المفتوح والتعليم عن بعد والرقمنة من أجل فرص تعاون إقليمي أكبر.

أهم مستخلصات وتوصيات المؤتمر:

-تخصيص الموارد الكافية لأبحاث متعددة الأطراف.
-اتخاذ تدابير تكميلية لتعزيز الملكية الفكرية والمشاركة الفعالة وضمانها.
-إنشاء هياكل لتعليم الأقران وتبادل الممارسات الجيدة على مستوى الحكومات و رؤساء الجامعات.
-تعزيز نهج التخصصات القادرة على التصدي بصورة متسقة للبحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية والأخلاقية.

2.4 المستوى الثنائي: هناك أمثلة متعددة على التعاون الثنائي بين الدول العربية ونظيراتها الأوروبية، نسوق في ما يلي بعضها(جواد الخزار، 2018، ص403):

-توقيع الجزائر مذكرة تفاهم مع الاتحاد الأوروبي في مجال الطاقة في تموز 2013، وتتضمن المذكرة أوجه التعاون في مجال الطاقة التقليدية والمتجددة وكذلك الصناعة في قطاع الطاقة ونقل التقنية، كما كانت تهدف المذكرة إلى تأمين تزويد أوروبا بالطاقة وينتظر ان تسهم المذكرة في زيادة الإستثمارات الأوروبية في مجال الطاقة الجزائرية، وكذا الإسهام في تطوير وتكوين كفاءة الكوادر الجزائرية في مجالات الطاقة وتوطين الخبرات والتقنيات لاسيما في مجال الطاقات المتجددة

-توقيع فلسطين شراكة بين الجامعات الهولندية والفلسطينية من خلال برنامج **"بادوكو"** في عام 2013 ويضم 5 جامعات فلسطينية و5 جامعات هولندية بتمويل هولندي في مرحلته الأولى 1.3 مليون يورو لسنتين، ولازال البرنامج ساريا يسهم في تطوير مشاريع بحثية توفر حلولا واقعية لمشكلات المياه وجودتها في الأراضي الفلسطينية

-في إطار اتفاقية التعاون في مجالات العلوم و التكنولوجيا بين مصر والاتحاد الأوروبي تم توقيع اتفاقية المرحلة الثانية من برنامج البحوث والتنمية والابتكار(RDI-2)بتمويل قدره 20 مليون يورو للفترة 2011-2015 بهدف تطوير منظومة البحث العلمي ولابتكار والإسهام في تعزيز النمو الاقتصادي وزيادة القدرة التنافسية لمصر، وقد عزز هذا الأداء العلمي في مصر من خلال عدد المنشورات البحثية في تلك الفترة والمشاريع التي انخرط فيها الباحثون المصريون

3.4 برامج التعاون الأوروبية المتاحة عربيا: والتي نذكر منها:

1.3.4 برنامج افق 2020(Horizon2020): أطلقه الاتحاد الأوروبي في عام 2014 ورصد له موازنة مالية مهمة بلغت 80 مليار يورو لكي يغطي الأبحاث العلمية حتى سنة 2020 ويهدف البرنامج إلى أن يكون هذا الاستثمار كبير بمثابة عامل نمو للابتكار من خلال جلب الجيل الجديد من الخدمات والمنتجات المبتكرة ذات القيمة العالية، وذلك من اجل بقاء أوروبا في مقدمة الأسواق العالمية ومن مميزاته نذكر:

-إتاحة الفرص لمواجهة التحديات العالمية مثل الأمراض المعدية، مشاكل الطاقة وتغير المناخ التي لا يمكن حلها إلا على المستوى الدولي
-تقديم فرص لتوفير نفقات الأبحاث وتوسيع نطاقها.
-توفير البنية التحتية للأبحاث على المستوى العالمي من خلال تسهيل واستمرار تطوير دراسة البنية التحتية العالمية في أوروبا ونظيرتها غير أوروبية.
-الوصول إلى شبكات وتحالفات جديدة في توفير إمكانية الحصول على المعدات والبيانات في البلدان الشريكة.

فيما يخص التعاون مع الدول العربية فكان من خلال مشاركة الدول العربية المطلة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط في جملة من المشاريع والبرامج فكانت تونس كشريك كامل بعد توقيعها اتفاقية الشراكة المميزة مع الاتحاد الأوروبي في 2012/12/19 ما يخول لباحثيها ومؤسساتها البحثية تؤس مشاريع بحثية وإدارتها وليس المشاركة فيها فقط كعضو في المجموعة(جواد الخزار، 2018، ص408).

أما بالنسبة لدول الخليج فكان من خلال مشروع شبكة التعاون الدولية للعلوم و التكنولوجيا والإبداع بين الاتحاد الأوروبي ودول مجلس التعاون الخليجي(INCONTE-GC2) وهو مشروع ممول في إطار برنامج افق2020 ولكن لم يسفر هذا البرنامج عن أكثر من تحديد للمحاور العلمية ذات الاهتمام المشترك من طاقة متجددة وتحلية مياه البحر، وتطوير المدن الذكية والعلوم الطبية

2.3.4 برنامج تمبوس Tempus: يعود إنشاء هذا البرنامج إلى سنة 1990 فقد تأسس مباشرة بعد تفكيك أوروبا الشيوعية و سقوط جدار برلين وفي الواقع كان برنامج تمبوس الجناح الجامعي ذا الإجراءات المصاحبة التي اتخذها الاتحاد الأوروبي من اجل دعم الدول التي خرجت من الشيوعية واتجهت إلى الديمقراطية واقتصاد السوق(لمياء حروش، 2019، ص17)، غير أن منطقة تمبوس حاليا لا ترتبط بأوروبا الشرقية فحسب التي دمجت بدورها الاتحاد الأوروبي، ولكن اتسعت أيضا لتشمل دول البلقان ودول جنوب البحر الأبيض المتوسط (الجزائر، مصر، لبنان، المغرب، الأردن، فلسطين، سوريا)

1.2.3.4 أهداف وأنماط التحرك لبرنامج تمبوس: إن أساس البرنامج يعتمد على فكرة تأسيس الشبكات الجامعية التي تتخطى الحدود القومية وتبادل الخبرات، تعبئة وحشد الطلبة والموظفين وإعداد وتأسيس المشاريع التعليم الجدية والأساسية ومن بين الأهداف مايلي:

-دعم عملية الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي والتنمية في الدول الشريكة

-تطوير أنظمة التعليم العالي وأنماط التعاون مع المؤسسات الأوروبية

2.2.3.4 محاور الأساسية لبرنامج تمبوس: إن الفكرة الأساسية لهذا البرنامج تتمثل في إقامة شبكة جامعية بيم دول الاتحاد الأوروبي والدول المجاور من البحر الأبيض المتوسط، لتبادل الخبرات وانتقال الطلاب والباحثين بين مختلف الأطراف فضلا عن تأسيس مشاريع بحثية وهذا البرنامج يعمل على محورين(لمياء حروش، 2019، ص19):

أ/**المحور التعاوني بين الجامعات**: يتمثل في تمويل المفوضية الأوروبية لعملية التعاون بين الجامعات الأوروبية وجامعات الدول الأخرى، إلى جانب المؤسسات غير الحكومية مثل الجمعيات والإدارات، والشركات وغير ذلك من أنشطة تعليمية وبحثية تهدف إلى التوصل إلى جملة من النقاط يمكن إبرازها فيما يلي:

-التوصل إلى برامج دراسية جديدة للتعليم العالي مثل إنشاء أقسام جديدة للدراسات الأوروبية و إدخال التحسينات والتعديلات على برامج قائمة وفتح آفاق اختيارات جديدة وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى مشروع نظام L.M.D والتعليم عن بعد عبر الإنترنيت.

-إدخال التحسينات على إدارة الجامعة مثل إنشاء مكاتب للعلاقات الدولية وتحسين الخدمات الاجتماعية بالكليات، وفترات لتدريب الطاقم الإداري.

-النهوض بالطبيعة المهنية للبرامج الدراسية التي تهدف لتسيير البحث للحصول على وظائف و ذلك عن طريق ربط محتوى الشهادات بسوق العمل، وبالتالي العمل على إصلاح لائحة الشهادات الجامعية

ب/**محور المنح الفردية**: وهي منح جامعية موجهة أساسا للجامعات محل التعاون لمدة تقدر بشهرين بأوروبا بغرض إعداد إحدى المشروعات الصغيرة وعرضها كالاشتراك في مناضرة علمية، مؤتمر دولي وذلك لتحسين مهارات معينة، أو لإجراء دراسة يستفيد منها الطرفان

4.4 برنامج إيراسموس موندوسErasmus Mondus: أنشأ هذا البرنامج لتعزيز التعاون الأوروبي الدولي تعطى بمقتضاه منحا دراسية لأحسن الطلبة بلدان العالم الثالث المختارة، وكذا الطلبة الأوروبيين الراغبين في الدراسة في خارج أوروبا(مونيس بخضرة، 2012، ص35)، والهدف من البرنامج هو تعزيز الحوار والتفاهم بين الشعوب والثقافات من خلال التعاون في المجالات الأكاديمية، ومتابعة الدراسة جزئيا او كليا في مؤسسات التعليم العالي الأوروبية ففي العام الدراسي 2012/2011 مثلا تلقى ما يقارب من 6000 طالب وباحث من 150 دولة منحا دراسية بقيمة 210 مليون يورو، ووفرت المفوضية الأوروبية 10 مليون يورو إضافية لتمويل 559 منحة دراسية إضافية لدول جنوب البحر الأبيض المتوسط

5.4 برنامج إرنتيد ميد EranetMEd: أطلق هذا البرنامج في أواخر عام 2014 لتقديم مقترحات المشاريع بميزانية مقدرة بـ 13.720.000 يورو ممولة تشاركيا بين البلدان الأورو متوسطية(الجزائر، قبرص، مصر، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، المغرب، إسبانيا، الأردن، مالطا، تونس، تركيا، البرتغال) للمشاركة في تقديم مقترحات بحثية حول مواضيع تتعلق بالطاقة المتجددة وكافة الطاقة عامة، إدارة الموارد المائية، وتتشكل القيمة المضافة لهذا البرنامج بالشراكة مؤسسات التعليم العالي و البحث العلمي في رسم سياسات ولاستراتيجيات التنموية والعلمية للدول العربية(جواد الخزار، 2018، ص412).

6.4 برنامج بريماPRIMA: ويتمحور هذا البرنامج حول مشاريع البحوث الهادفة لإيجاد حلول مبتكرة لمشكلات الأمن الغذائي والموارد المائية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، واطلق عليه إسم" الشراكة في مجال البحوث والابتكار في منطقة حوض البحر المتوسط(بريما)، ويشارك في هذا البرنامج الدول غير الأعضاء من الاتحاد الأوروبي: وهي الجزائر، مصر، الأردن، لبنان، المغرب، تونس، تركيا وقد التزم الاتحاد الأوروبي بتقديم 220 مليون أورو فيما ساهمت باقي

الدول بـ250 مليون يورو إضافية على مدى عشر سنوات تبدأ من مطلع 2018 إلى غاية 2028 و يهدف البرنامج إلى الإسهام في تعزيز التعاون في مواجهة وتحديات عمليات الإنتاج، والأمن الغذائي المستدام.

وعليه وبناءا على جملة البرامج الخاصة بمجال التعاون العربي الأوروبي والتي يمكن استبيان أهدافه، فالتعاون الثنائي يهدف عادة إلى تطوير علاقات الثنائية، والتعاون الإقليمي يسعى إلى تحصين الروابط وتطوير القدرات الإقليمية، والتكامل، والتجانس على مستوى الدول المشاركة، تسهيلاً للحراك الأكاديمي والعلمي، أما على الصعيد الدولي فغالباً ما يكون الإنماء المتوازن هو الهدف دعماً للتناغم والاستقرار والحراك، وتضاف إلى تلك الأهداف أهداف خاصة ومن أهمها: نشر منظومة تعليمٍ عالٍ محددة خاصةً، عندما يكون التعاون الدولي مرعياً من دولة أو اتحاد، ويكون الهدف الأساسي للتعاون تقوية التكامل والتكافؤ على مستوى حضاري معين، يعتبر التعاون العربي الأوروبي الذي هو إقليمي وحضاري في آن واحد، حديث العهد، مما يجعل أهدافه غير محددة بشكل كامل، إن تحديد هذه الأهداف أساسي لجعل التعاون مثمرا ومنتجا وللتمكن من مأسسته.

5. نقاط القوة والضعف لمجال التعاون العربي الأوروبي

1.5 نقاط القوة

-تشجيع المراكز البحثية في البلدان العربية على إبرام صلات علمية مع المراكز الأوروبية النظيرة.

-ربط مؤسسات التعليم العالي العربية بالمكتبات العلمية الأوروبية.

-تدريب وتأهيل أعضاء هيئة التدريس في المجالات العلمية المختلفة بالمؤسسات العلمية المرموقة بالدول الأوروبية.

-دعم المشاركة العربية في المحافل التي تنظم بالدول الأوروبية.

-متابعة التعاون العلمي العربي الأوروبي وإخضاعه إلى التقييم المستمر حتى يعطي الثمار المرجوة منه.

2.5 نقاط الضعف

-هناك قناعات راسخة، خاصة لدى الخبراء والاختصاصيين، أن العالم العربي بوضعه الراهن لن يتمكن من الخوض في التنافسية الشرسة التي تفرضها حركة العولمة، وفي جميع المجالات، ومن ثم فإنه مهدد، في جميع مقوماته، وستزداد قدراته هشاشة في مواجهة التحديات السلبية لهذا التيار ومن ثم ذوبان واندثار مجمل مقوماته.

-يتطلب البقاء في عالم اليوم وتحقيق الضروري والكافي للنهضة وسط تحديات العولمة، والتكتل في إقليم تنموي وكيانات اقتصادية أكبر من ناحية أخرى، ويتطلب من ناحية أخرى التمسك بملامح ما لدينا من موروث حضاري ودافعيه وتمايز، وتطوير كل ما لدينا من خصائص التمايز وترجمة ذلك قدر الإمكان إلى إبداع ومعارف وموارد بشرية جديدة، ووطننا العربي جدير بالتطلع لمثل هذه الغايات، وجدير بالتصدي لما يحيط بتحقيقها من تحديات.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: و التي يمكن تلخيصها كما يلي:

-يتعين على الدول العربية الاستفادة من أنماط التعاون الدولي الأوروبي وبشكل أكبر من خلال برامج التعاون.

-أن تكون النتائج على مستوى الأهداف المحددة على المدى المتوسط والبعيد على الأقل.

-نجاح برامج التعاون العربي الأوروبي يتوقف بشكل كبير على مدى تنافس نقل التكنولوجيا واستيعابها والاستفادة منها محليا.

-الأخذ بعين الاعتبار الأولويات الوطنية و المحلية والإقليمية في المشاريع المشتركة، وأن تخضع أنماط التعاون لرؤية محددة بين الدول العربية.

-دعم التطور وتشجيع الفرص في الوطن العربي.

-إيجاد الآليات التي تضمن جودة البحث العلمي والاستفادة من الدعم.

خاتمة:

يتطلب التعاون العربي في مجال البحث العلمي و التكنولوجي والتعاون مع الدول العالم إرادة سياسية و تجسيدا للإستراتيجية العربية في البحث العلمي بشكل ملموس من خلال برامج عمل ترصد لها موارد مالية وآليات للمتابعة والتقييم والالتزام بالمؤشرات العلمية للجودة والمصداقية والنزاهة العلمية، ويبقى التعاون الثنائي ذو الأهداف المحددة عادةً، الذي يمتّن أو يبني شراكات ثابتة ومستدامة، يبدو من خلال الدراسة أن مشاركة الدول العربية في برامج التعاون متزايدة وأكثر فعالية، وإن ازدياد هذا التعاون في مجال التعليم العالي على كل الأصعدة،يجب تحديد أولويات العالم العربي في هذا المجال، وإن تحديد هذه الأولويات لا يساعد فقط على تحسين الإفادة من التعاون، بل يعطي شريكاً أفضل في مجالات التعاون، وفي صياغة أهداف التعاون مع المنظمات الدولية، ومع تشجيع المحافظة وتطوير وتثمير التعاون، لا بد من بناء تعاون عربي جاد وفاعل، كما لا بد من مأسسة هذا التعاون.

قائمة المراجع:

1.الخطيب احمد(2003)، البحث العلمي والتعليم العالي، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان

2.البرعي وفاء محمد(2002)، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر

3.الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد(2009)، دليل تقويم واعتماد الجامعات، جمهورية مصر العربية.

4.المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات (2008)، التقرير السنوي لمناخ الاستثمار

5.الصوفي عارف وآخرون (2009)، التعاون بين مؤسسات التعليم العالي والمنظمات العربية و الإقليمية والدولية، ورقة مقدمة للمؤتمر الثاني عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي و البحث العلمي في الوطن العربي، "المؤامة بين مخرجات التعليم العالي وحاجات المجتمع في الوطن العربي، بيروت6-10 ديسمبر

6.الخزار جواد(2018)، "بناء الشراكات والكتل الحرجة قراءة في التعاون العلمي العربي الأوروبي، ورقة مقدمة ضمن التقرير العاشر للتنمية الثقافية، "الابتكار أو الاندثار، البحث العلمي العربي واقعه وتحدياته و آفاقه "، ط1، مؤسسة الفكر العربي ، بيروت، لبنان

7.العلالي صادق(2010)، العلاقات الثقافية الدولية دراسة سياسية قانونية، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

8.الضبياني عامر محمد والعنسي عبد الرحمن يحي وشداد راشد يوسف(2018)، "دور الجامعة في خدمة المجتمع من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس"، مجلة العلوم الإنسانية، ع(50)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر

9.بخضرة مونيس(2012)، نظام ل.م.د وإمكانية المعرفية –ميدان العلوم الإجتماعية نموذجا، مداخلة مقدمة في الملتقى الوطني حول آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعات الجزائرية، أيام23-24-25-26 أفريل

10.بوكرع لامية، بوقصاص عبد الحميد(2018)، "واقع التعليم العالي في الوطن العربي- المشكلات وآفاق التطوير، مجلة العلوم الإجتماعية، م(07)، ع(29)، جامعة الأغواط، الجزائر

11.بوبطانة عبد الله(2009)، التعاون والتكامل العربي في المجال الأكاديمي التحديات وآفاق المستقبل، ورقة مقدمة للمؤتمر الثاني عشر للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي و البحث العلمي في الوطن العربي، "المؤامة بين مخرجات التعليم العالي وحاجات المجتمع في الوطن العربي، بيروت6-10 ديسمبر

12.تيراب طارق عبد الله، عبد العظيم سليمان المهل(2015)، "تقييم الإنفاق على التعليمالعالي في الوطن العربي في الفترة (2013-2000) دراسة مقارنة، مجلة العلوم الاقتصادية، م(2)، ع(16)، كلية الدراسات التجارية، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا

13.حروش لمياء(2019)، التعاون العلمي الأورو متوسطي الأهمية والمشروعات، المعهد المصري للدراسات، مصر

14.دليو فضيل وآخرون(2001)، إشكالية المشاكل الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر

15.سلامة رمزي(2018)،"واقع التعليم العالي في الدول العربية، ورقة مقدمة ضمن التقرير العاشر للتنمية الثقافية، "الابتكار أو الاندثار، البحث العلمي العربي واقعه وتحدياته وآفاقه "، ط1، مؤسسة الفكر العربي ، بيروت، لبنان

16.منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم الثقافية(2009)، التقرير الإقليمي حول التعليم العالي : نحو فضاء عربي لتعليم عالي التحديات العالمية و المسؤوليات الاجتماعية، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت، لبنان

17.مدياني محمد، طلحاوي فاطمة الزهراء(2018)، واقع قطاع التعليم العالي و البحث العلمي في الدول العربية، مجلة جامعة الاستقلال للأبحاث، م(3)، ع(01)، فلسطين

18.معوض صالح الدين إبراهيم(1987)،المناخ المؤسسي السائد في إدارة التعليم الجامعي: دراسة ميدانية لجامعة المنصورة. التعليم الجامعي في الوطن العربي، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس دار الفكر العربي، القاهرة، مصر

19.محمود سعيد طه، السيد محمد ناس(2003)، قضايا التعليم العالي الجامعي، مركز آيات للطباعة والكمبيوتر، مصر

20.نوفل محمد نبيل(1990)، تأملات فلسفة التعليم الجامعي العربي، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية، مجلة التربية، ع(51)

21.يوسف أيمن(2008)، تطور التعليم العالي الإصلاح والأفاق السياسية(دراسة ميدانية لمجموعة من الأساتذة بجامعة بن يوسف بن خدة الجزائر)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع السياسي، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر

22.MazouiAbdollah(1969), culture ensigment en Algérie et au magreb, ED Maspero.

دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية[1]

أ.محمد ناصر علي الرياشي، كلية التربية، قسم السياسات التربوية، جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية من خلال التعرف على النقاط الآتية: (مفهوم المنظمات غير الحكومية وأقسامها وعوامل ظهورها، أهمية المنظمات غير الحكومية، سمات المنظمات غير الحكومية، المقصود بالبعد التنموي وأنماطه وأهدافه، الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي، مؤشرات البعد التنموي، ومشكلاته في البلاد العربية، المقصود بالأمية وأسبابها، وأنواعها، مظاهر الأمية ووسائل القضاء عليها، دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق وتعزيز البعد التنموي، دور المنظمات غير الحكومية في مكافحة الأمية في البلدان العربية)، واعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي، وتوصلت إلى نتائج عديدة، منها: أن التنظيم الاقتصادي لأي دولة يتكون من ثلاثة مجالات رئيسية، وهي القطاع العام المتمثل في الحكومة وتوابعها، والقطا الخاص المتمثل في الشركات والأعمال، والقطاع الثالث وهو القطاع الأهلي المتمثل في المنظمات غير الحكومية وغير الربحية.أن البعد التنموي عبارة عن: "تلبية حاجات المجتمع في الوقت الحاضر بالاستخدام الأمثل للموارد المتاحة دون إهدار حق الأجيال القادمة من الانتفاع بهذه الموارد ويشمل ذلك الجوانب الرئيسية للتنمية وهي الاقتصادية والبيئية والثقافية والسياسية والاجتماعية"، وأوصت الدراسة بالعديد من التوصيات التي ستفيد في معالجة جوانب أخرى في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: دور، المنظمات غير الحكومية، تعزيز، البعد التنموي، الأمية.

The role of NGOs in promoting the development dimension and combating illiteracy in the Arab countries[2]

Mohammed Nasser Ali Al-Reyashi

---

[1]تم إعداد هذا البحث كجزء من متطلبات مقرر الأمية وأبعادها بمرحلة الدكتوراه بإشراف سعادة الأستاذ الدكتور خليل بن إبراهيم السعادات أستاذ تعليم الكبار والتعليم المستمر بقسم السياسات التربوية كلية التربية جامعة الملك سعود.

[2]This research was prepared as part of the requirements of the illiteracy course and its dimensions at the doctoral level under the supervision of Professor Dr. Khalil bin Ibrahim Al-Sadat, Professor of Adult and Continuing Education, Department of Educational Policy, College of Education, King Saud University.

College of Education - Educational Policy, **King Saud University**

Abstract: The current study aims to know the role of NGOs in promoting the development dimension and combating illiteracy in the Arab countries by identifying the following points: (The concept of NGOs, their divisions and their emergence factors, the importance of NGOs, the characteristics of NGOs, the meaning of the development dimension, its patterns and goals, trends The modern intellectual dimension of the development dimension, indicators of the development dimension, its problems in the Arab countries, the meaning of illiteracy and its causes, types, manifestations of illiteracy and the means of eliminating it, the role of NGOs in achieving and strengthening the development dimension, the role of NGOs in Combating illiteracy in the Arab countries), and the current study relied on the descriptive approach, and reached several results, including: that the economic organization of any country consists of three main areas, namely the public sector represented by the government and its subsidiaries, and the private sector represented in companies and businesses, and the third sector which is The private sector represented by non-governmental and non-profit organizations. The development dimension is: "Meeting the needs of society at the present time by making optimal use of available resources without wasting the right of future generations to benefit from these resources, including the main aspects of development, which are economic, environmental, cultural, political and social." The study recommended many recommendations that will be useful in addressing other aspects In this area.

Key words: Role, NGOs, Strengthen, the development dimension, illiteracy.

المحور الأول: (مقدمة البحث)

تشهد المنظمات غير الحكومية اهتماماً متزايداً خلال السنوات الأخيرة من قبل معظم واليونيسيف، وذلك نتيجة للتغيرات والتحديات المختلفة التي تشهدها المجتمعات على كافة المستويات، بالإضافة إلى أهمية الدور الذي تقوم به هذه المنظمات في تعزيز عمليات التنمية المجتمعية الشاملة والمستدامة(سليمان، 2010).

كما تحظى المنظمات غير الحكومية باهتمام متزايد من قبل الحكومات ووسائل الإعلام في البلدان المتقدمة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تتصدر الاهتمامات العامة والسياسية والاقتصادية، وهي تشكل الإطار المؤسسي والوعاء التنظيمي للقطاع الثالث أو العمل الخيري والتطوعي في الاقتصاديات المعاصرة(برزان، 2017).

فالتنظيم الاقتصادي لأي دولة يتكون من ثلاثة مجالات رئيسية، وهي القطاع العام المتمثل في الحكومة وتوابعها، والقطا الخاص المتمثل في الشركات والأعمال، والقطاع الثالث وهو القطاع الأهلي المتمثل في المنظمات غير الحكومية وغير الربحية، ففي العصر الحديث بدأت المؤسسات غير الحكومية تمارس نشاطاتها ومهامها في ظل عمليات التغيير المستمرة والناتجة عن عدم استقرار البيئة المحيطة بالمؤسسات، والتقدم السريع في التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال المتنوعة، وبموجب ذلك تحاول المؤسسات غير الحكومية امتلاك مجموعة من القدرات والموارد، من أجل دفع عجلة التنمية نحو التطور والنمو في أي مجتمع من المجتمعات (معمر، 2011)، وهذا ما يؤكده (حريم، 2016) بقوله: إن الدور الذي يمكن أن تقوم به المنظمات غير الحكومية NGO'S لسد الفجوة بين القطاع الخاص والحكومة لمقابلة متطلبات التنمية وبصفة خاصة على ضوء التغيرات العالمية، تتمثل في: التحرير الاقتصادي وتقليص دور الدولة، تحرير التجارة والتكتلات والتجمعات، والمشاكل التي تنشأ في كثير من الدول نتيجة هذه التحولات تحتاج إلى جهات فعالة، يعتمد عليها في مواجهة مثل هذه المشاكل، قد بدأت تتغير نظرة العالم للمنظمات غير الحكومية واعتبارها مصدر فعال يعتمد عليه في تطبيق مختلف السياسات ومواجهة الكثير من المشاكل، حيث أن هذه المنظمات تعتبر أكثر ديناميكية ومرونة من الجهات الحكومية في الوصول لكثير من الفئات الفقيرة التي لا تستطيع أن تصل إليها الحكومة.

ونتيجةً لما أكده (الخواجة، 2014) من أن قضايا التنمية قد حظيت باهتمام كبير لدى الكثير من العلماء والمفكرين، والمخططين، وأصبحت البرامج التنموية هي محور الدوائر العلمية والأكاديمية في جميع بلدان العالم بشكلٍ عام، والدول النامية أو الأقل نمواً بشكلٍ خاص قد أدى إلى تصاعد الاهتمام في المنظمات الدولية والمحافل العلمية بالتنمية البشرية في مختلف أبعادها التنموية، وباتت تهتم تلك المنظمات بالتأكيد على ضرورة وحتمية الارتقاء بالإنسان، ورفع مستوى معيشته، وتنمية قدراته، وتوسيع نطاق الخيارات المتاحة لديه.

وهذا ما أكدته أيضاً دراسة (قاسم، 2010)، ودراسة (إبراهيم، 2010) من أن العمل الاجتماعي والتنموي التطوعي الذي تقوم به المنظمات غير الحكومية من أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة الشعوب ورُقيها في مختلف المجالات التنموية اقتصادية وسياسية، واجتماعية وثقافية.

أما البعد التنموي فهو الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين؛ من أجدل تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في نواحيها المختلفة للوصول إل

تحقيق أعل مستوى ممكن من الرفاهية المجتمعية والتي ينبغي أن تتم دون هدم أو تشويه الشخصية الثقافية للشعوب (الهيتي، 2013).

ويذكر السكري (2015) أن تنمية المجتمع لها معاني ودلالات متنوعة وذات علاقة ببعضها البعض لكل من الجماعات والمنظمات والمهن المختلفة، في حين نجد أن (عبد اللطيف، 2007) يؤكد أن حركة تنمية المجتمع المحلي في الواقع من أكثر القوى الاجتماعية تأثيراً في عمليات التغيير المقصود عن طريق الأعمال التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية في شتى مجالات الحياة. ويذكر (الدليمي، 2015) في مقدمة كتابه أنه قد بدأ التحول إلى التنمية الشاملة، وتبني سياسات هادفة تتمثل في تقليل الفقر، والبطالة، وتحقيق العدالة في توزيع الدخل القومي، ومكافحة الأمية في الدول النامية، لتصبح هذه الأهداف هي المعايير الحقيقية للحكم على مدى نجاح وفشل السياسة الإنمائية في أي بلد، وهذا ما أكده الاقتصادي الباكستاني محبوب الحق من أن التنمية تعني توسيع الخيارات لكافة أفراد المجتمع في جميع المجالات.

ونتيجة لما تؤكده دراسة (سليمان، 2010) من ظهور الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه المنظمات غير الحكومية في مجال محو أمية الكبار Adult Literacy على مختلف المستويات؛ إيمانا بأن محو أمية الكبار يعد مدخلا أساسيا لتحسين مستوى معيشة المواطنين ونوعية حياتهم، وأنه لا يمكن لأي دولة تحقيق التقدم السريع هذه الأيام وفي العصر الحالي إذا كان كثير من مواطنيها ما يزالون محرومين من المهارات الأساسية للقراءة والكتابة.

من هنا جاءت فكرة البحث عن **دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية**، بشكلٍ يُسلط الضوء على نماذجٍ مُختارة من دول عربية كمنظمات ومؤسسات وجمعياتٍ واتحاداتٍ يمكننا من خلال أعمالها في المجتمعات أن نستشف دورها في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالبلاد العربية.

مشكلة الدراسة، وتساؤلاتها.

بالرغم من تزايد أعداد المنظمات غير الحكومية بمسمياتٍ مختلفة ومتعددة ومتنوعة في مختلف أنحاء البلاد العربية، وما تبذله من جهود في مجالات تعليم الكبار ومحو أميتهم إلا إنه ما زال متوقعاً منها أن تقوم بدور أكثر فعالية في تعزيز البعد التنموي بمختلف أنواعه سياسة واجتماعية وثقافية واقتصادية وبيئية، وأن تزداد اهتماماتها في مجال قضايا محو أمية الكبار في مختلف الأقطار العربية، وألا يقتصر دورها على مجرد المساهمة في تمويل برامج محو الأمية، وإنما يتعدى ذلك إلى المساهمة في رسم الخطط ووضع الاستراتيجيات التي من شأنها أن تخدم المجتمعات ضماناً لمزيد من فعاليتها في مختلف نواحي الحياة، ونتيجةً لما أشارت إليه العديد من الدراسات العربية في مجال البحث في المنظمات غير الحكومية في البلاد العربية من وجود العديد من المعوقات التي من شأنها أن تحد من عمل هذه المنظمات في مختلف نواحي الحياة وتعيق أداء دورها في التنمية بشكلٍ عام، عموماً ومحو أمية الكبار بشكلٍ خاص، ومنها: دراسة

(محمد؛ أحمد، 2007) التي أكدت القصور في تدريب العاملين بالمنظمات غير الحكومية في مجال العمل التطوعي والمشاركة المجتمعية، وضعف كفاءة بعض المسئولين بها، إضافةً إلى سيطرة الحكومة على نشاط المنظمات وعدم السماح لأفراد المجتمع بالتدخل لتطوير الأداء وزيادة الفاعلية، ودراسة (عبد الحميد وآخرون، 2004) التي أكدت أن انخفاض مستوى كفاءة العاملين في مجال محو الأمية من معلمين ومسئولين عن التخطيط والإدارة، وضآلة الجهود المبذولة من جانب الأجهزة التخطيطية والتنفيذية في مجال الدعوة لمحو الأمية، ودراسة (العرباوي، 2000) التي بينت أن غياب وجود فلسفة واضحة ومحددة لطبيعة مشكلة الأمية في حجمها الحقيقي من ناحية، وعدم ملائمة مناهج محو الأمية وتعليم الكبار وانفصالها عن خطط التنمية من ناحية أخرى، وهما أمران يجب مراعاتهما عند وضع أي خطط مستقبلية، كذلك نقص الدراسات التقويمية في هذا المجال على الرغم من أهميتها للارتقاء بالجهود وتطويرها.

ولأن ممارسة المنظمات غير الحكومية لدورها في دعم التعليم بالشكل الذي يحقق التنمية المستدامة عل مدى الأجيال المتعاقبة تعتبر أحد مرتكزات تجسيد التنمية المستدامة عل مستوى مختلف قطاعات الحياة ومنها قطاع التعليم جاءت فكرة البحث عن دور هذه المنظمات في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية في البلاد العربية فتبلورت مشكلة الدراسة الحالية في التساؤل الرئيسي الآتي: **ما دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية؟** ويتفرع منه التساؤلات الآتية:

- ما المنظمات غير الحكومية وما أقسامها وعوامل ظهورها.
- ما أهمية المنظمات غير الحكومية.
- ما سمات المنظمات غير الحكومية.
- ما المقصود بالبعد التنموي وما أنماطه وأهدافه.
- ما الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي.
- ما مؤشرات البعد التنموي، وما مشكلاته في البلاد العربية.
- ما المقصود من الأمية وما أسبابها، وأنواعها
- ما هي مظاهر الأمية وما وسائل القضاء عليها.
- ما دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق وتعزيز البعد التنموي.
- ما دور المنظمات غير الحكومية في مكافحة الأمية في البلدان العربية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة **دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية** من خلال التعرف على النقاط الآتية:

- مفهوم المنظمات غير الحكومية وأقسامها وعوامل ظهورها.
- أهمية المنظمات غير الحكومية.
- سمات المنظمات غير الحكومية.
- المقصود بالبعد التنموي وأنماطه وأهدافه.

- الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي.
- مؤشرات البعد التنموي، ومشكلاته في البلاد العربية.
- المقصود بالأمية وأسبابها، وأنواعها
- مظاهر الأمية ووسائل القضاء عليها.
- دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق وتعزيز البعد التنموي.
- دور المنظمات غير الحكومية في مكافحة الأمية في البلدان العربية.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله أولاً وهو معرفة دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية، وثانياً أنها منسجمة مع العناية الكبيرة التي توليها دول العالم المختلفة النامية والمتقدمة بالبعد التنموي وأثره في تطوير التعليم بشكلٍ عام، ودور المنظمات غير الحكومية الفعال في محاربة الأمية من ناحية ثانية، وتطوير القدرات البشرية في مختلف جوانب الحياة من ناحية ثالثة؛ لأن الإنسان يعد محور التنمية وكفاءتهُ تعد الوسيلة المناسبة للوصول إلى المستوى المنشود في مختلف جوانب التنمية.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة الحالية في حدها الموضوعي على معرفة دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية.

الحدود الزمانية: تقتصر الدراسة الحالية في حدها الزماني على الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (2018 – 2019 م).

مصطلحات الدراسة:

المنظمات غير الحكومية: يذكر (مرسي، 2010) أن هناك العديد من المسميات للعمل التطوعي والمنظمات التطوعية، وقد تختلف هذه المسميات حسب المجتمع الذي تعمل به فمثلاً تعرف هذه المنظمات غير الحكومية في الولايات المتحدة بالقطاع غير الهادف للربح وفي أوروبا بالمنظمات الاجتماعية وفي العالم الثالث بالمجموعات الأهلية أو المنظمات غير الحكومية بينما في أمريكا اللاتينية ينتشر مفهوم منظمات التنمية غير الحكومية. في حين يعرفها (عبد المقصود، 2017) بأنها عبارة عن: (المنظمات التي يقوم بإنشائها سكان مجتمع معين يهدفون من ذلك حل مشكلات مجتمعاتهم واشباع حاجاتهم)، أما (النعيمي، 2010) فيعرفها بأنها: (تنظيم اجتماعي مكون من عدد من الأفراد يهدف إلى تحقيق أهداف لا تتعارض مع قوانين وتقاليد المجتمع بغرض المساهمة في مواجهة احتياجات ومشكلات المجتمع).

ويعرف الباحث المنظمات غير الحكومية إجرائياً بأنها عبارة عن: "تلك المنظمات المستقلة إدارياً وقانونياً عن الحكومات ولا تهدف للربح وتقوم عل أساس تطوعي وذات أهداف ورسالة محددة لخدمة فئات محددة في المجتمع، وتسهم في تحقيق النهوض بالتنمية بمختلف أنماطها".

المنظمات التي تعد إحدى مكونات المجتمع المحلي، وتعمل تحت إشراف جهات متخصصة، ولا تسعى إلى الربح المادي، وتتسم باستقلاليتها عن الدولة، وتلعب دور الشريك في المشروعات التنموية التي من شأنها أن تُسهم في رُقي الشعوب وتقدمها في مختلف نواحي الحياة مهنية كانت، أو صحية أو اجتماعية أو ثقافية، أو اقتصادية، أو حتى سياسية.

البعد التنموي: يعرف (الحسن، 2009) البعد التنموي بأنه عبارة عن: (سلسلة من المتغيرات الكمية والنوعية بين جماعة معينة من السكان من شأنها أن تؤدي بمرور الزمن إلى تحسين مستوى المعيشة، وتغير أسلوب الحياة). في حين يعرفه (خميس، 1995) بأنه "سيرورة شاملة، اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، تهدف إلى تحقيق تقدم مستمر في حياة جميع السكان ورفاهيتهم، وهذه السيرورة تقوم على أساس مساهمة جميع الأفراد بشكل نشيط وحر في التنمية، وعلى أساس التوزيع العادل لعائداتها". ويعرفه (المرواني، 2005) بأنهُ عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس، وتركز تلك الخيارات الأساسية في أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل وأن يكتسبوا المعرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة في مختلف جوانب الحياة.

ويعرف الباحث البعد التنموي إجرائياً في هذه الدراسة بأنهُ عبارة عن: "تلبية حاجات المجتمع في الوقت الحاضر بالاستخدام الأمثل للموارد المتاحة دون إهدار حق الأجيال القادمة من الانتفاع بهذه الموارد ويشمل ذلك الجوانب الرئيسية للتنمية وهي الاقتصادية والبيئية والثقافية والسياسية والاجتماعية."

الأمية: الأمية نسبة للأم والأمي عند العرب الذي لا تمييز له فهو على جبلته، والأمية لغة نسبة إلى الأم أو الأمة، وهي مؤنث أمي ومصدر صناعي معناه الغفلة أو الجهالة (المعجم الوسيط، 2004، ص27).

يعرفها (مادي، 2006) بأنها عبارة عن: (عجز الفرد عن توظيف مهارات القراءة والكتابة مع نظام الحضارة المعاصر، ومع أسلوب إنتاجها، ومع نمط الارتقاء بها، ومع فلسفتها السياسية والاجتماعية). **ويعرفها الباحث إجرائياً في هذه الدراسة بأنها عبارة عن**: (عبارة عن عدم قدرة الإنسان على القيام بالعديد من المهارات الخاصة بالقراءة والكتابة، والتي تمكّنه من ممارسة الكثير من المجالات الحياتيّة التي تعتمد على القراءة والكتابة، خاصّة في الوقت الحاضر، والذي رافقه حدوث تغير كبير في التطورات التكنولوجيا والعلميّة، والتي لا يستطيع أيّ شخص ليس لديه القدرة على الكتابة والقراءة من مجاراتها والتعامل معها).

منهج الدراسة: تعتمد الدراسة الحالية على المنهج الوصفي لاعتماده على وصف الحالة، ويذكر (العساف، 2013، ص191) أن "المنهج الوصفي يهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها". والمنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً (عليان؛ غنيم، 2013،

ص98). ولهذا السبب الذي ذكره الباحثين والمؤلفين فقد استندت على المنهج الوصفي لوصف دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي ومكافحة الأمية بالدول العربية، وجمع البيانات والمعلومات النظرية عنها.

المحور الثاني: (الإطار النظري والدراسات السابقة)، ويتضمن الموضوعات الآتية:

أولاً: المنظمات غير الحكومية (مفهومها، تطورها، عوامل ظهورها، أهميتها، سماتها).

إن التطور الحاصل في عمل المنظمات في الربع الأخير من القرن السابق وبداية القرن الحالي، بغض النظر عن طبيعة عمل ونشاط تلك المنظمات، يستدعي الرقي والتطور للعنصر البشري الذي سيبقي العنصر المهم في العملية الإنتاجية لمواكبة التطورات الحاصلة في التطور التكنولوجي المستخدم، والمنافسة العالية التي أصبحت سمة العصر في كافة المجالات، من هنا كان لازماً تناول هذه المنظمات من حيث مفهومها، وتطورها، وعوامل ظهورها، وسماتها، وأهميتها، وأقسامها على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم المنظمات غير الحكومية

هناك إشكالية في مفهوم المنظمات غي الحكومية حيث لا يوجد تعريف موحد ومحدد العناصر للتنظيمات غير الحكومية مما يسبب صعوبة في تحديد ماهيتها؛ نظراً للأسماء العديدة التي تطلق على هذا القطاع، والتي منها: القطاع الثالث والقطاع الخيري والقطاع المستقل والقطاع التطوعي والقطاع المعفى من الضرائب والقطاع الأهلي أو المنظمات الأهلية والقطاع الاجتماعي.

ومن أبرز التعريفات التي عُرفت بها المنظمات غير الحكومية، التعريفات الآتية:

عرفت منظمة الأمم المتحدة المنظمات غير الحكومية بأنها "مجموعة تطوعية لا تستهدف الربح، ينظمها مواطنون على أساس محلي، قطري، أو دولي. ويتمحور عملها حول مهام معينة، يقودها أشخاص من ذوي الاهتمامات المشتركة، وهي تؤدي طائفة متنوعة من الخدمات والوظائف الإنسانية، وتطلع الحكومات على شواغل المواطنين، وتساعد على ترشيد وتشجيع المشاركة السياسية على المستوى المجتمعي". أما فيما يتعلق بالتعريف القانوني للمنظمات غير الحكومية فيصفها بأنها "جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة محددة أو غير محددة تتألف من أشخاص طبيعيين أو اعتباريين أو منهما معاً لا يقل عددهم عن عشرة أفراد، وذلك لغرض لا يهدف إلى الربح المادي (النملة، 2008).

كما تعرف المنظمات غير الحكومية بأنها "منظمات خاصة تطوعية Private Voluntary Organizations (Pvo's) تم تأسيسها للمساهمة في تنمية المجتمع، وهذه المنظمات في الأغلب غير هادفة للربح، وعملها خيري بعيداً عن الاعتبارات السياسية، ولكونها ذات توجه تنموي فإن أعمالها تقوم على أهداف محددة تمثل احتياجات مؤسسية". أو هي "عبارة عن مجموعات أو

مؤسسات تعمل بشكل مستقل عن الحكومة، سواء أكان بشكل كامل أو شبه كامل، وتتسم أعمالها بالأساس بالإنسانية والتعاونية أكثر من تميزها بسيادة القيم التجارية" (البوفلاح، 2016).

في حين يعرف البنك الدولي المنظمات غير الحكومية بأنها تتضمن العديد من الجماعات والمؤسسات المستقلة عن الحكومة ولها أهداف إنسانية أو تعاونية أكثر من كونها أهدافًا تجارية أي أنها وكالات خاصة تقوم بدعم التنمية الدولية، وتأخذ شكل جماعات دينية منظمة إقليميًا أو قوميًا أو جماعات تنشأ في القرى (عبد اللطيف، 2007).

أما **تقرير التنمية الإنسانية لعام 2003 الصادر عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية بدمشق** فيعرف المنظمات غير الحكومية بأنها عبارة عن: "منظمات أهلية تطوعية العضوية والنشاط تعبر عن رغبة الأفراد على الأخذ بالمبادرة والمبادئ في القيام بأنشطة اجتماعية متنوعة لخدمة أغراض ائتمانية وإنسانية محلية ودولية بالاعتماد على الجهود والتمويل في المقام الأول عن طريق حث الأفراد والمنظمات المختلفة وكذلك الحكومات على تخصيص تمويل أكبر لأداء أنشطتها المختلفة" (تقرير التنمية الإنسانية، 2004).

وتذكر (الكفارنة، 2012) بأن المنظمات غير الحكومية هي عبارة عن: المنظمات التي يؤسسها ويديرها أفراد وجماعات (من خارج القطاع الحكومي) ،وتسعى هذه المنظمات إلى خدمة المجتمع والمساهمة في تطويره مجاناً ودون الحصول على أي مقابل، مثل جمعيات تمكين النساء ومنظمات حقوق الإنسان.

وهكذا يتضح أن المنظمات غير الحكومية هي منظمات مستقلة عن الحكومة، لا تهدف إلى الربح، وتقوم على فكرة التطوع، وتقوم بمجموعة من الخدمات والوظائف الإنسانية التي تسهم في تنمية المجتمع بمختلف مجالاته.

ثانياً: تطور المنظمات غير الحكومية

يرتبط ظهور مصطلح المجتمع المدني – الذي يمثل الإطار الأكبر للمنظمات غير الحكومية – بظهور نظريات العقد الاجتماعي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في المجتمعات الغربية للدلالة على مجتمع المواطنين الأحرار الذي اختاروا بإرادتهم الطوعية حكومتهم، وظل هذا المصطلح متداولاً في أوساط المفكرين الاجتماعيين وبخاصة هيغل وماركس إلى أواخر القرن التاسع عشر، ثم انحسر عن الحياة الفكرية والسياسية وانطوى في زوايا النسيان طول القرن العشرين، وعاد إلى اللمعان والظهور وبقوة في العقد الأخير من القرن العشرين، حيث شاع استعماله في أدبيات العلوم الاجتماعية، وراج في الأوساط الأكاديمية والعلمية سواء على المستوى العالمي أو العربي. (خاطر؛ محمد، 2010).

ووفقاً لما ذكره (المهدي؛ صلاح الدين، 2010) يمكن تحديد عدة مراحل لتطور أدوار المنظمات غير الحكومية في الشئون الدولية، حيث يبدأ هذا التاريخ مع ظهور المنظمات التي ركزت على

إلغاء تجار الرقيق، وعلى حركات السلام في القرن الثامن عشر. وبحلول عام 1900 كان هناك (425) جماعة من جماعات السلام النشطة في أنحاء مختلفة من العالم. كما أظهرت قضايا حقوق العامل، والتجارة الحرة أشكالاً جديدة من جماعات المصالح التي كان روادها هم ما يعرفون اليوم بالمنظمات غير الحكومية. وفي أوائل القرن العشرين كان إنشاء المنظمات غير الحكومية لجمعيات تعزز هويتها على الصعيدين الوطني والدولي، بحيث أنه في المؤتمر العالمي للجمعيات الدولية في عام 1910 كان هناك (132) جمعية من الجمعيات الدولية والتي كان مهتمة بقضايا متنوعة مثل النقل، وحقوق الملكية الفكرية، ومكافحة المخدرات، وقضايا الصحة العامة، والزراعة، وحماية الطبيعة. وخلال فترة عصبة الأمم في عقدي العشرينيات والثلاثينيات ظهر مستوى متزايد من مشاركة المنظمات غير الحكومية. وعندما تم إنشاء منظمة العمل الدولية في عام 1919 كجزء من عصبة الأمم، أرسلت كل دولة من الدول الأعضاء أربعة من الممثلين: اثنان من الحكومة، وواحد من أصحاب العمل، وواحد من المنظمات العالمية، مما أدى إلى ظهور المنتدى ذي القطاعات الثلاث-الحكومي، والخاص، والمجتمع-كل منها بدأ في التأثير على الاتفاقيات الدولية بشأن حقوق العمال والمعايير. وفي عقد السبعينيات ظهرت زيادة في تواجد وتكثيف قوة المنظمات غير الحكومية وأنشطتها، وقد ظهر ذلك من خلال حضور مؤتمرات الأمم المتحدة مثل مؤتمر ستوكهولم للبيئة في عام 1972 والمؤتمر العالمي للسكان في بوخارست في عام 1974، حيث لعبت المنظمات غير الحكومية دورا رئيسيا في صياغة اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأطفال. ومنذ عام 1992 زاد تأثير المنظمات غير الحكومية، حيث شاركت كثير من المنظمات غير الحكومية في إعداد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية، والذي وافق على اقترح أنه ينبغي أن تستفيد منظمة الأمم المتحدة من خبرات ووجهات نظر المنظمات غير الحكومية في تصميم السياسات والبرامج وتنفيذها وتقويمها.

ثالثاً: عوامل ظهورها

يمكن تصنيف العوامل التي أدت إلى ظهور مفهوم المجتمع المدني وفكرة المنظمات غير الحكومية (الجمعيات الأهلية) كما ذكرها (محمد؛ يس، 2007) إلى مجموعتين من العوامل: الداخلية والخارجية على النحو التالي:

تتحدد العوامل الداخلية فيما يلي:

- تراجع دور الدولة الاقتصادي والاجتماعي في مقابل انتعاش عديد من المؤسسات والتنظيمات المدنية، فعلى سبيل المثال يشهد العالم العربي طفرة في نمو التنظيمات التطوعية الخاصة بهيئات تنمية المجتمعات المحلية.

- تزايد احتياجات الأفراد والجماعات والتي لم تعد الدولة قادرة على الوفاء بها وغير مستعدة لذلك كالإنسان والرعاية الصحية وتحسين نوعية التعليم.

- اتساع نطاق التعليم بين أفراد الشعب مما أدى إلى رفع مستويات الوعي والتوقعات والمهارات التنظيمية، وما يترتب على ذلك من الاهتمام ببناء المؤسسات العامة والخاصة.

- وجود عديد من منظمات رجال الأعمال الجديدة نتيجة السياسات الاقتصادية التي تتجه نحو الاندماج في السوق الرأسمالي العالمي.

أما عن العوامل الخارجية فتتلخص في سمات الوضع العالمي الجديد الذي يتيح لمنظمات المجتمع الخارجة عن سيطرة الدولة فرصا واسعة لاكتساب حلفاء خارجيين في مواجهة حكوماتهم، وفي تعبئة الرأي العام ضدها، بفضل ثورة الاتصالات التي فتحت الطريق أمام المعارضة السياسية ومنظمات حقوق الإنسان لتعبئة التأييد لها خارج الحدود، فضلا عن أن نقل شبكات الإعلام الدولية لحركات الاحتجاج الواسعة في بعض البلدان يقدم نماذج جديرة بالاقتداء من قبل حركات أخرى في بلدان مختلفة، وما يترتب على ذلك من تشجيع المنظمات غير الحكومية وبالتحديد رجال الأعمال والجمعيات التي تدعو إلى حرية السوق، ووقف تدخل الدولة في الاقتصاد.

رابعاً: سمات المنظمات غير الحكومية

تتميز المنظمات غير الحكومية عن غيرها من المؤسسات الحكومية أو الشركات أو المؤسسات الخاصة بمجموعة من المميزات والمعايير التي تجعل منها بناءً منفرداً في السمات والخصائص عن نظيراتها في القطاعين الحكومي والخاص.

ويذكر **مرزوق** بعضاً من الخصائص والمميزات التي تتميز بها المنظمات غير الحكومية عن غيرها من المنظمات وتتمثل فيما يلي:

1. لها هيكل رسمي يتسم بالدوام إلى حد كبير.

2. غير هادفة للربح أي لا تضع هدفاً لتحقيق الربح من بين أهدافها.

3. غير حكومية بمعنى إنه لا يجب أن تكون لها علاقة هيكلية مؤسسية بالحكومة.

4. تقوم عل أساس المشاركة التطوعية سواءً من حيث النشأة أو الأنشطة.

5. لا يكون لها تحالفات مع الأحزاب السياسية

6. أنها غير ارثيه بمعنى أن تكون العضوية

7. توجد المنظمات لتحقيق أهداف مشتركة، حيث تسعى المنظمة والعاملين فيها لتحقيق غاية أو رسالة .(مرزوق، 2006).

خامساً: أهمية المنظمات غير الحكومية في العصر الحاضر:

١ .المنظمات هي الشكل السائد في المجتمعات المعاصرة بمعنى أنها الشكل المؤسسي المهيمن على مقدراتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

٢ .المنظمات ضرورية لتحقيق الأعمال الصعبة والتي يتعذر القيام بها بالعمل الفردي.

٣ .تعتبر المنظمات الأكثر كفاية وفاعلية عندما تنظم وتدار وفقاً للأسس والمعايير الإدارية العلمية والعملية.

سادساً: أقسام المنظمات غير الحكومية

لقد ارتبط مفهوم المنظمات غير الحكومية بالمعايير التي استخدمت كالحجم والعضوية والوظيفة، والتي على أساسها تم تصنيفها إلى الأنماط التالية وفقاً لما ذكره (شيخو، 2015):

-**التوزيع الجغرافي :**منظمات محلية، منظمات وطنية، منظمات أجنبية ودولية.

-**المعيار الوظيفي ونوعية الأنشطة:** زراعي، خدمي، صناعي، أو حرفي.

-**المعيار الجندري:** رجال نساء.

-**معيار الحجم:** كبيرة صغيرة.

-**المعيار الطبقي:** مزارعين، عمال، طبقة وسطى.

-**المعيار الثقافي:** ديني، عرفي، قرابي، اثني.

ثانياً: البعد التنموي (مفهومه، أنماطه، أهدافه، الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي، مؤشرات البعد التنموي والتخطيط للتنمية المحلية، مشكلات البعد التنموي في البلدان العربية).

لقد تغير مفهوم التنمية عبر الزمن، فمن التنمية الاقتصادية إلى التنمية الاجتماعية ثم السياسية والثقافية والبيئية، ومنها إلى التنمية الشاملة Comprehensive Development، ثم إلى التنمية البشرية، ومنها إلى التنمية البشرية المستدامة ثم التنمية الإنسانية، وأخيراً التنمية المستدامة، والمتتبع بدقة لمسيرة التطور في الفكر التنموي، يجد أن هناك اهتمام بالغ الأهمية بالبعد التنموي على مختلف الأصعدة المحلية والعالمية لأنهُ يمثل نقلة نوعية لتحسين المجتمعات ورُقيها في مختلف النواحي، من هنا سوف أتناول هذا البعد من خلال الآتي:

أولاً: مفهوم البعد التنموي: يعرف (عبد اللطيف، 2007) التنمية بأنها حركة الغرض منها تحسين الأحوال المعيشية للمجتمع في جملته على أساس من المشاركة الإيجابية لهذا المجتمع،

وبناءً على مبادرة المجتمع إن أمكن ذلك، فإن لم تظهر المبادرة تلقائياً، تكون الاستعانة بالوسائل المنهجية لبثها واستثارتها بطريقة تضمن لنا استجابة حماسية فعالة لهذه الحركة.

أما (الأحدب، 2015) فيقول إن البعد التنموي عبارة عن عملية تنموية مستدامة تهدف إلى الاستثمار في قدرات البشر من خلال تحسين مستواهم التعليمي والصحي والغذائي بهدف تحسين قدراتهم ومهاراتهم لزيادة الإنتاجية وتحقيق النمو الاقتصادي، وتوزيع عوائده على أفراد المجتمع على نحو عادل يضمن رفع مستوى رفاهيتهم وتمكينهم من المشاركة في هذه العملية التنموية في إطار الموارد الاقتصادية المتاحة، وفي ظل السياسات المعتمدة في هذا الشأن.

في حين نجد أن (أبو النصر؛ محمد، 2017) يعرفان التنمية بأنها ارتقاء المجتمع والانتقال به من الوضع الثابت إلى وضع أعلى وأفضل، وهي عملية تطور إلى الأمام وتحسين شامل أو جزئي، وهي عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، وإدارية وليست محض إنجازات اقتصادية فحسب، بل إنها عملية ضرورية وهامة لكل مجتمع إنساني في مختلف نواحي الحياة لتحقيق أهداف الناس والمجتمع على حدٍ سواء.

أما (بدران، 2014) فيرى أن التنمية هي العمليات المقصودة التي تسعى إلى إحداث النمو بطريقة سريعة ضمن خطط مدروسة، وفي فترات زمنية معينة، وتخضع للإرادة البشرية، وتحتاج إلى دفعة قوية تفرزها قدرات إنسانية بإمكانها إخراج المجتمع من حالة السبات إلى حالة الحركة والتقدم، كما أنها تتطلب حكما تسير نحوه إلى الأفضل.

من خلال ما سبق يمكننا تعريف البعد التنموي بأنهُ عبارة عن: (عملية ديناميكية متكونة من أبعادٍ متنوعة اجتماعية وسياسية، وثقافية واجتماعية، وإدارية واقتصادية، وبيئية في أي مجتمع من المجتمعات تحدث بينهم عملية تكاملية لتحقيق متطلبات وحاجات المجتمعات من أجل رفع مستوى رفاهيتهم، وزيادة كفاءتهم وتطوير قدراتهم ومهاراتهم لمواكبة التغيرات التي تطرأ على مختلف نواحي حياتهم).

ثانياً: أنماط البعد التنموي: يتطلب نجاح التنمية وجود أعداد وفيرة من الكفاءات الإدارية والتنظيمية، وتوسيع الجهاز الحكومي، وإعادة تنظيمه وتدعيمه بهذه الكفاءات؛ لمقابلة احتياجات عملية التنمية، كما يتطلب إعادة التفكير في تحديث وإدخال أفكار جديدة داخل بعض التنظيمات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية التي تعمل على إشباع الحاجات الأساسية والثانوية، من هنا نجد أن كلاً من (بدران، 2014)، و(خاطر؛ محمد، 2010) يرون أن البعد التنموي يتضمن أنماطاً متعددة تنقسم إلى ما يلي:

أولاً: التنمية الاقتصادية: هي عملية تستخدم فيها الدولة الموارد المتاحة لتحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي، يؤدي بالضرورة إلى زيادة مطردة في دخلها القومي، لكن لن يحدث هذا إلا إذا تم التغلب على المعوقات الاقتصادية وتوفر رأس المال والخبرة الفنية والتكنولوجية.

ثانياً: التنمية الاجتماعية: هي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقات المتاحة إلى أقصى حد، لتحقيق قدر من الحرية والرفاهية للأفراد بأسرع من معدل للنمو الطبيعي.

ثالثاً: التنمية السياسية: هي دراسة التنظيم الرسمي للحكومة والإدارة المركزية والمحلية، ودراسة المشكلات التطبيقية في التنظيم والإجراءات؛ بغية تحقيق التكامل بين القضايا الوصفية والتقويمية.

رابعاً: التنمية الثقافية: هي التغيير الذي يحدث في الجوانب المادية وغير المادية للثقافة، بما فيها العلوم والفنون والفلسفة والتكنولوجيا والأذواق، بالإضافة إلى التغيير الذي يحدث على مستوى بنيان المجتمع ووظائفه.

خامساً: التنمية البيئية (المستدامة): هي التي تلبي احتياجات الحاضر دون أن يعرض للخطر قدرة الأجيال التي من شأنها أن تقودنا إلى ممارسة النوع الصحيح من النمو الاقتصادي القائم على التنوع الحيوي والتحكم في الأنشطة الضارة بالبيئة، وتجديد المواد القابلة للتجديد وحماية البيئة الطبيعية.

ثالثاً: أهداف البعد التنموي: يذكر كلاً من (الأقداحي، 2017)، و(بدران، 2014) أن البعد التنموي بمختلف أنماطه وأنواعه يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أولاً: تحسين حياة البشر؛ من خلال رفع إشباع الحاجات الأساسية للفرد وتحقيق ذاته الإنسانية، وتحسين فرص العدالة الاقتصادية والاجتماعية وفرص المشاركة في العمليات السياسية.

ثانياً: إحداث سلسلة من المتغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع؛ وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقة المتاحة لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية بأسرع من معدل النمو الطبيعي.

ثالثاً: الانتقال إلى مرحلة جديدة شاملة الإنتاج والإنسان ومقدراته وفرص حياته ومشاركته الإيجابية على مستوى مغاير لمرحلة سابقة.

رابعاً: تهيئة سيطرة الإنسان على بيئته وإمكانيته وطاقاته لبناء حاضره ومستقبله من واقع الشعور بمسؤولية الانتماء الاجتماعي والقدرة على المنافسة في عالم يحكمه منطق الصراع.

خامساً: تأمين زيادة مستمرة في متوسط دخل الفرد عبر فترة ممتدة من الزمن، وإلى إنشاء التنظيم السياسي الممثل لمصالح القوى صاحبة المصلحة الحقيقية في التنمية، وإيجاد أعداد وفيرة من الكفاءات الإدارية والتنظيمية، وإجراء تغييرات في القيم والعادات وخلق مؤسسات وتنظيمات جديدة.

سادساً: إزالة جميع المصادر الرئيسية لبقاء التخلف منها والفقر والطغيان وضعف الفرص الاقتصادية وكذا الحرمان والقهر الاجتماعي والسياسي.

في حين يرى كلاً من (عيسى؛ عامر، 2017)، و(المقداد، 2010)، و(الزعبي وآخرون، 2009) أن الأهداف العامة للتنمية تتمثل فيما يأتي:

1. رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لدى المواطنين وتحسين أحوالهم المعيشية.
2. إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع.
3. تحقيق التجانس بين طبقات المجتمع، وذلك بتذويب الفوارق الطبقية وتهيئة الفرص المتكافئة للجميع حسب قدراتهم العقلية والبدنية.
4. تأكيد المشاركة الشعبية في جهود التنمية من بدايتها حتى نهايتها، لأن دور الإنسان بوصفه مواطنا في مجتمعه يتحقق ويبرز أكثر فأكثر بإسهامه المباشر حسب طاقته في كل مرحلة من مراحل البناء التنموي المستهدف تحقيقه في بلده.

أما (الجيوسي، 2009) فيذكر أن البعد التنموي بات يشتمل على الأهداف الإنمائية للألفية المتمثلة في الثمانية الأهداف الآتية:

- القضاء على الفقر المدقع والجوع.
- تحقيق تعميم التعليم الابتدائي.
- تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة.
- تخفيض معدل وفيات الأطفال.
- تحسين الصحة النفسية.
- مكافحة فيروس نقص المناعة البشرية/ الإيدز والملاريا وغيرهما من الأمراض.
- كفالة الاستدامة البيئية.
- إقامة شراكة عالمية من أجل التنمية.

رابعاً: مؤشرات البعد التنموي: يذكر (الشبول، 2015)، و(عشماوي، 2014)، و(الليثي؛ عجيمة، 2014) أن من أبرز المؤشرات الأساسية للتنمية أو البعد التنموي بمختلف أبعاده تتمثل في المؤشرات الآتية:

1-التنمية عملية وليست حالة، وبالتالي فإنها مستمرة ومتصاعدة، تعبيراً عن تجدد احتياجات المجتمع وتزايدها.

2 -التنمية عملية مجتمعية، يجب أن تساهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة أو مورد واحد.

3 -التنمية عملية واعية، وهذا يعني أنها ليست عملية عشوائية، وإنما عملية محددة الغايات، ذات استراتيجية طويلة المدى، وأهداف مرحلية وخطط وبرامج.

4-التنمية عملية موجهة بموجب إرادة تنموية، تعي الغايات المجتمعية وتلتزم بتحقيقها، وتمتلك القدرة على تحقيق الاستخدام الكفء لموارد المجتمع، إنتاجاً وتوزيعاً، بموجب أسلوب حضاري يحافظ على طاقات المجتمع.

5-أهمية إحداث تحولات هيكلية، وهذا يمثل إحدى السمات التي تميّز عملية التنمية الشاملة عن عملية النمو الاقتصادي. وهذه التحولات في الإطار السياسي والاجتماعي، مثلما هي في القدرة والتقنية والبناء المادي للقاعدة الإنتاجية.

6 -إيجاد طاقة إنتاجية ذاتية، وهذا يتطلب من عملية التنمية أن تبني قاعدة إنتاجية صلبة وطاقة مجتمعية متجددة. وأن تكون مرتكزات هذا البناء محلية ذاتية، متنوعة، ومتشابكة، ومتكاملة، ونامية، وقادرة على مواجهة التغيّرات في ترتيب أهمية العناصر المكونة لها، على أن يتوفر لهذه القاعدة التنظيم الاجتماعي السليم، والقدرة المؤسسية الراسخة، والموارد البشرية المدربة والحافزة، والقدرة التقنية الذاتية، والتراكم الرأسمالي الكمي والنوعي الكافي.

7 -تحقيق تزايد منتظم، عبر فترات زمنية طويلة قادراً على الاستمرار.

8 -زيادة متوسط إنتاجية الفرد، وهذا يمكن التعبير عنه بالمؤشر الاقتصادي المعروف " بمتوسط الدخل السنوي للفرد " إذا ما أخذ بمعناه الصحيح، وإذا ما توفرت له أدوات القياس الصحيحة.

9 - تزايد قدرات المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتقنية بما يتوازن مع متوسط النمو النسبي المقارن في المجتمعات الأممية الأخرى.

10 - أن ترتبط التنمية بإطارها الاجتماعي والسياسي من خلال الحفز والتشجيع، ويتمثل ذلك في نظام الحوافز القائم على أساس الربط بين الجهد والمكافأة، إضافة إلى تأكيد انتماء الفرد لمجتمعه من خلال تطبيق مبدأ المشاركة بمعناها الواسع، وكذلك جانب العدالة في توزيع ثمرات التنمية وتأكيد ضمانات الوجود الحيوي للأفراد والجماعات، وللمجتمع نفسه. فهذه الجوانب، بالإضافة إلى كونها تمثل أهداف التنمية، هي في الوقت نفسه مصدر قوة وسائلها وفاعلية وكفاءة أدائها.

أما الزعبي وآخرون (2009) فيذكر المؤشرات الآتية:

مؤشرات الجوانب الاجتماعية للتنمية المستدامة، وتشمل:- الحد من الفقر. - التغيرات السكانية والاستدامة. - تحفيز التعليم والتدريب والتوعية العامة. - دعم وحماية الصحة الإنسانية. - دعم المستوطنات البشرية المستدامة.

مؤشرات الجوانب الاقتصادية للتنمية المستدامة، وتشمل: - التعاون الدولي لتسريع التنمية المستدامة، والسياسات المحلية المرتبطة بها.

- تغير أنماط الاستهلاك. - موارد التمويل وآلياته.

- نقل التكنولوجيا ذات البعد البيئي، ومجالات التعاون، وبناء القدرات.

مؤشرات الجوانب البيئية للتنمية المستدامة، وتشمل: - المياه –الأرض -موارد طبيعية أخرى- الهواء الجوي – المخلفات.

مؤشرات الجوانب المؤسسية للتنمية المستدامة، وتشمل: - تكامل البيئة والتنمية في عملية صنع القرار-العلم من أجل التنمية المستدامة.

- أدوات القانون الدولي وآلياتها. - المعلومات من أجل صنع القرار.

- تمثيل الجماعات الرئيسية المستفيدة في أجهزة التنمية المستدامة.

خامساً: الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي: يذكر (الخواجة، 2014) أن الاتجاهات الفكرية الحديثة للبعد التنموي تتمثل في ثلاثة اتجاهات، هي:

الاتجاه المحافظ: وهو الاتجاه الذي يرفض البعد التاريخي في دراسة المجتمعات ومن ثم لا يربط بين النمو الاقتصادي والتنظيم الاجتماعي ربطاً واضحاً، ويرتبط بهذا الاتجاه المنظور البراغماتي النفعي الذي يرفض التحليل الجدلي للواقع الاجتماعي التاريخي، وبالتالي يرى أن الواقع الاجتماعي الممكن هو الواقع القائم.

الاتجاه الوضعي: يرى أن التنمية يمكن أن تتحقق من خلال تعديلات وظيفية دون المساس بتكامل النسق الاجتماعي القائم واستمراريته وتوازنه.

الاتجاه الماركسي: ينطلق من تصورات الماركسيين الذين يركزون على تغيير الأساس الاقتصادي المادي للمجتمع، وما يتبع ذلك من تغيرات مصاحبة في البناء الفوقي للمجتمع والنظم الأساسية له، وبالتالي يكون طريق التنمية هو التغيير الشامل لبناء المجتمع ونظمه.

ويضيف (بدران، 2014) إلى الاتجاهات السابقة **الاتجاه الإسلامي** حيث يرى أن التنمية الإسلامية تنمية شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية حيث تهدف إلى إقامة مجتمع يتمتع بأعلى مستويات المعيشة الطيبة من خلال الزيادة في الإنتاج إلى أقصى حد ممكن، وتحقيق الكفاية لكل واحد سواء بجهوده الخاصة أو العامة وتحقيق الوفرة الاقتصادية إلى جانب الرفاهية الاجتماعية.

سادساً: مشكلات البعد التنموي في البلدان العربية: إن الدراسات التنموية في المنطقة العربية قد عانت ولكن بدرجة متفاوتة من جراء فصل المسألة السكانية عن المسألة التنموية، ففي منهجيات المخططين وراسمي السياسات اعتبرت هاتين المسالتين كميدانين منفصلين، لا تتفاعل عناصرهما إلا للمختصين المدققين لطبيعة العلاقة المتشابكة بينهما، وبالتالي كانت التناول المنفرد لكل ميدان على حده ومازال يرتكز على المواقف الفكرية و الأيدلوجية المتغايرة والتي تأثر بها المفكرون والباحثون والمخططون العرب، فالنظريات الاقتصادية الكلاسيكية تعكس أن مفهوم

التنمية لم يكن يتجاوز في مغزاه مفهوم النمو الاقتصادي، كذلك لم يكن دمج موضوع أبعاد المسالة السكانية في أطر التنمية إلا ترفاً فكرياً و منهجياً يتداول به في قاعات المحاضرات وأروقة المؤتمرات و المنتديات، ولكن بعض الجهات العربية بدأت حديثاً تبني في سياستها وبرامجها التنموية والسكانية منهجاً للتنمية يضم البعدين الاقتصادي والاجتماعي معاً.

من هنا نبهت جميع مؤتمرات قمة الأرض إلى محدودية وندرة الموارد الطبيعية والاقتصادية على مستوى العالم، وأن الاستمرار في استخدامها غير المرشد قد يعرضها للاستنزاف، وبالتالي إلى عدم القدرة على الوفاء باحتياجات الأجيال المقبلة، ومن هذا المنطلق أكدت تلك المؤتمرات ضرورة خلق علاقة أخلاقية تربط بين الإنسان والبيئة، يتحقق عنها صون للبيئة، إضافة إلى ذلك قد نبهت إلى ضرورة التعامل مع الموارد الطبيعية والاقتصادية بكفاءة عالية، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، من خلال ضمان الفرص المتكافئة في مجالات التعليم والصحة والتنمية، بما في ذلك اجتثاث الفقر(الحكيمي، 2002).

ورغم الجهود العالمية والمحاولات الجادة لتحقيق البعد التنموي بمختلف أبعاده في جميع دول ومجتمعات العالم بشكلٍ عام والدول العربية بشكلٍ خاص، إلا أنه لا تزال تلك المحاولات قاصرة إلى حد كبير، وذلك لعدد من المشكلات أو المعوقات أو الأسباب، التي لعل من بين أهمها وأبرزها ما ذكره كلاً من (الأحدب، 2014)، و(حامد، 2006) فيما يأتي:

1 -الزيادة المطردة في عدد سكان العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن ما يزيد على ستة مليارات شخص يسكنون هذه الأرض، أو ما يمثل نحو نسبة 140 في المائة خلال الـ 50 عاما الماضية، كما يتوقع أن يبلغ عدد سكان العالم بحلول عام 2050 تسعة مليارات نسمة، مما سيضاعف من تعقيدات التنمية المستدامة.

2 -انتشار الفقر المدقع في العالم، إذ تشير الإحصائيات إلى أن خمس سكان العالم مضطرون للعيش على أقل من دولار واحد في اليوم، هذا إضافة إلى أن نحو 1.1 مليار شخص لا تتوافر لديهم مياه الشرب المأمونة، وأن مياه الشرب الملوثة وعدم كفاية الإمدادات من الماء يتسببان في نحو 10 في المائة من جميع الأمراض في البلدان النامية.

3 -عدم الاستقرار في كثير من مناطق العالم والناتج عن غياب السلام والأمن.

4 -مشكلة الفقر في بعض دول العالم والتي تزداد حدة مع الأمية وارتفاع عدد السكان والبطالة وتراكم الديون وفوائدها والاستغلال غير الرشيد للموارد الطبيعية.

5 -استمرار الهجرة من الأرياف إلى المناطق الحضرية وانتشار ظاهرة المناطق العشوائية، وتفاقم الضغوط على الأنظمة الإيكولوجية وعلى المرافق والخدمات الحضرية، وتلوث الهواء وتراكم النفايات.

6 -تعرض مناطق من العالم بصفة عامة لظروف مناخية قاسية، وخاصة انخفاض معدلات الأمطار عن المعدل العام السنوي، وارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف ومعدلات البخر والنتح، مما أدى إلى تكرار ظاهرة الجفاف وزيادة التصحر.

7 -محدودية الموارد الطبيعية وسوء استغلالها بما فيها النقص الحاد في الموارد المائية وتلوثها وندرة الأراضي الصالحة للاستغلال في النشاطات الزراعية المختلفة، وتدهور نوعيتهما، ونقص الطاقة غير المتجددة في بعض أقطار العالم.

8 -عدم موائمة بعض التقنيات والتجارب المستوردة من الدول المتقدمة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في بعض دول العالم النامي، ونقص الكفاءات الوطنية القادرة على التعامل معها.

ويضيف (شعبان، 2015) المعوقات الآتية:

9-سيطرة الفكر التقليدي للتنمية لفترة طويلة ولازال يتمتع بالتأييد في صفوف المحللين والممارسين على حد سواء.

10- أن أزمة المديونية العربية هي تعبير عن الأزمة البنيوية التي تعيشها الاقتصاديات العربية وبالتالي فهي أزمة هيكلية متعددة الأبعاد والأسباب فهي تارة أزمة نمو وبطالة وتارة أخرى تتجلى بصورة عجز كبير ومستمر في ميزان المدفوعات، أو على شكل ميل إلى التمويل بالتضخم الذي يشجع على تهريب الأموال إلى الخارج ويضعف من جاذبية المناخ الاستثماري الداخلي، وارتفاع الأسعار وتآكل مدخرات الفئات المتوسطة ومحدودة الدخل.

11-تنامي ظاهرة الفساد في المجتمعات العربية بشكل كبير ونمو ظاهرة الاستهلاك الترفي، شجع كثيراً على نهب الاقتصاديات الوطنية بما في ذلك نهب القروض الخارجية وتهريبها إلى الخارج.

12-استنزاف الثروات العربية في الحروب والصراعات العربية العربية أو مع الخارج كذلك في الصراعات الداخلية.

ويشير (سلامي، 2015) أن هناك تحولات جذرية تحدث في بنية المجتمع العالمي الاقتصادي التنموي، تنعكس آثارها على البنية الاجتماعية العربية والإسلامية، وتتجسد هذه التحولات في شكل مجتمع عالمي للتنمية المستديمة التي تعد أداة قوية وتلعب دوراً جوهرياً وحتمياً في دفع عجلة التنمية الشاملة للدول العربية .وكان الهدف من هذا الطرح العلمي هو التشخيص الدقيق للوضع وللحالة التنموية وكذا المعرفية الراهنة للمجتمع العربي، وأين موقعنا وموضعنا من مجتمع التنمية العالمية، وقد تبين من خلال العديد من المؤشرات الكمية التي أشرنا إليها، أن هناك أسباب تأخر تنموي ومعيقات متعددة بين الدول العربية من شأنها أن تأخر عملية التنمية بمختلف أبعادها، وتؤدي بطبيعة الحال إلى انتشار الفقر والجهل، والمرض وغيرها من الأمراض والأوبئة

التي تعتري المجتمعات العربية نتيجة تأخر التنمية فيها بسبب الصراعات السياسية من ناحية، والنزاعات القبلية من ناحية ثانية، والفساد المالي والإداري في مختلف الأنظمة، وخلاصة القول: أن زيادة قدراتنا على التواصل والتفاعل وجني ثمار البعد التنموي يتطلب منا المشاركة الحقيقية في إنتاج المعرفة ونشرها، وعدم اقتصار دورنا على استهلاكها.

ثالثاً: الأمية (مفهومها، أسبابها، أنواعها، مظاهرها، وسائل القضاء عليها).

أولاً: مفهوم الأمية: الأمية نسبة للأم والأمي عند العرب الذي لا تمييز له فهو على جبلته، والأمية لغة نسبة إلى الأم أو الأمة، وهي مؤنث أمي ومصدر صناعي معناه الغفلة أو الجهالة (المعجم الوسيط، 2004، ص27).

يعرفها (مادي، 2006) بأنها عبارة عن: (عجز الفرد عن توظيف مهارات القراءة والكتابة مع نظام الحضارة المعاصر، ومع أسلوب إنتاجها، ومع نمط الارتقاء بها، ومع فلسفتها السياسية والاجتماعية).

في حين ترى (الرواف، 2002) أن الأمية ليست ظاهرة منعزلة وإنما هي مشكلة تندرج في مجموعة من الأعراض المزمنة، هي الفقر وعدم المساواة، والتخلف، وتضيف أن مفهوم الأمية قد شهد تحولات متعددة منذ منتصف القرن العشرين، فانتقل معناه من المستوى العالمي إلى المستوى المحلي، ومن الجهود الفردية إلى الجهود الحكومية والمنظمة، ومن كونه ظاهرة اجتماعية إلى اعتباره عقبة في سبيل التقدم الاقتصادي والاجتماعي، كما انتقل من مفهوم محو الأمية التقليدية الضيق إلى المفهوم الوظيفي الواسع.

أما (مرسي، 2001) فيرى أن الأمية تعد وصمة اجتماعية وعار قومي، وعقبة في سبيل التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

وتعرفها (طقاطقه، 2018) بأنها عبارة عن: (عبارة عن عدم قدرة الإنسان على القيام بالعديد من المهارات الخاصة بالقراءة والكتابة، والتي تمكّنه من ممارسة الكثير من المجالات الحياتيّة التي تعتمد على القراءة والكتابة، خاصّة في الوقت الحاضر، والذي رافقه حدوث تغير كبير في التطورات التكنولوجيا والعلميّة، والتي لا يستطيع أيّ شخص ليس لديه القدرة على الكتابة والقراءة من مجاراتها والتعامل معها).

ثانياً: أسباب تأخر محو الأمية في البلدان العربية: تذكر (الرواف، 2002) أن الاستبانة التي وزعها مكتب اليونسكو في عمان على جميع الأقطار العربية بشأن التعليم الأساسي ومحو الأمية في عام 1989م أن هنالك تسع عقبات هي:

1. نقص الموارد البشرية والمالية.
2. قصور في دعم الآباء للتعليم لا سيما فيما يتعلق بتعليم الفتيات والنساء.

3. الاعتقاد الشائع لدى فقراء الريف بأن مساهمة أطفالهم مباشرة في العمل أجدى للأسرة إجمالاً من التحاقهم بالمدارس.
4. نقص البُنى الأساسية اللازمة لوصول التعليم إلى الفئات الأقل حظاً اجتماعياً.
5. الكوارث الطبيعية أو الناجمة عن عمل إنساني.
6. ضآلة التشاور والتفاعل بين الحكومات والفئات المستهدفة بشأن قضايا التعليم.
7. الافتقار إلى سياسة محددة فيما يخص تطوير المؤسسات التعليمية.
8. الافتقار إلى سياسة واضحة فيما يخص استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية.
9. الضعف النسبي لأجهزة تخطيط التربية وإداراتها.

وتضيف أيضاً الأسباب الآتية:

1. ضعف الدافعية إلى تعليم القراءة والكتابة والحساب فيما بين السكان.
2. محدودية الدعم المقدم للهيئات المسؤولة عن محو الأمية وتعليم الكبار نظراً للتركيز على التعليم النظامي.
3. تقليدية أنشطة محو الأمية، والافتقار إلى التجديد.
4. ضعف المستوى النوعي لبرامج التعليم وموارده وأساليبه.

وتؤكد دراسة (آل ضرمان، 2016) أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى ظهور مشكلة الأمية في البلاد العربية تعود إلى أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية نذكر منها:

1. **أسباب اقتصادية، ومنها**:

- الزيادة السكانية الكبيرة في العالم ومنها البلاد العربية والإسلامية.
- نقص الموارد البشرية والمالية.
- تدني مستوى المعيشة وانخفاض مستوى الدخل في معظم الأسر العربية.
- عجز معظم الحكومات ومنها العربية عن تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية التربوية.

2-أسباب اجتماعية، ومنها:

- ضعف الدافعية إلى تعلم القراءة والكتابة والحساب فيما بين الأميين وشعورهم بعدم القدرة على التعلم في الكبر أو الخجل من ذلك.
- الاعتقاد السائد لدى فقراء الريف بأن مساهمة أطفالهم مباشرة في العمل أجدى للأسرة من التحاقهم بالمدارس
- التقاليد والعادات وما ينتج عنها من قصور في دعم الآباء للتعليم لاسيما فيما يتعلق بتعليم الفتيات والنساء.

3. **أسباب بيئية، ومنها:**

- الكوارث الطبيعية أو الناجمة عن عمل الإنسان كالحروب والتي تؤدي إلى تدمير واسع النطاق للممتلكات وتشتت السكان

4 -**أسباب سياسية وإدارية، ومنها:**

- نقص البنى الأساسية اللازمة لضمان وصول التعليم إلى الفئات الأقل حظا اجتماعياً.

- الافتقار إلى سياسة محددة فيما يخص تطوير المؤسسات التعليمية التقليدية القائمة في المجتمع.

- ضعف الكفاية الداخلية لأنظمة التعليم التي تؤدي إلى تسرب الأطفال من التعليم.

- عدم تطبيق التعليم الإلزامي بشكل كامل في معظم أقطار الوطن العربي.

-عدم جدوى الإجراءات التي تتخذ بشأن مكافحة الأمية وتعليم الكبار في البلاد العربية.

- عدم ربط التنمية الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية بالتنمية التربوية التعليمية.

ثالثاً: أنواع الأمية: تذكر دراسة (آل ضرمان، 2016) أن للأمية في الوقت الحاضر معان وتراكيب متعددة، ومنها ما يلي:

الأمية الأبجدية: وهي عدم القدرة على القراءة والكتابة والحساب نتيجة عدم إتاحة الفرص التعليمية لمن فاتهم سن الالتحاق بالمدرسة أو تسربوا منها.
الأمية الأيدلوجية: وهي تدل على جهل الشخص بفلسفة وطنه وعدم معرفة مبادئها وأهدافها ووسائلها.
الأمية الثقافية: وهي تدل على محدودية قراءة الفرد ومتابعته للأحداث وقلة اطلاعه في المجالات التاريخية والدينية والسياسية والاقتصادية والأدبية ونحو ذلك.
أمية المتعلمين: وتعني جمود المتعلمين على المستوى الثقافي الذي تركوا فيه الدراسة ولم يسعوا إلى متابعة التيارات الثقافية في مجتمعهم وفي العالم المتمدن.
الأمية الحضارية: وهي تدل على قلة إلمام الشخص بتراث أمته وعلومها وحضارتها.
رابعاً: وسائل القضاء على الأمية: تحتاج برامج محو الأمية إلى جهد مضاعف فنياً وإدارياً ومادياً، وبشرياً مؤهلاً تأهيلاً عالي لكي تتغلب على تلك المعوقات، ولعل من أهم الحلول لذلك ما ذكره (مرسي، 2001) فيما يأتي:

1. اتباع أسلوب التعليم الرسمي من خلال تعليم الأميين الكبار في فصول محو الأمية التي تنظم لهم.
2. أسلوب محو الأمية الوظيفي وهو محو الأمية الموجه إلى العمل والتدريب العملي.
3. أسلوب التوعية الفكرية والثقافية وهي نوع من محو الأمية له أسسه ومنطلقاته.

أما دراسة (آل ضرمان، 2016) فتشير إلى أن من أهم الوسائل التي نستطع من خلالها القضاء على الأمية ما يأتي:

1. ربط جميع جهود محو الأمية بجميع جهود التنمية الشاملة.
2. إعداد خطة إعلامية مكثفة تتظافر فيها جهود جميع المؤسسات والإدارات لتوعية المواطنين بأخطار الأمية وآثارها السلبية.
3. اتخاذ أسلوب المواجهة الشاملة لحملات محو الأمية في جميع مواقع العمل.
4. تشخيص وسائل ضمان استمرار دراسة المتسربين من الكبار حتى لا يرتدوا إلى الأمية مرة أخرى.
5. تعديل بعض المناهج والمقررات في مدارس تعليم الكبار وتطويرها بشكل مستمر.
6. متابعة مشكلات الرسوب والتسرب والغياب للوقوف غلى الأسباب ومحاولة علاجها.
7. إنشاء مراكز لتدريب العاملين والعاملات المتخصصين لتعليم الكبار.
8. القيام بالبحوث والدراسات لتطوير العمل في مجال محو الأمية والاستفادة من التجارب العالمية.
9. إيجاد حوافز كافية لتشجيع الأميين على مواصلة الدراسة.

رابعاً: دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق وتعزيز البعد التنموي: تكشف مراجعة الإعلان العالمي للحق في التنمية عن مكونات أساسية يتضمنها الإعلان يقع في قلبها المشاركة الشعبية والتوزيع العادل لمنافع التنمية، وهو ما يرتبط بشكلٍ مُباشرٍ بالمنظمات غير الحكومية، ومصدر هذا الارتباط أن المنظمات غير الحكومية أضحت آلية أساسية لتفعيل المشاركة الشعبية في التنمية، وهو ما ذهبت إليه مختلف الوثائق العالمية للأمم المتحدة، وأكد عليه الخطاب السياسي لحكومات العالم خاصة الدول النامية، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات التي تناولت دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق وتعزيز البعد التنموي في البلاد العربية (قنديل، 1999) وفيما يلي عرضاً لهذه الدراسات وما أكدت عليه في هذا المجال:

دراسة (نور الدين، 2009) بعنوان: **دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق التنمية المستديمة،** والتي أظهرت أن المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني المعنية بشؤون البيئة والتنمية المستدامة كثيراً من التصميم على مواجهة سياسات الاقتصاد العولمي الليبرالي، والبحث عن بدائل مستدامة، وقد طورت هذه المنظمات من خلال خبرائها ونشطائها ملامح رئيسية للسياسات الاقتصادية المستدامة، وأعلنتها ودافعت عنها وروجتها في العديد من المحافل الدولية، ولعل أبرز خصائص الطروحات التي تتبناها منظمات المجتمع المدني هو التأكيد على أن الهدف الرئيسي للسياسات الاقتصادية المستدامة هو الوصول إلى نمط إنتاج واستهلاك ومجتمعات ذات قابلية للاستدامة من خلال تحقيق متطلبات الإنسان وبنفس الوقت حماية الموارد الطبيعية والأمن الاجتماعي، ولا شك أن وجود اقتصاد قوي وصحي يعتبر عنصراً رئيسياً للاستدامة، ولكن هذا الاقتصاد يجب أن يحقق الحاجات الرئيسية للمواطنين بدون الإضرار بحقوق الأجيال القادمة بالإضافة إلى أهمية التوزيع العادل للموارد والثروات.

دراسة (منصوري، 2007) بعنوان: **دور المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الخيرية في التنمية البشرية المستدامة،** والتي بينت أن المنظمات غير الحكومية تسهم اسهاماً فعالاً في تقديم الخدمات في المجلات التنموية الحيوية كالصحة والتعليم بكفاءة وفعالية، بل إنها تساهم في رقي المجتمعات ونهضتها في مختلف المجالات التنموية سواءً اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية وثقافية.

أما دراسة (المعلولي؛ ياسين، 2011) بعنوان: **دور المنظمات غير الحكومية في التربية من أجل التنمية المستدامة،** فقد ركز البحث على مفهوم التربية من أجل التنمية المستدامة، ودور المنظمات غير الحكومية في تحقيقها، كونها عنصراً فاعلاً في دفع جهود عملية التنمية الشاملة، والتي بينت نتائجها أن المنظمات السورية غير الحكومية تسعي إلى تطبيق أبعاد التنمية المستدامة (البيئية، الاقتصادية، الاجتماعية) في كافة الأنشطة والبرامج، بالإضافة إلى ذلك يجب علي المنظمات السورية الحكومية وغير الحكومية أن تولي البعد البيئي التربوي اهتماماً أكبر ليصبح دورها التنموي فاعلاً وحقيقياً.

دراسة (المعوشرجي، 2016) بعنوان: **دور المنظمات غير الحكومية في تنمية الموارد البشرية في المجتمع الكويتي: المعوقات وآليات المواجهة،** والتي توصلت إلى أن المنظمات غير الحكومية تؤدي دوراً مؤثراً كقوى هامة وفاعلة لتطوير وتنمية المجتمع، وتسهم في كونها الشريك الشعبي في تبنيها للقضايا القومية الهامة، وتسهم في بناء منظومة تكامل الأداء، والتطوير للبنية البشرية، وتحقيقها لأبعاد التنمية المختلفة في المجتمع.

دراسة (الإرياني، 2013) بعنوان: (**دور منظمات المجتمع المدني في عملية التنمية: دراسة تطبيقية على المنظمات العاملة في مجال المرأة اليمنية**) والتي هدفت الدراسة إلى رصد وتحليل منظمات المجتمع المدني في اليمن ومتابعة تطورها، وتقييم دورها في التنمية وخاصة العاملة في مجال المرأة، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها أن أسباب تصاعد دور منظمات المجتمع المدني في اليمن يأتي في المقام الأول فشل الحكومة على مختلف الأصعدة في تقديم الخدمات العامة، وكذلك محدودية دور هذه المنظمات في النشاطات المتعلقة بالتنمية السياسية.

دراسة (عبده، 2014) بعنوان: (**دور الجمعيات الأهلية في الحد من الفقر**) والتي أكدت نتائجها على بروز الجمعيات وتناميها بشكل كثيف داخل المجتمع المصري بالإضافة إلى وجود الأنماط الرعائية والتي تعتمد بشكل مباشر على المساعدات المادية وتقديم الملابس والمأكل، كما أن التحولات التي ألمت بالمجتمع المصري وتراجع دور الحكومة عن مساعدة الفقراء ومحدودي الدخل دفع بالمنظمات غير الحكومية إلى مساعدة الفئات المهمشة داخل المجتمع المصري من خلال إتباع أساليب جديدة للتعامل مع ظاهرة الفقر في الريف والحضر، تعتمد على التمكين والدمج لهذه الفئات من خلال تنوع المشروعات والخدمات التي تقدمها المنظمات غير الحكومية كعملية الإقراض، والتدريب المهني، ومحو الأمية والتوظيف وغيرها من المشروعات والخدم.

يتضح لنا من خلال ما سبق أن المنظمات الغير حكومية تلعب دوراً بارزاً في تحقيق البعد التنموي بمختلف أنماطه، وتسهم اسهاماً فعالاً في رقي المجتمعات من خلال المشاريع التنموية والبرامج التي تقدمها للمجتمعات على اختلاف أنماط ثقافاتهم وعاداتهم، وهذه الدراسة تختلف عن

الدراسات السابقة في أنها تُركز على دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي بمختلف أبعاده، في حين اقتصرت الدراسات السابقة على بعد واحد من أبعاد التنمية، أو موضوع من موضوعاتها.

خامساً: دور المنظمات غير الحكومية في مكافحة الأمية في البلدان العربية: لا شك في أن وجود المنظمات غير الحكومية أصبح ضرورة في جميع المجتمعات المعاصرة؛ نتيجة ما تضطلع به من مهام ومسؤوليات، وما تمارسه من أنشطة وأدوار لا يمكن تجاهلها أو الاستغناء عنها، فهي تمثل منظمات تنموية في مجتمعاتها وتسعى إلى تحقيق آمالهم وطموحاتهم، وهي بذلك تسهم اسهاماً فعال في المجتمعات العربية في مجال تعليم الكبار ومحو الأمية من خلال ما تقدمه من برامج تعليمية وتنموية، وكذلك مساعدات متنوعة لكافة أطياف المجتمع التي تُعد من الفئات الأكثر احتياجاً لمثل هذه المساهمات، وهذا ما تؤكده العديد من الدراسات العلمية التي سلطت الضوء على دور المنظمات غير الحكومية في مُختلف جوانب الحياة المختلفة، ومنها محو أمية الكبار والتخطيط لبرامجها، ومن هذه الدراسات:

دراسة (المهدي؛ صلاح الدين، 2010) بعنوان: **(دور المنظمات غير الحكومية في تخطيط وتقويم برامج محو أمية الكبار في مصر وباكستان: دراسة مقارنة)** والتي ذكرا فيها بأن عدد الجمعيات الأهلية في مصر يبلغ حالياً ما يقرب من (15) ألف جمعية، وتعمل في سبعة عشر ميدانا من ميادين العمل والخدمة الاجتماعية وتتمثل في: المساعدات الاجتماعية بنسبة 31.44%، والخدمات الثقافية والعلمية والدينية بنسبة 29.21%، وتنمية المجتمعات المحلية بنسبة 23.54%، ورعاية الطفولة والأمومة بنسبة 5.94%، ورعاية الأسرة بنسبة 5.82%، وحماية البيئة والحفاظ عليها بنسبة 0.36%، وحماية المستهلك بنسبة 0.31%، وميدان التنمية الاقتصادية للأسرة وتنمية الدخل بنسبة 0.2%، ورعاية الفئات الخاصة والمعوقين بنسبة 1.45%، ورعاية الشيخوخة بنسبة 0.38%، وميدان الصداقة بين الشعوب بنسبة 0.28%، وميدان التنظيم والإدارة بنسبة 0.15%، وميدان النشاط الأدبي 0.171%، وميدان الدفاع الاجتماعي بنسبة 0.178%، وميدان أرباب المعاشات بنسبة 0.013%، وأن من أهم الأنشطة التي تقوم بها الجمعيات الأهلية تتمثل في عدة مجالات رئيسية هي محو الأمية، وإنشاء المدارس، ومواجهة التسرب من التعليم، وتدريب المعلمين، وتعليم الفتاة، كما يلاحظ أيضا اهتمامها بالمشاركة مع القطاعات المختلفة في تطوير العملية التعليمية.

دراسة (الفقيه، 2013) بعنوان: **(دور منظمات المجتمع المدني في مجال محو أمية المرأة وتنميتها: دراسة تطبيقية على عينة من منظمات المجتمع المدني النسوية في اليمن)** والتي بينت نتائجها أن دور البرامج التي تقدمها المنظمات غير الحكومية في الجمهورية اليمنية برامج تحفيظ القرآن والتوعية الدينية وبرامج محو الأمية وبعض المهارات الحياتية والحرفية بالإضافة إلى أعمال ومهام خيرية ورعائية أخرى، وأن منظمات المجتمع المدني تهدف من خلال برامجها إلى تحقيق الأهداف التالية: محو أمية المرأة وتوعيتها صحياً واجتماعياً وسياسياً. تدريب المرأة

وتأهيلها مهنياً وحرفياً. تمكين المرأة من المشاركة في التنمية. إقراض المرأة لبناء المشاريع الصغيرة المدرة للدخل.

دراسة (يونس، 2014) بعنوان: (**دور جمعيات ومؤسسات العمل التطوعي في محو الأمية دراسة ميدانية لعينة من جمعيات ولاية جيجل: جمعية الإرشاد والإصلاح، والجمعية الجزائرية لمحو الأمية، اقرأ نموذجاً**) والتي ذكرت أن العمل التطوعي يمثل ركيزة أساسية في كل المجتمعات، لارتباطه بالعنصر البشري والممارسات الإنسانية المعبرة عن معاني الرحمة والخير والتعاون، فهو السبيل الوحيد وقت الأزمات والمشكلات والكوارث لحل مختلف القضايا الإنسانية العالقة، فقد يكون مادياً أو معنوياً، فردياً أو جماعياً، ضمن مؤسسات تربط أفرادها قوانين وأهداف ومبادئ مشتركة دون التطلع إلى تحقيق ربح مادي للمتطوعين. وتوصلت في نتائجها إلى أن الجمعيات كجزء من المنظمات غير الحكومية تسهم وبشكلٍ فعال في الآتي: تقوم هذه الجمعيات بنشاطات كالخياطة، الطرز، الإعلام الآلي وتحفيظ القرآن الكريم لمختلف الدارسين في برامج محو الأمية. تسجيل انخفاض في نسبة الأمية في الولاية مقارنة بالسنوات الماضية. توفر الجمعية للدارسين الأدوات والكتب المدرسية اللازمة، بالإضافة لتقديم جوائز تشجيعية لهم للمواصلة.

دراسة (إبراهيم؛ حسن؛ شاهين، 2009)، بعنوان: (**الدور التربوي لجمعيات المجتمع المحلي في تنمية المرأة الريفية**) والتي اثبتت نتائجها قصور دور الجمعيات –عينة الدراسة- في مجال التعليم، حيث اقتصرت الخدمات والأنشطة التي تقدمها الجمعيات للمرأة الريفية في مجال التعليم على المساعدات المادية التي تقدمها الجمعيات لدفع مصروفات غير القادرين من التلاميذ، بالإضافة إلى ضعف حملات توعية أسر المتسربات من التعليم، كما أن دار الحضانة الموجودة بالجمعيات ينقصها العديد من الإمكانات اللازمة كالكراسي والطاولات وطبيب يشرف على الحالة الصحية للأطفال، أما فصول التقوية وفصول محو الأمية ودورات الكمبيوتر فلا تقدم الجمعيات هذه الخدمات، أما عن مكتب تحفيظ القرآن الكريم وتعليم التجويد فيوجد بجمعيتين فقط، أما عن الندوات الدينية فهي قليلة جداً قد تصل إلى ندوة واحدة في العام.

يتضح لنا من خلال ما سبق أن المنظمات الغير حكومية تلعب دوراً بارزاً في مكافحة الأمية بالبلدان العربية بمختلف أنماطها، وتسهم اسهاماً فعالاً في رقي المجتمعات من خلال البرامج التوعوية والتعليمية التي تقدمها للمجتمعات على اختلاف أنماط ثقافاتهم وعاداتهم، وهذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة في أنها تُركز على دور المنظمات غير الحكومية في تعزيز البعد التنموي بمختلف أبعاده لأن التركيز على جوانب التنمية بمختلف أنواعها، والعمل على تعزيزها من شأنه أن يحد من انتشار ظاهرة الأمية أو تفشيها بين أوساط المجتمعات، في حين اقتصرت الدراسات السابقة على بعد واحد من أبعاد التنمية، أو موضوع من موضوعاتها.

المحور الثالث: (نماذج تطبيقية مُختارة للمنظمات غير الحكومية في البلدان العربية)، منها:

أولاً: نماذج للمنظمات غير الحكومية في الجمهورية اليمنية: يذكر (الفقيه، 2012) أن عمل المنظمات في اليمن أرتكز على نصوص دستورية قوية وواضحة، إذ نصت المادة (58) من

الدستور على حق المواطنين في تنظيم أنفسهم سياسيا ومهنيا ونقابيا، وأن الدولة تضمن هذا الحق بما يخدم الشراكة بين الدولة والمجتمع المدني، ولتفعيل دورها وتوسيع نشاطاتها كفل القانون لهذه المنظمات الدعم المالي والعيني من قبل الحكومة والإعفاء من الضرائب والرسوم الجمركية على جميع ما تستورده، وعلى الهدايا والهبات والمعونات التي تتلقاها من الخارج، وتخفيض (50%) من قيمة استهلاك المياه والكهرباء بما يمكنها من تحقيق مستويات متقدمة من الإنجاز بما يحقق أهداف التنمية، وهنا سوف أعرض لبعض المنظمات غير الحكومية في الجمهورية اليمنية التي رأيت أن لها الدور الفعال في مجال تعزيز البعد التنموي، ومحو الأمية في مختلف المناطق اليمنية، ومن هذه النماذج:

النموذج الأول: اتحاد نساء اليمن: يعد اتحاد نساء اليمن من أقدم المنظمات الجماهيرية الطوعية المستقلة التي تهدف بشكلٍ عام إلى رفع مستوى المرأة اليمنية لتكون شريكاً فاعلاً وأساسياً في التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد تم تأسيس الاتحاد عام 1967م، وتم دمجه مع الاتحاد العام لنساء اليمن في عدن عام 1990م، وتتمثل رؤية الاتحاد في الريادة في تمكين المرأة في التنمية الشاملة والدفاع عن حقوقها، ويسعى الاتحاد إلى يسعى اتحاد نساء اليمن لتأهيل وتمكين المرأة ودعم قدراتها للمساهمة الفاعلة في التنمية المستدامة والقضاء على كافة أشكال لتميز ضدها وتعزيز مبدأ الشراكة والتعاون مع المنظمات المحلية والعربية والدولية. ويهدف الاتحاد إلى رفع مستوى وعي المرأة من خلال البرامج التي يقدمها في مجال محو الأمية والتوعية الصحية والأسرية والثقافية، ودعم القدرات المؤسسية للنساء وتدريبهن على المهارات الحديثة والعمل على تشجيع الفتيات على استخدام تكنولوجيا العصر لمواكبه المتغيرات المستمرة، كما يهدف الاتحاد إلى إعادة تأهيل وتدريب المرأة على بعض المهارات الحياتية والمهنية مثل التفصيل والخياطة والتطريز والتريكو وغيرها من الحرف اليدوية بدعم من عدد من المنظمات الدولية المانحة، ويشرف الاتحاد على (22) فرعاً منتشرة في مختلف محافظات الجمهورية اليمنية (موقع الاتحاد، تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018).

النموذج الثاني: الصندوق الاجتماعي للتنمية: أنشئ الصندوق الاجتماعي للتنمية بموجب القانون رقم 10 لعام 1997 للمساهمة في تحقيق وتنسيق برامجه مع أهداف خطة الدولة الاجتماعية والاقتصادية والحد من الفقر. وقد نفذ ثلاث مراحل من عملياته، وبدأ مرحلته الرابعة في بداية عام 2011. يقدم الصندوق فرصاً تنموية من خلال تحسين فرص الوصول على الخدمات الأساسية وزيادة الفرص الاقتصادية والحد من ضعف الفقراء، فضلا عن بناء القدرات على الصعيدين الوطني بما في ذلك سلطات الحكم المحلي والأطر المجتمعية. وللوصول إلى هذه الأهداف، يطبق الصندوق الاجتماعي أفضل الممارسات الدولية والمحلية والسياسات والنُهُج المجرَبة لمشاركة خبراته مع جميع الأطراف الأخرى في التنمية.

يولي الصندوق الاجتماعي التعليم اهتماماً كبيراً ويأخذ الإنفاق على التعليم الجزء الأكبر مما ينفقه عبر محفظة المشاريع، ويتمثل دور الصندوق في قطاع التعليم في دعم ومساندة جهود وزارة التربية والتعليم في تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لتطوير التعليم الأساسي، واستراتيجية التعليم

الثانوي، واستراتيجية محو الأمية وتعليم الكبار لتحقيق الأهداف الوطنية والأهداف العالمية المعلنة بخصوص التعليم للجميع، وفيما يلي عرضاً لإسهامات الصندوق الاجتماعي للتنمية بالجمهورية اليمنية في مجال التعليم (الصندوق الاجتماعي للتنمية، 2020):

توفير فرص متكافئة في التعليم: يهدف هذا البرنامج إلى المساهمة في توفير فرص تعليمية متكافئة للذكور والإناث والريف والحضر، وذلك من خلال إنشاء مبانٍ مدرسية جديدة لتوسيع دائرة استيعاب الأطفال في سن التعليم المدرسي، ترميم بعض المنشآت التربوية وإعادة تأهيلها وتحسين البيئة التعليمية لتصبح محفزة وداعمة لنمو التلاميذ ومشجعة للالتحاق والاستقرار المدرسي، إضافة فصول دراسية ومرافق خدمية لمؤسسات قائمة بغرض التخفيف من التزاحم أو استيعاب شعب خارج المبني المدرسي، وتأثيث وتجهيز المباني المدرسية بما يمكنها من أداء دورها واستقرار العملية التعليمية والتربوية.

تعليم الفتاة في الريف: يستهدف هذا البرنامج المناطق التي تزيد فيها فجوة الالتحاق بالتعليم بين الذكور والإناث عن 90%، من خلال تقديم أنشطة تعزز من دور المجتمع في المشاركة بدعم تعليم الفتاة ومناصرة حقها في التعليم، وتأخذ بعين الاعتبار احتياجات الفتاة الريفية من البنية التحتية وأساليب التعليم الملائمة والقضايا ذات الصلة بالحياة اليومية. وتشمل أنشطة البرنامج البنية التحتية، بناء القدرات، التوعية والتعبئة المجتمعية، تأسيس تكوينات مجتمعية.

الجودة التعليمية: يولي الصندوق الجودة التعليمية اهتماماً خاصاً من خلال دعم برامج التعليم قبل المدرسي ورياض الأطفال وبرامج رعاية وتعليم الموهوبين، وتجريب مقاربات جديدة على صعيد تطوير نوعية التعليم، وإدخال تقنيات جديدة في التعليم والتعلم، واختبار عدة مفاهيمَ وأساليبَ وتطبيقاتٍ جديدةٍ في ممارسات العملية التعليمية وبناء القدرات. وتتوزع مشاريع الجودة التعليمية على النحو التالي:

التعليم التمهيدي ورياض الأطفال: يهدف الصندوق إلى مساندة جهود الدولة في التوسع في نظام التعليم ما قبل المدرسي في مناطق مختلفة وذلك باعتباره الركيزة الأساسية للتعليم الأساسي والمكون الأول له، وتعتبر العناية بتربية الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة جزءاً لا ينفصل – من حيث أهميته – عن العناية بالتعليم الأساسي، واستثماراً حقيقياً تنعكس آثاره الإيجابية على جودة التعليم في الحلقة الأولى منه، وتعمل على خفض الهدر في الإنفاق على التعليم، والناتج عن حالات عدم التكيف والإخفاق والإعادة والتسرب.

تعليم الموهوبين: يهدف هذا البرنامج إلى تقديم برامج تربوية وأكاديمية متطورة تستجيب لاهتمامات الطلاب الموهوبين وميولهم، وتتحدى قدراتهم، وتمكنهم من بلوغ أقصى طاقاتهم في المجالات المعرفية والانفعالية.

مدارس تجويد التعليم: يهدف هذا البرنامج لإيجاد (نماذج) مدارس ذات جودة تعليمية تحقق تحول نوعي في العملية التعليمية وتحسين أداء وفاعلية العاملين فيها، وإحداث تغيير في مفاهيم

وأساليب وممارسات التعليم والتحول من الكم إلى الكيف ونقل بؤرة الارتكاز من التعليم إلى التعلم، ومن المعلم إلى المتعلم بغرض تحسين مخرجات التعليم.

محو الأمية وتعليم الكبار: يعمل الصندوق بترابُط وثيق مع جهاز محو الأمية وتعليم الكبار ومكاتبه في المحافظات لبناء قدرات الكوادر الإدارية والفنية ومعلمي ومعلمات محو الأمية وتعليم الكبار. وتشمل الأنشطة دورات تدريبية للمعلمين والميسرين (من كلا الجنسين) في مراكز وصفوف محو الأمية وتعليم الكبار على مهارات تعليم الكبار، وإعداد الوسائل التعليمية، والمهارات الحياتية، والحرف والأشغال اليدوية، وغيرها من المهارات.

الدعم المؤسسي: تنمية وتطوير البناء الإداري والمؤسسي للقطاعات المعنية بوزارة التربية والتعليم ومكاتب الوزارة في المحافظات والمديريات، من خلال دعم محورَي البنية الأساسية والدعم المؤسسي، وتعزيز لا مركزية الخدمات التعليمية.

النموذج الثالث: مؤسسة الأمل الثقافية الاجتماعية النسوية: وهي مؤسسة أهلية غير ربحية، تسعى لتمكين النساء ثقافياً واجتماعياً في مجالات متعددة كالتعليم والصحة والثقافة وتنمية القدرات والتدريب المهني بر سلسلة من البرامجِ والمشاريعِ المتخصصة وتسعى بصورة عامة للمساهمة في رفع المستوى الثقافي والاجتماعي وتحقيق شراكات تنموية داعمة للمجتمع والبيئة المحلية من خلال تقديم نموذجا نسويا رائداً في العمل بهذه المجالات، وتؤمن مؤسسة الأمل الثقافية الاجتماعية النسوية بأهمية الشراكة المجتمعية مع المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمعِ المدنيِ، والمنظمات والهيئات الدولية ومؤمنون بالتخصص والشراكة في تطوير وتأهيل النساء.

النموذج الرابع: الجمعية الاجتماعية لتنمية الأسرة: تأسست هذه الجمعية عام 1990م، وتعد هذه الجمعية من الجمعيات الطوعية التي تعمل على رفع مستوى المرأة اجتماعياً وثقافياً من خلال فتح فصول لمحو أمية المرأة الأبجدية ومعامل لتدريبها على بعض المهارات الحياتية والمهنية التي تمكنها من تحسين مستوى دخل الأسرة، وتهدف الجمعية أيضا إلى مساعدة الكثير من الأسر في تسهيل عملية التحاق الأطفال وخصوصا البنات بالمدارس النظامية من خلال توفير الزي المدرسي وبعض المتطلبات المدرسية (الفقيه، 2012).

النموذج الخامس: مؤسسة العون للتنمية بالجمهورية اليمنية: مؤسسة العون للتنمية منظَّمةٌ مانحةٌ غيرُ رِبْحِيَّة تأسست في مارس 2006م في الجمهورية اليمنية، بموجب ترخيص وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل رقم (164)، تسْعَى للريادة في المنح للتنمية المُستَدامَة في المجالاتِ الحيويَّة الهَامَّة، عبرَ سلسلةٍ مِنَ البرامجِ والمشاريعِ القائمة على دراساتٍ مُحكَّمةٍ لتلبيةِ احتياجاتِ المجتمعِ، مُؤمِنِيْنَ بأهميةِ الشَّراكةِ المُجْتَمَعِيَّةِ مَعَ المُؤسَّساتِ الحُكوميَّةِ، ومُنظَّماتِ المجتمَعِ المَدَنِيِّ، والمُنظَّماتِ والهيئاتِ الدَّوليَّة، وتتمثل رسالتها في الإسهام في تمكين المجتمعات المستهدفة من خلال منح مؤسسي نوعي مستدام الأثر في بيئة محفزة وفق أفضل المعايير الدولية، أما أهدافها فتتمثل في (تعزيز الصورة الذهنية الإيجابية، الإسهام الفعال في التنمية البشرية

للمجتمع، تعظيم اثر المنح، تمكين الجهات المستفيدة، تحديد احتياجات المجتمع، التميز في المنح، بناء شراكات فعالة، التميز في العمل المؤسسي.

ومن برامجها التنموية في مجال التعليم، البرامج الآتية:

برنامج تحسين البيئة المدرسية يرمي هذا البرنامج إلى إيجاد بيئات تعليمية مناسبة لتطوير العملية التعليمية، وتحقيق الأهداف المرجوة منها، وذلك عبر تحسين البيئة المدرسية بتوفير تجهيزات ووسائل تساعد على تحسين الأداء التربوي والتعليمي بمدارس التعليم العام بحضرموت، وتحسين مخرجاته، وتحقيق نقلة في التعليم.

دمج التقنية في التعليم أساس فكرة البرنامج هي دمج التكنولوجيا في التعليم، وغرس وتطوير مهارات متعددة لدى الطلاب مثل التفكير الإبداعي، والقدرة على حل المشكلات، واستخدام وسائل البحث، والعمل التشاركي، وتنمية مهارات الاتصال والتواصل، وتطبيق استراتيجيات التعليم المتمحور حول الطالب.

برنامج تطوير الكوادر التعليمية البرنامج عبارة عن مجموعة من المشاريع التي تهدف إلى الارتقاء بالكادر القيادي بقطاع التربية والتعليم، عن طريق تقديم مجموعة من الدورات التدريبية الهادفة إلى تزويد الكادر التعليمي بالمعارف والمهارات المعينة لها على تأدية وظيفته بشكلٍ أفضل يسهم في تحسين العملية التعليمية.(مؤسسة العون للتنمية، الموقع الإلكتروني، تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018).

ثانياً: نماذج للمنظمات غير الحكومية بجمهورية مصر العربية: بلغ عدد الجمعيات الأهلية في مصر يبلغ حالياً ما يقرب من (15) ألف جمعية، وتعمل في سبعة عشر ميدانا من ميادين العمل والخدمة الاجتماعية وتتمثل في: المساعدات الاجتماعية بنسبة 31.44%، والخدمات الثقافية والعلمية والدينية بنسبة 29.21%، وتنمية المجتمعات المحلية بنسبة 23.54%، ورعاية الطفولة والأمومة بنسبة 5.94%، ورعاية الأسرة بنسبة 5.82%، وحماية البيئة والحفاظ عليها بنسبة 0.36%، وحماية المستهلك بنسبة 0.31%، وميدان التنمية الاقتصادية للأسرة وتنمية الدخل بنسبة 0.2%، ورعاية الفئات الخاصة والمعوقين بنسبة 1.45%، ورعاية الشيخوخة بنسبة 0.38%، وميدان الصداقة بين الشعوب بنسبة 0.28%، وميدان التنظيم والإدارة بنسبة 0.15%، وميدان النشاط الأدبي 0.171%، وميدان الدفاع الاجتماعي بنسبة 0.178%، وميدان أرباب المعاشات بنسبة 0.013%، وأن من أهم الأنشطة التي تقوم بها الجمعيات الأهلية تتمثل في عدة مجالات رئيسية هي محو الأمية، وإنشاء المدارس، ومواجهة التسرب من التعليم، وتدريب المعلمين، وتعليم الفتاة، كما يلاحظ أيضا اهتمامها بالمشاركة مع القطاعات المختلفة في تطوير العملية التعليمية (المهدي؛ صلاح الدين، 2010).

ومن خلال عرضهما سوف أقوم بعرض بعض النماذج التطبيقية للمنظمات غير الحكومية بجمهورية مصر العربية والتي بدورها تلعب دوراً بارزاً في تحقيق التنمية، وتحسين العملية التعليمية، ومكافحة الأمية في مختلف محافظات الجمهورية المصرية، ومن هذه المنظمات:

النموذج الأول: جمعية حواء المستقبل: تتمثل رؤية جمعية حواء المستقبل في "أن جمعية حواء المستقبل هي المدخل لأسرة سعيدة وبيئة صحية ومجتمع أفضل"، بينما تتمثل رسالتها في "تنمية الأسرة والبيئة بهدف إحداث تغيير إيجابي في المجتمع مع خلال مشروعات اجتماعية وثقافية وبيئية تستهدف تحسين الحياة للمرأة والطفل من خلال العمل مع الأسر الأكثر احتياجاً على أساس البرامج والمشروعات ومحاولات التوظيف لهذه الفئات لا على أساس المساعدة والإغاثة (السمالوطي، 2008)، وتتحدد أنشطة الجمعية في ستة مكونات رئيسية هي: التعليم، والبيئة، والمرأة والطفل، والمشاركة المجتمعية، والتشبيك وبناء الشبكات، والدراسات والبحوث والتدريب (السمالوطي، 2008)، وفيما يتعلق بالنشاط التعليمي للجمعية، فإنه ينقسم إلى برامج للتعليم الإلزامي عن طريق مشروعات لرفع كفاءة وتطوير العملية التعليمية في المدارس الحكومية والتأكيد على الشخصية المتكاملة لطفل المرحلة الابتدائية ومحاولات رصد وعلاج ظاهرة التسرب من التعليم، وبرامج خاصة بالتعليم غير الإلزامي عن طريق مشروعات محو الأمية كمدخل للتنمية الشاملة بالتعاون مع الهيئة العاملة لمحو الأمية وتعليم الكبار بشمال الجيزة وقرى ونجوع محافظة قنا، يتضح مما سبق، اهتمام جمعية حواء المستقبل بالأنشطة التعليمية من بين أنشطتها، ويتجلى هذا الاهتمام في مجموعة من المشروعات التي تتبناها الجمعية في مجال التعليم النظامي وغير النظامي، وبالتعاون مع العديد من المنظمات القومية والدولية، ومن هذه المشروعات: مشروع محو الأمية كمدخل للتنمية الشاملة، والذي ينفذ بالتعاون مع هيئة محو الأمية وتعليم الكبار والصندوق الاجتماعي بالجيزة وقنا (2004-1996)، وتتمثل أهداف هذا المشروع فيما يلي (السمالوطي، 2008):

1. حصر الأميين وتصنيفهم.

2. حث شباب الخرجين من المتعلمين على الانضمام إلى مشروع محو الأمية.

ج- التنسيق مع الأجهزة المعنية بكافة مستوياتها لمواجهة مشكلات الدارسين وذلك لتحقيق أعلى كفاءة ممكنة لهذه الفصول.

د- حل المشاكل الاجتماعية الخاصة بالدارسين.

ه- استثارة مشاركة المجتمع في تحفيز الدارسين للتعليم ومنعهم من التسرب.

وفيما يتعلق بإدارة الجمعية، فإنه يقوم على إدارة الجمعية هيكل إداري يتكون من (88) عضواً بالجمعية العمومية (45 ذكور و43 إناث)، يشارك نسبة 90% منهم داخل لجان مجلس الإدارة التي تشمل لجنة التقويم والمتابعة، ولجنة الدعوة والإعلام، ولجنة التنمية الإدارية، ولجنة التدريب

والتعليم. وقد أشارت منسقة البرامج والمشروعات بالجمعية إلى أن القرارات تتخذ داخل الجمعية بشكل جماعي قاعدي وليس بطريقة الهرم الإداري المعهودة في باقي المؤسسات مما أعطى فريق العمل الحيوية والشعور بالمسئولية والحماس في الإنجاز وتحقيق النتائج (السمالوطي، 2008).

النموذج الثاني: جمعية كاريتاس – مصر: كاريتاس-مصر جمعية ذات نفع عام، ومسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم 1150 لسنة 1967، وتعمل في جمهورية مصر العربية، ومنتسبة لهيئة كاريتاس الدولية. ورسالتها هي "تنمية الإنسان وكل إنسان وكل إنسان، دون التميز بين اللون أو الجنس أو الدين"، ومن أجل تحقيق رسالتها تعمل في مجالات التكوين والتأهيل والتوعية ودعم حقوق الإنسان (دليل جمعية كاريتاس، 2018).

تأسست جمعية كاريتاس-مصر في جمهورية مصر العربية منذ عام 1967، وتعمل في مجالات التنمية، وهدفها مساندة الإنسان وتنميته، وتلتزم كاريتاس-مصر بأكثر من نشاط تنموي، وتعمل بالتحديد في ميادين التكوين الأساسي، التدريب والصحة والوقاية والتأهيل، ومكافحة المخدرات والإدمان والإيدز، ومحو الأمية، والصحة، ومكافحة مرض الجذام، وترقية المرأة، والحضانات، والتدريب المهني، ومساندة الأطفال المعرضين للخطر وذوي الاحتياجات الخاصة، والتنمية الزراعية، والإسكان، والقروض، والمشروعات الصغيرة (دليل جمعية كاريتاس، 2018).

أما عن برامج محو الأمية، فقد بدأ التفكير فيه عام 1972 بمبادرة من مجموعة من المنظمات الأهلية في مصر ضمت جمعية الصعيد للتربية والتنمية، وجمعية كاريتاس مصر، والهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية، وأسقفية الخدمات الاجتماعية، وتم تكوين ما سمي باللجنة المسكونية. وقد بدأت الفكرة كمحاولة لتخطي المشاكل الناجمة عن صعوبة تعميم البرامج الرسمية لتعليم الكبار، وعن ارتداد الكثير من الدارسين للأمية، وعن الأعداد المذهلة للأميين في مصر، وتعتمد فلسفتهم في تعليم الكبار على أن المطلوب من برامج مكافحة الأمية ليس خلق قوالب جامدة من التفكير، ولكن أن تدرب الأمي على أن يحرر نفسه، أي أن يعي حاضره ويفكر فيه ويجد الأسلوب المناسب لتحرير هذا الواقع. وتمتلك الجمعية ما يقرب من (900) فصل موزع على محافظات القاهرة، والإسكندرية، والبحيرة، والفيوم، والسويس، وبني سويف، والمنيا، وسوهاج، والأقصر، وأسوان. وتقوم الجمعية بتدريب (290) فصل من خلال دعم منظمة اليونيسيف، وذلك بالتوازي مع مدارس المجتمع (دليل جمعية كاريتاس، 2018).

النموذج الثالث: جمعية "علشانك يا بلدي" للتنمية المستدامة "AYB" بالمعادي وفروع أخرى:

الغرض: تهدف الجمعية لخلق نماذج تنموية اقليمية بهدف ضجر الفقر وتعزيز الكرامة الانسانية، من خلال تحسين قدرات الشباب وتوفير الفرص لهم، مما يساهم في ارتفاع المستوى المعيشي للمجتمعات الأقل حظاً.

الرؤية: خلق مجتمع مستقل اقتصاديا حيث يتم تمكين الشباب ودمجهم في مجال التنمية المستدامة.

نشأتها: أنشئت الجمعية عام 2002 بهدف تقليل نسبة الفقر في مصر عن طريق خدمة الفئة المهمشة من المجتمع التي تشكل نسبتها أكثر من 44% من السكان.

تعمل الجمعية على عدة مشاريع، حيث يوجد مشروع "Egypt Work" وهو يهدف إلى توفير فرص عمل وتأسيس مشاريع صغيرة لحوالي 2000 من الشباب في محافظات القاهرة والمنيا والبحيرة وقنا، عن طريق تحديد احتياجات وتحديات سوق العمل، وتدريب الشباب على حرف مثل النجارة والخياطة وأعمال الحدادة. مدة ذلك المشروع عام ونصف.

ويوجد مشروع التدريب والتشغيل "ماركت لينك" الذي يهدف إلى تدريب الشباب على الحرف والمهارات الحياتية والمهنية، بجانب توفير الوظائف المناسبة لهم. كما يوجد مشروع التنمية الشاملة للأسرة الذي يعمل على توفير خدمات غير متوفرة في المناطق الفقيرة، وتوفير التدريب ورأس المال اللازم لبدء مشروعات صغيرة لعدد من 10 إلى 15 من أرباب الأسر الفقيرة في الحرمين بالإسكندرية، وعمل دورات صحية لنساء وشباب تلك الأسر.

هذا بجانب وجود مشروع تدريب حرفي للفتيات على الخياطة وصناعة الجلود، ثم توظيفهن، أو منحهن قروضا ليبدأن عمل مشاريعهن الخاصة. ذلك بالإضافة إلى مشروع المستثمرين الشباب الذي يقدم لحوالي 200 شاب وفتاة من سن 18 إلى 30 سنة من المجتمعات الفقيرة فرصة التدريب المهني وتقديم القروض التي تؤهلهم لعمل مشاريع صغيرة خاصة بهم.

كما يوجد مشروع التدريب الحرفي الذي يوفر تدريب مهني لـ 800 من الشباب في محافظات القاهرة وقنا والفيوم، ومشروعات أخرى صغيرة ومتناهية الصغر. هذا بالإضافة إلى برنامج شباب ناجح الذي يساعد الشباب في المرحلة الثانوية على التخطيط لمستقبلهم الوظيفي، وبرنامج أطباء أصحاء الذي يهدف إلى زيادة الوعي حول التغذية السليمة لأطفال مصر لدى طلاب المرحلة الابتدائية.

يوجد للجمعية فروع أخرى بالعمرانية ودار السلام وعين الصيرة. كما يوجد فروع في بعض محافظات مصر، وهم فروع الفيوم والبحيرة والمنيا.

البرامج والأنشطة:

برنامج التمويل متناهي الصغرIMG_9326 يتيح برنامج التمويل المتناهي الصغر الخاص بجمعية علشانك يا بلدي الفرصة للمستفيدين في المناطق الفقيرة الفرصة لتأسيس مشروعاتهم الخاصة وجعلها مشروعات مربحة تقوم بضمان فرص عمل سواء لأنفسهم أو للأخرين، فضلا عن تأمين دخل مناسب لهم لتلبية احتياجاتهم. يتم ذلك عن طريق الدعم الفني والمالي والتدريب المهني حسب الحاجة، وتوفير القروض المتناهية الصغر والتي تتراوح قيمتها بين 1000 جنيه لتصل إلى 3000جنيه والقروض الصغيرة التي تتراوح ما بين 3000جنيه و12500 جنيه ذلك بالإضافة إلى المتابعات المكثفة والشاملة التي تستمر لمدة عام واحد منذ تاريخ بدء المشروع

للتأكد من إحداث الأثر الاجتماعي المطلوب الذى يصنع فرق ملموس على مستوى المعيشة للمستفيدين.

برنامج التدريب من أجل التوظيفIMG_3090 في ظل مشكلة البطالة المستمرة في مصر، والفجوة التي بين المهارات التي يتطلبها سوق العمل والمهارات التي يمتلكها الشباب في الواقع، هذا البرنامج تم إنشاءه وتطويره من قبل فريق علشانك يا بلدي للتنمية المستدامة على مدى السنوات الماضية وذلك لتوفير الحلول المناسبة للمساهمة في حل تلك المشكلة. ويتضمن ذلك إجراء وتحليل دراسات لسوق العمل، ووفقاً للنتائج يتم توفير للشباب خدمات تأهيل متكامل لسوق العمل يشمل التدريب والإرشاد والتوجيه الوظيفي، مما يجعلهم أكثر جاذبية للسوق ويزيد من احتمالية تطابقهم مع الوظائف المتاحة، فضلاً عن بقاءهم ونجاحهم في وظائفهم.يتم ذلك من خلال توفير تدريبات تتناسب مع سوق العمل أو ريادة الأعمال، مثل المهارات الحياتية والعملية والتدريب المهني، بالإضافة إلى التوجيه المهني والنصح والإرشاد الوظيفي وبالتوازي، تقوم جمعية علشانك يا بلدي ببناء شراكات مع أصحاب الأعمال من أجل تعزيز تفهمهم لأهمية توفير فرص عمل لائقة للشباب المؤهلين، بما يتضمن رواتب وبيئة عمل وظروف وساعات عمل مناسبة والالتزام بقوانين العمل، مما يمكن جمعية علشانك يا بلدي من مراقبة أداء الموظفين وتسجيل الآراء والتعليقات، واتخاذ الإجراءات اللازمة عند الضرورة.

برنامج التعليم والتوعيةIMG_3636_2 يعمل هذا البرنامج على تنمية المهارات الحياتية والقدرات التعليمية للأطفال والنشء في المجتمعات الفقيرة، وكذلك الأمهات، من خلال التدريب على المهارات الحياتية المختلفة، ودورات التوعية عن الصحة والتغذية السليمة والأخلاق، فضلا عن دعم التعليم والدروس التعليمية المكملة للتعليم الأساسي. وكذلك تهدف الخدمات المقدمة لتقليل العبء المالي على الأسر والذي ينتج من الإنفاق على الدروس الخصوصية والرعاية الصحية، وبالتالي يكون متاح للأسرة لإنفاقه على الضروريات والأولويات الأخرى.

برنامج التوسع والانتشار img-20140114-wa0003 بدأت جهود علشانك يا بلدي في التوسع ونشر النموذج التنموي بنية التوسع في تقديم خدماتها في مختلف محافظات مصر. وقد كانت البداية عام 2009، عندما تقرر تنفيذ مشروع للتوظيف في 8 محافظات، وهم الدقهلية والغربية والشرقية والمنوفية والفيوم وبنى سويف والمنيا وقنا، واستمر حتى نهاية عام 2010. وفي ظل العمل في هذا المشروع، بدأت علشانك يا بلدي في التعاون مع جمعيات أخري في تلك المحافظات، حيث قامت بتنمية قدراتهم وتدريبهم على تنفيذ نموذجها التنموي. وفي عام 2011، في ضوء الجهود السالف ذكرها ومشروعات جديدة، بدأت علشانك يا بلدي في العمل في محافظات الأقصر والبحيرة، على توفير تدريب من أجل التوظيف ودعم تأسيس المشروعات الصغيرة، وعن طريق مشروعات أخرى بدأت عام 2012، وفي إطار تأسيس البرنامج بصفة رسمية بالجمعية، قامت علشانك يا بلدي بالتوسع في العمل بمحافظة الاسكندرية، بتوفير خدمات دعم المشروعات الصغيرة والتوعية والتعليم للأطفال والنشء، وفي عام 2013 قامت بالتوسع في العمل بمحافظة كفر الشيخ، في توفير دعم لتأسيس المشروعات الصغيرة بنظام التمويل

الإسلامي. ويعد برنامج التوسع ونشر النموذج التنموي المسئول الرئيسي عن توسع خدمات علشانك يا بلدي في 12 محافظة في مصر، حيث تم تطبيق نموذجها التنموي في كل منها. ويتم هذا الانتشار إما عن طريق تنمية مهارات وتوفير الدعم المالي لجمعيات شريكة تعمل في تلك المحافظات أو الدعم المالي والفني للأندية الطلابية لعلشانك يا بلدي في المحافظات أو تأسيس فروع جديدة للجمعية في المحافظات المستهدف العمل بها. حتى الأن، عن طريق البرنامج أو الأندية الطلابية أو الفروع، قامت علشانك يا بلدي – سواء فيما سبق أو حتى الآن – بخدمة 17 محافظة في جميع أنحاء مصر.

النموذج الرابع: "علمني" بالعباسية "Educate Me"

النشأة والهدف: تم إنشاء مؤسسة "علمني" عام 2010، بهدف تحديد شكل آخر للتعليم في مصر. تهتم "علمني" بتحسين المستوى التعليمي للأطفال الذين تعاني عائلاتهم من المستوى المادي المنخفض، وذلك من خلال برامج تعليم ذاتية تعطي لكل طفل حق اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة التي تمكنه من تحقيق أحلامه.

البرامج التي تقدمها: تقدم "علمني" خمس برامج أساسية للأطفال في مختلف الأعمار فيوجد برنامج تعليمي للأطفال من سن 4 إلى 7 سنوات، لمدة سنتين، وبرنامج تعليمي غير رسمي لفترة ما بعد المدرسة لمدة 6 سنوات للأطفال من سن 7 إلى 14 سنة، وآخر لفترة المدرسة لمدة 6 سنوات للأطفال من 10 إلى 15 سنة. كما يوجد برنامج لتعليم الشباب والبالغين لمدة سنتين لمن هم فوق 15 سنة، وبرنامج رسمي للمنح الدراسية للأطفال من سن 7 إلى 14 سنة.

علمني مؤسسة مصرية مسجلة غير هادفة للربح تطمح لتغيير مفهوم التعليم في مصر، نشأت المؤسسة عام 2010 كمبادرة لجمع التبرعات لإعادة الأطفال المتعسرين مادياً للمدارس، وبعد فترة قصيرة بدأنا تطوير نموذج تعليمي خاص بنا مصمم للتركيز على المتعلم ومهاراته، وذلك بعد أن توصلنا إلى أن نظام التعليم المصري وحده غير كاف.

وأخذنا أول خطوة في نشر نموذجنا التعليمي بإنشاء مدرسة علمني المجتمعية بالجيزة ثم أطلقنا بعدها مبادرة علمني للتنمية المهنية للمعلمين والمديرين والأخصائيين الاجتماعيين بالمدارس والمؤسسات التعليمية في كل أنحاء الجمهورية.

رؤيتنا: أن يكون كل فرد في المجتمع مسؤولاً عن مساعدة الآخر على تحقيق ذاته.

رسالتنا: نود الترويج لنموذج تحقيق الذات بحيث يتم تعميمه على المستوى القومي، وذلك بإيجاد حلول وأفكار تعليمية مبتكرة للأطفال والمعلِّمين وأولياء الأمور، والمؤسسات أيضًا.

فلسفتنا: تؤمن علمني بأن الأطفال يولدون وفي داخلهم حب التعلم، وأن أفضل طريقة لتعليم الأطفال هي إشباع فضولهم ورغبتهم في المعرفة، ومن ثم تؤمن علمني بضرورة بناء التعليم على مواهب الطفل لإعطائه فرصة لتحقيق أحلامه وطموحاته وعيش الحياة التي يرغب فيها،

وفي نظرنا، لا ينتهي التعليم بشهادة جامعية أو مكان في سوق العمل، بل يساعد التعليم الإنسان على تحقيق ذاته ويشجعه على مساعدة الآخرين على تحقيق ذواتهم.

قيمنا:






تمكين الأحلام التَعَلُم التَكيُفي المرح المسئولية

ثالثاً: نماذج تطبيقية على المنظمات غير الحكومية بالمملكة العربية السعودية

النموذج الأول: مؤسسة مسك

عن المؤسسة: مؤسسة الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز الخيرية "مسك الخيرية"، مؤسسة خيرية غير ربحية، تكرّس أهدافها لرعاية وتشجيع التعلم وتنمية مهارات القيادة لدى الشباب من أجل مستقبل أفضل للمملكة العربية السعودية.

ولتحقيق ذلك، تركز المؤسسة على الاهتمام بالشباب في أنحاء البلاد، وتوفر وسائل مختلفة لرعاية وتمكين المواهب والطاقات الإبداعية وخلق البيئة الصحية لنموها، والدفع بها لترى النور واغتنام الفرص في مجالات العلوم والفنون الإنسانية.

وسوف تدعم ركائز المعرفة مجتمعنا في المستقبل، من خلال تمكين الشعب السعودي نحو التعلم كوسيلة للتطوير ودفع التقدم في الأعمال التجارية، والجوانب التكنولوجية والأدبية والثقافية والاجتماعية لأمتنا.

مؤسسة "مسك الخيرية "، أنشأها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز، وتسعى لبلوغ هذه الأهداف من خلال خلق البرامج والشِراكات مع المنظمات المحلية والعالمية في مختلف المجالات، وكذلك مع مجموعة متنوعة من الحاضنات، حيث تستثمر "مسك الخيرية" في تطوير رأس المال الفكري وإطلاق طاقات الشباب السعودي.

وتؤمن "مسك الخيرية" أن الحضور المؤسسي لها يمكن أن يدعم تعزيز الجهود نحو مجتمع قائم على المعرفة، سعيا لتحقيق الإنجاز والقيمة المضافة للمجتمع السعودي، كما أن المبادئ التوجيهية لدينا هي الالتزام، والأثر، والنزاهة.

الرؤية:استحداث الفرص لتنمية المجتمع وإطلاق طاقات أفراده.

الرسالة: تمكين المجتمع من التعلم والتطور والتقدّم في مجالات الأعمال والمجالات الأدبية والثقافية والعلوم الاجتماعية والتكنولوجية، عبر إنشاء حاضنات لتطوير وإنشاء وجذب مؤسسات عالية المستوى، وتوفير بيئة تنظيمية جاذبة.

مجالات الاهتمام:

الثقافة: تؤمن "مسك الخيرية" أن نشر الثقافة هو سلم الصعود نحو النهضة والتقدم، ولطالما كان المستوى الثقافي بمثابة معيار لمدى الرقي الفكري للأفراد والمجتمعات، لذا سعت وتسعى لإطلاق مشروعات ثقافية تستهدف مفاصل التنمية في جسد المجتمع الشبابي.

الاعلام: تتعدد وسائل الإعلام وتتنوع في الأثر والقوة، وتدرك "مسك الخيرية" أن الإعلام هو أحد أهم قنوات نقل الخبرات والثقافات والأفكار، لذا يعتبر الإعلام من أولويات اهتمام مسك.

وتركز مسك على تنمية المهارات الإعلامية، وتحرص على مواكبة أحدث الممارسات في مجال الإعلام، من منطلق أهمية ألا يتخلى الإعلام عن مسؤوليته الاجتماعية كوسيلة بناء وتنمية تزيد من مستوى الوعي وترتقي بالمجتمع والوطن.

التعليم: يُعد التعليم ركيزة أساسية لنهضة الأمم والقاطرة التي تعبر بالمجتمع نحو آفاق التقدم والتطور، عبر إنتاج عقول مفكرة وواعية وقادرة على إدارة وبناء مؤسسات المجتمع وركائزه الأساسية، وتهيئة الكوادر البشرية والكفاءات القادرة على إنشاء وقيادة مشروعات التنمية بكل مستوياتها.لذلك عملت "مسك الخيرية" وتعمل على دعم العملية التعليمية من خلال إنشاء ورعاية مدارس وأكاديميات تتميز بمعايير تعليمية عالمية مثل مدارس مسك ومدارس الرياض، كما عقدت شراكات دولية للاستفادة من الخبرات الدولية المتميزة، مثل الشراكة مع جامعة هارفارد الأمريكية، والتي شملت اعتماد برنامج إعداد القادة، إذ حصلت "مسك الخيرية" على تفويض من الجامعة لتكون وكيلاً لها في مجال القيادات الشابة الناشئة في الشرق الأوسط، كما تضمنت الاتفاقية توفير مقاعد دراسية في برنامج التأهيل وتطوير القيادات بالجامعة، بحيث تقوم "مسك الخيرية" باختيار طلبة سعوديين متميزين وابتعاثهم لهذا البرنامج، إلى جانب تبادل زيارات الوفود التي من شأنها تطوير الشراكة والعمل بين الطرفين. (الموقع الرسمي للمؤسسة، تم الاسترجاع بتاريخ 24-4-2018)

النموذج الثاني: مؤسسة الملك عبدالله الإنسانية

التعريف بمؤسسة الملك عبد الله الإنسانية: كانت حياة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز مرتبطة بحياة شعبه، فقد كرسها 'رحمه الله' لخدمة شعبه وبلاده والأمتين العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء.

وهذا البذل والعطاء لا يزال مستمراً من خلال مؤسسته الإنسانية، في الرياض، أصدر الملك عبد الله 'رحمه الله' نظام مؤسسة الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمية للأعمال الإنسانية، بالمرسوم

الملكي الكريم رقم أ/١٤٣، ١٤٣١ (٢٠١١م)، لتكون مؤسسة عالمية مستقلة تعمل على تجسيد رؤية الملك عبد الله وقيمه السامية؛ فرؤيته 'رحمه الله' تمثلت في وجود عالم أفضل قائم على قيم التسامح والفضيلة والسلام.

وستعزز المؤسسة بقاء ونماء مآثر الملك عبد الله من خلال مجموعة من البرامج الإنسانية والاستثمارات الدولية، ترتكز على سبعة مجالات رئيسية، وهي: التنمية الاجتماعية، الحوار بين الأديان، التعليم، العلوم والتكنولوجيا، الرعاية الصحية، التنمية الاقتصادية، الامن والسلام.

والمحاور السبعة التي سوف تعمل المؤسسة في إطارها تجسد رسالة المؤسسة وقيم الملك عبد الله، وهي كما يلي:

1. **التنمية الاجتماعية** :وذلك من خلال دعم شرائح المجتمع المختلفة وضمان بيئة مناسبة مبنية على العدل والسلام والتسامح وعدم التمييز.
2. **الحوار بين الأديان**: وذلك من خلال دعم جهود الحوار بين أتباع الحضارات والأديان وتشجيعها من خلال تعزيز التفاهم بين المذاهب الإسلامية والأديان العالمية والحد من التمييز والخصام وتعزيز القيم والأخلاق الإنسانية.
3. **التعليم**: وذلك من خلال تقديم كافة الخدمات الممكنة لقطاع التعليم.
4. **العلوم والتقنية:** وذلك من خلال تخصيص الكراسي العلمية والبحثية ودعم العلوم والتقنية ومراكز الأبحاث والتطوير.
5. **الرعاية الصحية:** وذلك من خلال تقديم كافة الخدمات للقطاع الصحي.
6. **التنمية الاقتصادية**: وذلك من خلال دعم التنمية الاقتصادية في المجتمعات عبر توفير الإسكان الاقتصادي ودعم مشاريع التنمية في الزراعة والصناعات الحرفية والخدمات.
7. **الأمن والسلام**: وذلك من خلال التواجد الفاعل في أوقات الأزمات والكوارث عبر تقديم المساعدة الفورية للمتضررين وإعادة البناء، ليعود المجتمع المتضرر إلى حياته الطبيعية(الموقع الإلكتروني للمؤسسة، تم الاسترجاع بتاريخ 25-4-2018).

النموذج الثالث: مؤسسة الملك خالد الخيرية

نطاق عمل المؤسسة: إيماناً من المؤسسة بأهمية أن تكون مخرجاتها عالية الجودة وتنعكس على المستفيدين من خدماتها بالشكل الأفضل، فقد ركزت المؤسسة على مجالات محددة تعمل بها، وهي على النحو التالي:

1. التدريب وبناء القدرات لدى المنظمات الخيرية المحلية وفي القطاع غير الربحي بشكل عام.

2. تخصيص المنح للمنظمات غير الربحية المهتمة بالقضايا التنموية.

3. رفع الوعي الاجتماعي والخيري والضغط باتجاه التغيير الإيجابي للسياسات المتعلقة بالعمل الخيري والتنمية المستدامة.

4. دعم فرص تطوير الشباب السعودي اقتصادياً واجتماعياً في ميادين التوظيف والعمل الريادي وتنمية المهارات.

5.توثيق وتدوين سيرة جلالة الملك خالد، طيب الله ثراه.

6. رعاية الجوامع (جامع الملك خالد، وجامع الملك عبد العزيز) بمدينة الرياض.

7. إجراء الأبحاث والدراسات المتعلقة بقضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

8. منح جائزة الملك خالد لأفراد المجتمع والمنظمات غير الربحية وشركات القطاع الخاص المتميزين في عطائهم الاجتماعي.

الرؤية :مجتمع سعودي تتكافأ فيه الفرص ويسعى للازدهار

الرسالة: تحقيق الازدهار عبر تفعيل دور المساهمين في التنمية وتمكينهم من خلال الاستثمار الاجتماعي وبناء القدرات وكسب التأييد

قِيَمنا

المسؤولية	**الشغف**
المصداقية الشفافية	الالتزام الحماس
الاحترافية	**التعاون**
الاحترام الكفاءة	العمل الجماعي مشاركة المعرفة
الابتكار	**التكيف/ التأقلم**
الإبداع الريادة	تعلم الإصرار على التطور

المصدر (الموقع الرسمي للمؤسسة، تم الاسترجاع بتاريخ 24-4-2018)

المحور الخامس: (نتائج البحث وتوصياته):

أولاً: نتائج البحث: توصل البحث الحالي من خلال العرض العلمي السابق لفقراته، ومحتواه إلى النتائج العلمية الآتية:

1.أن التنظيم الاقتصادي لأي دولة يتكون من ثلاثة مجالات رئيسية، وهي القطاع العام المتمثل في الحكومة وتوابعها، والقطا الخاص المتمثل في الشركات والأعمال، والقطاع الثالث وهو القطاع الأهلي المتمثل في المنظمات غير الحكومية وغير الربحية.

2.أن البعد التنموي عبارة عن: "تلبية حاجات المجتمع في الوقت الحاضر بالاستخدام الأمثل للموارد المتاحة دون إهدار حق الأجيال القادمة من الانتفاع بهذه الموارد ويشمل ذلك الجوانب الرئيسية للتنمية وهي الاقتصادية والبيئية والثقافية والسياسية والاجتماعية".

3.أن المنظمات غير الحكومية هي منظمات مستقلة عن الحكومة، لا تهدف إلى الربح، وتقوم على فكرة التطوع، وتقوم بمجموعة من الخدمات والوظائف الإنسانية التي تسهم في تنمية المجتمع بمختلف مجالاته.

4.أن الأمية عبارة عن عدم قدرة الإنسان على القيام بالعديد من المهارات الخاصة بالقراءة والكتابة، والتي تمكّنه من ممارسة الكثير من المجالات الحياتيّة التي تعتمد على القراءة والكتابة، خاصّة في الوقت الحاضر، والذي رافقه حدوث تغير كبير في التطورات التكنولوجيا والعلميّة، والتي لا يستطيع أيّ شخص ليس لديه القدرة على الكتابة والقراءة من مجاراتها والتعامل معها.

5.إن المنظمات هي الشكل السائد في المجتمعات المعاصرة بمعنى أنها الشكل المؤسسي المهيمن على مقدراتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وضرورية لتحقيق الأعمال الصعبة والتي يتعذر القيام بها بالعمل الفردي، وتعتبر الأكثر كفاية وفاعلية عندما تنظم وتدار وفقاً للأسس والمعايير الإدارية العلمية والعملية.

6.هنالك بناء شراكة ناجحة بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص والقطاع الأهلي لتطوير المجتمعات في مختلف نواحي الحياة.

7.إن الأمية مشكلة اجتماعية ذات أبعادٍ متعددة ومتنوعة، وتحد من عملية التنمية في أي بلد من البلدان، ولا سبيل للتخلص منها والقضاء عليها إلا من خلال كفل حق التعليم وإلزاميته لكافة أفراد المجتمع الأميين من خلال مراكز محو الأمية، إضافة إلى استغلال الموارد الاقتصادية بصورة أفضل وتوفير المدارس، والمستلزمات الدراسية، ومحاربة الفساد والرشوة، إضافة إلى إعطاء فرصة في الوظيف للمتحررين من الأمية، وتوليد الإحساس لدى الأفراد بأهمية التعليم والوعي بمشكلة التخلف وأبعادها، وزيادة كفاءة العاملين في محو الأمية وتعليم الكبار سواءً كانوا معلمين، أو مخططين، أو مشرفين وموجهين للعملية التعليمية.

8.أن المعرفة تعتبر بالنسبة للمجتمعات التي تسعى لتحقيق التنمية الشاملة وتحقيق ميزة تنافسية مسألة حاسمة نحو التحول الحقيقي باتجاه استغلال الموارد الطبيعية والمادية، وأن الإنفاق على تعليم الأفراد والرعاية الصحية لهم يؤدي إلى تطور رأس المال البشري، ومن ثم يزيد من رقي وتطور عملية التنمية بمختلف أبعادها في المجتمع.

9.أن الهدف الرئيسي للسياسات الاقتصادية المستدامة هو الوصول إلى نمط إنتاج واستهلاك ومجتمعات ذات قابلية للاستدامة من خلال تحقيق متطلبات الإنسان وبنفس الوقت حماية الموارد الطبيعية والأمن الاجتماعي، ولا شك أن وجود اقتصاد قوي وصحي يعتبر عنصراً رئيسياً للاستدامة، ولكن هذا الاقتصاد يجب أن يحقق الحاجات الرئيسية للمواطنين بدون الإضرار بحقوق الأجيال القادمة بالإضافة إلى أهمية التوزيع العادل للموارد والثروات.

10.تسعي المنظمات غير الحكومية في البلاد العربية إلى تحقيق الأهداف التربوية (التوعية والتدريب) للتنمية المستدامة في نشاطاتها وبرامجها مع وجود فروق في مستوي أدائها كما يري المستفيدون.

11.اقتران جهود محو الأمية بالتدريب والتأهيل، والمتابعة المستمرة، وإعداد الكوادر الخاصة بذلك، بالمنظمات الأهلية، والتدريب على مهن غير تقليدية، مع تصميم البرامج المتخصصة والتي تناسب الأفراد الجماعات طبقا للمستوى المهاري والمعرفي لكل منهم.

12.يتم تحقيق التكامل بين جهود محو الأمية من خلال المنظمات الأهلية، والتعليم الوظيفي التدريبي، وتحقيق الارتباط بين البرامج التعليمية والتدريبية والتعاون مع الجامعات والمؤسسات الحكومية والأهلية في سبيل تطويرها.

ثانياً: توصيات البحث: من خلال النتائج التي توصل البحث إليها، وما تضمنه الإطار المعرفي فإننا نوصي بالآتي:

1.أن تتخصص بعض المنظمات غير الحكومية في مجال تعليم الكبار بحيث يقتصر عملها وأنشطتها على مجال تعليم الكبار، وهو ما يمكن تحقيقه بالنسبة للمنظمات التي يغلب على نشاطها الأنشطة المرتبطة بمحو الأمية وتقديم برامج التدريب وإعادة التأهيل.

2.نشر نماذج ناجحة لتجارب وخبرات التنمية ومكافحة الأمية دولياً وإقليمياً وقومياً ومحلياً للإفادة منها على نطاق واسع.

3.وضع توصيف محدد لمكونات الحق في التعليم بمختلف أنواعه (محو أمية-تعليم ثانوي-تلمذة صناعية).

4.إبراز مفهوم البعد التنموي من خلال (التوعية والتعليم -التدريب والتأهيل) في برامج التنمية المستدامة للمنظمات غير الحكومية، وإغناؤه، واعتماده نهجا وأساسا للتطوير والتجديد.

5.تقييم برامج المنظمات غير الحكومية في مختلف الدول العربية، وتحديد جوانب القوة والضعف فيها، بهدف تحسين كفاءتها.

6.التأكيد على أهمية ربط برامج المنظمات غير الحكومية في مختلف البلاد العربية بمفهوم التنمية المستدامة ذات الأبعاد الشاملة (الاقتصادية-الاجتماعية -البيئية).

7.تحسين وتطوير مستوى البرامج التعليمية والتدريبية التي تستهدف التنمية المستدامة.

8.إعادة توجيه أنماط التعلم والتعليم الناشط والهادف للتنمية المستدامة على كافة المستويات التعليمية والتدريبية.

9.إجراء المزيد من الدراسات التطبيقية على عمل المنظمات غير الحكومية في مجال تعزيز البعد التنموي، وتعليم الكبار ومحو الأمية من ناحية، ومن ناحية ثانية عمل دراسات مقارنة بين

المنظمات غير الحكومية في البلدان العربية من أجل اكتشاف جوانب القوة فيها وتعزيزها، وجوانب الضعف ومحاولة تعديلها.

قائمة المراجع:

1. المركز العربي للدراسات الاستراتيجية (2004). أعمال الحلقة النقاشية حول تقرير التنمية الإنسانية لعام 2003. دمشق: سوريا. تحرير: د. منير الحمش.
2. الكفارنة، وفاء مفيد (2-012). دور المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في تعزيز خبرة العاملين فيها. رسالة ماجستير. قسم إدارة الأعمال: كلية التجارة. الجامعة الإسلامية: غزة.
3. إبراهيم، إبراهيم محمد (2010). آليات الشراكة بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية لتحقيق الجودة في تعليم الكبار: مشروعات التمكن من القرائية نموذجاً. المؤتمر السنوي الثامن (المنظمات غير الحكومية وتعليم الكبار في الوطن العربي -الواقع والرؤى المستقبلية) –مصر: مركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس.
4. النملة، حازم يوسف (2008). المنظمات غير الحكومية الفلسطينية من منظور الاقتصاد السياسي: مداخلة من منظور الهيئة العلمية. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا: جامعة بيرزيت.
5. البوفلاح، صالح محمد صالح (2016). دور المنظمات غير الحكومية في القانون الدولي لحقوق الإنسان. رسالة ماجستير. كلية الحقوق: جامعة الشرق الأوسط.
6. قاسم، محمد فتحي (2010). دور المنظمات غير الحكومية في إدارة تعليم الكبار بمصر في ضوء بعض الخبرات العالمية المعاصرة. آفاقجديدةفيتعليمالكبار- مصر: مركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس. ع 9.
7. حريم، حسين (2016). إدارة المنظمات: منظور كلي. عمان: دار الحامد للطباعة والنشر.
8. معمر، إبراهيم حسين (2011). دور المنظمات الدولية الغير حكومية في حماية حقوق الإنسان حالة تطبيقية على المنظمة العربية لحقوق الإنسان. رسالة ماجستير. قسم العلوم السياسية. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية: جامعة القاهرة. مصر.
9. الخواجة، محمد ياسر (2014). علم اجتماع التنمية المفاهيم والقضايا. القاهرة: دار الفكر العربية.
10. الأقداحي، هشام محمود (2017). السياسة الاجتماعية ودورها في التنمية الاجتماعية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
11. خاطر، أحمد مصطفى؛ محمد، محمد عبدالفتاح (2010). الاتجاهات المعاصرة في تنمية المجتمعات المحلية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
12. عبد اللطيف، رشاد أحمد (2007). تنمية المجتمع المحلي. الإسكندرية: دار الوفاء.
13. السكري، أحمد شفيق (2015). تنمية المجتمع في الخدمة الاجتماعية تراجم وأبحاث في تنمية المجتمع والجمعيات الأهلية. الإسكندرية: دار الوفاء.
14. الأحدب، جلال (2015). محاضرات في التنمية البشرية. عمان: دار أمجد.

15. أبو النصر، مدحت؛ محمد، ياسمين مدحت (2017). التنمية المستدامة: مفهومها، أبعادها، مؤشراتها. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
16. العرباوي، آمال. (2000). المتطلبات التنموية من تعليم الكبار في مصر في ضوء بعض المتغيرات المحلية والعالمية: دراسة تحليلية. مجلة التربية والتنمية: القاهرة. السنة الثامنة، العدد (19).
17. عبد الحميد، طلعت وآخرون. (2004). إشكاليات التعليم المستمر والتدريب المعاود. سلسلة الدراسات التربوية. القاهرة.
18. محمد، عبد المنعم؛ أحمد، سهام. (2007). تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في تدعيم المشاركة السياسية للمرأة. مجلة الثقافة والتنمية: القاهرة، السنة (8)، العدد (23).
19. الهيتي، صبري فارس (2013): "التنمية السكانية والاقتصادية في الوطن العربي". ط 6. عمان الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
20. مجمع اللغة العربية (2004). المعجم الوسيط. ط4. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
21. مادي، لحسن (2006). محاربة الأمية مدخل لتحقيق التنمية البشرية. الرباط: منشورات مجلة علوم التربية (6).
22. مرسي، محمد منير (2001). الاتجاهات الحديثة في تعليم الكبار. القاهرة: عالم الكتب.
23. العساف، صالح محمد. (2013). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. عمان: دار صفاء للنشر.
24. عليان، مصطفى ربحي؛ غنيم، عثمان محمد. (2013). أساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق. عمان: دار صفاء للنشر.
25. مرسي، نبيل حامد (2010). فن إدارة الموارد البشرية في المنظمات الحكومية والخاصة. الإسكندرية: المكتب العربي الحديث.
26. النعيمي، عدنان تايه (2010). تكنولوجيا العمل في النظرية بين النظرية والتطبيق. عمان: دار جليس الزمان.
27. عبدالمقصود، عماد الدين أحمد السيد (2017). إدارة المعرفة وتنمية الموارد البشرية بالمنظمات غير الحكومية دراسة مقارنة. الإسكندرية: المكتب العربي الحديث.
28. خميس، موسى يوسف (1995). دراسات في التخطيط والتنمية. عمان: دار حنين.
29. المرواني، عبدالله بن علي (2005). التخطيط التنموي الإطار النظري والمنهج التطبيقي. الرياض: معهد الإدارة العامة.
30. المهدي، ياسر فتحي الهنداوي؛ صلاح الدين، نسرين صالح محمد (2010). دور المنظمات غير الحكومية في تخطيط وتقويم برامج محو أمية الكبار في مصر وباكستان: دراسة مقارنة. المؤتمر السنوي الثامن (المنظمات غير الحكومية وتعليم الكبار في الوطن العربي - الواقع والرؤى المستقبلية) –مصر: مركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس.
31. ابتسام، مرزوق (2006). "فعالية التطوير التنظيمي وإدارة التغيير لدى المؤسسات غير الحكومية الفلسطينية" رسالة ماجستير" الجامعة الإسلامية غزة.

32. شيخو، أشرف أنور (2015). دور المنظمات غير الحكومية في دعم التعليم لتحقيق التنمية المستدامة في محافظات غزة وسبل تطويره. رسالة ماجستير. كلية التربية: قسم أصول التربية- الإدارة التربوية. الجامعة الإسلامية: غزة.
33. بدران، أحمد جابر (2014). التنمية الاقتصادية والتنمية المستدامة. القاهرة: منشورات مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية جامعة 6 أكتوبر.
34. المقداد، محمد رفعت (2010). التنمية البشرية والاقتصادية. دمشق: منشورات جامعة دمشق.
35. عيسى، إيهاب؛ عامر، طارق (2017). التنمية البشرية والتنمية المستدامة. القاهرة: المؤسسة العربية للتربية والعلوم.
36. الزعبي، علي زيد؛ العنزي، فواز عويد الصالح؛ علي، عامر (2009). التنمية المستدامة: المفهوم والمكونات ومؤشرات القياس. حوليات آداب عين شمس: مصر. مج 37. بدون عدد.
37. عجيمة، محمد عبد العزيز؛ الليثي، محمد علي (2014). التنمية الاقتصادية (مفهومها، نظرياتها، سياساتها). الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر.
38. الشبول، محمد فاروق (2015). النمو السكاني والتنمية من منظور الاقتصاد الإسلامي. عمان: عماد الدين للنشر والتوزيع.
39. عشماوي، محمد عبد الوهاب حسن (2014). دور تقييم الأداء في تنمية الموارد البشرية. القاهرة: الشركة العربية المتحدة.
40. الحكيمي، عبد السلام أحمد سعيد مكرد (2002). السكان والتنمية في اليمن مقاربة اجتماعية للتنمية البشرية. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع. قسم علم الاجتماع: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة تونس.
41. حامد، سهير (2006). إشكالية التنمية في الوطن العربي. رسالة ماجستير في علم الاجتماع. كلية الدراسات العليا: الجامعة الأردنية. عمان.
42. شعبان، حسن محمد (2015). إشكالية التنمية في البلدان العربية والتخطيط لها. جامعة دمشق – كلية الآداب.
43. الرواف، هيا بنت سعد (2002). تعليم الكبار والتعليم المستمر (المفهوم الخصائص التطبيقات). الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
44. آل ضرمان، مزنة بنت سعد عبد العزيز (2016). مفهوم الأمية. مجلة عالم التربية: مصر. السنة (17). العدد (53).
45. نور الدين، حامد (2009). دور المنظمات غير الحكومية في تحقيق التنمية المستديمة. مجلة مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الاسلامي –مصر. مجلد (13). عدد (39).
46. منصوري، كمال محمد (2007). دور المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الخيرية في التنمية البشرية المستدامة. مجلة مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الاسلامي – مصر. مجلد (11)، عدد (31).

47. المعلولي، ريمون فضل الله؛ ياسين، أحلام عبد الهادي (2011). دور المنظمات غير الحكومية في التربية من أجل التنمية المستدامة " دراسة ميدانية للمنظمات غير الحكومية في محافظة اللاذقية ". مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد(33) العدد (4).
48. المعوشرجي، فوزي محمد سعد رجعان (2016). دور المنظمات غير الحكومية في تنمية الموارد البشرية في المجتمع الكويتي: المعوقات وآليات المواجهة. حوليات آداب عين شمس – مصر. مجلد (44). بدون عدد.
49. الارياني، إسهام عبد الله محمد. (2013). دور منظمات المجتمع المدني في عملية التنمية: دراسة تطبيقية على المنظمات العاملة في مجال المرأة اليمنية. المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية - مصر، مج4، ملحق، 237 - 258.
50. عبده، مرقص عبدالمسيح (2014). دور الجمعيات الأهلية في الحد من الفقر. حوليات آداب عين شمس - مصر، مج42، 127 - 147.
51. الفقيه، عبد السلام علي عبد الوهاب (2013). دور منظمات المجتمع المدني في مجال محو أمية المرأة وتنميتها: دراسة تطبيقية على عينة من منظمات المجتمع المدني النسوية في اليمن. تعليم الجماهير -تونس، س40, ع60، 138 - 179.
52. يونس، لعوبي (2014). دور جمعيات ومؤسسات العمل التطوعي في محو الأمية دراسة ميدانية لعينة من جمعيات ولاية جيجل: جمعية الإرشاد والإصلاح، والجمعية الجزائرية لمحو الأمية، اقرأ نموذجاً. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية –جامعة زيان عاشور بالجلفة -الجزائر، ع 17، 316 -338.
53. ابراهيم، ايمان عبد الحميد؛ حسن، زينب حسن؛ شاهين، أميرة محمد محمود (2009). الدور التربوي لجمعيات المجتمع المحلي في تنمية المرأة الريفية. مجلة البحث العلمي في التربية -مصر، ع 10، ج 1,4، 181 -200.
54. السمالوطي، إقبال (2008) "دور أكثر فعالية للجمعيات الأهلية في تحقيق الجودة الشاملة بالتعليم: تجربة جمعية حواء المستقبل"، من بحوث المؤتمر السنوي السادس لمركز تعليم الكبار- جامعة عين شمس بعنوان "تطوير برامج ومناهج تعليم الكبار في ضوء الجودة"، المنعقد في الفترة من 14-16 ابريل 2008، مركز تعليم الكبار-جامعة عين شمس بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والروتاري الدولي المنطقة 2450، القاهرة، الجزء الأول.
55. سليمان، شريف عبد الله. (2010). المنظمات غير الحكومية لتعليم الكبار: دراسة مقارنة لبعض الخبرات المعاصرة وإمكانية الافادة منها في مصر. المؤتمر السنوي الثامن - المنظمات غير الحكومية وتعليم الكبار في الوطن العربي - الواقع والرؤى المستقبلية: جامعة عين شمس - مركز تعليم الكبار، القاهرة: مركز تعليم الكبار، جامعة عين شمس، 484 - 549.
56. برزان، جابر أحمد. (2017). العمل التطوعي. الجنادرية للنشر والتوزيع: عمان. الأردن.

57. سلامي، اسعيداني. (2015). إشكالية تنمية الوطن العربي في ظل التحولات العالمية. المؤتمر العلمي الرابع حول: مراكز البحوث العربية والتنمية والتحديث نحو حراك بحثي وتغير مجتمعي للفترة من (1 - 2) ديسمبر 2015.
58. اتحاد نساء اليمن (2018). الجمهورية اليمنية. http://yemenwu.org/ الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
59. الصندوق الاجتماعي للتنمية (2018). الجمهورية اليمنية. http://www.sfd-yemen.org/ar/category/3. الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
60. مؤسسة العون للتنمية (2018). الجمهورية اليمنية حضرموت. http://ar.alawn.org/Home/Workfields?id=1# الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
61. دليل جمعية كاريتاس مصر (2018). https://arab.org/ar. الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
62. جمعية على شأنك يابلدي مصر (2018). http://ayb-sd.org/aybar/ الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
63. جمعية علمني بالعباسية مصر (2018). http://fa3elkheiregypt.com/?cat=218 الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 27-4-2018.
64. مؤسسة مسك الخيرية بالمملكة العربية السعودية (2018). الموقع الإلكتروني https://misk.org.sa/ تمت الزيارة بتاريخ 24-4-2018م.
65. مؤسسة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية (2018). الموقع الإلكتروني http://www.kkf.org.sa/ar/Pages/default.aspx تمت الزيارة بتاريخ 24-4-2018م.
66. مؤسسة الملك عبدالله الإنسانية بالمملكة العربية السعودية (2018). الموقع الإلكتروني http://www.kingabdullahfoundation.org/ar-sa/تمت الزيارة بتاريخ 24-4-2018م.
67. الصندوق الاجتماعي للتنمية (2020). الجمهورية اليمنية. https://www.sfd-yemen.org/ar/category/3الموقع الإلكتروني تمت الزيارة بتاريخ 9-6-2020.
68. طقاطقه، شيرين. (2018). تعريف الأمية. متاح على الرابط الإلكتروني الآتي: https://mawdoo3.com/.تم الولوج إليه بتاريخ 9 - 6- 2020م.
69. قنديل، أماني. (1999). دور المنظمات غير الحكومية في التنمية. مقال منشور في مجلة البيان على الرابط الآتي: https://www.albayan.ae/one-world/1999-06-11-1.1077177. تمت زيارته بتاريخ 6 – 6 – 2020م.

أهمية العلاقات الإنسانية في إدارة الاحتراق النفسي في منظمات العمل

the importance of human relations in the work place, and their role in managing the psychological Burnout

أ. تغري إيمان، جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر

Taghri Imene, Badji Mokhtar Annaba university-Algeria

ملخص: يتناول البحث الحالي بالتحليل أهمية العلاقات الإنسانية في منظمات العمل ودورها في إدارة الاحتراق النفسي، بناءا على التحليل الكيفي للتراث النظري للموضوع يبرز الدور المهم الذي يلعبه البعد الإنساني في منظمات العمل، إذ تظهر فعاليته بالتركيز على الأفراد العاملين والاهتمام بحاجاتهم وتحفيزهم على بذل الجهود المطلوبة لتحقيق العمل من خلال التعامل الايجابي المبني على الاحترام والثقة والحوار، وبذلك غدت العلاقات الإنسانية الوسيلة الفعالة التي تسهم بقدر معقول في تحسين الأوضاع النفسية للعامل، وزيادة توافقه مع عمله خاصة وأنه يمثل العضو الفعال والمؤثر في فعالية أداء أي مؤسسة، وعليه يمكن التصدي والتحكم في ظاهرة الاحتراق النفسي من خلال تفعيل العلاقات الإنسانية داخل منظمات العمل.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الإنسانية، الاحتراق النفسي، منظمات العمل.

Abstract: This research tries to analyze both: the importance of human relations in the work place, and their role in managing the psychological Burnout

A qualitative analysis based on the theoretical heritage of this topic, shows the important role that the human dimension plays in work organizations, and from it appear its effectiveness by focusing on the working individuals, caring for their needs and also motivating them to make the required efforts in order to achieve their goals through a positive interaction which is based on respect, trust and dialogue

And thus human relations have become an effective tool that contribute with a reasonable amount in improving the psychological conditions of the worker, and at the same time increasing his compatibility with his work, especially since He represents the active and influential member in the effectiveness of any organization.

Therefore, it is possible to both confront and control the Burnout phenomenon, by the way of activating the human relations within the work organization

Keywords: Human relations, Psychological Burnout, Work organizations.

مقدمة:

تعتبر العلاقات الإنسانية وسيلة فعالة في مؤسسات العمل الإنتاجية منها والخدماتية، بحيث تسهم بقدر معقول من خلال تفعيلها في التصدي لمختلف أنواع الاضطرابات النفسية والسلوكية، فالإنسان في بحثه عن الاستقرار والأمان وتلبية متطلبات الحياة المتعددة يسعى دائما للتكيف مع متغيراتها واستثمارها لصالحه من خلال مضاعفة نشاطه اليومي، غير أنه وفي حالة عجزه عن تأمين احتياجاته اليومية قد تبدأ الصراعات التي من المفترض أن تخلق ضغوطا شديدة، ولعل أن هذه الأخيرة تمثل أبرز التأثيرات عليه خاصة في عصرنا الحالي الذي يوصف بعصر الأزمات والتوترات وذلك لكثرة المشاكل الحياتية، وتشابك الحاجات الإنسانية، مما أدى إلى زيادة الأعباء الملقاة على عاتق الفرد، وهذه الأعباء التي تمثل الضغوطات تؤدي تدريجيا إلى انطفاء شعلة حماسه حتى تصل إلى درجة إعاقته عن تأدية واجباته بالشكل المطلوب، ويمكن أن تكون ظاهرة الاحتراق النفسي إحدى هذه الظواهر وأهمها.

وعليه سوف نحاول من خلال هذا المقال إلقاء الضوء على أهمية العلاقات الإنسانية ودورها في إدارة الاحتراق النفسي في منظمات العمل بهدف تشخيصما يمكن أن تفرزه العلاقات الإنسانية من متغيرات تؤثر في إعادة هندسة الأعمال.

1- العلاقات الإنسانية: لدراسة العلاقات الإنسانية كعنصر أساسي في منظمات العمل ولتحديد تأثيراتها المختلفة على السلوك أوجب ذلك التطرق إلى عدة نقاط أساسية حول المفهوم.

تعريف العلاقات: يوجد في المنظمة نوعان من العلاقات

العلاقات الرسمية: وهي التي تنشأ بطريقة رسمية ومحددة من خلال الكتيبات التنظيمية، والخرائط، وتوصيف الوظائف.

العلاقات غير الرسمية: وهي التي تتم بين الأفراد داخل المنظمة وهي غير محددة بطريقة رسمية، فهي تنشأ نتيجة التفاعلات الاجتماعية بين العاملين والرؤساء(بلقاسم سلاطنية وأسماء بن تركي وآخرون، 2013، ص73).

تعريف الإنسانية: هي عملية الأنسنة، فهي تضفي خصائصإنسانية فتجعل من طبيعته مناسبة للطبيعة الإنسانية، أو أكثر إيجابية للحاجات الإنسانية.

فالإنسانية تعني هنا إتاحة الفرصة أمام الفرد ليتصرف كإنسان ويخرج إمكاناته إلى الفعل، ويشبع حاجاته(رانيا عبد المعز جمال، 2011، ص119).

1-1 تعريف العلاقات الإنسانية: اختلفت أراء الباحث حول تحديد مفهوم العلاقات الإنسانية باختلاف مجال تخصصهم فنجد:

في مجال الإدارة تعرف العلاقات الإنسانية بأنها: مجال من مجالات الإدارة تعنى بإدماج الأفراد في موقف العمل بطريقة تحفزهم على العمل بأكبر إنتاجية، مع تحقيق التعاون بينهم وإشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية(بلقاسم سلاطنية، 2014، ص24).

كما يعريف وليام كلباترك: تتضمن العلاقات الانسانية أساليب السلوك الإنساني الذي اتفق جميع الناس على أنها ضرورية لتحقيق طبيعة الحياة الإنسانية المرغوب فيها، ولضمان استقرارها(حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2004، ص72).

أما صالح الشبكشي فيعرفها بأنها: هي الوسيلة للوصول إلى جهود جماعية مثمرة ومشبعة، أوأنها الإدارة المنظور إليها من الجانب الإنساني، فهي تعمل على إيجاد التماسك بين هؤلاء الأفراد في مجال العمل بطريقة تضمن تحريك دوافعهم كفريق واحد في صورة تعاونية ومحققة لإشباعاتهم المادية والاجتماعية والنفسية في سبيل الوصول إلى الأهداف المشتركة بينهم وبين المنظمة التي يعملون بها(بلقاسم سلاطنية وأسماء بن تركي وآخرون، 2013، ص74).

ويعرفها كيث ديفز بأنها: عبارة عن مجموعة من الاتجاهات التي تهدف إلى تطوير العمل الجماعي داخل المنشات عن طريق تجميع الجهود والمواهب البشرية ومحاولة خلق نوع من التكامل بينها في جويحفز على العمل التعاوني المنتج وتشعر فيه الجموع العاملة بالراحة والرضا اقتصاديا ونفسيا واجتماعيا(محمد الصرفي، 2007، ص11).

من خلال ما سبق عرضه فإنه يمكننا استخلاص بأن العلاقات الإنسانية هي مجموعة من المعاملات تنشأ بين الأفراد والجماعات نتيجة التعاون والثقة والاحترام المتبادل، تعمل على إشاعة روح الفريق الواحد بينهم، يسعى الأفراد من خلالها إلى تحقيق أهدافهم وأهداف المنظمة.

2-1 مبادئ العلاقات الإنسانية: حسب رأي كيث ديفز هناك أربعة مبادئ تقوم عليها العلاقات الإنسانية:

- الكرامة الإنسانية حيث احترام شخصية كل فرد من الأفراد العاملين بالمنشأة بصرف النظر عن المركز الوظيفي الذي يشغله. وعلى رئيس العمل أن يضع في اعتباره أن كل فرد من العاملين له كرامته، وأن هذا الفرد يجب أن يعامل بطريقة تجعله يشعر باحترامه لذاته كأدمي.

- الفروق الفردية التي تقع بين العاملين ووضع هذه الفروق في الاعتبار عند التعامل معهم وعند توجيههم وحل مشكلاتهم.

- المصلحة المشتركة التي تجعل الفرد ميالا للتجمع والتعاون مع الغير ومشاركتهم لتحقيق هذه المصلحة.

- الحوافز فالفرد يسعى لمشاركة الأخريين والتعاون معهم لكي يحصل على الحافز أوالعائد من وراء هذه المشاركة وهذا التعاون(محمد الصرفي، 2007، ص11).

3-1 أسس العلاقات الإنسانية: إن تنظيم العلاقات الإنسانية بين الرئيس والمرؤوس تكون وفق أسس توضح للمرؤوس لمعرفة بأن رئيسه يؤيده تأييدا صادقا في عمله، كما يجب أن يكون على علم بما يتوقع منه، ويتضمن هذا معرفته بالسياسة العامة التي تسير عليها المنظمة، ومعرفته بواجباته وحقوقه كمرؤوس وتتمثل هذه الأسس في(شهيب محمد علي، 2004، ص68):

- إن العلاقات الإنسانية هي محصلة استخدام الإداري لخبرته وتقديره الصحيح للأمور وتطبيقه للمبادئ العامة للعلوم الإنسانية مثل: علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من هذه العلوم السلوكية.

- المشاركة الحقيقية للعاملين في اتخاذ القرارات في معظم الأحوال ضرورة للكفاية الإنتاجية والإشباع الإنساني، فالعاملون عندما تتاح لهم الفرصة للاشتراك بأدائهم في النواحي المتعلقة بأعمالهم تجعلهم أكثر سعادة، كما تجعلهم أكثر حماسا وتفانيا في العمل.

- الأهمية القصوى للاتصال في المنظمة والسعي لإزالة أية عوائق تعرقل الاتصال وتبادل البيانات داخل المنظمة وتعرقل تحقيق أهدافه.

- التعاون وروح الفريق عنصران أساسيان ويتحققان معا، فكل منهما يساهم في تحقيق الأهداف المشتركة.

- تتعدد دوافع العاملين وتتنوع مما يؤكد أهمية استخدام الفن في ممارسة العلاقات الإنسانية.

4-1 أهمية العلاقات الإنسانية في بيئة العمل: لقد زاد الاهتمام بالعلاقات الإنسانية وخصائصها وأهميتها منذ أواسط الثلاثينات من القرن الماضي على المستوى العلمي خاصة بعد كبر حجم المؤسسات مما أدى إلى زيادة الأعباء والمسؤوليات الملقاة على عاتق العامل وبالتالي زيادة الضغوط وعليه بات لزاما الاهتمام بالعلاقات الإنسانية كونها تحقق:

- الرضا الوظيفي.

- زيادة حيوية العامل والقضاء على الأسلوب الروتيني الذي غالبا ما يكون حاجزا بين العاملين وبين كفاءتهم في الأداء بسبب الشعور بالملل.

- التخفيف من ثقل الآليات التنظيمية المعتمدة في تسير أمور العاملين وتنظيمهم، فعندما يكون التنظيم مفرط بشكل لا يراعي إنسانية العاملين فسيكون عامل سلبي يؤثر على معنوياتهم وبالتالي على مستوى أدائهم.

- تشكل العنصر الإيجابي لإثارة دوافع العاملين لحسن الأداء في العمل كما أنها تمنحهم الفرصة الواسعة لبذل المزيد من الجهود لتحقيق الإنجاز المتميز والإبداع في العمل.

- تبعد العاملين عن الإحساس بالاضطرابات النفسية أوحالات التشاحن والحقد والتحاسد لأن العلاقات الإنسانية توفر روح العمل الجماعي وبالتالي فهم سيكونون متساوون في الحقوق والواجبات.

- تؤجج الشعور بالانتماء للعمل بسبب ماتكونه العلاقات الإنسانية في بيئة العمل من الألفة والمحبة والتعاون والصدق والأمانة.

- تمنع التصرفات السلبية مثل المجاملات التي تتسبب بحالة التسيب في العمل.

- من العوامل التي تؤدي إلى إشباع الرغبات الثانوية للعاملين مثل توفير فرصالتعبير عن الذات الإنسانية لديهم أوالنجاح في الأداء أوالإحساس بالأمن والاطمئنان والمكانة الاجتماعية، وهذا سيؤدي بدوره إلى تحقيق الرغبات الأولية عندهم(أحمد السيد الكردي، 2011).

2- الاحتراق النفسي: حظي موضوع الاحتراق النفسي باهتمام العديد من الباحثين خلال السنوات الأخيرة وذلك لأثاره السلبية فهو ظاهرة سيكولوجية خطيرة تشكل معوقا كبيرا يحول دون قيام العامل بدوره بشكل كامل وهذا من شأنه أن يؤثر على انجازه لعمله مهما كانت طبيعة هذا العمل ومجاله.

تسهم دراسة الاحتراق النفسي في تحسين الأوضاع النفسية للعامل وزيادة توافقه مع عمله خاصة وأنه يمثل عضو فعال ومؤثر في فعالية أداء أي منظمة.

1-2 تعريف الاحتراق النفسي:

- عرفه فردنبيرجر Freudenberger بأنه: إفراط الفرد في استخدام طاقته، حتى يستطيع تلبية متطلبات العمل الزائد، فالفرد في مواجهته للمتطلبات البيئية يستخدم قدراته للتعامل معها، هذا الأمر قد يخرج عن صورته الطبيعية إذا ما زادت على المتطلبات أو القدرات الذاتية.(Pierre Canonui & Aine Mauraanges , 2008, p06)

- تعتبر كريستينا ماسلاش Christin Maslach ممن أضافوا شهرة لمصطلح الاحتراق النفسي، حيث عرفته بأنه: مجموعة أعراض من الإجهاد الذهني والاستنفاد الانفعالي والتبلد الشخصي، والإحساس بعدم الرضا عن المنجز الشخصي والأداء المهني(علي بن شويل القرني، دون سنة، ص10).

وقد تم تحديد عدة تعاريف للاحتراق النفسي Burnout يمكن تلخيصها كما يلي:

- أنه يحدث على مستوى الفرد.

- عبارة عن خبرة نفسية سلبية داخلية تتضمن المشاعر والاتجاهات والدوافع والتوقعات.

- يشمل التعبير السلبي في الاستجابة للأخريين، حيث يمثل استجابات سلبية أوغير ملائمة نحو الغير.

- يشمل استجابات سلبية نحو الذات ومفهومها(فوزية عبد الحميد الجمالي وعبد الحميد سعيد حسن، 2003، ص120).

وعليه يمكن استخلاص تعريف إجرائي للاحتراق النفسي بأنه: حالة من الاستنزاف الانفعالي والبدني، بسبب ما يتعرض له العامل من ضغوط وأعباء تفوق طاقاته، أي أنه يشير إلى جملة التغيرات السلبية في العلاقات والاتجاهات من جانب الفرد نحو الآخرين بسبب المتطلبات الانفعالية والنفسية الزائدة.

ومن خلال هذه التعريف يمكننا تحديد بعض النقاط التي يمكن من خلالها إزالة اللبس والغموض حول ارتباط مفهوم الاحتراق النفسي بالضغوط النفسية:

- الضغط النفسي عبارة عن حالة من عدم التوازن العقلي والانفعالي والجسدي (Christina Guilleve , 2003 , p179).أما الاحتراق النفسي فهو ظاهرة تنتج عن تطور خيبات الأمل.

- يتولد الضغط عن إدراك الفرد للوضع القائم بينما ينبعث الاحتراق النفسي من شعور الفرد بعدم تلبية احتياجاته وعدم تحقيق توقعاته.

- يمكن أن يبقى الضغط النفسي لفترات مؤقتة أو طويلة بينما يتطور الاحتراق النفسي تدريجيا مع مرور الزمن.

- يمكن أن يكون الضغط سلبيا أو إيجابيا بينما الاحتراق النفسي يكون سلبيا دائما.

- يمكن أن يحدث الضغط النفسي لأي شخص بينما الاحتراق النفسي يحدث عند الأشخاص الذين بدؤوا حياتهم بمثل ودافعية شديدة(جمعة سيد يوسف، 2008، ص15).

- يحدث الضغط النفسي لعدد أكبر من الأفراد في حين نجد أن الاحتراق النفسي يحدث لعدد اقل من الأفراد.

- يحدث الضغط النفسي في جميع أنواع المهن، بينما يحدث الاحتراق النفسي غالبا في المهن التي تتضمن التعامل مع الناس.

وعليه يمكن القول أن الضغط النفسي هو السبب الرئيسي لهذه الظاهرة أو بمعنى أدق يعتبر الاحتراق النفسي نتيجة من النتائج السلبية للضغط النفسي.

2-2 أسباب الاحتراق النفسي في منظمات العمل: يتوقف حدوث ظاهرة الاحتراق النفسي على مجموعة من العوامل والتي تتمثل في الجوانب التالية: (سليمان بن راشد الحاتمي، دون سنة، ص12).

عوامل شخصية: اتفق معظم الباحثين على أن الموظف الأكثر التزاما وإخلاصا في عمله يكون أكثر عرضة للاحتراق النفسي من غيره، ومن العوامل المؤثرة أيضا مدى ما يتمتع به الموظف من قدرات ذاتية على التكيف ومستوى الطموح، فالعامل الذي يتفانى في عمله ويرغب في تحقيق أهدافه بأعلى درجة من النجاح يتعرض للاحتراق النفسي إذا ما وجهته مشكلة أكثر من غيره.

كما يوجد عامل مهم يسهم كذلك في الإصابة بالاحتراق النفسي وهو الخصائص الشخصية للفرد(نشوة أبوبكر دردير، 2007، ص64).

عوامل اجتماعية: زيادة العبء الوظيفي الذي يكون سببا في تقديم خدمات أقل من المستوى المطلوب، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى شعور الموظف بالإحباط وبالتالي زيادة الضغط.

أيضا العمل المهني يتصف بالإثارة والتنوع وروح الفريق والتعاون والمحبة بين العاملين، كما أن العامل يتمتع بالاستقلالية وخاصة في اتخاذ القرارات الخاصة به وبعمله ومع أن هذه التوقعات مقبولة نوعا ما إلا أن الواقع الوظيفي في ظل المؤسسات البيروقراطية يحول دون تحقيق ذلك، مما يؤدي إلى توليد ضغط نفسي فيجعل العامل أكثر عرضة للاحتراق النفسي.

عوامل تنظيمية: عجز الفرد عن التحكم في بيئة العمل تزيد من شعوره بالقلق والكآبة والضغط العصبي ومن ثم إصابته بالاحتراق النفسي وذلك نتيجة الدور الهام الذي تمثله المهنة في حياة العامل، من خلالها يلبي الفرد جملة من الحاجات.

كذلك القيام بنفس الأعمال مع القليل من التغيير خصوصا إذا كانت هذه الأعمال ليست ذات معنى(Sascha Nicolas , 2009 , p26).

- عدم الحصول على فرص للتجربة الشخصية أو لتجريب اتجاهات جديدة، أو أوضاع يمكن من خلالها اختبار التغير والإبداع. لا يكافأ فقط بل لا يشجع أيضا.(Beverly A.Ptter , 2005 , p16)

- العمل لفترات طويلة دون الحصول على قسط كافي من الراحة(خولة يحي وآخرون، 2001، ص99).

في هذا السياق حددت ماسلاش وليتر Maslach & Leiter مجموعة عوامل تنظيمية تؤدي إلى الاحتراق النفسي(سوسن شاكر مجيد، 2012):

ضغط العمل: يشعر الموظف بأن لديه أعباء كثيرة مناطة به، وعليه تحقيقها في مدة قصيرة جدا ومن خلال مصادر محدودة وشحيحة.

محدودية صلاحيات العمل: إن أحد المؤشرات التي تؤدي إلى الاحتراق النفسي هو عدم وجود صلاحيات لاتخاذ القرارات لحل مشكلات العمل، وتتأتى هذه الوضعية من خلال وجود سياسات وأنظمة صارمة لا تعطي مساحة من حرية التصرف واتخاذ الإجراءات المناسبة من قبل الموظف.

قلة التعزيز الايجابي: عندما يبذل الموظف جهدا كبيرا في العمل وما يستلزم ذلك من ساعات إضافية وأعمال إبداعية دون مقابل مادي أو معنوي، يكون ذلك مؤشرا آخر عن المعاناة والاحتراق الذي يعيشه الموظف.

انعدام الاجتماعية: يحتاج الموظف أحيانا إلى مشاركة الآخرين في بعض الهموم والأفراح والتنفيس، لكن بعض الأعمال تتطلب فصلا فيزيقيا في المكان وعزلة اجتماعية عن الأخريين، حيث يكون التعامل أكثر مع الأجهزة والحسابات وداخل المختبرات والمكاتب المغلقة.

عدم الإنصاف والعدل: يتم أحيانا تحميل الموظف مسئوليات لا يكون في مقدوره تحملها، وعند إخلاله بها يتم محاسبته، وقد يكون القصور في أداء العمل ليس تقاعسا من الموظف، ولكن بسبب رداءة الأجهزة وتواضع إمكانياتها ومحدودية برامجها، إضافة إلى إمكانية عدم وجود كفاءات فنية مقتدرة لأداء الواجبات المطلوبة.

صراع القيم: يكون الموظف أحيانا أمام خيارات صعبة، فقد يتطلب منه العمل القيام بشيء ما أو بدور ما ولا يكون ذلك متوافقا مع قيمه ومبادئه.

2-3 مراحل تطور الاحتراق النفسي: يتطور الاحتراق عبر عدة مراحل بدايتاها ضغوط ثم حالة عدم التوازن وعند ازدياد حدة الضغط يحدث عدم التكيف الذي يترجم من خلال ما يلي:

المرحلة الأولى: وتمتد لعدة أسابيع، وتتميز باستجابة انفعالية قصيرة المدى والمباشرة لعدم التوازن السابق، وتظهر عدة مظاهر على الفرد منها: الإرهاق، الإنهاك، شعور بعدم الراحة، الاضطراب، اكتئاب بسيط، ملل، قلق، وعدم الرغبة في العمل، وإذا بقي على هذا الوضع فإنه تزداد لديه درجة الاحتراق النفسي وتحدث المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: والتي تعكس مظاهر عدم المرونة، محدودية العلاقات الاجتماعية، الانسحاب عن الناس والزملاء والأنشطة، تضاؤل فعالية الفرد في العمل، عدم حضور الاجتماعات، البقاء فترات طويلة في العمل أو العودة مبكرا، العمل لفترات طويلة مع انجاز قليل ومقاومة شديدة للتغير(فوزية عبد الحميد الجمالي وعبد الحميد سعيد حسن، 2003، ص161-162).

المرحة الثالثة: وهنا تتميز باستمرار متواصل للعوامل المسببة للاحتراق النفسي، حيث تظهر مظاهر أكثر خطورة على الفرد، مثل الإفراط في التدخين، الإدمان على الكحول أو المخدرات التغيب عن العمل، صراعات أسرية، اكتئاب شديد، تغيرات شديدة في الاتجاه والسلوك، مثل الميل إلى التعامل مع الناس بشكل ألي وينتهي الأمر باستجابة الفرد بشكل دفاعي عن طريق الانفصال نفسيا عن العمل، واللامبالاة والتهكم والجمود، حينئذ يفقد الفرد اهتمامه بالآخرين، كما يزداد شعوره بخيبة الأمل(Wilmer Shaufali & Christina Mslach , 1993, p19).

4-2 أعراض الاحتراق النفسي: يمكننا رصد مجموعة من الأعراض بحسب تصنيف الباحثين لها(سميرة ميسون وفوزية محمدي، دس، ص294):

- الأعراض العضوية: وتشمل الإعياء، الأرق، ارتفاع ضغط الدم، الصداع، اللجوء للتدخين، الإحساس بالإنهاك، التعب بعد العمل.

- الأعراض النفسية الانفعالية: وتتمثل في الملل، عدم الثقة بالنفس، التوتر، فقدان الحماس، فتور الهمة، الغضب، الاستياء وعدم الرغبة في الذهاب إلى العمل.

- الأعراض الاجتماعية: وتتعلق بالأخريين والاتجاهات السلبية نحو العمل والزملاء، الانعزال والانسحاب من المجموعة.

- الأعراض المعرفية الإدراكية: وتشمل عدم القدرة على التركيز، المزاج الساخر، القولبة – تكرار النمط الواحد – كذلك يتحول الفرد من كونه شخصا متساهلا ومتفاهما إلى شخصعنيد ذي تفكير متصلب ومتشدد.(نشوة أبوبكر دردير، 2007، ص66)

يعتبر الاحتراق النفسي ظاهرة ذات أبعاد متعددة وليست ظاهرة أحادية البعد، وقد حددت ثلاث أبعاد لها: الإجهاد الانفعالي Emotional eschaustion، وتبلد المشاعر Depersonalization، ونقص الشعور بالانجاز Lack of accomplishment

الإجهاد الانفعالي: ويشير إلى الإجهاد التام واستنزاف موارد الفرد العاطفية والجسدي.

تبلد المشاعر: ويشير إلى العلاقات الشخصية وفقدان الشعور الإنساني عند التعامل مع المراجعين ومعاملتهم بطريقة سلبية وقاسية.

نقص الشعور بالانجاز: ويمثل هذا البعد شعور الفرد بعدم الكفاءة وفقدان كل من الانجاز والإنتاجية في العمل(ختام علي الضمور، 2008، ص07).

3- أهمية العلاقات الإنسانية ودورها في إدارة الاحتراق النفسي في منظمات العمل: ترجع أهمية العلاقات الإنسانية في مجالات العمل إلى أهمية علاقة الفرد بزملائه، فالمناخ الاجتماعي لجماعة العمل له دور كبير في توفير الثقة والاطمئنان، وكذلك التكيف النفسي للفرد بما يتضمنه

من نواتج كرضا العامل عن بيئة العمل التي ينتمي اليها وزيادة كفايته الإنتاجية.(محمود فتحي عكاشة، 1999، ص31).

تعتبر البيئة التي يجتمع فيها الأفراد لأداء أعمالهم بيئة منظمة توفر للعاملين سبل الاتصال الاجتماعي من خلال عدة نشاطات فعالة، وهذه النشاطات تعمل على تكوين الظروف الملائمة لتوطيد العلاقات الإنسانية والتي تعمل بدورها على تثبيت حالة العمل بروح الفريق الواحد أو ما يسمى العمل الجماعي، ويكون هذا الأخير من خلال المشاركة والتعاون بين الأفراد باعتباره أكثر فعالية من العمل الفردي لبناء التضامن الجماعي وتوحيد الجهود في إطار من العدل والمساواة بعيدا عن التحيز والمحاباة، والحرص على توزيع الاختصاصات وتفويض السلطة مع ضرورة تبصير كل الأفراد باختصاصاتهم وحدود عملهم وإشراكهم في رسم خطة العمل لينجزوا عملهم باقتناع.

تساعد الأعمال المشتركة داخل المؤسسة العامل على توسيع دائرة الاستشارة بينه وبين زملائه مما يساعده في إيجاد حلول للمسائل الصعبة التي قد يوجهها وذلك من خلال تبادل الآراء والتجارب والاستفادة منها.

إن الاستقرار المهني للعامل مرهون بتوفر مجموعة من العوامل التي تسهم في تفعيل العلاقات الإنسانية والتي من شأنها تحسين نفسية العامل ومساعدته على تخطي الصعاب والحيلولة دون إصابته بالاستنزاف الانفعالي أو بالاحتراق النفسي، وبدايتها نتكلم عن القيادة الرشيدة، إن نجاح المدير في العلاقات الإنسانية يدل على مدى قدرته على كسب احترام مرؤوسيه، مما يتطلب منه أن يكون قدوة حسنة وصالحة لهم، وما يظهره من حرص لإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية وأسلوبه في توجيههم وتصويب أخطائهم، وحسن التعامل معهم(الدوسري محمد بن عايدة، 2005، ص09).

فإحساس العامل بثقة مرؤوسيه وعدالتهم وكذا مساندتهم وتدعيمهم له من خلال جملة الحوافز سواء كانت مادية أو معنوية دليل على اعترافهم له بمجهداته المبذولة ولذلك وقع ايجابي على نفسيته.

وأيضا في ظل العلاقات الإنسانية الجيدة والفعالة تقل صور السلوك الشاذ والمريض الذي تظهر على بعض العاملين كالانطواء، العدوانية، الإحباط بمعنى أنه كلما سادت علاقات إنسانية جيدة كلما أدى ذلك إلى الإقلال من هذا الشعور، وتظهر أهمية العلاقات الإنسانية في أنها تعمل على تعزيز العلاقات الايجابية وإشاعة جو الألفة والمحبة وتحقيق التعاون، وتقوية الثقة المتبادلة وإشباع الحاجات النفسية والاجتماعية ورفع الروح المعنوية للعاملين بما يحقق الولاء المحفز لزيادة الإنتاج(وصل الله بن حامد الحارثي، 2012، ص34).

إن العلاقات الإنسانية لا تقتصر على المجاملات فحسب بل لا بد أن تخرج إلى حيز التطبيق الواقعي من خلال تفعيل أبعادها المختلفة بهدف القضاء على شعور العامل بالاستنزاف الانفعالي

وذلك يكون من خلال حسن إدارة السلوك الإنساني وتوجيهه نحو تحقيق الهدف، ويكون التدعيم الايجابي للسلوك المرغوب فيه من خلال بناء نظم حوافز ودعم ملائمة، وكذلك اختيار نمط اتصال وأسلوب قيادي مناسب، ومحاولة تهيئة مناخ وظروف عمل جيدة للتخفيف من حدة الضغوط وجعلها عند المستوى الفعال على نحو يسهم في تحقيق أهداف الفرد وأهداف المنظمة.

والفلسفة الواقعية للعلاقات الإنسانية تعتمد على ضرورة تفهم حاجات الأفراد ورغباتهم، وبتالي العمل على إجراء التغيرات التي تتفق مع تلك الرغبات في حدود الأهداف العامة المقررة بحيث يسود تعاون وفهم مشترك بين الإدارة والعاملين على كافة مستوياتها، تعاون من أجل إنتاج أفضل وكفاءة أعلى، وتفاهم في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الاهتمام بالجانب الإنساني في التعامل مع الأفراد داخل أي منظمة يعد عاملا مهما في القضاء على أي اضطراب نفسي أين كان نوعه والقدرة على التحكم فيه من خلال توفير المناخ الايجابي الداعم لرفع المعنويات، وأن المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على القائد الذي يعمل من خلال قراراته الموضوعية، وطريقة تعامله الايجابية على تفعيل العلاقات الإنسانية بين الأفراد لزيادة دافعيتهم نحو العمل بهدف تحقيق أهدافهم وأهداف المنظمة.

خاتمة:

تعتبر العلاقات الإنسانية العصب الحيوي في أي مؤسسة متى تم استغلالها بشكل جيد وتفعيل أبعادها بشكل ذكي، وكان هدفها دائما التركيز على العنصر الفعال (الفرد).لأنه يعتبر حجر الأساس لا يمكن أن تقوم قائمة بدونه، راحته تعني نجاح المؤسسة واضطرابه يعني انهيارها وزوالها، وعليه يمكن القول بأن العلاقات الإنسانية الفعالة بمثابة الدواء الواقي وحتى الشافي في حالة المرض.

قائمة المراجع:

1.أحمد السيد الكردي(2012)، العلاقات الإنسانية، نشرت في 12 يونيو2011،

2.بلقاسم سلاطنية، أسماء بن تركي وآخرون(2013)، الفعالية الإدارية في المؤسسة مدخل سوسيولوجي، دار الفجر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

3.بلقاسم سلاطنية، العلاقات الإنسانية في المؤسسة، مجلة العلوم الإنسانية، منشورات جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، عدد 5، فيفري 2014.

4.جمعة سيد يوسف(2008)، إدارة الضغوط، مركز تطوير الدراسات العليا والبحوث الهندسية، ط1، مصر.

5.حسين عبد الحميد أحمد رشوان(2004)، علم اجتماع التنظيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

6.ختام علي الضمور(2008)، الاحتراق النفسي لدى الأم العاملة وأثره في طريقة تعامل الأم مع الأبناء من وجهة نظر الأمهات العاملات في محافظة الكرك، رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي والتربوي، قسم الإرشاد والصحة النفسية، جامعة مؤتة.

7.خولة يحي وآخرون(2001)، مصادر الاحتراق النفسي لدى معلمي الطلبة المعوقين عقليا في اليمن، مجلة مركز البحوث التربوية، العدد 20، جامعة قطر.

8.الدوسري محمد بن عايدة(2005)، العلاقات الإنسانية في الفكر الإسلامي المعاصر، جامعة نايف للعلوم الأمنية، مركز البحوث، الرياض.

9.رانيا عبد المعز الجمال(2011)، الإدارة والعلاقات في الألفية الثالثة، دار الجامعة الجديد، الإسكندرية.

10.سليمان بن راشد الحاتمي(دس)، الاحتراق النفسي وعلاقته بأساليب مواجهة المشكلات لدى المعلمين في محافظة الظاهرة، سلطنة عمان.

11.سميرة ميسون وفوزية محمدي(دس)، إدراك مصادر الضغوط المهنية وعلاقته بالاحتراق النفسي لدى المعلمين بالمرحلة الابتدائية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي حول المعاناة في العمل، جامعة ورقلة.

12.سوسن شاكر مجيد(2012)، الاحتراق النفسي أعراضه ومصادره، الحوار المتمدن، محور الفلسفة علم النفس علم الاجتماع، العدد 3723، 2012/05/10.

13.شهيب محمد علي(2004)، العلاقات الإنسانية وعولمة السلوك، دار النهضة العربية، القاهرة.

14.علي بن شويل القرني(دس)، الإعلام والاحتراق النفسي، دراسة عن مستوى الضغوط المهنية في المؤسسات الإعلامية في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض.

15.فوزية عبد الحميد الجمالي وعبد الحميد سعيد حسن(2003)، مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية، مجلة دراسات عربية في علم النفس، مجلد 03، العدد 01، سلطنة عمان.

16.محمد الصرفي(2007)، السلوك الإداري والعلاقات الإنسانية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2007.

17.محمود فتحي عكاشة(1999)، علم النفس الصناعي، مطبعة الجمهورية، الإسكندرية، مصر، 1999.

18.نشوة أبو بكر دردير(2007)، الاحتراق النفسي للمعلمين ذوي النمط (أ. ب).وعلاقته بأساليب موجهة المشكلات، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التربية، جامعة الفيوم.

19.وصل الله بن حامد الحارثي(2012)، مستويات العلاقات الإنسانية السائدة في المدارس الثانوية كما يتصورها المديرون والمعلمون بمحافظة الطائف، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الادارة التربوية والتخطيط، المملكة العربية السعودية.

20.Beverly A.potter(2005), Overconing job Burnout: how renew enthusiasm for work, Rowin publishing ,Ine, third edition.

21.Christina Guilleve(2003), psychologie du travail, Nathan université.

22.Pierre Canonui & Aine Mauraanges(2008), le burn out à l’hopital: le sydrome d’épuisement professionnel des soignants, Masson,4 éme édition.

23.Sascha Nicolas(2009), le Burnout-Crise ou chance ?...ou comment un concéné explique les syndron d’épuisement, Nathan, 2 éme édition, paris .

24.Wilmer Shaufali & Christina Mslach , professional burnout: recent developments in theory and research , tadeusy, new york , 1993.

فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا

The effectiveness of electronic training programs in developing the digital and behavioral skills of eleventh - District. grade students in Marka

د.أمل محمد عبد الله البدو، جامعة العلوم الإبداعية-الإمارات العربية المتحدة

الملخص: هدفت الدراسة إلى معرفة فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا، استخدمت الباحثة المنهج الإجرائي، وكانت أدوات الدراسة الاستبانة مكونة من (25) فقرة وزعت على مقياس ليكرت الثلاثي، وقائمة مهارات رقمية وسلوكية، وكانت عينة الدراسة مكونة من (90)طالبة من طالبات الصف الثاني ثانوي في مدرسة أروى بنت عبد المطلب الثانوية.حيث توصلت الدراسة إلى أنّه توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في الاتّجاهات بين التطبيقين القبلي والبعدي لجميع الطلبات في عينة الدراسة ولقد كانت الفروق لصالح التطبيق البعدي. أيضاً قامت الباحثة بحساب المعدل العام لقائمة رصد المهارات وعند المقارنة بين المعدلين لقائمة رصد المهارات وجدت ارتفاع المعدل العام البعدي بفروق واضحة.

الكلمات المفتاحية: البرامج التدريبية الإلكترونية، المهارات الرقمية، المهارات السلوكية، الطلبة.

Abstract: The study aimed to identify the effectiveness of electronic training programs in developing behavioral and networking skills for eleventh-grade students in Marka District. The researcher used the procedural approach. The Study tools were the questionnaire consisted of 25 paragraphs that have been distributed based on the Triple Likert scale. In addition to that, a list for observing digital and behavioral skills. The sample of the study consisted of 90 female students from the second year of secondary school at Arwa Bint Abdul Muttalib Secondary School. The study found that the arithmetic mean for the pre-performance is 2.23 and for the post-performance 2.58. The T-test was used, and the value of "T" was a function at the level of significance (0.05). That shows the statistically significant differences in the directions between the pre and post applications of all students in the study sample and the differences were in favor of the post-application.The researcher also calculated the general average of the pre-skills monitoring list. The pre-overall rate was

60%, and the post-trial monitoring average was 85%. When comparing the two rates for the skills monitoring list, we find the post average rate rise with clear differences. This result indicates the role of electronic training programs in developing digital and behavioral skills for eleventh-grade students.

Key words: e-training programs, digital skills, behavioral skills, students.

المقدمة:

يشهد القرن الحادي والعشرين نمواً متسارعاً في مجال التقنية والمعلومات حتى أصبح لا غنى عنها في مجالات الحياة المختلفة، وارتفع مستوى الاهتمام بالتقنيات الحديثة من قبل الأفراد والمجتمعات والحكومات بسبب ارتباطها بحاجاتهم ورغباتهم وأعمالهم وتطورهم، وعلى الرغم من التغيرات المتلاحقة وتقادم المعرفة بمعدلات سريعة صار من الضروري إعادة النظر في أسلوب التعليم والتدريب على حدّ سواء. وهذه التغيرات والتطورات التقنية والمعرفيّة متسارعة ومتنوعة في كل المجالات والقطاعات ومنها قطاع التعليم الذي يسعى بدوره لمواكبة هذه التقنيات الحديثة من أجل تحقيق تطلعات الدول المستقبلية وأجندتها الوطنية للوصول إلى تعليم عصري ينافس ويقود عجلة العلم والبناء والابتكار.

وفي عالم اليوم المتسارع في معارفه وخبراته وثقافاته ووسائل اتصاله حتى صار هذا العالم الواسع في مظهره المادي كأنّه قرية صغيرة لم تعد وسائل التدريب التقليدية صالحة لتقوى على إدراك النمو المعرفيّ والخبرات المتنوعة في مجالاتها وعمقها والفئات المستهدفة منها. وقد أخذت الأردن خطوات جديّة نحو الاقتصاد المعرفيّ في مجالات متعددة وخاصة في مجال المنهاج التعليمي والتدريب الذي يهدف إلى بناء الإنسان بناءً سوياً متكاملاً في كافة النواحي العقلانية والنفسانية الروحانية والثقافية بالجمع بين الأصالة والحداثة.

فتحول الاقتصاد العالمي من اقتصاد ذي كثافة عمالية إلى اقتصاد ذي كثافة رأسمالية، نتيجة التطورات التقنية إلى اقتصاد في عصر المعرفة إلى اقتصاد المعرفة، ويلاحظ ذلك بصورة واضحة في الاقتصاد الخدمي المعتمد بالدرجة الأولى على توافر المعلومات ومعالجتها والتعامل معها وتقديم الخدمة على أساسها. وتبرز هنا أهمية رأس المال البشري في عالم الأعمال، والمراد به العناصر المفكرة والقادرة على الابتكار المستمر من أجل التنافسية وصراع البقاء، فظهر مصطلح عمالة المعرفة الذي يعتمد على المعرفة والمهارة والمعلومات المتطورة والمواكبة لكل جديد. لذلك " لم تعد مسألة المعرفة متعلقة فقط بقلة من القادة والمفكرين الذين يتولون عملية الابتكار والتجديد، وإنّما أصبحت معظم الأعمال-مهما صغُر شأنها- تتطلب قدراً كبيراً من المعرفة لم يكن مطلوباً من قبل، فقد أصبحت المعلومات هي أهم مادة خام يحتاجها العامل في عمله بدءاً من المزارع البسيط إلى العمال ومن الأعمال المكتبية إلى الأعمال المهنية، ولم تعد المهارات اليدوية هي المطلوبة وحدها، وإنّما المهارة الذهنية والتي تمكن صاحبها من التعامل مع

فيض المعلومات المتجدد دائماً والذي يتطلب التعلّم الدائم مدى الحياة" (الغراب،2003، ص13-14).

ومن التغيرات الكبيرة التي يتسم بها عالمنا المعاصر تلك الثورة التكنولوجية الهائلة، والتقدم التقني الهائل الذي نشهده على كل الأصعدة. وكان لابد على طرائق التدريب أن تستجيب لهذه الثورة التقنية من جهة أن تعكس برامجها ومقرراتها وأنشطتها عناصر هذه التكنولوجيا وبالتالي تنقلها إلى ميادين العمل لتعاصر استخدامات التكنولوجيا الحديثة وبما يمكن مستخدميها من التكيف مع طبيعة العمل المكلفين به وبالتالي فإنّ التدريب يستجيب من مخترعات ومنتجات تلك الثورة التكنولوجية في تفعيل أنشطته وتسهيل وتحقيق أهدافه. ونظراً للتغييرات الكبيرة التي يشهدها المجتمع العالمي مع دخول عصر المعلومات وثورة الاتصالات، فإنّ الحاجة ماسة في هذا الوقت خصوصاً إلى تطوير برامج المؤسسات التدريبية لكي تواكب تلك المتغيرات.

ومن أجل تحسين سُبل تدريب المعلمين والطلبة وإصلاح الأنظمة في المدارس والتركيز على التعلّم مدى الحياة خارج الفصول الدراسية التقليدية، تطورت أساليب التعليم والتدريب، فأصبحت إبداعية، تقنية، تلبيةً لاحتياجات المجتمعات المحرومة، والمعرّضة للمخاطر. فجاءت مهارات القرن الحادي والعشرين لتُشَكِّلَ تحدياً جديداً في مجال التعليم، وأصبح ضرورياً على الطلبة أنّ يتعرفوا هذه المهارات ويتقنوها على أتمّ وجه ليستطيعوا بناء أنفسهم بشكل صحيح ويكونوا قيادين مبتكرين. لذلك اتجهت هذه الدراسة لتقصي فاعليّة الدورات التدريبية الإلكترونية والبرامج المرتبطة في تنمية مهارات الطالب الرقمية والسلوكية. لأنّ هناك حاجة لطالب دائم التطور، لتلبية احتياجات العملية التعليمية والمجتمع حوله، لديه رغبة في التعلّم الذاتي والاطّلاع، ومواكبة التقنيات الحديثة.

مشكلة الدراسة:

تعددت التقارير العالمية التي تشخص وضعية التعليم في العالم و الاختلافات المسجلة من دولة إلى أخرى، تقارير اعتمدت على دراسات علمية دقيقة من أجل تكوين نظرة شمولية عن " التعليم في جميع أنحاء العالم " إضافة إلى ترتيب النظم التعليمية العالمية من خلال رصد مكامن الضعف والقوة فيها، لتخلص إلى تحديد أهم المهارات التي يحتاجها الطلبة لتلبية الاحتياجات المتغيرة للسوق العالمية، حيث أصبح من الضروري لكل طالب التوفر عليها أو على أغلبها ليضمن مكاناً له ضمن عالم يتطور بسرعة عالم أصبحت القرية أكبر منه. و يمكن تلخيص أهم هذه المهارات فيما يلي: القيادة – ريادة الأعمال – المواطنة العالمية – حل المشاكل – العمل الجماعي – الذكاء العاطفي – التواصل – محو الأمية الرقمية. ومن خبرة الباحثة بتدريس المرحلة الثانوية لعدد من السنوات، لاحظت الباحثة ضعف في المهارات الرقمية والسلوكيه لدى طالبات المرحلة الثانوية، وهذه المرحلة مهمة في حياة الطالبة حيث تؤهلها الى المستقبل سواء الحياة الجامعية، أو حياة اجتماعية جديدة (الارتباط وغيره من الأمور). من هنا كانت مشكلة الدراسة في تطوير هذه المهارات لدى طالبات المرحلة الثانوية ومحاولة معالجة الضعف فيها، وتتخلص مشكلة الدراسة

بالتساؤل الرئيسي التالي: **ما فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا؟**

تساؤلات الدراسة:

1. ما دور التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات الطالبات التقنية؟
2. ما دور التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات المتدربين السلوكية؟
3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطات الأداء البعدي والقبلي لأفراد المجموعة على الدرجة الكلية لمقياس فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات المرحلة الثانوية؟

أهميّة الدراسة:

1. أنّها من أُولى الدراسات التي تبين دور برامج التدريب الإلكتروني في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات المرحلة الثانوية.
2. تفيد هذه الدراسة في طرح المقترحات التطويرية والآليات الإجرائية؛ لتطوير أداء طلبة المرحلة الثانوية كي يصبح أداؤهم فاعلاً ومؤثراً وفق المعايير العالمية.
3. تفيد هذه الدراسة في تطوير وربط الواقع التدريبي الإلكتروني للطلبة والواقع التربوي المعاصر القائم على التدريس الإلكتروني شخصياً واجتماعياً بما يحقق تنمية معرفية مستدامة على مستوى المملكة.
4. تفيد هذه الدراسة في خدمة الطلبة والمعلمين والقيادات المدرسية والإشرافية بالسُبل الكفيلة؛ للإرتقاء بمستوى أداء طالب المرحلة الثانوية .

المنهجيّة: تقوم منهجيّة الدراسة على المنهج الإجرائي وهو استقصاء منظم يجريه الممارسون في التربية، ويتضمن جمع المعلومات عن الأساليب الإدارية والتربوية بغرض اكتساب فهم عميق يتيح فرص التحسين والتطوير(البياتي، 2018).

أدوات الدراسة: استبانة لمعرفة أراء الطلبة حول فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا.

حدود الدراسة: سيقتصر إجراء الدراسة على:
الحدود الموضوعية: فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات الصف الثاني ثانوي في لواء ماركا.
الحدود الزمان: 2019 – 2020م.
الحدود المكانية: المدارس الحكومية التابعة لواء ماركا.
الحدود البشرية: عينة من طالبات الصف الثاني ثانوي في مدرسة أروى بنت عبد المطلب الثانوية.

المصطلحات الإجرائية:

أولاً: التدريب الإلكتروني(Electronic Training): تعريف الموسوي (2010): هو عملية منظومية تتم في بيئة تفاعليّة متنقلة متشعبة بالتطبيقات التقنية الرقمية المبنية على استخدام شبكة الإنترنت والحاسوب متعدد الوسائط والأجهزة المتنقلة لعرض البرمجيات والحقائب والدورات التدريبية. لتصميم وتطبيق وتقويم البرامج التدريبية التزامنية وغير التزامنية. باتباع أنظمة التدريب الذاتي والتفاعلي والمزيج لتحقيق الأهداف التدريبية وإتقان المهارات بناءً على سرعة المتدربين في التعلّم ومستوياتهم الفكرية وظروف عملهم وحياتهم ومواقعهم الجغرافية.

المهارات الرقمية: تعريف المهارة نظرياً: القدرة على الأداء بشكل فعاّل في ظروف معينة. أو القدرة على القيام بعمل ما بشكل يحدده مقياس مطور لهذا الغرض، على أساس من الفهم والسرعة والدقة (العياصر، 2015).

وتعرف كراش جنسكا(Gruszczynska,2013) المهارة الرقمية: بأنّها مجموعة من المهارات للوصول إلى شبكة الإنترنت، لإيجاد وإدارة وتحرير المعلومات الرقمية، وانخراط مع المعلومات على الإنترنت واتصالات الشبكة.

المهارات السلوكية: هي القدرات التي تمكن الأفراد القيام بسلوك تكيفي وإيجابي يجعلهم قادرين على التعامل مع الحياة اليومية وتحدياتها. حيث أنها بالغة الأهمية لمواجهة المواقف المختلفة، بشكل إيجابي للمشاركة في العالم الحديث الممتلئ بالتحديات الجديدة. ويكون ذلك عبر تعزيز السلوكات الشخصية الإيجابية والتكيف الاجتماعي والمواطنة والموقف الإيجابي في العمل. أو هي" المهارات الشخصية والاجتماعية التي يحتاجها الشباب كي يتعاملوا بثقة وكفاءة مع أنفسهم أو مع الناس الآخرين ومع المجتمع المحلي(منظمة الصحة العالمية،1994).

الإطار النظري:

أهمية التدريب في المؤسسات التربوية: وعلى الرغم من أهمية التدريب في كل المجالات وفي جميع المؤسسات، إلا إنّ أهميته تبرز في القطاع التربوي؛ لأنّه أمل المجتمعات في النهوض والتطور، ونظرًا للتغيرات السريعة والمتلاحقة في عالم التقنيات الحديثة ومايجب على النظم التعليمية من مسايرتها وتحديث أنظمتها وتطوير مهارات أفرادها، فالعصر الحالي- القرن الحادي والعشرين- كما تقول الياور(2005): يتطلب من جميع الطلبه في مؤسسات التربية والتعليم تدريبًا شاملاً متكاملاً متعدداً متنوعاً معرفياً ومهارياً، ليساعد الطلبة على التكيف مع التغيرات العلمية والتقنية الحديثة، ومعرفة كيفية استثمارها بالشكل الصحيح والمكان المناسب.

أساليب التدريب: ويُجمل شويطر(2009) أهم أساليب التدريب الحديثة فيما يلي:

-أسلوب التدريب المصغّر: يقوم هذا الأسلوب على أساس تقسيم الموقف التعليمي إلى مواقف تدريسية صغيرة مدتها (5) دقائق يتم تسجيلها بواسطة كاميرات فيديو من أجل إعادة عرضها ليقف كل معلم على أخطائه ويعدل سلوكه في أنشطة تدريبية قادمة، ويمتاز هذا الأسلوب بأنه يقدم للمتدرب تغذية راجعة فورية ومن مصادر متعددة .

-أسلوب التدريب باستخدام الندوات: يقوم هذا الأسلوب على التفاعل المباشر بين المتدربين والمدرب من خلال المناقشة و الحوار ويتم ذلك بالتبادل اللفظي المنظم، ويمتاز هذا الأسلوب بسرعة جمع المعلومات، ويشجع كل فرد على المشاركة بإجابات تلقائية حرة، ومن عيوب هذا الأسلوب وجود إجابات غير متعلقة بالموضوع، قد تؤدي إلى تشتت الأفكار، وفقدان التركيز، وسيطرة فرد على المجموعة .

-أسلوب العصف الذهني: يقوم هذا الأسلوب على تشجيع المتدربين على إنتاج عدد كبير من الأفكار بهدف تنمية قدراتهم العقلية أثناء التدريب من خلال تتابع الأفكار وتنوعها في حل مشكلة ما، وهي عملية إنتاج قائمة من أفكار لاستخدامها كمفاتيح لبلورة مشكلة وبالتالي تؤدي لحل هذه المشكلة .

-أسلوب المحاضرة الفعّالة: ويعد هذا النوع من أساليب التدريب الجماعي ومن أقدمها، فهو يوفر الوقت والجهد والمال في نقل المعلومات، ويتميز هذا الأسلوب بأنّ المحاضرة تساعد على إعطاء وتغطية معلومات كثيرة في وقت محدد، وتعطي المدرب قدرة أكبر في السيطرة على الموقف التدريبي وتوجيه المتدربين في الوقت المحدد، وهي وسيلة مهمة لعرض الأفكار الجديدة على المتدربين.

-أسلوب العروض العملية: ويكون بالتطبيق المباشر للمهارة أو المهمة من قبل المدرب أمام المتدربين مما يمكنهم من رؤية النتائج المباشرة للمهارة المحددة.

-أسلوب ورش العمل: وهي من أساليب التدريب الجماعي؛ لأنّ الأفراد ينقسمون إلى مجموعات وكل مجموعة تنجز عملاً يعتبر مكملاً للمجموعة الأخرى، ويركز الأفراد فيها على الحوار والمناقشات واحترام وجهات النظر المختلفة، والدور الأساسي فيها للمتدرب لأنّه يتعلم ويكسر الجمود المعرفيّ.

-أسلوب الزيارات الميدانية: الداخلية أو الخارجية وهي من الأساليب المهمة لأن المتدرب يقف فيها في مكانه الطبيعي ويشاهد ويربط بين المعلومات النظرية والتطبيقية.

-أسلوب التعلم الذاتي: وهو قيام المتدرب بتعليم ذاته مستخدماً جميع أدوات التعلّم المتوفرة له أو عنده.

التوجهات الحديثة في مهنة التدريب: في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين شهدت تقنيات التدريب الحديثة، وظهر ذلك واضحاً من خلال النماذج والمجالات العديدة التي ساهمت وتسهم في رقي العملية التدريبة، وإيصالها للطريقة المثلى، فقدمت هذه التقنيات والوسائل مجموعة من التسهيلات للعملية التدريبية في سبيل تحقيق أهداف منظومة التنمية الشاملة، وخصوصاً تنمية الموارد البشرية، ودور هذه الوسائل في جلب انتباه المتدربين، وزيادة اهتمامهم بالموضوع، وتنويعاً لمصادر معرفته، ومراعاة لمستوى تفكيره وإدراكه، وتبسيطاً وتيسيرًا لموضوعات قد يصعب فهمها. واستعرض أبو النصر(2017) مجموعة من الوسائل يلخصها الباحث:

1. توظيف التقنيات الحديثة في العملية التدريبية: لقد ساهم توظيف التقنيات الحديثة في التدريب تحقيقاً لمكاسب عدة من أهمها السرعة في تقديم الخدمة، وتوفير الموارد، وتحسين جودة المخرجات، ومن أبرز المجالات التي ظهرت نتيجة لتوظيف التقنيات الحديثة في التدريب مايلي:
أ.التدريب الافتراضيّ: أحد التوجهات الحديثة والمتنامية في التدريب.
ب.شبكة الإنترنت: حيث تشير الدراسات إلى توظيفها في التدريب وارتفاع استخدامها من (8,4%) عام (1999) إلى (30%) عام (2004).
ج.الحقائب الإلكترونية: فيمثل إنتاجها واستخدامها من أوجه استخدام التقنيات الحديثة.
د.التدريب عن بعد: وهو أحد أوجه توظيف التقنيات الحديثة في صناعة التدريب.
2.مفهوم التعليم مقابل التدريب: ويقصد به تحول التدريب إلى تعلّم مستمر تقع مسؤوليته على الفرد بصورة أكبر.
3.التعاقد الخارجي لتنفيذ التدريب: بهدف الحصول على أفضل الخدمات والمنتجات من جهات متخصصة، بالإضافة لخفض التكاليف الناشئة عن التدريب الداخلي.
4.التدريب على رأس العمل: ويقصد به الشراكة التفاعليّة الهادفة لتحقيق الأهداف الشخصية والمهنية للموظف ضمن سياق أهداف المنظمة.
5.حقوق الملكية الفكرية للمواد والبرامج التدريبية.
6.التوسع في البرامج المخصصة وفقاً لاحتياجات الجهات الحكومية.
7.التركيز على ما بعد التدريب: ويقصد به التقيم بعد الانتهاء من التدريب مباشرة والتقيم بعد فترة من انتهائه بغية تحسين البرامج التدريبية في المستقبل.
8.استخدام المدرب للألعاب والمباريات التدريبية: من أجل تدعيم الاتّجاهات والقيم المطلوب اكتسابها وتحسين المهارات لدى المتدربين بطريقة شيقة وجذابة وممتعة وحركية وفيها شراكة من الأطراف.
9.التعليم عن بعد والتدريب عن بعد: لأنّ التعليم عن بعد نتاج للتقدم التكنولوجي ولثورة المعلومات والاتصالات الإلكترونية بهدف تطوير العملية التعليمية وتقديمها للمتعلمين، كذلك يعد التدريب عن بعد نتاجاً لتوظيف التقنية في صناعة التدريب، ومدخلاً لتنمية الموارد البشرية وتطويرها من خلال تقديم البرامج التدريبية لموظفيها دون الحاجة للانتقال.

ومن الأساليب التدريبية الحديثة التي استعرضها (أبو النصر، 2017): (التدريب بالتعلم المبرمج، التدريب المفتوح، التدريب بالمحاكاة، تمثيل الأدوار، المباريات التدريبية، سلة القرارات، دراسة الحالة، أسلوب الحدث أو حل المشكلات، الزيارات الميدانية).

أهمية التدريب الإلكتروني: تكمن أهمية التدريب الإلكتروني كما ذكرها(يماني،2006) في ما يلي:

-إنّ التدريب موجه لأهم وأكثر العناصر قيمة هو الإنسان.
-الخروج عن النمطية والتقليدية في التدريب.
-تقليل تكلفة العملية التدريبية والرفع من كفاءة المتدربين.
-تطوير قدرة المتدرب على استخدام التقنيات الحديثة والإستفادة منها في مهنته.
-تشجيع مبدأ التعلّم الذاتي وتنمية المهارات والمعارف من خلال الاعتماد على النفس.
-زيادة ثقة المتدرب لنفسه من خلال الاعتماد على مستواه من حيث التعلّم والتطبيق الفردي المباشر.
-السماح لمنظمي العملية التدريبية من تطوير المادة التدريبية وتحديثها واستخدام المصادر الإلكترونية والإنترنت.
-الاعتماد على مستوى المتدرب في وقت التعلّم والتطبيق وليس على مستوى المجموعة.
-تقديم المنهج للمتدرب متى يشاء وأينما يشاء، بواسطة أي نوع من الأجهزة وربطه بعدد غير محدود من مواقع الإنترنت.

ثانيًا: فوائد التدريب الإلكتروني:

1. المرونة والملاءمة وسهولة وسرعة الوصول للمحتويات والأنشطة بأي وقت وأي مكان مع إمكانية الاختيار بين دورات متوفرة وتتزايد باستمرار.
2. يوفر تغذية راجعة فورية عند أداء الواجبات، والامتحانات، والتمارين مع سهولة وسرعة المراجعة، والتحديث، والتحرير، والتوزيع.
3. مراعاة الفروق الفردية بين المتدربين ومنها قدرة المتدرب مثلاً أن يتعلّم بسرعة أو ببطء.
4. يقدم تسهيلات، وأساليب تعليمية متنوعة تمنع الملل.
5. يُسهل متابعة المتدربين ولو كانوا كُثر، كما يسهل وصول الآلاف للمصدر نفسه وفي الوقت نفسه.
6. الوقت: حيث يوفر ويتيح للمتدرب تنظيم وقته بحيث يجدول تلقيه لدورته بما يتناسب وظروف العمل، والعائلة كما ويتيح له القفز من مواد ونشاطات يعرفها.
7. كلفة المال: حيث يخفض تكلفة السفر، والتنقل، والمعيشة، وكذلك يخفض تكلفة الإنتاج، والتوزيع للمواد التدريبية، وتكلفة المكاتب، والمدربين إضافة إلى تقليص تكلفة ضياع وقت العاملين.

8. الاتصالات والتفاعل: إمكانية الاتصال والتفاعل الإلكتروني المباشر بين المدرب والمتدربين، والتفاعل الفوري إلكترونياً بين المتدربين من خلال وسائل البريد الإلكتروني ومنتديات النقاش وغرف الحوار ونحوها.

وعليه فإنّ التدريب الإلكتروني يعتبر وسيلة حديثة تساهم بقدر كبير في ترقية أداء المؤسسات والعاملين بها دون عناء وبأقل تكلفة وجهد مع تحقيق الهدف المنشود وسد الحاجة المعرفيّة من العملية التدريبية، فهو وسيلة مثلى لإعطاء صفة الشمولية والتوسع والإنتشار في العملية التدريبية الإلكترونية ، فضلاً عن توافر مبدأ المرونة من حيث الوقت والمكان، وذلك بإتاحة إمكانية التواصل مع أكبر عدد ممكن من المتدربين في أي وقت ومكان.

مهارات القرن الحادي والعشرين:

-القدرة على التفكير الناقد.
-إكساب المتعلمين للمهارات الحياتية.
-تنمية المهارات العليا للتفكير.
-مهارات ما وراء المعرفة(التفكير في التفكير).
-استخدام وإدارة تكنولوجيا التعليم.
-مهارة دعم الاقتصاد المعرفيّ.
-إدارة قدرات المتدربين من خلال التدريب المتمايز.

الدراسات السابقة:

دراسة المطيري(2012) بعنوان: متطلبات التدريب الإلكتروني ومعوقاته في مراكز التدريب التربوي بمدينة الرياض من وجهة نظر المدربين. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على متطلبات التدريب الإلكتروني ومعوقاته في مراكز التدريب التربوي بمدينة الرياض من وجهة نظر المدربين، واستخدم الباحث في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (115) مدرباً في مراكز التدريب التربوي بمدينة الرياض تم اختيارهم بطريقة عشوائية، واستخدم الباحث أداة الاستبانة، وقد أظهرت نتائج الدراسة إلى أنّ هناك موافقة بين أفراد عينة الدراسة على متطلبات التدريب الإلكتروني الخاصة بالمدرب والمتمثلة في (إجادة تشغيل الحاسب الآلي وملحقاته وكذلك إتقان استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات)، وهناك موافقة بشدة بين أفراد عينة الدراسة على متطلبات التدريب الإلكتروني الخاصة بالبيئة التدريبية والمتمثلة في (توافر الحاسب الآلي بمواصفات فنية مناسبة وكذلك توافر قاعات مجهزة بالأجهزة اللازمة لتطبيق التدريب الإلكتروني بالإضافة إلى توافر اتصال سريع بشبكة الإنترنت وكذلك وجود فريق عمل يقوم بالدعم الفني وتوافر البرمجيات اللازمة لعمل الأجهزة).

دراسة السنانيّ(2013) بعنوان: درجة إسهام التدريب الالكتروني في تطوير مهارات التدريس لدى معلمي اللغة الإنجليزية بمحافظة ينبُع. هدفت الدراسة إلى معرفة درجة استفادة معلمي اللغة

الإنجليزية من التدريب الإلكتروني في تطوير مهارات التدريس الأدائية وكذلك التعرف على أبرز المعوقات التي تحول دون الاستفادة من التدريب الإكتروني في تطوير المهارات التدريسية الأدائية لدى معلمي اللغة الإنجليزية، اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي و قام الباحث ببناء استبانة وزعت على عينة الدراسة والتي تكونت من مجتمع البحث كاملاً، وتكوَّنَ مُجتمَع الدراسة من جميع مشرفي ومعلمي اللغة الإنجليزية البالغ عددهم (160) معلماً ومشرفاً، وقد أظهرت نتائج الدراسة إلى أنّ استفادة معلمي اللغة الإنجليزية من التدريب الإلكتروني كانت بدرجة عالية في أغلب المهارات التدريسية الأدائية، و توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (0.01) في مستوى استجابات أفراد عينة الدراسة والتي تُعزى إلى متغير عدد الدورات التدريبية الإلكترونية لصالح معلمي ومشرفي اللغة الإنجليزية الذين حصلوا على عدد "ثلاث دورات فأكثر".

دراسة محمد حسن (2016) بعنوان: فاعليّة نمط التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات إدارة بيئة الفصل الافتراضيّ لدى معلمي الحاسب الآلي. هدفت الدراسة إلى التعرف على فاعليّة نمط التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات إدارة بيئة الفصل الافتراضيّ، وتكونت عينة الدراسة من (40) معلمًا ومعلمة من معلمي الحاسب الآلي ببورسعيد، وخريجي كلية التربية النوعية شعبة معلم حاسب آلي، وتم توزيع عينة البحث إلى مجموعتين تجريبتين بواقع (20) معلماً ومعلمةً لكل مجموعة تجريبية (مجموعة تتدرب إلكترونياً ومجموعة تتدرب تقليدياً) وفق تصميم البحث التجريبي، واتبعت الباحثة المنهج شبه التجريبي، وأسفرت نتائج الدراسة إلى فاعليّة نمط التدريب الإلكتروني في الجانب المعرفيّ والأدائي لمهارات إدارة بيئات التعلّم عبر الإنترنت، وفاعليّة نمط التدريب المتنقل في الجانب المعرفيّ والأدائي لمهارات إدارة بيئات التعلّم عبر الإنترنت.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث إنّ التدريب الإلكتروني له دور كبير تنمية المهارات الرقمية للطلبة وهذا بدوره يمكّنُ الطلبة من مواكبة التطورات في عصر الثورة الرقمية وإنعاكسه عليهم، وتختلف مع الدراسات السابقة من حيث البيئة والتسهيلات المقدمة لفئة الدراسة وهم الطلبة، **أمّا من حيث المنهج** فيختلف المنهج الذي سارت عليه هذه الدراسة مع مناهج أغلب الدراسات السابقة وهو المنهج الوصفي التحليلي والدراسة الحالية اعتمدت المنهج الإجرائي.

إجراءات الدراسة:

اعتمدت الباحثة في الدراسة الحالية على البحث الإجرائي: هو نمط من البحوث يمكن المعلمين وعموم التربويين الممارسين، من دراسة وفحص أدائهم ومواجهة المشكلات التي تعترض عملهم داخل الصفوف و المدارس وحلها. إنّ البحث الإجرائي هو بحث عملي – تطبيقي، يكون فيه الباحث ممارساً أيضاً (المعلم)، ويحاول استخدام البحث كطريقة للتأمل فيما يقوم به من أنشطة واتخاذ القرارات المناسبة بغية تحسين الأداء. ونتيجة لذلك قامت الباحثة باختيار مجموعة من بنات الصف الثاني ثانوي والبالغ عددهم (90) طالبة، لإجراء التجربة عليهم لتطوير المهارات الرقمية والسلوكية لديهم.

خطوات إجراء التجربة:

-إعداد استبيان لمعرفة إتجاهات الطالبات عن فعالية التدريب الإلكتروني من وجهة نظرهم.

-إعداد قائمة بالمهارات الرقمية والسلوكية التي من المفروض أنّ تمتلكها طالبات المرحلة الثانوية وقد صممت هذه القائمة بالاعتماد على الأب النظري والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

-تم دراسة الخصائص السكومترية لأدوات القياس على عينة استطلاعية مكونة من (10) أفراد من غير عينة الدراسة.

أدوات الدراسة: استخدمت الباحثة استبانة مكونة من (25) فقرة ووزع الفقرات على مقياس ليكرت الثلاثي.

أولاً: الصدق تم حساب الصدق بطريقتين:-

صدق المحكمين: بهدف التأكد من صدق أداة الدراسة تمَّ عرضها على عدد من المحكمين والبالغ عددهم (7) محكمين من ذوي الخبرة والكفاءة، وبناء على إجماع غالبية المحكمين بنسبة اتفاق (80%)تمَّ تعديل فقرات الاستبانة بناء على ملاحظاتهم ومقترحاتهم.

الاتساق الداخلي: وقد تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين الفقرة والمحور الذي تنتمي إليه ومعامل الارتباط بين المحور والدرجة الكلية . وقد كانت جميع قيم معاملات ارتباط فقرات أداة الدراسة مع الدرجة الكلية للمجال، تشير إلى دلالتها الإحصائيّة عند مستوى دلالة (01.0) وتراوحت قيم معاملات الارتباط بين (0.69- 0.36)، مما يدل على التجانس الداخلي لفقرات أداة الدراسة.

ثانياً: الثبات: تم حساب معامل الثبات لألفا كرونباخ لكل محور من المحاور، قيم الثبات تتراوح بين المتوسطة والمرتفعة. أما قيمة معامل الثبات على كل المقياس كانت (0,89) وهي قيمة مرتفعة وتدل على ثبات المقياس. قامت الباحثة بإجراء صدق المحكمين على قائمة المهارات الرقمية والسلوكية التي من المفروض أنّ تمتلكها طالبات المرحلة الثانوية وقد كانت نسبة الاتفاق بين المحكمين (85%)

-بدأت التجربة بتاريخ 8/9/ 2019 حيث طبقت الباحثة الاستبانة على الطالبات ثم تحليها ومعرفة درجة إتجاهات الطالبات عن فعالية التدريب الإلكتروني من وجهة نظرهم.

-أيضاً قامت برصد المهارات الموجودة في قائمة الرصد على مدى أسبوع كامل وإعطاء كل مهارة نسبة مئوية من (100).بعد تحليل النتائج وجهت الباحثة الطالبات إلى مواقع تقدم تدريب إلكتروني مجاني مثل دروب وإدراك و موقع فرصه، ومنصة أبجد هوز، منصة سديم، وأكاديمية قاف، ومنصة قافز.

-تابعت الباحثة حضور الطالبات إلى الدورات المختلفة عبر المواقع بحيث تقدم الطالبة تقرير عن كل دورة تدريبية ومدة الحضور ثم إعطاء (3) دورات أمام الطالبات.

-أيضا شجعت الباحثة الطالبات المتعثرات في الحضور وتعرفت على أسباب عدم حضور دورات تدربية الكترونية ومن هذه الأسباب عدم معرفة التسجيل في الموقع، أو عدم المعرفة بإعدادات المواقع، وعدم جاهيزية الحاسوب أو الأيباد لبعض الطالبات، وقد قامت الباحثة بحصر جميع المعيقات عند كل الطالبات، وحاولت تذليلها لكل طالبة على حدا.

-استخدمت الباحثة أدوات كثيرة لتعزيز الطالبات وحثهن على حضور الدورات التدريبية، ومن هذه الأدوات المادية مثل الهدايا وشهادات الشكر ومنها المعنوية الكلمات والعبارات الجميلة.استمرت التجربة ما يقارب الثلاثة أشهر من تاريخ 9/8/ 2019 إلى تاريخ 12/8/ 2019

-بعد نهاية التجربة، طبقت الباحثة الاستبيان مرة أخرى على الطالبات بتاريخ12/9/ 2019، وقامت برصد المهارات الموجودة في قائمة الرصد على مدى أسبوع كامل وإعطاء كل مهارة نسبة مئوية من (100).

أخيرا قامت الباحثة بمقارنة نتائج الطالبات على الاستبانة قبل وبعد إجراء التجربة.أيضاً قامت بملأ قائمة رصد المهارات لكل طالبة على حدا، ثم قامت باستخراج معدل كلي إلى كل الطالبات قبل وبعد التجربة.ثم قامت الباحثة بمقارنة نتائج الطالبات على قائمة رصد المهارات قبل وبعد التجربة.واستخدمت الباحثة الأوساط الحسابية والإنّحرافات المعياريّة لمقارنة الأداء القبلي والبعدي إلى الطالبات، أيضاً استخدمت اختبار ت لعينتين مترابطتين لمقارنة النتائج.

نتائج الدراسة:

للإجابة على السؤال ما دور التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات الطالبات التقنية؟

قامت الباحثة بعد إجراء التجربة بحساب الأوساط الحسابية والإنّحرافات المعياريّة بالمقياس البعدي والخاصة بالمهارات التقنية، وقد كان الوسط الحسابي للفقرات يساوي (2.34) بإنّحراف معياري قدره (1,02) وهذا يدل على اتجاه إيجابي من الطالبات نحو التدريب الإلكتروني بعد أخذ الدورات الإلكترونية والاستفادة منها، وأنّ التجربة حققت الهدف ورفعت من المهارات الرقمية لدى الطالبات وهذا مطلب مهم في ومهارة من المهارات المهمة في القرن الواحد والعشرين.

للإجابة على السؤال ما دور التدريب الإلكتروني في تنمية مهارات المتدربين السلوكية؟

قامت الباحثة بعد إجراء التجربة بحساب الأوساط الحسابية والإنّحرافات المعياريّة بالمقياس البعدي والخاصة بالمهارات السلوكية. وقد كان الوسط الحسابي للفقرات يساوي يساوي (2.54) بإنّحراف معياري قدره (1,1). وهذا يدل على اتجاه إيجابي من الطالبات نحو التدريب الإلكتروني ودوره في تنمية المهارات السلوكية لدى الطالبات، حيث الآن ونحن على أبواب الثورة الصناعية الرابعة سيكون الخلود إلى المفكرين والمبدعين وأصحاب العقول النيرة.

وللإجابة على السؤال هل توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة عند مستوى الدلالة (0.05) بين متوسطات الأداء البعدي والقبلي لأفراد المجموعة على الدرجة الكلية لمقياس فاعليّة البرامج التدريبية الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لطالبات المرحلة الثانوية؟

قامت الباحثة بعد إجراء التجربة بحساب الأوساط الحسابية للأداء القبلي والبعدي وكان الوسط الحسابي للأداء القبلي يساوي 2.23 و للأداء البعدي 2.58 وللتأكد أنّ هذه النتيجة كانت حقيقية وليست لعامل الصدفة، تم استخدام الاختبار التائي لعينتين مترابطتين وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الجدول رقم (1): الوسط الحسابي والإنّحراف المعياري للإختبار القبلي والبعدي وقيمة (ت) المحسوبة

البعد	التطبيق	العدد	المتوسط	الإنحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
مجموع درجات المقياس	قبلي	90	2.23	1.01	5.752	دالةعند 0.01
	بعدي	90	2.58	0.99		

يتضح من الجدول السابق أن: قيمة "ت" دالة عند مستوى دلالة (0,05)، أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة في الاتّجاهات بين التطبيقين القبلي والبعدي لجميع الطلبات في عينة الدراسة ولقد كانت الفروق لصالح التطبيق البعدي. وهذا يشير إلى أنّ تطبيق التجربة كان له أهمية كبيرة. ولمعرفة حجم التأثير تم حساب مربع إيتا η2 وأيضاً عن طريق (ت) مباشرة أمكن إيجاد قيمة d التي تعبر عن حجم التأثير للمادة المشروحة والجدول رقم (2) يوضح حجم التأثير بواسطة كلٍ من η2 ،d

الجدول رقم (2): قيمة (ت) و **η2** ، **d** وحجم التأثير في الاختبار.

	درجة الحرية	T	**η2**	***d***	حجم التأثير
المقيا س	89	5.752	0.511	2.045	كبير

يتضح من الجدول السابق أنّ حجم التأثير كبير، وهذا يدل على أن ّفاعليّة البرامج التدريبية على تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لدى أفراد العينة كان كبيراً، مما يدلل على نجاح التجربة ودور الطريقة التي استخدمتها الباحثة لمعالجة ضعف المهارات الرقمية والسلوكيه لطالبات الثاني ثانوي.

أيضاً قامت الباحثة بحساب المعدل العام لقائمة رصد المهارات القبلي وكانت المعدل العام القبلي يساوي (60%) والمعدل العام لقائمة الرصد بعد التجربة يساوي (85%) وعند المقارنة بين المعدلين لقائمة رصد المهارات نجد ارتفاع المعدل العام البعدي بفروق واضحة، وهذه النتيجة تدلل على دور برامج التدريب الإلكترونية في تنمية المهارات الرقمية والسلوكية لدى طالبات الصف الثاني ثانوي.

ومن النتائج السابقة يعتبر التدريب خياراً استراتيجياً لأي جهة تتطلع إلى إعداد كوادر بشرية قادرة على تلبية حاجات العمل والتطورات والتغيرات السريعة التي تحدث في مجالات الحياة.

وللتدريب أثناء الدراسة والعمل أهمية كبيرة نظراً لما يهيئه التدريب للموظف والطالب من معارف ومهارات جديدة تتطلبها الحياة المعاصرة، أو من خلال تعرفه على أفضل الحلول للمشكلات التي يواجهها أثناء ممارسته لمهنته أو وجوده على مقاعد الدراسة مما يزيده تمكناً في أداء عمله ويسهم في تطوير تحصيلة الدراسي ويساعده على تجنب الأخطاء، ليصل بذلك إلى المستوى المنشود الذي تمطح إليه أي جهة تسعى للرقي والتقدم.

التوصيات:

- تصميم برامج وقنوات تعليمية ومواقع إلكترونية معتمدة للوصول إلى مصادر المعلومات والمعارف بصورة أسرع لتنمي من قدرات الطلبة التقنية والأكاديمية.
- الاهتمام بالبرامج التدريبية التي يحتاجها الطلبة وملائمتها لمهارات القرن الحادي والعشرين.
- إنشاء بيئات تواصل افتراضية بين طلبة المرحلة الثانوية لغرض التواصل وتبادل الأراء والخبرات والمعارف والمعلومات بينهم.

المقترحات:

- إجراء دراسات عن أثر التدريب الإلكتروني على المعلمين في جميع المواد.
- إجراء دراسات عن أثر التدريب الإلكتروني في تحقيق التطورالأكاديمي في مادة الرياضيات لطلبة المرحلة الثانوية من وجهة نظر المتعلمين.

قائمة المراجع:

1.أبو النصر، مدحت محمد(2017) التدريب عن بعد بوابتك لمستقبل أفضل، الطبعة الأولى، القاهرة - مصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر,
2.إطميزي، جميل أحمد(2012)، أهمية التدريب الإلكتروني في تنمية الموارد البشرية في العالم العربي، نشر في ملحق صحيفة القدس الرقمي، السنة 1، العدد 5، ص 2، 2012/5/8م.
3.البياتي، فارس رشيد (2018)، الحاوي في مناهج البحث العلمي، دار السواقي العلمية للنشر والتوزيع الأردن، عمان.
4.سناني، صالح بن مرزوق عودة(2013)، درجة إسهام التدريب الإلكتروني في تطوير مهارات التدريس لدى معلمي اللغة الإنجليزية بمحافظة ينبع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة أم القرى.
5.شويطر، عيسى محمد(2009)، إعداد وتدريب المعلمين. ط1. عمّان الأردن، دار ابن الجوزي.
6.العياصرة، وليد رفيق(2015)، استراتيجيات تعليم التفكير ومهاراته، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان- الأدرن.
7.الغراب، إيمان محمد(2003)، التعلم الإلكتروني مدخل إلى التدريب غير التقليدي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة – مصر، ط1.
8.المطيري، حمد بن محيا(2012)، متطلبات التدريب الإلكتروني و معوقاته بمراكز التدريب التربوي بمدينة الرياض من وجهة نظر المدربين، رسالة ماجستير غير منشورة.

9.الموسوي، علي بن شرف(2010)، التدريب الإلكتروني وتطبيقاته في تطوير الموارد البشرية في قطاع التعليم في دول الخليج العربي، ورقة عمل مقدمة إلى الندوة الأولى في تطبيقات تقنية المعلومات والاتصال في التعليم والتدريب- جامعة الملك سعود، كلية التربية قسم تقنيات التعليم.

10.الياور، عفاف صلاح (2005)، التدريب التربوي في ضوء التحديات المعاصرة، دار الفكر العربي، ط1.

11.يماني، هناء عبد الرحيم (2006)، التدريب الإلكتروني وتحديات العصر الرقمي، ملتقى التدريب والتنمية، الرياض، 3 - 5 ربيع الآخر لعام 1427هـ.

12.Gruszczynska, A., Merchant, G. and Pountney, R (2013), ” "Digital Futures in Teacher Education":Exploring Open Approaches towards Digital Literacy” The Electronic Journal of e-Learning Volume 11 Issue 3 2013, (pp193-206), available online at: www.ejel.org.

دراسة نقدية لواقع التربية التحضيرية في الجزائر- مدارس مقاطعة عزابة ولاية سكيكدة أنموذجا-

A critical study of reality of preparatory education in Algeria , country schools of Azzaba , skikda state ALGERIA .

أ.خـــرفان حسين، جامعة 20 أوت سكيكدة- الجزائر

Kharfane hocine, Univesity 20 August 1955 – SKIKDA, Algeria

ملخص: تعد مرحلة التربية التحضيرية في المدرسة الابتدائية من أخصب المراحل التعليمية، التي تعمل على تشكيل وتكوين شخصية الطفل، وتنمية قدراته واستعداداته للتّعلم، وتعتبر كذلك مرحلة لتشكيل مختلف القيم لما توفّره البيئة التعليمية من ممارسات، وأنشطة، ومهارات وخبرات تمكّنه من النّمو في مختلف النّواحي: الجسمية والعقلية، والاجتماعية والانفعالية لإشباع حاجاته في هذه المرحلة الحرجة؛ لينمو نموًا سليما ومتزنًا، يحقق له التكيّف في البيئة المدرسية ومكتسبا لكفاءات ومهارات تمكّنه من مواصلة التكوين والدراسة في مختلف أطوار مراحل التعليم لاحقا، وذلك بالاعتماد على محتويات مناهج دراسية، وباستخدام أساليب واستراتيجيات تدريسية تتماشى ومتطلبات عصر المعرفة والتكنولوجيا.

الكلمات المفتاحية: التربية، التحضيري، التربية التحضيرية، طفل التربية التحضيرية، المدرسة الجزائرية.

Abstract: Preparatory education is considered the most fertile stage of school education. It work to form the personality of the child and develop his capabilities to prepare him for learning. Also to from the different values instilled by the school environment (practices, activities, skills, and experiences) this allows the child to grow in various ways: physical, mental, social and emotional to meet his needs in this crucial period in order to allow him a healthy and balanced growth which also ensures an acquisition of altitudes and skills which facilitate his educational path and his development according to the school contents and programs using teaching methods and strategies in line with requirements of the era of knowledge and technology.

Keywords: education ,preparatory , preparatory education ,preparatory education child , Algerian school.

مقدّمة:

تشكل مرحلة الطفولة المبكرة منعرجا هاما في بناء شخصية الطفل، نظرا لأهميتها في بناء الخبرات واكتساب المهارات، ويتم فيها تكوين مختلف أبعاد النمو؛ معرفيا، اجتماعيا، وجدانيا، أخلاقيا، دينيا. وتقترن هذه المرحلة العمرية بالتحاق الطفل بقسم التربية التحضيرية التي تعمل على إعداده نفسيا وتربويا، وتهيئته للالتحاق بالمدرسة الابتدائية لصقل مواهبه وتفجير قدراته، وتوفير بيئة صفية تساعده على تحقيق النمو الشامل والمتكامل في جميع النواحي من شخصيته، من خلال مختلف الأنشطة المدرجة في المنهاج المخصص لهذه الفئة، وبتنفيذ محتوى البرنامج التعليمي؛ وباستخدام استراتيجيات ووسائل تعليمية متنوعة، وتقويم لمخرجات التعلم.

1.مدخل للتربية التحضيرية:

مفهوم التربية: تعتبر كلمة "تربية " من الكلمات شائعة الاستعمال سواء في العلمية أو العامية، واشتقت الكلمة من الفعل ربَا، وربا الشيء بمعنى أنه زاد ونمى(عزيزي، 2003، ص15).

أمّا اصطلاحا فتعرف التربية على أنّها " طريقة يتم بها التوصل إلى تنمية قوى الإنسان الطبيعية والعقلية والأدبية "(تركي، 1993، ص17).

مفهوم التربية التحضيرية: التربية التحضيرية هي التربية المخصصة للأطفال الذين لم يبلغوا سن القبول الإلزامي في المدرسة الابتدائية (اللجنة الوطنية للمناهج، 2008، ص5).

وبمفهوم القانون التوجيهي للتربية الوطنية (2008، ص12) فإن التربية التحضيرية " هي المرحلة الأخيرة للتربية ما قبل المدرسية، وهي التي تحضر الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس (5)، وست (6) سنوات للالتحاق بالتعليم الابتدائي.

مفهوم القسم التحضيري: هو القسم الذي يقبل فيه الأطفال المتراوح أعمارهم بين 4- 6 سنوات في حجرات تختلف عن غيرها بتجهيزاتها ووسائلها البيداغوجية، كما أنّها المكان المؤسساتي الذي تنظر فيه المربية للطفل على أنه مازال طفلا وليس تلميذا، وهي بذلك استمرارية للتربية الأسرية تحضيرا للتمدرس في المرحلة المقبلة مكتسبا بذلك مبادئ القراءة والكتابة والحساب(الدليل التطبيقي لمنهاج التربية التحضيرية، 2004، ص13).

وظائف التربية التحضيرية: تتمثل وظائف التربية التحضيرية في ما يلي:

- المساهمة في التنشئة الاجتماعية.

- الوصول بالطفل إلى استكشاف إمكاناته وتوظيفها في بناء فهمه للعالم.

- إعداد الطفل للتمدرس.

- العمل على تكملة التربية العائلية واستدراك جوانب النقص فيها ومعالجته (منهاج التربية التحضيرية، 2008، ص5).

- مساعدة الأطفال على النمو الجسماني.

- تربية الأطفال على حب الوطن والإخلاص له.

- تربية الأطفال على حب العمل وتعويدهم على العمل الجماعي.

- تمكين الأطفال من تعلم بعض مبادئ القراءة والكتابة والحساب (الجريدة الرسمية، الأمر35/76، ص 535).

ولقد أشارت مراح سميرة (2010، ص39) في دراستها بأن للتربية التحضيرية وظيفتين هما:

أ- الوظيفة التعويضية: بمعنى تعويض الأطفال عن النقص والحرمان الموجود في بيئاتهم الأسرية.

ب- الوظيفة الوقائية: والتي تتمثل في محاولة وقاية الطفل من الفشل مستقبلا في دراسته، وفي حياته بصفة عامّة.

أهداف التربية التحضيرية: حدد القانون التوجيهي للتربية الوطنية (04/08 المؤرخ في 23جانفي2008، ص 75) أهداف التربية التحضيرية في الجزائر، وتتمثل خصوصا في ما يلي:

- العمل على تفتح شخصية الأطفال بفضل أنشطة اللعب التربوي.

- توعية الأطفال بكيانهم الجسمي، لاسيما بإكسابهم عن طريق اللعب مهارات حسية حركية.

- غرس العادات الحسنة لديهم بتدريبهم على الحياة الجماعية.

- تطوير ممارستهم اللغوية من خلال وضعيات التواصل المنبثقة من النشاطات المقترحة ومن اللعب.

- إكساب الأطفال العناصر الأولى للقراءة والكتابة والحساب من خلال نشاطات مشوّقة وألعاب مناسبة.

وتسعى التربية التحضيرية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- اكتشاف مواهب الطفل وقدراته ثم العمل على تنميتها وتطويرها.

- العناية بأنواع النمو المختلفة من خلال توفير بيئة مناسبة مزودة بكل ما يخدم نمو الأطفال.

- تلبية احتياجات الطفل عن طريق اللّعب والأنشطة المناسبة (بدران،2003، ص62).

الخصائص النمائية لطفل التربية التحضيرية: تعتبر التربية التحضيرية من أهم المراحل التعليمية، فهي مرحلة تشكّل الأسس الأولى لنموّه بمختلف مجالاته؛ العقلية أو الجسمية أو النفسية أو الانفعالية أو الاجتماعية، فهي أهم مرحلة يمر بها الإنسان لأنها تؤثر على شخصيته وحياته فيما بعد، ولهذا فإنّ مرحلة الطّفولة خاصة المبكّرة منها مهمّة جدا، لذا يجب معرفة خصائصها والتي تتمثل فيما يلي:

خصائص الطفل الحس حركية: تتمثل خصائص طفل التربية التحضيرية الحس حركية في ما يلي:

-تزداد قدرة الطفل على الاتزان الحركي مما يساعد على القيام ببعض الحركات، وتقليد بعض الرسومات.

-يتميز نظر طفل هذه المرحلة بطول النظر، أما حاسة السّمع تظلّ غير ناضجة حتى نهاية هذه المرحلة (سالم، 2006، ص 116- 119).

-يتموقع في الزمان والمكان حسب معالم خاصة به.

-يتعرف على إمكاناته الجسمية وحدوده الحسّية والحركية (منهاج التربية التحضيرية، 2004، ص7).

التطبيقات التربوية لهذه المرحلة: يجب على مربيات القسم التحضيري مراعاة ما يلي:

-تزويد القسم التحضيري بالأدوات والمعدّات والأجهزة التي تساعد الطفل على اللّعب بحرّية واستعمال أعضاء الجسم المختلفة.

-تحويل النشاط الحركي الزائد والاستفادة منه في وجهات نافعة.

-رعاية النمو الحسي عن طريق الاتصال المباشر بالعالم الخارجي كما في الزيارات والرّحلات.

-تربية السّمع وتعويد أدني الطفل على سماع الموسيقى والأناشيد والكلام المنغم والغناء (زهران، 1995، ص201- 203).

النمو الاجتماعي- الوجداني: تتمثل خصائص طفل التربية التحضيرية في النمو الاجتماعي- الوجداني في ما يلي:

-يكتشف ذاته وفرديته.

-يتبادل مشاعره وأحاسيسه مع الآخر.

-يظهر استقلاليته من خلال الأنشطة والألعاب والحياة اليومية داخل القسم وخارجه.

-يستعمل الوسائل الملائمة للاستجابة لحاجياته وميوله ورغباته واهتماماته(منهاج التربية التحضيرية، 2004، ص7).

التطبيقات التربوية لهذه الخاصية: يجب على مربيات القسم التحضيري مراعاة ما يلي:

-تعليم الطفل القيام بالدور الاجتماعي الذي يتناسب وهذه المرحلة من مراحل النمو.

-تشجيع الطفل على تحمل المسؤولية.

-توفير الشعور بالأمن والثقة والكفاية والانتماء والسّعادة عند الطفل و إشباع حاجاته.

-خطورة العقاب خاصة البدني منه.

-توزيع الحب والرعاية والعطف بين الأطفال في التربية التحضيرية على حد سواء (زهران، 1995، ص216- 228).

النمو اللغوي: تتمثل خصائص طفل التربية التحضيرية في النمو اللغوي في ما يلي:

-يتجه التعبير اللّغوي في هذه المرحلة نحو الوضوح والدّقة والفهم.

-يستطيع أن يكون جملا كاملة تشمل كل أجزاء الكلام.

-يتحصل الطفل في هذه المرحلة على عدد كبير من المفردات وفهمها واستخدامها وربطها مع بعضها البعض في جمل ذات معنى(زهران، 1995، ص 209).

-يتحدث ويتكلم بصفة سليمة.

-يبحث ويتساءل عن معاني ومدلولات الكلمات (منهاج التربية التحضيرية، 2004، ص7).

التطبيقات التربوية للنمو اللّغوي: يجب على مربيات القسم التحضيري مراعاة ما يلي:

-الاهتمام بحكاية القصص للأطفال بهدف التدرّب على الكلام مما يساعد على النمو اللّغوي.

-رعاية النمو اللّغوي، نموا سويا صحيحا، وتقديم النماذج الكلامية الجيّدة.

-الاهتمام بطول الجملة وسلامتها والإبانة وحسن النطق (زهران، 1995، ص 212).

النمو العقلي- المعرفي: تتمثل خصائص طفل التربية التحضيرية في النمو العقلي- المعرفي في ما يلي:

-تزداد قدرة الطفل على الفهم.

-تزداد قدرة الطفل على التعلم من الخبرة والمحاولة والخطأ.

-يكون التفكير في هذه المرحلة ذاتيا ويدور حول نفسه.

التطبيقات التربوية للنمو العقلي- المعرفي:

-إتاحة المثيرات الملائمة للنمو العقلي- المعرفي وتنمية الدّوافع.

-استغلال الطفل لحب الأغاني وسماع الأناشيد وحب القصص في تقوية ذاكرته.

-الاهتمام بالقصص التربوية، وتجنب المبالغة في القصص الخيالية.

-تنمية الابتكار لدى الطفل من خلال استخدام اللعب (زهران، 1995، ص 208).

2.واقع التربية التحضيرية في النظام التربوي الجزائري:

ورثت الجزائر بعد الاستقلال هياكل لا تلبي حاجات المجتمع للتربية مما اضطرت إلى تحويل مؤسسات رياض الأطفال الموروثة عن العهد الاستعماري إلى مدارس ابتدائية بموجب قرار وزاري صدر عام 1965 لتدعيم وتعزيز إلزامية وإجبارية التعليم الابتدائي، ومنذ ذلك الوقت لم تلق التربية التحضيرية اهتمام المشرفين على قطاع التربية والتعليم إلا بعد إصدار الأمر 35/76 المؤرخ في 16أفريل 1976 الذي يتعلق بتنظيم التربية والتكوين، بحيث صنّف الأمر 35/76 في المادة :17 من الفصل الثاني المتعلق بالنظام التربوي وهياكله مستويات التعليم في الجزائر إلى ما يلي:" يتفرّع النظام إلى مستويات التعليم التالية: التعليم التحضيري، التعليم الأساسي، التعليم الثانوي، التعليم العالي، ويتلقى كل صنف من أصناف هذا التعليم في مؤسسات ملائمة "(الجريدة الرسمية، 1976، ص 535).

وفي إطار إعادة إصلاح النظام التربوي وهيكلته وصدور القانون التوجيهي للتربية الوطنية 04/08 المؤرخ في 23 جانفي 2008 الذي يحدد السياسة التربوية للدولة الجزائرية، بحيث حدد القانون الإطار المرجعي للتربية التحضيرية من حيث المفهوم والأهداف والمؤسسات التي لها حق التكفل، ومهام الدولة الجزائرية في السهر على تطويرها ومواصلة تعميمها بمساعدة الهيئات والإدارات والمؤسسات العمومية والجمعيات والقطاع الخاص.

3.واقع التربية التحضيرية بدائرة عزابة ولاية سكيكدة:

نالت التربية التحضيرية اهتمام المشرفين على شؤون التربية والتعليم على مستوى الوطن، وكذلك على مستوى الولاية بغية تطويرها وتعميمها لتشمل كل المؤسسات التربوية، إلا أن هناك بعض العراقيل والعوائق التي تحول دون ذلك، ومن خلال دراستنا للتربية التحضيرية على

مستوى دائرة عزابة، ومن خلال الدراسة الاستطلاعية للمؤسسات التربوية التي تحتوي على عينة الدراسة، ومن خلال المقابلة نصف موجهة مع مديري المدارس، وأساتذة التربية التحضيرية طُرحت أسئلة تتعلق بواقع التربية التحضيرية على مستوى المدارس محل الدراسة للوقوف عن كثب وتوضيح الرؤى عن موضوع الدراسة.

يقدر عدد المدارس الابتدائية على مستوى ولاية سكيكدة بـــ:491 مدرسة ابتدائية، أما عن أقسام التربية التحضيرية فعدد الأفواج على مستوى الولاية يقدر بـ: 310 فوجا للتربية التحضيرية موزّعة على 245 مدرسة ابتدائية، منها 65 مدرسة بها فوجان (2) للتربية التحضيرية، و180 مدرسة بها فوجا واحدا (1) للتربية التحضيرية، وتقدر نسبة تواجد التربية التحضيرية على مستوى الولاية بـــــــ: 49.89%، فهذه النسبة تؤكد على أن نسبة 50.11% من المدارس الابتدائية لا يتواجد بها أفواج التربية التحضيرية.

أما عن التربية التحضيرية على مستوى دائرة عزابة التي هي محل الدراسة يتواجد بها 53 مدرسة ابتدائية موزّعة على (5) خمس بلديات هي: بلدية عزابة، بلدية السبت، بلدية الغدير، بلدية عين شرشار، بلدية جندل. ومن خلال الإحصائيات المتحصل عليها أن 24 مدرسة ابتدائية من بين 53 مدرسة يتواجد بها أقسام التربية التحضيرية أي بنسبة تقدر بـ :45.28%، ومن بين هذه المدارس توجد مدرستان فقط بهما فوجان (2) للتربية التحضيرية، وتعتبر نسبة ضعيفة لا تلبي حاجات المجتمع للتربية.

يمثل الشكل رقم (1) توزيع أفواج التربية التحضيرية على مستوى دائرة عزابة.

البلدية	عزابة	عين شرشار	جندل	السبت	الغدير	المجموع
عدد المدارس	27	7	5	12	2	53
عدد أفواج التحضيري	17	2	2	2	3	26
عدد المدارس التي بها فوجان للتربية التحضيرية	1	0	0	0	1	2

1.3 واقع التأطير البيداغوجي للتربية التحضيرية:

يؤطر أقسام التربية التحضيرية مربيات داخل المدارس الابتدائية من مختلف الرتب (أستاذ، أستاذ رئيس، أستاذ مكون) مع وجود تباين من حيث الخبرة المهنية، ويتم إسناد أقسام التربية

التحضيرية لا يخضع لمقاييس وضوابط، بحيث يتم إسنادهم من طرف مدير المدرسة. وتحدث العملية التعليمية التعلمية داخل حجرات دراسية الملحقة بالمدرسة الابتدائية المُعِدّة خصيصا لذلك.

الخبرة المهنية	1 -5	6-10	11-15	16 -20	21 -25	26-30	مستخلف	المج
العدد	11	10	0	0	0	4	1	26

2.3 واقع هياكل وفضاءات التربية التحضيرية:

توجد على مستوى أفواج التربية التحضيرية أدوات تربوية بسيطة؛ طاولات مناسبة للمرحلة العمرية خاصة بالتربية التحضيرية، أما عن الوسائل البيداغوجية المساعدة على نمو التلاميذ معرفيا، ووجدانيا، وحس حركيا تبقى من اجتهاد الأساتذة كل حسب قدراته.

خاتمة:

يتضح مما سبق أنّ التربية التحضيرية مرحلة جد هامة في تكوين وبلورة شخصية الطفل النمائية؛ لذلك يجب توفيرها ومنحها وتعميمها على جميع الأطفال الذين يبلغون (5) سنوات ضمانا لتكافؤ الفرص، ويجب توفير المستلزمات المساعدة على النمو المعرفي والوجداني والحس حركي، وتوفير فضاءات تربوية تشبع حاجات الأطفال للتكيّف مع مختلف المواقف الحياتية.

قائمة المراجع:

1. الأمر35/76 المؤرخ في 16 أفريل 1976 يتعلق بتنظيم التربية والتكوين.
2. تركي رابح (1990)، أصول التربية والتعليم، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
3. الجريدة الرسمية (2008)، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، 04/08 المؤرخ في 2008/01/23، الجزائر.
4. رائد خليل سالم (2006)، المدرسة والمجتمع، مكتبة المجتمع العربي، ط1، عمان.
5. زهران، حامد عبد السلام (1995)، علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، عالم الكتب، القاهرة.
6. شبل بدران (2003)، نظم رياض الأطفال في الدّول العربية والأجنبية، ط1، مصر، الدّار المصرية اللبنانية.
7. عزيزي عبد السلام (2003)" مفاهيم تربوية بمنظور سيكولوجي حديث" ط1، الجزائر، دار ريحانة للنشر.
8. مراح سميرة (2010)، دراسة مدى فعالية برامج التربية التحضيرية في تحقيق التوافق المدرسي والنفسي والاجتماعي، رسالة ماجستير، جامعة باجي مختار - عنابة.

9. النشرة الرسمية للتربية الوطنية (2008)، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، الجزائر، عدد خاص.

الإسلام والمسيحية: نظرات تاريخية

Islam and Christianity: history Insights

د. المصطفى كبوس، جامعة القاضي عياض- المملكة المغربية

EL mostafa Kabouss, Qadi Ayyad University, The Kingdom of Morocco

ملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى استجلاء النظر حول تاريخ الإسلام في علاقته بالمسيحية، وهي علاقة متميزة، بسبب قرب المسافة زمنيا بين رسالة الإسلام، ورسالة المسيح عليه السلام، ولذا حرص الإسلام على دعوة المسيحيين إلى حقائق دينهم وأصول معتقدهم، وتوضيح المعتقدات المنحرفة، والمبادئ والأفكار الخاطئة التي تسربت إلى المسيحية، وتهيئة نفوس المسيحيين لقبول الإسلام والإيمان برسالته. وكشف الصورة المرسومة في الوعي الغربي عن الإسلام والمسلمين، حيث كان **تأثير الإسلام** كبيرا في مختلف ميادين الحياة الأوربية إبان العصور الوسطى، وكيف ينظر المسلمون اليوم إلى الغرب.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، المسيحية، التواصل، الحوار، الدين، المعتقد.

Abstract: This paper seeks to shed light on the history of Islam in its relationship with Christianity, which is a distinct relationship because of the proximity of the time between the Message of Islam and the Message of Jesus Christ, peace be upon him. Hence, Islam has tended to show Christians facts of their religion and the origins of their belief, and to clarify the deviant beliefs, and the principles and misconceptions that intervened to Christianity, as well as preparing their souls to accept Islam and believe in its Mission. Islam has also tried reveal the cliché about Islam and Muslims in the Western consciousness, where the influence of Islam was significant in various fields of European life during the Middle Ages, and how Muslims today look to the West.

Keywords: Islam, Christianity, Communication, dialogue, Religion, belief.

مقدمة:

إن العالم الإسلامي اليوم، مدعو وانطلاقا من مبادئه وقيمه إلى توسيع دائرة تعامله مع مختلف الشعوب، وتعميق رؤيته إلى رسالة الحوار في تجديد العلاقات الإنسانية وتطويرها، والدفع بها نحو تحقيق المنافع والمصالح المشتركة بين الناس كافة، من خلال فتح قنوات الحوار مع مختلف أتباع الديانات والثقافات والحضارات، من أجل التعارف والتحاور معهم، لأن الحوار أضحى ضرورة للعيش الآمن المطمئن فوق هذه الأرض، ومسؤولية الدعوة إليه وتطبيقه في واقع الحال مسؤولية مشتركة بين جميع الأطراف، لأن الحوار يأخذ أشكالا توافقية أحيانا، أو تصادمية أحيانا أخرى، ولا يخفى على أحد الهدف النهائي الذي يبتغيه هذا الطرف أو ذاك من الحوار، بأشكاله المتعددة، فينبغي أن يكون الهدف ساميا من أجل المثاقفة وتأسيس فكر إنساني يتجاوز الحدود ويحطم الدوائر الضيقة، وجعله بمثابة الدعوة إلى الله، التي أمر الله سبحانه وتعالى، أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتي هي أحسن، والدعوة إلى التعاون على تحديات العصر ومشكلاته والسعي لحلها.

مشكلة الدراسة:

هل يمكن لحوار الأديان أن يسهم في إيجاد البدائل والخيارات الاستراتيجية في سياسة المعرفة والمصالحة بين الأديان والثقافات والحضارات المختلفة؟ وإلى أي حد يمكن لفتح قنوات الحوار ومد جسور التواصل من تشكيل منطلق علمي عملي يساعد من الخروج من نفق التطرف والتعصب الديني الذي تعاني البشرية من ويلاته في الوقت الراهن؟

أهداف الدراسة:

-أهمية الحوار في تجاوز التحديات المعاصرة، والحيلولة دون اندلاع المزيد من المشكلات والخلافات.

-تعزيز التواصل بين الحضارات للقضاء على الفكر الأصولي المتطرف.

-تدبير الاختلاف وتعزيز مفهوم العيش المشترك وتمتين العلاقات بين المسلمين وغيرهم.

-كسر كل الحواجز والعوائق التي تحول دون حصول الحوار والتفاهم بين الأديان والحضارات المختلفة.

-فتح المجال أمام أبحاث ودراسات أخرى للبحث عن السبل والآليات الكفيلة للنهوض بحوار الأديان والثقافات والحضارات.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها المتمثل في أهمية معرفة الذات والانفتاح على الآخر واحترام الاختلاف، وفتح قنوات الحوار ومد جسور التواصل بين مختلف الأديان والثقافات والحضارات، لتجاوز الإرث الثقافي الحضاري المثقل بالضغائن والأحقاد التاريخية، التي كانت سببا في إراقة الدماء وإزهاق آلاف الأرواح البريئة، في الوقت الذي أصبحت فيه التهديدات الإرهابية هما عالميا، والتطرف والاستئصال والكراهية واقعا. وتحديد أسباب القصور والتقصير في التواصل والتعارف الإنساني، وتحقيق التعايش السلمي. كما يشكل هذا البحث استمرارا

لمجموعة من الدراسات والأبحاث العلمية، التي يمكن أن تسهم في إغناء التراث البحثي في مجال حوار الأديان.

تمهيد:

تاريخ التقاء الإسلام والمسيحية تاريخ متشعب وطويل الأمد، وعميق الجذور، ومتنوع الأطوار، ومتعدد الأوجه، فالمسيحية كانت تتواجد بالجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، وكانت بداية اللقاء بينهما خلال الهجرة الأولى إلى الحبشة وما تلا ذلك من محاورات ومناقشات في مجلس ملكها النجاشي، ثم تتابعت مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك ورؤساء النصارى، في كل من مصر والشام ونواحي الجزير، إلا أنه في القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي، وبعد نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، تعرف المسلمون لأول مرة على الفكر المسيحي اللاهوتي، فالمسيحية كانت منتشرة في دمشق والفاتحون المسلمون تركوا حرية المعتقد، وممارسة الشعائر الدينية، كما أبقوا على خمس عشرة كنيسة. والدليل على ذلك أننا نجد عظماء المسيحيين في دمشق عاشوا في عهد العرب مثل يوحنا الدمشقي (675- 749) (لويس غرديه، وجورج قنواتي، 1983).

وتنوعت محطات هذا الالتقاء بين التسامح والعنف والتدافع، والوقائع التي كتب التاريخ على إيقاعها، وضعت الإسلام والمسيحية في موقع الصراع والعداء (ماريو أبستولوف، 2010)، وقد حصر محمود شاكر الصراع بين الطرفين في أربع مراحل:

المرحلة الأولى: صراع الغضب لهزيمة المسيحية في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام، فبالغضب أمّلت اختراق دار السلام لتسترد ما ضاع، تدفعها بغضاء حية متسامحة، لم تمنع ملكا ولا أميرا ولا راهبا أن يمد المسلمين بما يطلبونه من كتب (علوم الأوائل – الإغريق)، التي كانت تحت يد المسيحية يعلوها التراب. وضل الصراع قائما لم يفتر، أكثر من أربعة قرون.

المرحلة الثانية: صراع الغضب المتدفق من قلب أوربة، مشحوناً ببغضاء جاهلية عاتية عنيفة مكتسحة مدمرة سفاحة للدماء، سفحت أول ما سفحت دماء أهل دينها من رعايا البيزنطية، جاءت تريد هي الأخرى، اختراق دار الإسلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذي بقي في الشام قرنين، ثم ارتد خائبا إلى مواطنه في قلب أوربة.

المرحلة الثالثة: صراع الغضب الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوجهة عنيفة، ولكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام ثالثة بالسلاح وبالحرب، فارتدعت لكي تبدأ في إصلاح خلل الحياة المسيحية، بالاتكاء الشديد على علوم دار الإسلام، ولكي تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك مُوئس، وظلت على ذلك قرنا ونصف قرن. وهذه المراحل الثلاث، كانت ترسف في أغلال (القرون الوسطى) أغلال الجهل والضياع. ولم تصنع هذه المراحل شيئا ذا بال.

المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، يزيده اشتعالا وتوهجاً وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر في العظام على (الترك – أي المسلمين)، وهم شبح مخيف مندفع في قلب أوربة، يلقي ظله على كل شيء، ويفزع كل كائن حي أو غير حي بالليل والنهار. وإذا كانت المراحل الثلاث الأول لم تصنع للمسيحية شيئاً ذا بال، فصراع الغضب المشتعل بلهيب

البغضاء والحقد هو وحده الذي صنع لأوربة كل شيء إلى يومنا هذا، لأنه هو الذي أدى بهم إلى يقظة شاملة قامت على الإصرار وعلى المجاهدة والمثابرة على تحصيل العلم وعلى إصلاح خلل الحياة المسيحية ولكن لم يكن لها يومئذ من سبيل ولا مدد، إلا المدد الكائن في دار الإسلام، من العلم الحي عند علماء المسلمين...) (محمود شاكر، 2006).

إن هذه المراحل التاريخية، والتي نأنف من ذكرها، لكوننا نعتقد أن عدونا هو الآخر، في حين أن العداوة لا تقبع إلا في داوخلنا، وأمام الأخ الموازي في العقيدة والإيمان، لأن العصبية إنما هي موقف يتحين موقعا (جوزيف كميل جبارة، 2006).

ولقد لبست المجابهة العسكرية بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية لبوس الدين، فكلا الطرفين حارب الطرف الآخر لإعلاء راية الحق في نظره. ولقد "شغل الشعار الديني حيزا مهما في الإيديولوجيا الغربية الاستعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين" (أليسكي جور أفسكي، 1996)، لذا فالحروب التي وقعت تحت العناوين الدينية الكبيرة، كانت بعيدة كل البعد عن حقيقة التعبير الديني في سموه الروحي، لأن العنف تعبير عن الترسب السهل لعصبية الدين، والتسامح هو حصيلة الوعي الحقيقي الصعب لرسالة الدين، ولقد عبر عن ذلك أمين معلوف فقال: (لو كان أجدادي مسلمين في بلد فتحته الجيوش المسيحية، بدلا من كونهم مسيحيين في بلد فتحته الجيوش المسلمة، لا أظن أنهم كانوا استطاعوا الإستمرار في العيش لمدة أربعة عشر قرنًا في مدنهم وقراهم محتفظين بعقيدتهم. ماذا حدث فعليًا لمسلمي إسبانيا وصقلية؟ لقد اختفوا عن آخرهم، ذبحوا أو هجروا أو تم تعميدهم بالقوة...) (أمين معلوف، 1999).

في هذا السياق جرت القراءات التقليدية للتاريخ، وفي هذا السياق كانت القراءة الأحادية المقصودة والمعتمدة للتاريخ الإسلامي عند كل من صمويل هنتنجتون وفوكوياما، معادلة أولية للتعرف إلى حروب التاريخ، وحيال هذه القراءة التقليدية يجدر بنا البحث عن قراءة معاصرة للتاريخ، قراءة تقابل بين ضفتي الحدث، قراءة تقوض تاريخا منمطا للمنطقة العربية وللعالم الإسلامي، ساهمت الأحلام والعصبيات والقراءات المبتورة في صياغته، وساهم جهلنا وغفلتنا في تبنيه (ماريو أبستولوف، 2010).

لقد كان الفلاحون في سواد العراق أيام الدولة الساسانية يرتبطون بالأرض، وجلهم في حالة رق واستعباد، خاصة في ضياع الدهاقين والنبلاء، "وتروي المصادر أن هؤلاء دأبوا على جباية الأموال واغتصابها من أصحابها لتدعيم مدخراتهم وإثراء كنوزهم، حتى روي أن (كسرى خسرو) الثاني اعتلى كرسي الملك وفي خزينته (2.68) مليون مثقال ذهبي لترتفع بعد ثلاثة عشر عاما من الحكم إلى (800) مليون مثقال ذهبي مما دفع الفلاحين إلى هجر الأرض نتيجة الإرهاق الضريبي، واللجوء إلى الأديرة طمعا في الترهب وفرارا من الظلم، ولكن بعد الفتح الإسلامي اعتبروا أحرارا، واقتصرت السياسة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة على إبقاء الأراضي في أيديهم بدافع تشكيل القوى المنتجة من جهة، وتحديد مساحات تلك الأراضي بهدف ضبطها فنيا واقتصاديا، مما سهل أعمال جباية الخراج، وأنصف أصحاب الأرض العاملين فيها من جهة أخرى (أبو يوسف، 1999).

وفي ضوء الدور الحضاري المتجدد والمتطور للمسلمين خلال العصر الأموي والعصر العباسي، أمكن للحضارة العربية الإسلامية أن تقدم مثالا من الكونية ونموذجا من العولمة يتسم بالتأثير في أوروبا المسيحية عبر معابر الحضارة في الأندلس وصقلية ودمشق وفاس وغيرها من الحواضر الإسلامية تأثيرا إيجابيا، إذ لم يحتكر المسلمون المنهج التجريبي الذي اكتشفوه، بل تركوا المجال مفتوحا أمام البعثات الطلابية التي كانت تأتي من أوروبا إلى الحواضر الإسلامية لتستفيد من الاكتشافات الإسلامية في مختلف فروع العلوم (غوستاف لوبون، 2013).

كما كانت الدولة العثمانية ملاذا للهاربين من الاضطهاد الديني في إسبانيا وفي أوربا، يقول المؤرخ البريطاني "توينبي" في هذا الشأن: "إنها لأول مرة في التاريخ استطاعت أن تتوحد الكنيسة الأرثوذكسية في ظل الدولة التي كانت استراتيجيتها "وحد واحكم"، بينما كانت الاستراتيجية الاستعمارية تتبنى مبدأ "فرق تسد" (محمد كمال منصور، 1998).

ولقد عرفت المرحلة الأندلسية ازدهارا في الشعر والأدب والهندسة والفنون، نتيجة تلاقي الحضارات والأديان الثلاثة التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاور القيم الثقافية المتنافرة ، ومع أن المسلمين دخلوا الأندلس فاتحين، يحملون حضارة مختلفة ودينا مختلفا ولغة مختلفة، ومع أن المسيحيين، في استعادتهم للأندلس، بنوا كنيستهم القوطية، عنوة داخل أعمدة جامع قرطبة، فإن المرحلة الأندلسية ما تجلت كحضارة، إلا نتيجة فسحة التسامح المتبادلة قسرا أو طوعا أو تفاعلا ثريا، ولقد ذاق الطرفان في تاريخ الأندلس، الاضطهاد المتبادل، والتسامح المتبادل في دينامية فريدة، كانت الحداثة الأوروبية ثمرة من ثمارها، جراء ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني (ماريا روزا مينوكال، 2006).

إن التاريخ الذي شهد مراحل قاتمة في العلاقات بين الشعوب المختلفة في انتمائها الديني، لأن من نتاج دواعي الاختلاف، تدافع الإرادات وصراع القوى، عرف أيضا مراحل مضيئة تناقلت إرثا مشتركا، تقاسمه المسيحيون والمسلمون، ولكن التحدي الكبير اليوم بالنسبة للمجتمعات العربية، يكمن في كيفية الاستفادة من هذا الإرث التاريخي الثمين من التسامح المتبادل.

أولا: صورة الدين الإسلامي عند الغرب:

النظرة الغربية للإسلام نظرة غير منصفة في أغلب الأحيان، استهدفت تشويه صورة الإسلام والتشكيك في رسالته ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فصورة الإسلام في الوعي الأوروبي في القرون الوسطى تتحدد من خلال محطتين رئيسيتين:

أولاهما: تكمن في ضرورة التعلم من الإسلام والأخذ منه، لكونه الأقوى.

ثانيهما: التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية. (أليسكي جور أفسكي، 1996).

ويمكن تصنيف هذه الاتجاهات إلى ثلاثة اتجاهات ذات مواقف متباينة تبعا لدرجة تشددها وتمسكها بمعتقداتها الدينية هي:

الاتجاه الأول: وهو الأكثر انفتاحا، وهو اتجاه لويس ماسنيون (محمد النقري، 2006) وأتباعه، ويطلق عليه اتجاه الحد الأعلى.

الاتجاه الثاني: وهو المضاد المتحفظ الذي يطلق عليه اتجاه الحد الأدنى في الانفتاح على الإسلام والاعتراف به، ويفسرون الإسلام تفسيرا وفق أسوأ الأطروحات التقليدية الغربية للقرون الوسطى.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الوسط، وهو موقف الانفتاح والود والحوار مع المسلمين، مع أن موقفهم من الرسول صلى عليه وسلم والقرآن الكريم أكثر تحفظا، وهو خلاف تيار الحد الأعلى في الانفتاح على الإسلام.

هذا على مستوى الدراسات، أما على مستوى الكنسية الكاثوليكية، فقد ناقش مجمع الفاتيكان الثاني 1962-1965 على مستوى مذهبي عقائدي مشكلة الكنيسة والديانات غير النصرانية حيث خصص لهذه المسألة تصريحا خاصا حول (علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية)، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها مجمع كاثوليكي عن المسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وفي أثناء النقاش انقسم أعضاء المجمع إلى فريقين، فريق يرى التحدث في الوثيقة المقترحة عن الإسلام بروح إيجابية، والثاني تمسك بوجهة النظر التقليدية التي ترى الإسلام يمثل خطرا وتهديدا حقيقيا للكنيسة، ومن ثم طالبوا بإدانته دون تحفظ.

وقد استمرت المداولات والجلسات إلى أن جرى الاقتراع في جلسة علنية في الخامس عشر من تشرين الأول عام 1965 على نص التصريح الخاص ب(علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية) فوافق عليه 2226 أسقفا في حين عارضه 88 صوتا فقط.

ويتألف هذا التصريح من خمسة أقسام، والذي يهمنا هو القسم الخاص بالإسلام وهو: (إن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار أيضا إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، ومكلم البشر الذين يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما خضع له إبراهيم، الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي، وأنهم يجلون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون أمه مريم العذراء كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحيانا. علاوة على ذلك فإنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضا، ويؤدون العبادة لله لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم(أليسكي جور أفسكي، 1996).

وإذا كانت قد نشأت على مر القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين فالمجمع المقدس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معا العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة الناس جميعا)(أليسكي جور أفسكي، 1996).

يفهم من هذا النص أن المنظور الكاثوليكي للحوار مع العالم الإسلامي يفرق بين شكلين رئيسين أحدهما نظري ويشمل الجوانب العقدية المشتركة، والثاني عملي يرتكز على التعاون في المجال الاجتماعي. وبناء عليه يكون المجمع الفاتيكاني قد حدّد ميادين الحوار العقدي في: كل من التوحيد، والتقليد الإبراهيمي. والدارسات المسيحية لدى الجانبين، وكذلك الدراسات المريمية، ومسائل الآخرة، فضلا عن التعاليم الأخلاقية والعبادات(أليسكي جور أفسكي، 1996).

يلاحظ على النص أنه اكتفى بالتصريح بوصف المسلمين بأنهم أتباع ديانة (يعبدون الإله الواحد) ولم يتعرض للإسلام باعتباره دينا من حيث الاعتراف به، أو بيان الموقف منه. كما اعتبر المجمع أن الخلاص ليس وقفا على الكنيسة؛ وأن لله تجليات عبر أديان أخرى كالإسلام والبوذية والشنتاوية (Shinto) وغيرها. وامتنع المجمع عن الإشارة القاطعة والصريحة إلى اتّباع المسلمين (ملة إبراهيم) واستعاض عنها بعبارة وصفية تتحدث عن المسلمين(الذين يعتقدون أنهم يتبعون ملة إبراهيم) فهي تصف ولا تعترف.

وسكت المجمع عن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اقترح بعض المؤتمرين إدخال تعديلات على القسم السادس عشر من مسودة الدستور العقائدي في الكنسية (يؤكد أن المسلمين يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلم الناس بالأنبياء) إلا أن اللجنة ألغت هذه العبارة، لأنه يُفهم منها أن الله تكلم عبر محمد صلى الله عليه وسلم أي أوحي إليه، وتضمن التصريح الختامي (الذي كلم الناس).

إن قضية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أبرز الإشكاليات التي تواجه مؤتمرات الحوار؛ ولذا رفضت كثير من الأقطار العربية إرسال موفدين لها إلى مؤتمر قرطبة عام1977، الذي شارك فيه أكثر من200 مشارك، محتجين بعدم جدوى حوار بين الديانتين ما دام أن الكنيسة لن تغير موقفها من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. (أليسكي جور أفسكي، 1996). وتضمن النص دعوة المسلمين إلى نسيان الماضي، ولم يتضمن النص الاعتذار لهم في حين أن الفاتيكان اعتذر لليهود(بسام داود عجك، 1997).

إن بيان مجمع الفاتيكان الثاني جاء ليبدل وجهة نظر الفكر المسيحي الذي كان سائدا في القرون الوسطى، حيث يعتقد كثير من المسيحيين أن الاسلام عقيدة ابتدعها، محمد صلى الله عليه وسلم، متسمة بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، وإنه دين الجبر والانحلال الخلقي والملذات والشهوات الحسية، وإنه دين العنف والقسوة، وفي المقابل يصورون المسيحية على أنها دين الحق المتميز بالسمو الخلقي وروح السلام وأنها عقيدة تنتشر بالإقناع لا بالإكراه أو قوة السلاح.

يكتب يوحنا الدمشقي بشأن ظهور الإسلام قائلا: (كانوا يزاولون عبادة الأوثان علنا إلى عهد هرقليوس ومنذ هذا العهد وحتى أيامنا هذه، قام فيهم نبي منتحل (النبوة) اسمه محمد الذي قد أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهد القديم والجديد، وبعد أن تحاور مع راهب آريوسي. وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهر بالتقوى، كان يلمح بأن كتابا آتيا من السماء قد أوحي به إليه من الله. وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه)(جزريف كميل جبارة، 2006).

والملاحظ أن الهدف من هذه الاتهامات ليس إلا تشويه صورة الإسلام والنيل منه ومن النبي صلى الله عليه وسلم، فهي تفتقر إلى الدقة والتعمق. وفي المقابل نجد الكثير من الأسماء اللامعة، ونوابغ الفكر الذين أنصفوا الإسلام وأبرزوا جوانبه المضيئة، من ذلك شهادة المفكر الفرنسي، غوستاف لوبون الذي قال: (إن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان...ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من

أخلاق أمم الأرض قاطبة ... والسهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن في العالم ... فالمسلم أينما مر ترك خلفه دينه وبلغ عدد أشياع النبي ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين، كبعض أجزاء الصين وأفريقيا الوسطى وروسية وتم اعتناق هذه الملايين للإسلام طوعاً، لا كرهاً ولم يسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوش مع هؤلاء التجار العرب المسلمين لمساعدتهم ويتسع نطاق الإسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان كان) (غوستاف لوبون، 2013).

وما قاله المستشرق ول ديورانت: لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام(ول ديورانت، 1988).

وقالت زيجريد هونكه: إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد إذا ما نحيّنا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو(زيجريد هونكه، 1996).

تبين لنا هذه الشهادات أن الإسلام منهج متكامل يوازن بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، فهو يتميز بالوسطية والاعتدال في كل شيء، وضع مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة لكل البشر، دون محاباة لقوم أو لأمة أو لعرق، وبذلك رفع الإنسان إلى المستوى الإنساني اللائق به دون تفرقة بين الناس، فقضى على العنصرية ووحد أفراد الجنس البشري توحيدا كاملا، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود، وبذلك قضى على جميع العبوديات في الأرض برد العبودية كلها إلى الله وحده، ويعترف بجميع الديانات السماوية السابقة ويؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، لأن جذوره ممتدة في تاريخ الانسان منذ أن خلق الله الانسان، ويمتلك نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا عادلا مترابطا، وبذلك استطاع أن يقيم حضارة عالمية إنسانية متكاملة تليق بالإنسان، لأن رسالته جاءت للناس كافة وليست مقيدة بجنس معين ولامحدودة بزمن معين، ولا محصورة بمكان معين.

ثانيا: نظرة المسلمين للغرب:

قبل الإسلام الآخر وأرسى قواعد التعايش السلمي معه، انطلاقا من الوحدة الإنسانية، وحرية الاختيار، وتحقيق العدالة والمساواة بين الجميع دون تمييز، ونشر السلم العالمي، داخليا وخارجيا، والآخر هو كل من لا يدين بالإسلام ولا يرضاه حكما في مختلف ميادين الحياة.

ومنذ البداية دعا الإسلام إلى الحوار مع الآخر، خاصة أهل الكتاب، والدعوة مفتوحة إلى يوم القيامة؛ لإقامة حلف فضول يتوافق فيه على مبادئ وأسس تكفل الحقوق وتحقق الأمن، دون أي شكل من أشكال التمييز، لتجاوز الأحلاف المعاصرة سواء أكانت دولية أم إقليمية؛ لأنها لا تحقق إلا مصالح الأقوياء.

ويمكن حصر نظرة المسلمين للغرب في مستويين هما: المستوى العقائدي والمستوى السياسي.

أ-المستوى العقائدي: يتصور المسلمون أن الغربيين بعيدون عن الاعتقاد بعالم الغيب، غير أنهم يفرقون بين تعاليم المسيح وبين الكنيسة، فيعتبرون التعاليم وحيا من الله إلا أنها تعرضت للتحريف

والتبديل، والإسلام يُقر تعدد الشرائع عبر التاريخ الإنساني: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: 50]، مع وحدة الدين (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى: 11]، والإيمان بكل الرسل (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) [البقرة: 284].

وأن النبيّين إخوة، شرائعهم شتى ودينهم واحد: عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبَّيّ صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أَولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (البخاري، 2003، ح: 3259)، وتشكل دعوتهم عقداً متكاملاً، بدايته آدم عليه السلام ونهايته خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرِيْرةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ مثَلِي وَمَثَلَ ٱلأَنبِيَاءِ مِنْ قَبلِي كمَثَلِ رجُلٍ بَنَىَ بيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْملَهُ إِلّا مَوْضعَ لَبنِةٍ مِنَ زاوِيَةٍ فَجعَلَ الناَّسُ يَطُوُفونَ بهِ وَيَعْجُبونَ لَهُ وَيَقوُلونَ هَلَّا وُضعَتْ هذِهِ اللَّبِنَةَ قَاَل فَأَنَا الَّلبنِة وَأَنَا خَاتمِ النبِّيِيّنَ) (البخاري، 2003، ح: 3342)، والإنسان مكرم بغض النظر عن دينه أو معتقده، حيا كان أو ميّتا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: 70]. ومنع الإسلام سب ما يعبده الآخرون أو يعتقدونه؛ لأنه ليس من خلق المسلم الموقن بإيمانه، السب أو اللعن، هذا من جهة، وحتى لا يكون ذريعة لسب الله تعالى، من جهة أخرى لقوله عز وجل: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 109]. واعترف بدور عبادة الآخرين وأمر بحفظها لقوله سبحانه: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج: 38].

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لوفد نصارى نجران، بعد أن أقاموا في المسجد النبوي وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلوا فيه صلاة عيد الفصح). (البلاذري).

كما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد أمان لأهل القدس، (الطبري، 1986)، ولما استقدم المأمون من الري (يزدان بخت) زعيم المناوية، لمناظرة بعض المتكلمين المسلمين، وبعد أن أُفحم، دعاه المأمون لاعتناق الإسلام، فأجاب: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم. فقال: المأمون أجل (ابن النديم، 1998).

ب-المستوى السياسي: يتذكر المسلمون الويلات التي لاقوها وما فعله بهم الإسبان بعد سقوط الأندلس، وما جرى في الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش (زيغريد هونكة، 1996)، وما يجري الآن من حرب ضد الإسلام ورموزه، وما مارسوه من اضطهاد ديني وسفك دماء لمخالفيهم في المذهب شاهد عيان على زيف دعاويهم وسقوط شعاراتهم، فأقباط مصر كانوا يعيشون تحت الحكم الروماني في ذل مرير مع اشتراكهم في الدين، بسبب اختلافهم المذهبي، فالأقباط يعتنقون المذهب الأرثوذكسي، والرومان المذهب الكاثوليكي، فكان الرومان يعذبون الأقباط ويقتلون رجال الدين منهم، فكنيسة" مارجريس" كانت العبادة تمارس علناً حسب المذهب الكاثوليكي، وخفية في السراديب حسب المذهب الأرثوذكسي؛ فرارا من سياط الرومان(محمد قطب، 1989).

ويدرك المسلمون أن الغرب اليوم يعمل على صياغة عدو موهوم له هو الإسلام، ويحاول أن يغذي في نفوس أتباعه هذا الحقد، والاستعداد لمواجهة هذا العدو، بعد سقوط العدو السابق الشيوعية.

ويزداد القلق الغربي ضد ازدياد عدد المسلمين في عقر الحضارة الغربية إذ يقدر عدد المسلمين في دول الاتحاد الاوربي بما يزيد على 20 مليون نسمة ويشكلون نسبة 6% من مجموع السكان. بحيث إن عددهم في ازدياد متواصل بسبب الهجرة أو التجنس أو الدعوة الدينية أو الزيادة الطبيعية مما جعل أعدادهم تفوق أعداد البروتستانت واليهود معاً في أربع دول كاثوليكية، هي: فرنسا وايطاليا وإسبانيا ورومانيا (زاكي الميلاد، 1998)، واذا أضيف هذا العدد إلى عدد المسلمين في شرق أوربا والبلقان يصبح العدد حينئذ قرابة 10% من سكان أوربا(نديم إلياس، 2002).

وما يعزز توطن القلق على الصعيد السياسي تقرير" المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن"، الصادرُ عام 1992، إذ يؤكد بهذا الصدد أن الإسلام قد كان (بالنسبة للأوربيين دائما موضوعَ حذر، ولكن لم يعد ظاهرة بعيدة ... إنه يشكل جزءا من الواقع الثقافي الذي يميز الأحياء الفقيرة جدا في بعض مدن أوربا الغربية،... فقد تسلل عدو الأمس من البابِ الخلفي ... وهو الآن بصدد تحريك وإنعاش الأوهام اللاعقلانية، التي تَّم إعدادها على مدار قرون: الجهاد ضِدّ الكّفار وبالتالي الاقتناع بالقدر والايمان بالتعّصب)(محمد سعدي، 1998).

وإذا كان الغرب حريصا على أن يسير في طريق الوفاق مع الإسلام، وإزالة سوء الثقة فإنه ينبغي أن يكف عن ممارسة دور ذي الوجهين والمكيالين، إزاء قضايا المسلمين، حيث يبطش بالعراق ويغازل إسرائيل، ويبارك قمع قوى الديموقراطية في عالم الإسلام، ثم يتباكى على ملفات حقوق الإنسان.

وفي الوقت الذي نطالب فيه الغرب بالعودة إلى القيم المسيحية الأصلية، قيم المحبة والعدل، والتسامح والتعاون، والتعايش المشترك، والاحترام المتبادل، لتحقيق الوفاق مع عالم الإسلام، فإن أمة الإسلام ينبغي أن ترتقي إلى مستوى قيمها الحضارية والعقدية، واتخاذ المواقف العملية المتناغمة معها، وأن تغير ما بنفسها ليغير الله ما بها، وتقدم النموذج والدليل على جدارتها بالاحترام والاقتباس، ومن المؤكد أن الأمة الإسلامية، حينما تعود إلى قيمها، لا تنقذ نفسها فحسب، بل تساهم في إنقاذ الغرب والإنسانية بأسرها.

أهم نتائج الدراسة: خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

-الحوار سبيل لتحقيق التواصل بين جميع أفراد المجموعات البشرية، لمواجهة التحديات العالمية المختلفة.

-الحوار يمكن أن يساعد المفكرين والمنظرين من الخروج من نفق الهويات المغلقة ومن الإيديولوجيات الدينية المقيتة.

-لابد من الاعتراف بأن المسيحية جزء مهم من الثقافة العربية ساهمت في نهضة الفكر والآداب العربية، وفي بناء الحضارة العربية الإسلامية.

-الإسلام حافظ على حقوق الأقليات الدينية (المسيحية، اليهودية...)، وأعطاها حقها في ممارسة شعائرها التعبدية، وضمن لها حق العيش الكريم، لأن المساحة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة واسعة.

-ضرورة الانفتاح والاختلاط بالآخر وكسر الحواجز، والحد من الصور النمطية.

-الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعارف والوئام، وترك التعادي والتناحر والخصام.

خاتمة:

علاقة الإسلام بالمسيحية عبر التاريخ لها طابع إيجابي منذ بداية الدعوة الإسلامية، يدل على ذلك دعوته صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وعقده مع نصارى نجران. وإذا كانت الحقب التاريخية قد شهدت حروبا ومجابهات على خلفية اختلاف العقائد الدينية، والتي كانت سببا في الكثير من الدمار الذي لحق الإنسانية، فإنها لا يمكن أن تكون تقربا إلى الله عز وجل، لأنه يدعو إلى المحبة والسلام وليس للكره والضغينة والتقاتل. فإن الوقت قد حان لكي يتعاون أتباع جميع الأديان معا من أجل مواجهة المصير الإنساني المشترك، عن طريق فتح قنوات الحوار، القائم على أساس الاحترام المتبادل، والانفتاح على الآخر، سيما وأن العالم اليوم أصبح بمثابة قرية صغير، مما يجعل التواصل بين البشر أمرا محتوما. والقرآن الكريم دعا إلى فتح الحوار مع البشر عامة، لأنه وسيلة للمعرفة، والمعرفة هي السبيل الأمثل للتواصل ونبذ جميع أشكال التطرف والعنف، كما يشكل إطارا واسعا يساعد المتحاورين جميعا على فهم تقاليد بعضهم البعض، ودراسة ما يلتقون حوله وما يختلفون فيه، من أجل تعميق نقاط الاتفاق، وتفهم نقاط الاختلاف والقبول بها على قاعدة احترام الآخر.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.

2. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة(1999)، كتاب الخراج، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية.
3. أليسكي جور أفسكي (1996)، الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، ترجمة: خلف محمد الجراد، مراجعة: محمود حمدي زقزوق، سلسة عالم المعرفة، ع: 215.
4. أمين معلوف(1999)، الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: نبيل محسن، ط: 1، دار ورد للطباعة والنشر بدمشق.
5. البخاري أبو عبد الله(2003)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تخريج وضبط صدقي جميل العطار دار الفكر، ج3.
6. البلاذري، فتوح البلدان، لجنة البيان العربي، القاهرة، ج1.
7. بسام داود عجك (1997)، الحوار الإسلامي المسيحي، ط:1، دار قتيبة.

8. ابن جرير الطبري (1986)، تاريخ الأمم والملوك، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3.
9. جوزيف كميل جبارة(2006)، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية: آفاق وحدود، مجلة صادرة عن جامعة القديس يوسف، بيروت، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، ع: 4.
10. زكي الميلاد (1998)، الإسلام والغرب هل من منظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية ايجابية، ط: 1، دار الفكر المعاصر.
11. زيجريد هونكه (1996)، لله ليس كذلك، ط: 2، دار الشروق.
12. غوستاف لوبون (2013)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي.
13. لويس غرديه، وجورج قنواتي(1983)، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، ط:3، دار العلم للملايين، ج2.
14. ماريا روزا مينوكال(2006)، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ترجمة:عبد الحميد جحفة ومصطفى جبّاري، ط: 1، منشورات دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب.
15. ماريو أبستولوف (2010)، العلاقات الحضارية الإسلامية المسيحية بين احتمالات التعاون والصراع، ترجمة وتقديم مصطفى قاسم، مراجعة السيد يسين، الطبعة الأولى المركز القومي للترجمة القاهرة.
16. محمد سعدي(1998)، الجنوب في التفكير الإستراتيجي الأمريكي نموذج أطروحة صِدام الحضارت، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، مركز راسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول.
17. محمد قطب (1989)، واقعنا المعاصر، مكتبة رحاب الجزائر،.
18. محمد كمال منصور(1998)، توظيف ورقة الأقليات ضد العالم الإسلامي حالة تيمور الشرقية، مجلة السنة، العدد78.
19. محمد النقري(2006)، قراءة إسلامية للحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 سنة من البيان المجمعي: الثوابت والمتغيرات، مجلة سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، الصادرة عن جامعة القديس يوسف، ع:4، 21 كانون الأول، دار المشرق بيروت.
20. محمود شاكر(2006)، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مكتبة الخانجي، مصر.

21. نديم عطا إلياس (2002)، المؤسسات الإسلامية في الغرب والتواصل مع المجتمعات المحلية، مجلة الرائد، العدد 232، الدار الإسلامية للإعلام، المانيا، كانون الثاني.
22. ابن النديم (1998)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ج1.
23. ول وايريل ديورانت(1988)، قصة الحضارة. ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، دار الجيل، بيروت، ج13.

معوقات جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية دراسة ميدانية بالمستشفى الجامعي ابن رشد عنابة

Obstacles Facing Quality of Life at Work for Nurses of Medical Emergencies A field study at IbnRushdAnnabaUniversity Hospital

أ.لعجايلية يوسف، جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

Ladjailiayoucef, Badji Mokhtar Annaba university-Algeria

الملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على معوقات جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية بالمركز الاستشفائي الجامعي بعنابة، إضافة إلى الكشف عن الفروق في استجابتهم تبعا للمتغيرات الديمغرافية (الجنس، سنوات العمل).

للإجابة على فرضيات الدراسة اعتمدنا على المنهج الوصفي وقد تم تصميم استمارة هدفها جمع المعطيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وتكونت عينة الدراسة من(35)ممرض وممرضة وخلصت نتائج الدراسة إلى توافر جميع أبعاد جودة الحياة في العمل لدى ممرضي مصلحة الاستعجالات ماعدا البعد المتعلق بجماعة العمل الذي يعتبر مؤشر متوسط لمعوقات تحقيق جودة الحياة في العمل لدى عينة البحث، كما أنه لا يوجد اختلاف في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعاً لاختلاف المتغيرات الديمغرافية (الجنس، سنوات العمل).

الكلمات المفتاحية: معوقات، جودة الحياة في العمل، الممرضين، المستشفى الجامعي بعنابة.

Abstract: The current study aims to identify the obstacles to quality of life at work for medical emergency nurses at Annaba University Hospital Center, in addition to revealing the differences in their response according to demographic variables (gender, years of work).

To answer the study hypotheses, we adopted a descriptive approach. A form was designed to collect data related to the subject of the study. The study sample consisted of (35) nurses. The results of the study have revealed the availability of all dimensions of quality of life at work for nurses of medical emergencies except the dimension related to group work which is a medium indicator to the obstacles to quality of life at work of our study sample. There is, as well, no difference in the responses

of the sample towards the obstacles to achieving quality of life at work according to the difference in demographic variables (gender, years of work).

Key words: Obstacles, Quality of Life at Work, Nurses, Annaba University Hospital.

مقدمة:

نال موضوع جودة الحياة الوظيفية اهتمام الكثير من الباحثين والمختصين بالعلاقات الإنسانية والسلوك التنظيمي نظرا لأهميته للمنظمة وللعمال والموظفين، تزداد أهميته بصورة خاصة في المؤسسات الصحية التي يختلف دورها عن باقي المؤسسات التجارية والصناعية من حيث ارتباطها بحياة وصحة المرضى، حيث خلصت معظم الدراسات والأبحاث إلى أن تقديم أفضل الخدمات الصحية مرتبط بمستوى جودة الحياة في العمل.

إن الدور الهام للمورد البشري يفرض على المؤسسات الصحية الاهتمام به من خلال تهيئة البيئة الملائمة للعمل والسعي لدعم جهوده لكي يؤدي الأعمال الموكلة إليه بكفاءة.

ضمن هذا الإطار يتبلور مفهوم جودة الحياة الوظيفية والذي يؤكد على ضرورة توفير بيئة عمل سليمة مشجعة تُشعر الفرد بالانتماء والاستقرار والأمان والاحترام مما يعزز رضاه الوظيفي ويرفع من روحه المعنوية.

في ضوء ما سبق نحاول من خلال هذا البحث دراسة معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل لدى الممرضين العاملين في المصالح الاستعجالية.

" دراسة ميدانية بالمستشفى الجامعي أبن رشد بعنابة نموذجا".

1- إشكالية البحث:

تعد الصحة ركيزة أساسية من ركائز تحقيق التنمية بمختلف مجالاتها، كما تكتسي الخدمات الصحية أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع نظر لتعلق هذه الخدمات بصحة وحياة *الإنسان*، ورغم الإصلاحات العديدة التي تقوم بها الجهات المسئولة عن قطاع الصحة من أجل تطويره إلا أنه مازال يواجه مشاكل متعددة في بعض المستشفيات العمومية، ومن خلال مراجعة النتائج التي توصلت لها العديد من الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة تبين أن عدم رضا الموظفين عن الأجور والمكافآت وكثرة القيود المفروضة عليهم وغياب أسلوب أشراف فعال بالإضافة إلى الانخفاض في درجة رضا الموظفين عن خصائص وظائفهم والقصور في توفير بيئة عمل صحية وآمنة والسيطرة الكاملة للمرؤوسين في اتخاذ القرارات حتى التي تمس الموظفين وتجاهل ردود أفعالهم، كل هذه العوامل تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل مما ينعكس سلبا على مستوى وجودة الخدمات الصحية المقدمة.

الطاقات البشرية ليست لها فعالية إلا من خلال تحريكها وتطويرها وإشباع حاجاتها الإنسانية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يصبو إليه مفهوم جودة الحياة في العمل، وبناء على

ما ورد أعلاه سوف نتناول في هذا البحث دراسة معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل لدى الممرضين العاملين في مصلحة الاستعجالات بالمركز الاستشفائي الجامعي بعنابة.

وعليه يمكننا طرح التساؤل الرئيسي التالي: هل توجد معوقات تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية بالمستشفى الجامعي ابن رشد بعنابة؟

ينبثق عن التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية :

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف الجنس؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف سنوات العمل؟

2- فرضيات البحث:

الفرضية العامة: توجد معوقات تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية بالمستشفى الجامعي ابن رشد بعناية.

الفرضيات الجزئية:

1.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف الجنس.

2.توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف سنوات العمل.

3- أهداف البحث:

-الكشف عن المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية بالمستشفى الجامعي ابن رشد بعنابة.

-التعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة العمل تبعا لاختلاف الجنس.

-الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة العمل تبعا لاختلاف سنوات العمل.

4- أهمية البحث: تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من خلال الآتي:

-حداثة وندرة البحوث والدراسات التي تناولت موضوع معوقات تحقيق جودة الحياة الوظيفية في المؤسسات العمومية للصحة.

-أما فيما يتعلق بالأهمية العملية لهذه الدراسة فهي تسعى للكشف على المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لدى الممرضين بالمركز الاستشفائي الجامعي أبن رشد بعنابة، مما يساعد المديرين والمشرفين في هذه المؤسسة على الوقوف عن كثب على نقاط الضعف المتعلقة ببيئة العمل وتوظيف نتائج هذه الدراسة واقتراحاتها في تحقيق وتحسين جودة حياة العمل بمؤسستهم إضافة إلى ذلك فالدراسة الحالية تمهد الطريق أمام إجراء عدد من البحوث والدراسات.

5- تحديد مصطلحات الدراسة:

جودة الحياة في العمل: يقصد بها إجرائيا على أنها بيئة عمل تتوفر فيها ظروف عمل جيدة، مشاركة فعالة للعاملين في اتخاذ القرارات، مرتبات ومكافآت مادية ومعنوية، معاملة عادلة من المشرفين، نظام اتصال فعال، برامج تطورية وتدريبية، أوقات عمل مرنة، بيئة مادية مناسبة، قدر من الاهتمام والتحدي بالوظيفة، يتحقق من خلالها رضا العاملين وإشباع حاجاتهم وأهداف المنظمة.

معوقات جودة الحياة في العمل: ويقصد بها غياب أو عدم توافر بعد أو أكثر من أبعاد جودة الحياة في العمل المرتبطة بالعوامل التنظيمية للمنظمة والبيئة المادية للعمل وبخصائص الوظيفة مما يؤدي إلى عدم تحقيقها.

ممرضي الاستعجالات الطبية: ويقصد بهم الموظفين الشبه الطبيين الذين تابعوا تكوينا في إحدى المدارس أو المعاهد العليا للتكوين الشبه طبي وهم مؤهلون للعمل في المستشفيات ويعملون حاليا في المصالح الاستعجالية بالمركز الاستشفائي الجامعي ابن رشد بعنابة.

6- حدود الدراسة:

الحدود المكانية: تحددت الدراسة بالمصلحة الاستعجالية للمستشفى الجامعي أبن رشد عنابة.

الحدود الزمنية: تحددت الدراسة زمنيا من شهر جانفي 2017 إلى شهر أفريل2017.

الحدود البشرية: تحددت الدراسة على جميع ممرضي وممرضات مصلحة الاستعجالات بالمستشفى الجامعي ابن رشد بعنابة.

7- الدراسات السابقة:

دراسة المغربي (2004): بعنوان (جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي)، هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى جودة حياة العمل في المراكز الطبية المتخصصة التابعة لجامعة المنصورة و تحديد درجة التباين والاختلاف فيما بين آراء الإداريين والأطباء والفنيين وتحديد آثر عوامل جودة حياة العمل في تنمية الاستغراق الوظيفي للعاملين بالمراكز الطبية محل الدراسة، وتم تحديد مجتمع الدراسة ب3659 مفردة، وقد بلغت عينة البحث350 مفردة وكان من أهم الاستنتاجات وجود انخفاض نسبي لمستوى جودة العمل في المراكز الطبية المتخصصة محل الدراسة كما أوضحت الدراسة عدم وجود اختلافات معنوية بين الفئات العاملة بتلك المراكز من الإداريين والأطباء والفنيين إلا في الأجور والمكافآت وأسلوب الرئيس في الإشراف.

دراسة أسامة زياد يوسف البليسي (2012) بعنوان: "جودة الحياة الوظيفية وآثارها على الأداء الوظيفي للعاملين: دراسة في المنظمات غير الحكومية في فلسطين"، هدفت الدراسة إلى البحث عن مدى توفر جودة الحياة الوظيفية في المنظمات غير الحكومية في قطاع غزة من عدمه، ومدى تأثيرها على الأداء الوظيفي لعامليها، حيث طبقت هذه الدراسة على 53 منظمة غير حكومية وقد تم اختيار عينة طبقية عشوائية بلغت 265 موظفا، وقد خلصت الدراسة إلى منظمات غير الحكومية في قطاع غزة تتمتع بحياة وظيفية ذات جودة جيدة وذلك لوجود قوانين وسياسات في معظم هذه المنظمات تكفل ذلك لعامليها، كما توصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين جودة الحياة الوظيفية داخل المنظمة غير الحكومية في قطاع غزة والأداء الوظيفي لعامليها.

دراسة:(kailamae L Macairan& al,2019) :بعنوان: نوعية العمل والحياة لممرضات المدرسة الرسمية في الفليبين: هدفت هذه الدراسة إلى تحديد مستوى جودة الحياة الوظيفية لدى ممرضات المدارس العامة في الفليبين، استخدمت مقياس والتون لجودة حياة العمل، وتكونت عينة الدراسة من 57 ممرضة في المدارس العامة.

بعد تحليل البيانات أشارت النتائج إلى أن ممرضات المدارس العامة لديهم جودة حياة وظيفية عالية ومن بين النقاط الفرعية الثمانية كانت: فرص العمل، الاندماج الاجتماعي في العمل أدنى الدرجات.

لم تكن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في جودة حياة العمل وفقا للجنس، والتحصيل التعليمي، والخبرة المهنية.

هناك علاقة كبيرة بين سن الممرضات ومستوى جودة الحياة العمل.

التعقيب على الدراسات السابقة:

باستعراض الدراسات السابقة يمكن تحديد بعض المؤشرات على النحو التالي:

-استفاد الباحث من الدراسات السابقة في تصميم أداة الدراسة الحالية وتعريف المصطلحات والاستشهاد ببعض الدراسات السابقة لتِبيان أهمية الدراسة والتفسير الكيفي للنتائج والرجوع إلى المصادر والمراجع الأصلية ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية وتوظيفها.

-تتفق الدراسات التي تم عرضها سابقا مع الدراسة الحالية من حيث المنهج المطبق وهو المنهج الوصفي وأدوات الدراسة المعتمدة والمتمثلة في الاستبيان وكذا أهداف الدراسة أما أوجه الاختلاف فتتمثل في بيئة الدراسة.

8-الإطار النظري:

8-1-مفهوم جودة الحياة في العمل: مجموعة من العمليات المتكاملة المخططة والمستمرة والتي تستهدف تحسين مختلف الجوانب التي تؤثر على الحياة الوظيفية للعاملين وحياتهم الشخصية أيضا بالشكل الذي يساهم في تحقيق الأهداف الإستراتيجية للمنظمة والعاملين فيها والمتعاملين معها(جاد الرب، 2008، ص9).

8-2-أبعاد جودة الحياة في العمل: اختلف العلماء والباحثون في تحديد أبعاد جودة الحية الوظيفية إلا انه بشكل عام تركز غالبية الجهود المبذولة لتحقيق جودة الحياة الوظيفية على الأبعاد التالية:

-توفير بيئة عمل صحية وآمنة، وإتاحة الظروف البيئية المعنوية المدعمة لأداء العاملين، المشاركة بمفهومها الواسع، توفير متطلبات الأمان الوظيفي، وإعادة تصميم وإثراء الوظائف، وعدالة نظم الأجور والمكافآت، والحوافز المادية والمعنوية وإتاحة فرص الترقي والتقدم الوظيفي، وإتاحة الظروف الملائمة لتحسين الإنتاجية والكفاءة لتوفير فرق عمل متماسكة، العدالة الاجتماعية والحفاظ على كرامة العاملين وخصوصيتهم (ماضي، 2014، ص66).

8-3-معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل: تعددت الدراسات حول جودة حياة العمل وأبعادها وبرامجها، كما أن البحث في طرق تطبيق برامجها بشكل صحيح جعل المختصين في هذا المجال يشيرون إلى أن هناك معوقات من أنواع شتى بعضها يرجع لعوامل تنظيمية كنقص أو غياب المشاركة في اتخاذ القرارات، ووجود نظام للأجور والمكافآت غير عادل، نمط الإشراف،

الاتصال الغير الفعال، نقص وغياب برامج التكوين والتدريب وأوقات عمل غير مرنة لا تسمح بتحقيق التوازن بين الحياة الوظيفية والأسرية،وغياب فرص التطور والنمو الوظيفي، وعوامل متعلقة بيئة العمل المادية كالحرارة المرتفعة والغير مناسبة، والإضاءة الضعيفة والإشعاعات والضوضاء، ونقص التهوية في مكان العمل، التلوث وغياب النظافة، سوء تصميم مكان العمل.

9- الإجراءات الميدانية للدراسة:

9-1-منهج الدراسة: بما أن موضوع دراستنا يتناول وصف ظاهرة جودة حياة العمل، وكذلك معرفة التباين الموجود على مستوى استجابات العينة على تساؤلات الدراسة تبعا للمتغيرات الديمغرافية (الجنس، سنوات العمل) فالباحث لجأ إلى اعتماد المنهج الوصفي كونه يحقق الأهداف والإجابة على تساؤلات الدراسة وفرضياتها.

9-2-مجتمع الدراسة: ويشمل كل الممرضين والممرضات الذين يعملون بالمصلحة الاستعجالية الطبية بالمركز الاستشفائي الجامعي ابن رشد بعنابة والبالغ عددهم ب 37 ممرض وممرضة حسب إحصائيات 2017 ويتوزعون وفق متغير الجنس (23)ذكر و(14) أنثى .

9-3-عينة الدراسة: طبق هذا البحث على جميع ممرضي وممرضات المصلحة الاستعجالية ابن رشد بالمستشفى الجامعي بعنابة، إذ قام الباحث بتوزيع 37 استمارة تم استرجاع 35 استمارة صالحة للتحليل الإحصائي .

والجدولين التاليين يوضحان توزيع أفراد العينة:

الجدول 01: يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة
ذكر	22	62.85
أنثى	13	37.14
المجموع	35	% 100

الجدول 02: يوضح توزيع أفراد العينة حسب سنوات العمل.

سنوات العمل	التكرارات	النسبة
من 01 إلى 05 سنوات	26	74.3
من 06 إلى 10 سنوات	07	20
أكثر من 10 سنوات	02	5.7
المجموع	35	% 100

9-4- أداة الدراسة: اعتمد الباحث على مقياس ميشكان لجودة الحياة الوظيفية Michigan QWL Questionnaire الذي يمتاز بالثبات والمصداقية العالية ونموذج الاستقصاء الذي أعدتها المؤسسة الدولية للسلامة والصحة المهنية لقياس وتقييم جودة حياة العمل و الذي أعتمده المغربي في دراسته 2005 وقام بتقسيمه إلى6 أبعاد فرعية، أضاف له الباحث بعد سابع متعلق بظروف البيئة المادية للعمل وقد تمت الإجابة على المقياس وفقا لتدرج خماسي على طريقة

ليكرت (موافق بشدة، موافق، محايد، معارض،معارض بشدة) وهو متكون من 42 بندا موزع على 07 أبعاد كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول 03: توزيع البنود على أبعاد مقياس جودة الحياة الوظيفية.

رقم البعد	البعد	أرقام البنود
1	ظروف العمل المعنوية	01—— 06
2	خصائص الوظيفة	7—— 12
3	نظم الأجور والمكافآت	13—— 18
4	جماعة العمل	19——24
5	الإشراف	25—— 30
6	المشاركة في اتخاذ القرارات	31—— 36
7	ظروف البيئة المادية للعمل	37—— 42

9-5-الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة

أ- صدق المقياس:

أ -1-الصدق الظاهري: عرضت الاستمارة على مجموعة من الخبراء للتأكد من صحة صياغة الأسئلة و مدى مناسبتها للموضوع، وعلى ضوء ملاحظاتهم تم تصميم الاستمارة بصورتها النهائية .

أ-2- الاتساق الداخلي:جرى التحقق من صدق الاتساق الداخلي للمقياس بتطبيقه على عينة مكونة من (35) ممرضا وممرضة وتم حساب معامل الارتباط بيرسون لكل بعد من أبعاد المقياس والدرجة الكلية للمقياس وكذلك تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس، وقد اتضح من خلال نتائج التحليل الإحصائي أن معاملات الارتباط المتحصل عليها معاملات صدق داخلي مقبولة ودالة إحصائيا عند (0.01) مما يدل أن المقياس يحتوي على مستوى مقبول من الصدق.

ب-ثبات الاستمارة:

ب-1-طريقة معامل ألفا كرونباخ: تم حساب معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ وهي الطريقة المناسبة في حالة المقاييس ذات البدائل المتعددة حيث قدرت ب (0.91) مما يدل على أن المقياس على قدر عالي من الثبات

ب-2- طريقة التجزئة النصفية:حيث كانت قيمة الارتباط لنصفي الاختبار Correlation Forms Between (0.97)، قمنا باستخدام معادلة التصحيح لسبيرمان براون -Spearman Brown Coefficientفأصبح يساوي (0.98) وهو معامل ثبات عالي.

10- أساليب التحليل الإحصائي:

استخدم الباحث معادلة ألفا كرونباخ لحساب ثبات مقياس الدراسة.

-المتوسطات الحسابية: استخدمت لمعرفة معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي وممرضات مصلحة الاستعجالات بالمركز الاستشفائي الجامعي بعنابة.

-الانحرافات المعيارية: استخدمت لمعرفة درجة تباعد القيم عن المتوسط.

-اختبار(ت) للعينات المستقلةT-test: لمعرفة الاختلافات والفروق في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة حياة العمل تبعا لاختلاف الجنس (ذكر، أنثى).
-اختبارANOVA تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق لمتغير (سنوات العمل).

11- عرض ومناقشة وتحليل النتائج:

نتائج الفرضية العامة:

توجد معوقات تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات الطبية بالمركز الاستشفائي الجامعي بعنابة.

للتأكد من صحة هذه الفرضية تم استخدام التكرارات والنسب المئوية و المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد جودة حياة العمل وقد تم الاعتماد على المعيار التالي:

-إذا كان المتوسط الحسابي للبعد من 1 إلى 2.5 فهو دالا ومؤشر قوي على وجود المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل

-إذا كان المتوسط الحسابي للبعد من 2.5 إلى 3.5 فهو دالا ومؤشر متوسط على وجود المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل

-إذا كان المتوسط الحسابي للبعد من 3.5إلى 5 فهو دالا ومؤشر على غياب المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل

كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول 04: معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل لدى ممرضي الاستعجالات بالمستشفى الجامعي أبن رشد

الرقم	البعد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معوقات جودة حياة العمل
01	ظروف العمل المعنوية	3.61	0.83	لا توجد
02	خصائص الوظيفة	3.63	0.82	لا توجد
03	نظم الأجور والمكافآت	3.65	0.80	لا توجد
04	جماعة العمل	3.21	0.37	مؤشر متوسط
05	الإشراف	3.65	0.80	لا توجد
06	المشاركة في اتخاذ القرارات	3.68	0.78	لا توجد
07	ظروف البيئة المادية للعمل	3.72	0.74	لا توجد

يبين الجدول رقم (03) أن المتوسطات الحسابية لاستجابات المبحوثين حول مدى توافر أبعاد جودة الحياة في العمل كانت كلها أكبر من (3.5) وهي تدل على غياب المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل ماعدا البعد المتعلق بجماعة العمل فهو مؤشر متوسط على وجود المعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل ويعزو الباحث هذه النتائج إلى حرص المشرفين في المستشفى على المحافظة والاهتمام بالظروف المعنوية للعمل، أما خصائص

الوظيفة جاءت بدرجة مرتفعة ويرجع ذلك إلى وضوح المهام وتنوعها ودرجة الاستقلالية في أدائها ويتضح من النتائج المتحصل عليها أن الممرضين راضين على نظام الأجور والمكافآت التي يحصلون عليها ونمط الإشراف وظروف البيئة المادية للعمل المتوفرة في مصلحة الاستعجالات وإدارة المستشفى التي تسمح لهم بالمشاركة في اتخاذ القرارات التي تخص أعمالهم.
اتفقت نتائج الدراسة مع (دراسة اشتوي،2015) التي توصلت دراسته إلى أن مستوى اتجاهات العاملين نحو أبعاد جودة حياة العمل في البلدية كان مرتفعا، ومع دراسة (روى احمد ابرهيم،2017) امتلاك العاملين في رئاسة جامعة تكريت ظروف العمل المعنوية وبشكل واضح تمكنهم من العمل السليم، كما اختلفت مع (دراسة المغربي، 2004)، التي توصلت إلى أن المراكز الطبية تعاني من انخفاض في جودة حياة العمل داخلها
اختلفت مع(دراسة أيوب، 2014) التي توصلت إلى أن ظروف العمل وبيئته في الشركات محل الدراسة غير أمنة وغير صحية تماما، كما اختلفت مع دراسة (Dargahi and sabrai , 2006) التي توصلت إلى أن غالبية الموظفين غير راضين عن الصحة والسلامة المهنية والمدراء ودخلهم والتوازن بين الوقت الذي يقضونه في العمل ومع العائلة وأشاروا أيضا أن عملهم لم يكن مثير للاهتمام ومرضيا، ويتمتع موظفو مستشفيات (TUMS)بسوء نوعية الحياة العملية.

نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف الجنس.
للتأكد من صحة هذه الفرضية تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) للتعرف على دلالة الفروق بين متوسطات معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل حسب استجابات الممرضين والممرضات والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول 05: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت) لدلالة الفروق في استجابات أفراد العينة تبعا لمتغير الجنس.

المتغير	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	مستوى الدلالة (Sig)
جودة الحياة في العمل	ذكر	22	151.13	13.76	0.14	33	0.193
	أنثى	13	150.30	20.25			

تشير النتائج المسجلة في الجدول (05) عند تطبيق اختبارات للعينات المستقلة، أن قيمة الدلالة المحسوبة (Sig) في الدرجة الكلية أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، وبالتالي فهي غير دالة إحصائيا أي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف الجنس وهذا ما لا يتفق مع محتوى الفرضية الجزئية الأولى.

تتفق هذه النتيجة مع دراسة (ماضي، 2014) والتي أظهرت أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابة الباحث تعزى إلى متغير (الجنس).

اتفقت مع دراسة (kaila,2019) التي توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في جودة حياة العمل وفقا للجنس، كما اتفقت مع دراسة (البربري، 2016)التي توصلت إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير الجنس.

فيما تختلف هذه النتيجة مع دراسة(الدحدوح،2015) والتي توصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لمستوى جودة الحياة الوظيفية معلمي المرحلة الأساسية، تعزى لمتغير الجنس، ولصالح المعلمات.

نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف سنوات العمل.

للتحقق من صحة هذه الفرضية استخدمنا اختبار تحليل التباين الأحادي ONE- WAY ANOVA للفروق بين متوسطات أفراد العينة تبعا لمتغير سنوات العمل

الجدول 06: يبين نتائج تحليل التباين الأحادي لمتغير سنوات العمل.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة (f)	مستوى الدلالة (Sig)
مستوى جودة حياة العمل	بين المجموعات	378.010	189.005	2	0.709	0.500
	داخل المجموعات	8530.962	266.593	32		

نلاحظ من خلال الجدول أن قيمة F تساوي 0.70 وقيمة Sig تساوي0.50 وهي أكبر من مستوى الدلالة 0.05 وبالتالي فإن قيمة F غير دالة إحصائيا أي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة البحث نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف سنوات العمل وهذا ما لا يتفق مع محتوى الفرضية الجزئية الثانية.

تتفق النتيجة مع دراسة (الدحدوح،2015) والتي أشارت إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لمستوى جودة الحياة الوظيفية تعزى لمتغير سنوات العمل، كما اتفقت مع دراسة (kaila, 2019)التي توصلت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في جودة حياة العمل وفقا للسنوات العمل، كما اتفقت مع دراسة (البربري،2016)التي توصلت إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير سنوات العمل

اختلفت مع دراسة (rajendran, 1994) التي توصلت إلى اختلاف المدراء في تقييم مستوى جودة الحياة الوظيفية ووجود لعامل الخبرة أثر في تحديد مستوى جودة الحياة الوظيفية

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أن ممرضي وممرضات المصلحة الاستعجالية أبن رشد بالمستشفى الجامعي بعنابة يعملون في بيئة عمل تتوافر فيها ظروف عمل معنوية جيدة و درجات مرتفعة لخصائص وظيفتهم من تنوع ووضوح وأهمية للمهام واستقلالية في أدائها،ونظام واضح للأجور والمكافآت، وأسلوب مناسب للإشراف، وهم راضون عن ظروف البيئة المادية للعمل،ماعدا البعد المتعلق بجماعة العمل فهو يعتبر مؤشر متوسط للمعوقات التي تحول دون تحقيق جودة الحياة في العمل لديهم ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجاباتهم نحو معوقات تحقيق جودة الحياة في العمل تبعا لاختلاف الجنس وسنوات العمل.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة ورؤية الباحث للموضوع يمكن تقديم بعض التوصيات:

-ضرورة تركيز المركز الاستشفائي على البرامج التي من شأنها تحسين جودة الحياة في العمل.

-إعادة النظر في الفرق التمريضية من خلال التوزيع والتنسيق والتنظيم المناسب والضروري لجماعة العمل.

قائمة المراجع:

1.أسامة زياد يوسف البلبيسي(2012)، جودة الحياة الوظيفية وأثرها على الأداء الوظيفي للعاملين في المنظمات الغير الحكومية في قطاع غزة، رسالة ماجستير في أدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

2.أيمن حسن ديوب(2014)، تمكين العاملين كمدخل لتحسين جودة الحياة الوظيفية في قطاع الاتصالات، دراسة ميدانية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلة (30) العدد (1) 195-224، سوريا.

3.جاد الرب سيد(2008)، جودة الحياة الوظيفية في منظمات الأعمال العصرية، القاهرة، دار النهضة العربية، مصر.

4.حسني فؤاد الدحدوح(2015)، جودة الحياة الوظيفية لدى معلمي المرحلة الأساسية بمحافظات غزة و علاقتها بمستوى أدائهم، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة.

5.خليل إسماعيل إبراهيم ماضي(2014)، جودة الحياة الوظيفية وأثرها على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين (دراسة تطبيقية على الجامعات الفلسطينية).

6.روى أحمد إبراهيم(2017)، قياس جودة حياة العمل لدى العاملين، مجلة العلوم الإدارية العراقية، المجلد 1، العدد 1، العراق.

7.محمد عبد أشتيوي(2014)، اتجاهات العاملين نحو جودة حياة العمل في بلدية غزة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات الإدارية والاقتصادية، المجلد الأول، العدد3.

8.مروان حسن البربري(2016)، دور جودة الحياة الوظيفية في الحد من ظاهرة الاحتراق الوظيفي لدى العاملين في شبكة الأقصى للإعلام والإنتاج الفني، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى.

9.المغربي، عبد الحميد عبد الفتاح(2004)، جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي دراسة ميدانية، مجلة الدراسات والبحوث التجارية،كلية التجارة، جامعة الزقازيق، المجلد26 العدد2، جويلية، مصر.

10.Dargahi, H, Saraji, G Nasl (2006),Study of Quality of Work life (QWL), Iranian J Public Health, Vol. 35, No.4, PP. 8-14.

11.Kaila Mae L .Macairan ,Ryan Michael F .& al,(2019),Quality of work life of public school nurses in the philippines,Nurse Media Journal of Nursing,9(1), 1-12.

الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف والانحراف

The preventive role of social work to protect youth from extremism and delinquency

أ. د ماجدي عاطف محفوظ، كلية الآداب والعلوم ـ جامعة قطر

أ.د حمود سالم عليمات، كلية الآداب والعلوم ـ جامعة قطر

أ.د أمل عبد المرضي الجمال، كلية الآداب والعلوم ـ جامعة قطر

Magdy Atef Mahfouz, Hmoud Salem Alolimat, Elgamal Amal Abdelmordi, Coordinator of Social Work Program at Qatar University

الملخص: يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على الدور الوقائي لمهنة الخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف. من خلال تناول المحاور الآتية (التحديد الإجرائي لمفاهيم "كالتطرف ـ الشباب المتطرف ـ الخدمة الاجتماعية الوقائية "- الأسباب المؤدية إلى التطرف- الآثار السلبية للتطرف على المجتمع وفئة الشباب- أبعاد الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف- الأنشطة الوقائية اللازمة لتحقيق الحماية من التطرف- التوصيات اللازمة للتخطيط للبرامج والأنشطة الوقائية مع الشباب لحمايته من التطرف) ، وتم استطلاع رأي عشرة من أعضاء هيئة التدريس بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة قطر حول أسباب التطرف، فقد جاءت النتائج كما يلي وفقا للترتيب حسب الأهمية: (عدم الفهم السليم لصحيح الدين ـ الجهل وسطحية التفكير في تناول الأمور الحياتية بصفة عامة ـ البطالة والنظرة التشاؤمية للمستقبل- الظلم الاجتماعي والشعور بعدم العدالة- الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان ـ انعدام قيم المواطنة وبخاصة الانتماء للمجتمع)، وأسفرت النتائج أيضا إلى تحديد الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف نعرضها فيما يلي: المحور الاجتماعي الخدمي ـ المحور الديني ـ المحور التشريعي والقانوني ـ المحور السياسي- المحور الأمني ـ المحور التربوي التعليمي ـ المحور الإعلامي)، وحددت أخيرا النتائج الأنشطة الوقائية اللازمة لتحقيق الحماية من التطرف والإرهاب وطرحت الدراسة مجموعة من التوصيات اللازمة لتفعيل الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب.

الكلمات المفتاحية: التطرف والإرهاب، الشباب المتطرف، الخدمة الاجتماعية الوقائية.

Abstract: The research aims to shed light on the preventive role of the social service profession to protect youth from extremism. Through addressing the following axes (procedural identification of concepts such as "extremism - extremist youth - preventive social service" - the reasons leading to extremism - the negative effects of extremism on society and

the youth category - the dimensions of the preventive role of social service to protect youth from extremism - the preventive activities necessary to achieve protection from extremism - Recommendations necessary to plan preventive programs and activities with youth to protect them from extremism), and the opinion of ten faculty members in the Department of Social Sciences at Qatar University was explored about the causes of extremism, the results were as follows according to the order of importance: (lack of proper understanding of Shih Al-Din - ignorance and superficiality) Thinking about dealing with life issues in general - unemployment and a pessimistic outlook for the future - social injustice and a sense of injustice - flagrant violations of human rights - lack of values of citizenship, especially belonging to society). The results also resulted in defining the preventive role of social service to protect young people from extremism. The Social Service - the religious axis - the legislative and legal axis - the political axis - the security axis - the educational axis J - the media axis), and the results finally determined the preventive activities necessary to achieve protection from extremism and terrorism, and the study presented a set of recommendations necessary to activate the preventive role of social service to protect young people from extremism and terrorism.

Keywords: Extremism and terrorism, radical youth, preventive social service.

مقدمة:

يواجه العالم في الوقت الراهن ارتداد كبير نحو التطرف وخاصة ما يسمى بالتطرف اليميني والمصحوب غالبا بالتعصب تجاه الآخر، وبخاصة تجاه المهاجرين والمواطنين من أصول مختلفة عن البلاد التي يسكنونها، أو كانوا من المسلمين. كما يعاني العالم من تهديد إرهابي مختلف الأشكال والنزعات، مع غموض في المحركات السياسية والأمنية.

ولقد أشار تقرير صادر عن وزارة الأمن الداخلي ومكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 2016 ان جرائم التمييز العنصري تمثل النسبة الأكبر من جرائم الكراهية بنسبة 59 %، ويأتي التطرف الديني في المرتبة الثانية كمحفز لأعمال العنف بنسبة 7.19 %، وهو ما دفع التقرير للتأكيد على ان التطرف اليميني بات من أكبر التهديدات للجانب الأمريكي

ويؤكد البعض على أن إنتشار أنماط التطرف في الدول الغربية -الديني واليميني واليساري والبيئي لتزايد اتجاهات اللجوء للعنف لدي لدى غالبية الاطياف السياسية نتيجة تزايد حدة الانقسامات والتعصب الفكري وتراجع قيم التسامح وقبول الاخر، وتمرد المنتمين للتيارات السياسية على الآليات السياسية التقليدية والأحزاب والنخب، واتجاههم للاحتجاج العنيف للضغط على الحكومة وتحقيق مطالبهم (باهي ريهام، 2017).

وعلى الرغم من عالمية الظاهرة الإرهابية إلا أن منطقة الشرق الأوسط مازالت هي الأكثر معاناة من الحوادث الإرهابية على نطاق واسع، حيث تسبب الإرهاب في موت الكثير من الناس وأصبحت المجتمعات تشعر بالتهديد وعدم الأمن. ولعل التطرف الفكري والديني يعتبر قضية محورية في هذا الصدد مما يؤكد على أهمية مواجهته وحماية المواطنين منه.

ويري (اليونسف) إن التطرف extremism أصبح حقيقة واقعة في كثير من المجتمعات المعاصرة، وعلى الرغم انه ليس بالقضية الجديدة إلا أن الجديد في الوقت الحاضر هو انه أصبح ظاهرة عالمية أي انه لا يرتبط بمنطقة، أو ثقافة، أو مجتمع، أو جماعات دينية، أو عرقية معينة، وهي ترتبط بعوامل اجتماعية وثقافية وسياسية وتقنية، أفرزتها التطورات السريعة والمتلاحقة في العصر الحديث، مما يعكس فكرا متطرفا لدي الشباب يحتاج إلى المواجهة. (اليوسف عبد الله،2005).

ولما كان الفرد غاية المجتمع وأساس رقيه وتقدمه، والعنصر الفعال في تنميته فقد سعت المجتمعات إلى تعظيم دوره وحمايته من خلال التشريعات المختلفة التي يسنها المجتمع وفق بنائه الاجتماعي وثقافته، لذلك اهتمت المجتمعات بالدعوة إلى تفعيل حقوق الإنسان لارتباطها بحاجاته الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والنفسية. فقد اهتمت الدول من خلال حكوماتها بوضع القوانين التي تحمي الفرد بصفة عامة، ووضعت التشريعات واللوائح التي تكفل حماية الأفراد من الجريمة والإرهاب إلا أن إصدار القوانين لا يكفي لحماية الأفراد بالمعنى الحقيقي لذلك لابد من تفعيلها، والأهم من ذلك كله نشر الثقافة القانونية بين الأفراد.

وعلى الرغم من وجود التشريعات والقوانين التي تجرم الانحراف والإرهاب إلا أن الشباب مازال يستدرك إلى الجماعات الإرهابية التي تقتل وتروع وتفجر. ويتم ذلك بقناعة داخلية وفكر متطرف. الأمر الذي يتطلب ضرورة البحث عن الأسباب المؤدية لذلك ووسائل العلاج والحماية اللازمة للتثقيف والتنوير وغرس الأفكار المرتبطة بنبذ العنف والتسامح والانفتاح على الآخرين.

وتشير معدلات الزيادة السكانية إلى تزايد الشباب في الهرم السكاني حيث تُعد المنطقة العربية من بين أكثر ثلاثة أقاليم في العالم زيادة في عدد السكان (إلى جانب جنوب الصحراء الإفريقية وأميركا اللاتينية)، وبحساب معدل الزيادة السكانية في الدول العربية الكبرى (مصر، الجزائر، المغرب، السودان، السعودية، اليمن، العراق، سوريا) والتي تضم حوالي 80% من العرب، فإن نسبة الزيادة السكانية تصل إلى 1,8% مقارنة مع الدول الأوروبية التي لا يصل أي منها إلى

1%، ومعظمها دون ذلك بكثير. وتعد كل من غزة والبحرين هما الأعلى نسبة في التزايد (3,20% و2,81% على التوالي)، بينما يُعد لبنان هو الأقل في الزيادة السكانية يليه كل من قطر وسوريا (24 ,%، 81 ,%، 91 ,% على التوالي)، وهو ما يعني أن هناك حوالي 6,7 مليون نسمة زيادة في عدد العرب عام 2013، وهو ما يشكّل عبئًا كبيرًا في ظل الأوضاع العامة السائدة؛ الأمر الذي يُبقي المجال مفتوحًا للاضطرابات المجتمعية بأشكالها المختلفة بخاصة أن نسبة الشباب في المجتمع العربي تفوق 68 % وهي الشريحة الأميل لممارسة العنف (عبد الحي وليد،2013).

كما يرى (رسلان شاهين،2015) أن أعضاء الجماعات الإرهابية يجدون الفرصة لاجتذاب الشباب خاصة أن معظمهم بلا عمل وبلا مورد ثابت للرزق وهم في حاجة إلى المال والعمل ولذا لا عجب أن يتم (جذب) هؤلاء الشباب وعن طريق منحهم مبالغ قليلة في أن يشتركوا في أعمال إرهابية.

ولما كانت مؤسسات المجتمع المدني تقود حركة المجتمع، لذا فهي شريكة وناشطة في السياسة العامة، ومن ثم فهي عنصر أساسي في تطوير الحكم الديمقراطي. وقد تكون هذه المنظمات ناشطة كمجموعات مراقبة مستقلة ومناصرة لحقوق الإنسان وأيضاً مقدمة للخدمات. حيث غالبا ما تستجيب لاحتياجات المجتمعات على المستوى الأهلي. مع زيادة الاهتمام بالحكم الرشيد والصالح السياسي في الحد من الإرهاب. ومن الواضح أن انحصار دور هذه المؤسسات في البعد الخدمي فقط دون البعد التثقيفي التنموي أدي إلى عدم فعاليتها في الحد من التطرف الإرهاب لدي الشباب.

قد تراجعت المساحات التي كانت تسيطر عليها التنظيمات المتطرفة بعدما تكبدت خسائر كبيرة في العراق وسوريا (شادي عبد الوهاب،2016)، تكاتفت قادة الدول الأفريقية ومعها القوي الدولية لبناء قدرات دفاعية جديدة للتصدي للتنظيمات الإرهابية بما يجنبها مزيدا من التوترات والعمليات الإرهابية (حميد علي وهاشم فراس 2019)، كما يشير أحدث تقرير أصدره موقع النزعات المسلحة (ACLED) السياسية في إفريقيا إلى تراجع ضحايا العمليات الإرهابية عام 2017 مقارنة بما تم تسجيله في 2016 و2015. وهذا يكشف فعالية لإجراءات الأمنية المستخدمة في إفريقيا (Feldstein Steven, 2018)

ويؤكد (عبد الله أبو العلا،2010) على أن للعلماء و المفكرين دور هام في مواجهة ظاهرة التطرف والإرهاب باعتبار أن هذه الظاهرة فكرية المنشأ ظهرت نتيجة الغلو في الدين و الفراغ الديني في مناهج العلم، ومن هذا المنطلق يمكننا وضع أدوار مقترحة للخدمة الاجتماعية مع العلماء والمفكرين في مواجهة ظاهرة التطرف الإرهاب وهي كما يلي :

1 -تقوم الخدمة الاجتماعية بعمل البحوث والدراسات على مناهج العمل والتعليم للتعرف غلى الفراغ الديني فيها ليتسنى لأهل العلم و العلماء بذل الجهود في إبراز المنهج الإسلامي الصحيح وتوضيح المفاهيم والمعارف الإسلامية في شتى فروعها.

2 -تساعد الخدمة الاجتماعية العلماء و المفكرين في نشر وتوعية الناس وذلك من خلال قنوات الاتصال المسموعة والمقروءة ودور العبادة.

3 - تعمل الخدمة الاجتماعية على مساعدة العلماء والمفكرين من خلال التنسيق بين المؤسسات الاجتماعية المختلفة على عمل الندوات والمحاضرات الدينية.

4 - يمكن للخدمة الاجتماعية مساعدة العلماء و المفكرين في مجابهة أصحاب الفكر المنحرف في معتقلاتهم أو سجونهم. وذلك من خلا دور الخدمة الاجتماعية في مجال السجون.

ولأهمية الدور الوقائي في حماية النشء والشباب من الانحراف أوصت إدارات العلاقات العامة بأهمية إدخال مادة الوقاية من الجريمة بالمناهج الدراسية في المدارس الثانوية. حيث أن المؤسسات التعليمية في العديد من دول العالم تسهم في العمل الوقائي من الجريمة والسلوك المنحرف، حتى أصبح ضمن المناهج التعليمية للمدارس، ومنها على وجه الخصوص بعض الدول الأوربية، كما هو الحال في فنلندا واستراليا، حيث اعتمدت فنلندا على مؤسسات اجتماعية أهلية وحكومية بما فيها المؤسسات التربوية(إدارة العلاقات العامة بالدوحة،2014).

وقد قامت دولة الأردن في سبتمبر 2018. عن طريق هيئة شباب كلنا الأردن في عجلون التابعة لصندوق الملك عبد الله الثاني للتنمية مشروع محاربة الفكر المتطرف، يقوم على أساس استهداف التطرف كمنظومة فكرية وتزويد الشباب بالمهارات والمعارف اللازمة ليشكلوا نواة لمجموعة شبابية تتولى مهمة المساهمة في تغيير نمط التفكير وإيجاد بيئة ثقافية وفكرية تمكن الشباب من التفكير السليم والتمييز بين الخطأ والصواب وتبني الحقائق والمعلومات الموثقة. (وكالة عمون الإخبارية، 2018)

ولما كانت الخدمة الاجتماعية إحدى المهن الإنسانية التي تلعب دورا هاما في العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات لمساعدتهم على حل مشكلاتهم أو الحد منها وإحداث التطوير والتنمية لهذه الوحدات، فيمكنها أن تحقق أهدافا وقائية للحد من انحراف الشباب أو انخراطهم في الأعمال الإرهابية. ويتأتى ذلك من خلال الجهود التثقيفية والتوعوية التي يقوم بها الأخصائيون الاجتماعيون في المدارس والجامعات ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية باعتبارها من أهم مؤسسات المجتمع المدني.

ولذلك فان هذا البحث يتجه نحو تحديد (الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية للحد من مشكلة التطرف)

أولا: أهداف البحث: يهدف البحث إلي إلقاء الضوء على الدور الوقائي لمهنة الخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف. **من خلال تناول المحاور الآتية:**

1. التحديد الإجرائي لمفاهيم (التطرف - الشباب المتطرف - الخدمة الاجتماعية الوقائية).
2- الأسباب المؤدية إلي التطرف.
3. الآثار السلبية للتطرف على المجتمع وفئة الشباب.
4. أبعاد الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف.
5. الأنشطة الوقائية اللازمة لتحقيق الحماية من التطرف.
6 - التوصيات اللازمة للتخطيط للبرامج والأنشطة الوقائية مع الشباب لحمايته من التطرف.

ثانيا: أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من الواقع المؤلم الذي تعيشه دول العالم العربي وبعض البلدان الأخرى على مستوي العالم نتيجة للتطرف والإرهاب الذي يؤدي إلي الاضطراب وعدم الاستقرار واستنزاف موارد الدولة، بالإضافة إلي تنامي العنف وانتشاره على المستوي المحلي والقومي، ولذا فأن التفكير العلمي لمواجهة هذه الظاهرة يعتبر السبيل الوحيد لطرح الرؤى التكاملية للحد من هذه الظاهرة وحماية الشباب من الانخراط فيها. وتعتبر الخدمة الاجتماعية من المهن التي يمكنها الإسهام في تحقيق أهدافا وقائية تجاه تلك الظاهرة. ويمكن القول ندرة الأبحاث والكتابات العلمية تجعل لهذه الورقة أهمية خاصة لحث الأخصائيين الاجتماعيين على القيام بأدوار فعالة في مجال رعاية الشباب وحمايته من الانحراف.

ثالثا: تساؤلات البحث:

1. ما مفهوم (التطرف ـ الشباب المتطرف ـ الخدمة الاجتماعية الوقائية)؟
2. ما الأسباب المؤدية إلي التطرف؟
3. ما الآثار السلبية فكريا ونفسيا واقتصاديا وسياسياً للتطرف على المجتمع وفئة الشباب.
4. ما أبعاد الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف؟
5. ما الأنشطة الوقائية اللازمة لتحقيق الحماية من التطرف.
6. ما التوصيات اللازمة للتخطيط للبرامج والأنشطة الوقائية مع الشباب لحمايته من التطرف؟

ويمكن الإجابة على هذه التساؤلات السابقة من خلال مناقشة العناصر الآتية:

رابعا: مفاهـــيم البحث: يعتبر تحديد المفاهيم أمرا ضروريا لفهم القضايا والمتغيرات البحثية للورقة، ولذا سوف نحدد المفاهيم الآتية: مفهوم التطرف والإرهاب والعلاقة بينهما، مفهوم الشباب المتطرف، مفهوم الخدمة الوقائية. ويمكن التحديد الإجرائي لتلك المفاهيم على النحو التالي:

1 ـ مفهوم التطرف والإرهاب والعلاقة فيما بينهما:

ينظر علماء اللغة إلى التطرف على انه (الابتعاد عن الوسط، والنأي عنه إلى جهة قصوى ومخالفة الآخرين. بمعنى أن التطرف هو مجاوزة الوسط بالمغالاة والإفراط في الشيء، أو عن طريق الاعتداء وتجاوز الحد ومجانبة الصواب، والابتعاد عن الاعتدال والوسطية، والهروب للأطراف المحاذية والهامشية نأيا وتطرفا عن الحق والعقل والمنطق، والخروج عن رأي الجماعة والمسلمين، والانحراف عن الحد الشرعي، وتجاوز العقل والمنطق إلى اللامعقول والخطأ، وعدم الثبات في الأمر، والخروج عن المألوف، والابتعاد عن الخط المستقيم(حمداوي جمال،2017).

ويمكن النظر إليه على انه يعني الغلو أي أن هناك وسطا متفق عليه يمثل الاعتدال والابتعاد عن الوسط إلى التطرف سواء إلى أقصى اليمين أو الشمال يعد انحرافا.

والمتطرف هو الذي اعتنق أفكارا قد تكون خاطئة أو مائلة عن القصد الميسر للسلوك الشائع.

ومن خصائص المتطرف: انه يتبني اراء شاذة وفكر منحرف عما يعتنقه الآخرين، وغالبا ما يكون الفكر المتطرف متشددا للدرجة التي قد تدفع أصحابه إلي ارتكاب اعمال العنف او القتل من اجل ترويج الفكر المتطرف مع قناعتهم بصحة واعتدال ما يقومون به. ومن هنا فان التطرف يقود الإنسان إلى الإرهاب.

أما الإرهاب في اللغة العربية مشتق من الفعل الماضي أرهب بمعنى خوَّف والإرهاب يعني إثارة الخوف في النفوس ورَهَبَ ورهباً ورهباناً أي خاف ويقال أرهب الناس أي أخافهم (الزبيدي، دس).

أما إرهابي (هو الذي يسلك سبيل العنف والإرهاب من اجل تحقيق أهداف سياسية) (شكري علي، 2008).

ولقد جاء لفظ رهب في عدد من الآيات القرآنية كقول الله سبحانه وتعالي في كتابه **العزيز" قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس وإسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم"(سورة الأعراف، الآية 116).**

وتعني الآية معاني الرهبة والخوف والرعب بما أظهروا لهم من أعمال السحر، ثم قول العزيز المقتدر**" ولما سكت عن موسي الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (سورة الأعراف، الآية 154)** .والمقصود هنا خوفهم ورهبتهم وخشيتهم لله سبحانه وتعالي.

وفي المعجم العربي الحديث نجد كلمة إرهاب تعني الأخذ بالعسف والتهديد.

أما المعجم الرائد فقد جاء به أن "الإرهاب هو رعب وإلقاء المتفجرات أو التخريب وذلك بغرض إقامة سلطة أو تفويض سلطة أخرى.

ويعرف الإرهاب من المنظور السياسي: يعرف أحمد جلال عز الدين بأنه عمل منظم ومتصل بقصد خلق حالة من التهديد العام الموجه إلى دولة أو جماعة سياسية والذي ترتكبه جماعة منظمة بقصد تحقيق أهداف سياسية (السباعي محمد،1991). وهذا يتفق مع مغزى المثل الصيني " اقتل واحداً يخف عشرة آلاف فرد" وهذا يدل على اقتران الفعل بالخوف والرعب والتهديد (Schmidt Alex, 2011)

ويرى (اريك موريس ألن،1991): أن الإرهاب هو أي فعل يتضمن إحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع، وينطوي تحته ألوان متعددة من الزعر ابتداء من عمليات اختطاف الطائرات إلى إلقاء القنابل بلا تمييز إلى عمليات الاختطاف ذات الطابع السياسي والاغتيال باسم الدين وإتلاف الملكيات العامة.

ومن خلال ما سبق يتضح ان التطرف والإرهاب يحتاجان إلي المواجهة والعلاج والحماية لدرء المخاطر الناتجة عنهما. وهناك ما يسمي بالإرهاب الالكتروني يعرف بأنه" إعادة إنتاج العنف السياسي نفس السرديات الثقافية القديمة ولكن في بيئة اتصاليه افتراضية تسمح بفهم الكيفية التي

تتشكل بها الهوايات وكيف يأتي الناس لتبادل قضية سياسية والاحتشاد حولها Archetti (Cristina, 2013)

وذهب البعض إلى أن مقومات التطرف تتمثل في الآتي(عبد اللطيف نضال،2005):

-التشدد والمغالاة في القول والفعل والسلوك والمعتقد.

-رفض النقاش والحوار والاختلاف.

-التشدد في الدين إلى درجة الغلو والمبالغة والتطرف.

-الاحتكام إلى الأهواء والرغبات والمنافع الذاتية.

-استعمال مبدأ التكفير وتخطئة الغير في دينه.

-الانعزال عن المجتمع تقية وتسترا وخلوة وتفردا.

ومن خلال ما سبق يتضح أن مشكلة التطرف ذات أبعاد متشابكة في جوانبها الشخصية والأسرية والدينية والمجتمعية. الأمر الذي يؤكد على شمولية المواجهة والعلاج والحماية لدرء المخاطر الناتجة عنها. مع التأكيد على إن المواجهة أحادية الجانب غير مفيدة حتى ولو كانت أمنية.

ويمكن القول أن مهنة الخدمة الاجتماعية بميثاقها الأخلاقي الذي يؤكد على غرس ـ قيم التسامح والمشاركة وتقبل الآخر والتعاون البناء والعدالة والإنصاف ـ تستطيع أن تساهم بفاعلية مع المهن الأخرى في تشكيل منظومة للوقاية والحماية المستمرة للمراهقين والشباب من الوقوع في شرك التطرف والإرهاب.

2 ـ مفهوم الشباب المتطرف:

يمكن النظر إلي الشباب المتطرف على أنه (أولئك الأشخاص الذين ينتمون إلي الشريحة العمرية من 18 إلي 35 عام، ويعتنق أفكارا سياسية أو دينية شاذة ولا تتمشي مع رأي الغالبية مما قد يدفعهم إلي محاولة السيطرة وفرض الرأي بالقوة أو إرتكاب الأعمال الإرهابية. ويتميز هؤلاء الشباب بالخصائص الآتية:

-التشدد وعدم المرونة وإصدار أحكام قاسية على من يخالفهم في الفكر أو الرأي.

-ضيق الأفق والنظرة الأحادية للقضايا والموضوعات وبخاصة الدينية والسياسية.

-سهولة الإنقياد والإنضمام إلي الجماعات المتطرفة والإرهابية.

- النظرة التشاؤمية للمستقبل وعدم الوثوق بالأنظمة أو القيادات.

-إنعدام قيم المواطنة وضعف الإنتماء للمجتمع.

-المعاناة من مشكلات نفسية وإجتماعية في بعض الأحيان.

3 ـ مفهوم الخدمة الاجتماعية الوقائية:

يمكن النظر إلي الخدمة الاجتماعية باعتبارها مهنة إنسانية تهدف إلي مساعدة الناس علي زيادة أدائهم الاجتماعي على المستوي الفردي والجماعي والمجتمعي بواسطة أخصائي إجتماعي يقوم بالتدخل المهني العلاجي أو الوقائي أو الإنمائي. ويتم ذلك من خلال المؤسسات المختلفة في حدود الإمكانات المتاحة وفي إطار ثقافة المجتمع وأهدافه العليا.

ووفقا للتعريف السابق نلاحظ أن الأهداف الوقائية تشكل حجر الزاوية في ممارسات الخدمة الاجتماعية وذلك لدرء المخاطر المحيطة بالناس وتوفير النفقات التي تتحملها الدولة في المجال العلاجي، ليس ذلك فحسب بل كذلك حماية قطاعات كبيرة من السكان من الانحراف أو العنف أو الانخراط في الأعمال الإرهابية ولاسيما قطاع الشباب الذي يمثل نسبة كبيرة بين قطاعات السكان.
ولكي يستطيع الأخصائي الإجتماعي تحقيق الأهداف الوقائية في مجال مكافحة الطرف والإرهاب عليه مراعاة النواحي الآتية:
أ ـ حصر وتحديد الاحتياجات الوقائية للناس والمرتبطة بالجوانب الفكرية والدينية والاجتماعية والنفسية ...وغيرها. ويجب أن يتم ذلك وفقا لمسوح ودراسات اجتماعية لظاهرة التطرف والعنف والإرهاب لتحديد مواطن الخلل التي تحتاج إلي التدخل الوقائي.
ب ـ التخطيط للعمليات الوقائية لتحديد الأنشطة والبرامج الملائمة للتدخل الوقائي والمدى الزمني الملائم لتحقيقها والإمكانات البشرية المادية التي يحتاجها الأخصائي الإجتماعي.
ج ـ إستمرارية الوقاية بمعني أنها تحتاج إلي تكثيف الرسالة على نحو مستمر وطويل الأمد لتحقيق التغيير المرغوب في الشخصية الإنسانية وضمان صلاحها في المجتمع.
د ـ يجب تنفيذ الخطط الوقائية عن طريق أخصائيين اجتماعيين لديهم المهارات الآتية:
-مهارات الاتصال ودارة الحوار.
-مهارات التفاوض والاقناع.
-مهارات القيادة والقدرة على إتخاذ القرار.

-مهارات القبول الاجتماعي وتكوين العلاقات.

-مهارات العمل مع فريق متكامل التخصصات(محفوظ ماجدي، 2010).

5 ـ تقييم الأنشطة الوقائية مرحليا ونهائيا لقياس النتائج والتعرف على الايجابيات لتدعيمها والتعرف على السلبيات لتلافيها. وهنا يمكن للأخصائي الاجتماعي إستخدام المقاييس والاستبانات والملاحظة وتحليل السجلات كأدوات ملائمة لعملية التقييم.

وتأسيسا على ما تقدم يمكن النظر إلي الخدمة الاجتماعية الوقائية في هذا البحث على أنها: (ذلك النوع من الممارسات المهنية التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي مع كافة العملاء والمستفيدين بغرض تحصينهم وحمايتهم من الوقوع في مشكلات الانحراف والتطرف والإرهاب، على أن تتم هذه الجهود المهنية في المدارس والجامعات ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية وكافة المؤسسات المعنية بوقاية الشباب وحثهم على الإيجابية والمشاركات الفعالة في تنمية المجتمع وتطوره).

ويستطيع الأخصائي العمل في المجال الوقائي على مستويين هما:

ـ مستوي المنع: ويهدف إلى منع تطرف الشباب وإنخراطهم في الأعمال الإرهابية. وهذا مستوي صعب الوصول إليه.

ـ مستوي الحد: ويهدف إلي الحد من تطرف الشباب وإنخراطهم في الأعمال الإرهابية، وهذا المستوي واقعي ويمكن الوصول إليه.

ونظرا لاستفحال الظاهرة وتناميها فان تحقيق هذين المستويين يحتاج إلي إجراء المزيد من الدراسات التي من شأنها تحديد خصائص الشباب المتطرف والمنخرط في العنف والإرهاب للتعرف على الأسباب التي أدت إلي ذلك ومحاولة بناء الخطط الوقائية مرتبطة بالجوانب الفكرية والاجتماعية والدينية لتصحيح الأفكار الخاطئة والفهم السليم لصحيح الدين مع التمكين الاجتماعي للشباب ليصبح على درجة عالية من الانتماء للوطن.

خامسا: الأسباب المؤدية إلي التطرف والإرهاب:

تعتبر ظاهرة التطرف والإرهاب من الظواهر القديمة ولكنها تفاقمت في الوقت الراهن نتيجة لأسباب عديدة حيث تري الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام 1972 أن الأسباب الكامنة وراءها تنشأ من البؤس وخيبة الأمل والشعور بالظلم واليأس والتي تحمل الناس على التضحية بأرواح بشرية بما فيها أرواحهم محاولين بذلك إحداث تغييرات جذرية(شكري علي يوسف، 2008).

ويري (اليوسف عبد الله،1425) أن الأسباب المؤدية إلي العنف والتطرف تتمثل في:

1-تردي الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

2-قيام أنماط من السلوك المشابهة في بقاع أخرى من العالم.

3-عدم وجود منافذ للحوار.

4-القناعة باستحالة تغيير الواقع بأي وسيلة أخرى.

5-وجود رموز فكرية تُنَظِّر للسلوك المنحرف.

ويرى مدير الأمن العام المصري ـ محمود غزالي ـ أن الأسباب الدائمة للعنف المجرم بالمجتمع المصري: (الجهل والفقر ونظام توزيع الثروة، المرض، تأصيل حب الثأر والانتقام، تعرض المصالح، الأزمات السياسية أو عدم الإستقرار السياسي)(بكر عبد الوهاب، 2005).

كما تنظر (زاهران سماح،2014) من خلال دراستها عن العنف كظاهرة مجتمعية إلى أن أسباب العنف والإرهاب: تكمن في العلاقات الاجتماعية التي ترتكز في الأساس على التعصب والتمييز؛

لتشكل جماعات منغلقة تصنف الآخر وغير المنتمي إليها على أنه خطأ وضدها ومن ثم ينبغي القضاء عليه. وعلاقات تتميز أيضا بانفصال الارتباط العاطفي بالأخر فبدلا من أنا ـ أنت، حيث علاقة التساوي والتعاون ومشاركة الآخر، تزداد علاقة أنا ـ ذلك؛ لتتجاهل الأخر وتحط من شأنه وقيمته وحقوقه، وتنشأ تركيبة المسيطرـ الخاضع المولدة للعنف دوما، سواء من قبل المسيطر، أو الخاضع بتوحده مع المعتدي سلبا، أو بالمبادرة بالعنف متى أتيحت له الفرصة لذلك.

ومن خلال استطلاع رأي عشرة من أعضاء هيئة التدريس بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة قطر حول أسباب التطرف، فقد جاءت النتائج كما يلي وفقا للترتيب حسب الأهمية.

الأسباب/العوامل	
1 ـ عدم الفهم السليم لصحيح الدين	1
2 ـ الجهل وسطحية التفكير في تناول الأمور الحياتية بصفة عامة	2
3 ـ البطالة والنظرة التشاؤمية للمستقبل.	3
4 ـ الظلم الاجتماعي والشعور بعدم العدالة.	5
5 ـ الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان	4
6 ـ انعدام قيم المواطنة وبخاصة الانتماء للمجتمع.	6

وبنظرة تحليلية للأسباب المؤدية للتطرف والإرهاب يمكننا القول أن هذه الظاهرة هي نتاج لتفاعل أسباب ذاتية وأسباب اجتماعية وبيئية (اقتصادية ـ سياسية ـ أمنية ـ أسرية ـ تعليمية ثقافية.. الخ). وهذا ما يجعل أساليب العلاج والوقاية تهدف إلى إحداث تغييرات إيجابية في الواقع الذي يعيشه الشباب للارتقاء بالخدمات المقدمة لهم اقتصاديا وفكريا وأمنيا وسياسيا ليتمكن من الحياة الكريمة التي تكفل لهم الاستقرار والإحساس بالأمن والأمان مما يدفعه إلى العمل والإنتاج والرغبة في العطاء بدلاً من التدمير والتخريب للأرواح والممتلكات، وهذا يتطلب البدء فورا في تطبيق البرامج العلاجية والوقائية والتنموية بالاستراتيجيات الشمولية والتكاملية.

سادسا: الآثار السلبية للتطرف على المجتمع وفئة الشباب.

تؤثر ظاهرة التطرف (وما يمكن أن تؤديه إلى الإرهاب) تأثيرا سلبيا على المجتمع والمواطنين بصفة عامة وفئة الشباب بصفة خاصة، وهذا يؤدي إلى الإضطراب وبطء حركة التنمية على كافة المستويات، ويمكننا عرض هذه الآثار السلبية وفقا لآراء الأساتذة المستطلعين فقد كانت التأثيرات وفقا للأهمية على النحو التالي

م	التأثيرات	الترتيب
1	استنزاف موارد الدولة في محاربة الإرهاب	1
2	انتشار الأفكار المتطرفة والهدامة في المجتمع	1
3	إشاعة الخوف وعدم الآمن	2
4	إعتناق الشباب للفكر المتطرف وسيادة فرض الرأي بالقوة	2
5	إضطراب حركة السياحة والصورة الذهنية للدولة	3

وبنظرة تحليلية للآثار السلبية الناتجة عن التطرف والإرهاب يمكن القول إنها ترتبط بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفكرية مما يكون لها تأثير بالغ السوء على المجتمع والأنظمة

المختلفة مما يؤكد على حتمية المواجهة التكاملية للظاهرة مع تفعيل الجهود الوقائية التي يمكن أن تقوم بها مهنة الخدمة الاجتماعية.

سابعا: محاور الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف:

يرتكز الدور الوقائي للخدمة الإجتماعية على عدة محاور تؤخذ في الإعتبار عند ممارسة هذا الدور مع الشباب لحمايته من التطرف والإرهاب ولعل أهم هذه المحاور كما جاءت في مجموعة نقاش أعضاء هيئة التدريس

الإجراءات	الترتيب
التركيز على تصحيح الفهم الخاطئ للأفكار الدينية	1
إتاحة الفرص للشباب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم لتنمية أفكارهم الايجابية البناءة وتصويب أفكارهم السلبية بالأدلة والبراهين	2
غرس قيم التسامح واحترام الآخر في نفوس الشباب	2
تمكين الشباب من فرص العمل الملائمة لقدرتهم ومهارتهم في إطار من العدالة والمساواة	3
إتاحة الفرص للشباب لتولي المناصب القيادية في مختلف المجالات في إطار الكفاءة والتميز	4

كما أنه يمكن النظر إلى الأمر من وجهة نظر أخري للمحاور الوقائية للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب نعرضها فيما يلي:

المحور الاجتماعي الخدمي: ويركز هذا المحور على توفير الخدمات الكفيلة بإشباع احتياجات الشباب المادية والاجتماعية.

المحور الديني: ويركز على تنمية القيم الدينية بالتركيز على سلوكيات التراحم والمحبة والتعاون والتكافل الاجتماعي والتعايش مع الأخر والسلام الاجتماعي والمسئولية الاجتماعية .... الخ.

المحور التشريعي والقانوني: ويركز على تنمية الوعي بالتشريعات والقوانين التي تجرم الإرهاب على المستوي المحلي والدولي.

المحور السياسي: ويركز على تنمية الوعي السياسي لدي الشباب بما يكفل لهم المشاركة السياسية في الأحزاب والكيانات السياسية للمشاركة في اتخاذ القرار.

المحور الأمني: ويركز على إبراز دور المؤسسات الأمنية في حماية المجتمع وتحقيق الاستقرار ودور الشباب في مساندتهم في تحقيق ذلك.

المحور التربوي التعليمي: ويركز على تنمية وعي الشباب بالتعليم ودور العلم في تحقيق التقدم في المجتمع والفرص المتاحة أمام الشباب لإستكمال تعليمهم على المستوي المهني والجامعي والدراسات العليا.

المحـور الإعلامـي: ويركـز علـى إبـراز دور الإعـلام فـي محاربـة الإرهـاب والتطـرف وإبـراز الايجابيـات والسـلبيات المرتبطـة بوسـائل الإعـلام الفضـائي والكترونـي وضـرورة التحقـق مـن مصداقية المعلومات والبيانات التي قد تثير الفتن وتؤدي إلي التطرف والإرهاب.

وفـي جميـع الأحـوال فـان الخطـط الوقائيـة التـي يجـب أن يطبقهـا الأخصـائي الاجتمـاعي فـي أي مؤسسـة مجتمعيـة يجب أن تشـتمل علـى جميـع المحـاور والأبعـاد السـابقة مـع الأخـذ فـي الاعتبـار تكامـل التخصصـات العاملـة فـي المجـال الوقـائي لتحقيـق نتـائج إيجابيـة تكفـل حمايـة الشـباب مـن التطرف والإرهاب.

ثامنا: الأنشطة الوقائية اللازمة لتحقيق الحماية من التطرف والإرهاب

يستطيع الأخصائي الإجتماعي إستخدام العديد من الأنشطة المهنية والأساليب التـي يستطيع مـن خلالها تحقيق الأهداف الوقائية المرتبطة بحماية الشباب من التطرف والإرهاب ولعل أبـرز هذه الأنشطة كما وردت في نتائج الاستبيان:

الأنشطة الوقائية	الأهمية
1- الندوات الثقافية بالتركيز على قيمة التسامح والبناء والرغبة في العطاء	1
2- - استخدم نموذج تعليم الأقران لنشر الأفكار السليمة بواسطة قيادات شابة لا قرانهم مع التركيز على القضايا المجتمعية التي تعمق الانتماء والمواطنة	
3- الندوات الدينية التي تنشر صحيح الدين والتعايش مع الأخر	
4- إقامة المعسكرات الشبابية للتثقيف السياسي وزيادة الوعي.	2
5- لقاءات شبابية على المستوي المحلي والإقليمي والدولي تهدف الي نبذ الإرهاب والعنف وتنمي القدرة للانفتاح على الآخرين.	
6- المناقشات الجماعية وورش العمل التي تهدف الي ترسيخ القيم الاجتماعية السليمة لدي الشباب وتعمق روح المواطنة.	
7 - عقد المسابقات البحثية التي تحث الشباب على دراسة مشكلة الإرهاب والتطرف وأسبابها ووسائل علاجها والوقاية منها، وذلك لتنمية الوعي الذاتي بالظاهرة.	3
8- عقد لقاءات عامة يحضرها أولياء الأمور لتوعيتهم بكيفية حماية ابنائهم من التطرف والإرهاب	
-ممارسة أنشطة رياضية مع الشباب على مختلف تنوعه الثقافي تحت شعار نبذ العنف والتطرف والإرهاب .	
10- إصدار نشرات وأدله إرشادية عن مخاطر التطرف والإرهاب وكيفية	

ولعل ممارسـة الأخصـائي الاجتمـاعي لهـذه الأنشـطة المتنوعـة يتطلـب منـه اسـتخدام العديـد مـن الأسـاليب المهنيـة مثـل المناقشـة الجماعيـة، والمنـاظرات، ولعـب الأدوار، والمعسـكرات، المؤتمرات، التنمية المعرفية، والدورات التدريبية .... الخ

تاسعا: التوصيات اللازمة لتفعيل الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف والإرهاب: من واقع ما سبق يمكن استخلاص عدة توصيات لتفعيل الخدمة الاجتماعية الوقائية في مجال مكافحة التطرف والإرهاب وهي:

-ضرورة إنشاء أجهزة ومؤسسات لمكافحة العنف والتطرف تهدف إلي ممارسة برامج علاجية تمكينية ووقائية لحماية الشباب من هذه الظاهرة.

-إلزام مؤسسات المجتمع المدني المعنية برعاية الشباب بالاهتمام بظاهرة التطرف والقيام بممارسة

الأنشطة المخططة لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة على أن يتم تحديث سياسات وخطط المواجهة الشاملة على فترات دورية مستمرة لتستوعب حركة التغير.

-إلزام إدارات الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب بممارسة أنشطة مهنية ومتنوعة لوقاية الشباب من التطرف.

-ضرورة قيام الباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بإجراء المزيد الدراسات والبحوث التي من شأنها الوقوف على حجم الظاهرة وأسبابها ووسائل علاجها حتى يتسنى للمتخصصين في الخدمة الاجتماعية التوصل إلي النماذج التطبيقية للتعامل مع هذه الظاهرة على المستوي العلاجي والوقائي.

-إحترام حقوق الإنسان ليشعر الفرد بإنسانيته واحترام كرامته فيصبح عنصرا فعالا في المجتمع يساهم في التنمية والتطوير وليس الهدم والتدمير.

-أن تتم الوقاية من التطرف وفق منظومة عمل تجمع العديد من المهن والتخصصات على أن يشارك فيها رجال الامن مع الأخصائيين الاجتماعيين والتربويين ورجال الدين وغيرهم.

-أن تبدأ الوقاية من المدرسة عن طريق إدخال بعض الموضوعات الخاصة بنبذ العنف والتطرف ضمن المناهج الدراسية وكذلك ممارسة الأنشطة اللاصفية التي تساهم في نشر القيم الدينية والاجتماعية التي تنبذ التطرف والإرهاب.

-تقديم كافة أنواع الرعاية للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية والذين تركوا بدون رعاية قد ينخرطوا في أعمال التطرف في مرحلة الشباب.

-الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية لحماية الشباب من التطرف يجب أن يمارس في إطار ثلاث مراحل (المرحلة التخطيطية ـ والمرحلة التنفيذية ـ والمرحلة التقويمية) مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المراحل متفاعلة ومتكاملة في عملية التطبيق والممارسة المهنية. ويجب تشتمل كل مرحلة على الجوانب الآتية: **المرحلة التخطيطية وتشتمل على:**

-تحديد المشكلات السائدة في المجتمع والتي ترتبط بالفكر المتطرف لدي الشباب.

-تحديد الأهداف الوقائية بعيدة المدى وقريبة المدى لتصويب الفكر الهدام والتمكين الاقتصادي والاجتماعي للشباب.

-ترتيب الأهداف في صورة أولويات قابلة للتطبيق للبدء بما يهم الشباب ويحفزهم على الاندماج والمشاركة في الأنشطة الوقائية.

-حصر الموارد والإمكانات المادية والبشرية اللازمة للأنشطة الوقائية.

-تحديد الخطة الزمنية الملائمة لتنفيذ الأنشطة المهنية الوقائية.

-تحديد نوعية الشباب المستهدف بالوقاية وأماكن تجمعاته.

المرحلة التنفيذية وتشتمل على:
-ممارسة الأنشطة الوقائية وفقا للأهداف التي تم تحديدها سلفا، ويفضل أن يكون هناك تنويع في الأساليب المهنية التي تؤدي إلى تكثيف الرسالة والتأكيد من وصولها وتأثيرها الإيجابي في تصويب الفكر المنحرف والمعوج.
-يجب ممارسة أدوار مهنية ترتبط بالوقاية والحماية من التطرف مثل (الأخصائي الاجتماعي كتربوي، والأخصائي الاجتماعي كمطالب، والأخصائي الاجتماعي كممكن، والأخصائي الاجتماعي كمحفز ومستثير).

-يجب الالتزام بالإطار الزمني لعملية التنفيذ مع المرونة في إضافة او حذف بعض الأنشطة إذا اقتضت الضرورة.

المرحلة التقويمية وتشتمل على: استخدام المقاييس والاستبانات والملاحظة كأدوات للتعرف على مدي تحقيق الخطط الوقائية لأهدافها

-اقتراح الخطط التطويرية أو التحسينية للممارسة أنشطة ملائمة للتغيرات المستمرة التي تطرأ على المجتمع.

-نشر الأنشطة الوقائية إعلاميا وبخاصة من خلال المواقع الالكترونية لتنمية الوعي لدي مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي والذين لا تتاح لهم الفرصة لممارسة هذه الأنشطة وجها لوجه. وفي النهاية وحتى تستطيع مهنة الخدمة الاجتماعية في النجاح في جهودها الوقائية. يجب مراعاة التخطيط لهذا الدور وفقا لما تم ذكره في هذه الورقة. كما يجب العمل على اقناع متخذي القرار أن المواجهة الأمنية بمفردها لا تؤدي إلى مواجهة المشكلة بل يجب الأخذ بمبدأ التكامل والاستمرارية والمهنية عند القيام بالجهود الوقائية.

-التأكيد على قيم الأديان التي تنبذ التطرف وتحث على الاعتدال وبخاصة قيم الدين الإسلامي التي تدعو الناس إلى التعاون والتآخي والمحبة وينهى عن العنف كما أكد على ذلك الشيخ صالح محمد الحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وبحضور هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، بأن الإسلام يرفض الإرهاب وقتل من لا يستحق القتل كافراً أو مسلماً لأن الإسلام ليس دين فوضى وارتجالية وهمجية بل هو دين كامل في النظافة والتعامل به مع الأعداء والأصدقاء(حرير عبد الناصر، 1997).

قائمة المراجع
1.إريك موريس ألن ترجمة أحمد محمد محمود(1991)، الإرهاب والتهديد به، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
2.إدارة العلاقات العامة(25 / 10 / 2014)، دور الإعلام الأمني في حماية النشء داخل المنظومة التعليمية، ورقة عمل مقدمة في ورشة العمل عن دور وزارة الداخلية في حماية النشء داخل المنظومة التعليمية، قطر، الدوحة.
3. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

4. السباعي محمد محمود(1991)، الدلالات اللغوية والسياسية مفهوم الإرهاب، مجلة الأمن العام، ال عدد135.

5. باهي ريهام(2017)، العنف الأيديولوجي، انتشار أنماط التطرف غير الديني في الدول الغربية، دورية اتجاهات الأحداث، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الإمارات. العدد 23.

6. بكر عيد الوهاب(2005)، الجريمة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، الشوارع الخلفية، مصر، دار الكتب والوثائق القومية.

7. حميد علي وهاشم فراس(2019)، هيموجينا التطرف، منطلقات تحول التنظيمات المتطرفة للإرهاب الجوال في مهاجماتها نحو فضاءات التأريض، مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسة والاقتصادية ع 1، برلين، المانيا.

8. حمداوي جمال(2017)، التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، شئون عربية، مجلة قومية، الأمانة العامة للجامعة العربية، العدد 171. ص202.

9.حرير عبد الناصر(1997)، النظام السياسي الإرهابي الإسرائيلي دراسة مقارنه، القاهرة، مكتبه مدبولي.

//www.unicef.org/arabic/lifeskills/lifeskills_25517.html،https

10. شكري علي يوسف، (2008)، الإرهاب الدولي، الاردن - عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، ط1، ص 21.

12. عبد الله اليوسف(2005)، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.

13.عبد الحي وليد(2013)، الاتجاهات السياسية، تقارير العالم العربي، مركز الجزيرة للدراسات.

14.عبد الله أبو العلا تركي حسن(2010)، الخدمة الاجتماعية في مجال الارهاب، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.

15.عبد الله اليوسف(1425)، دور المدرسة في مواجهة الإرهاب والعنف والتطرف، السعودية، مركز ابحاث مكافحة الجريمة.

16.عبد الوهاب شادي(2016)، مؤشر الإرهاب العالمي اختزال تفسيري وربط تعسفي، السياسة الدولية العدد 13.

17.عبد اللطيف نضال، (2005)، الخدمات الاجتماعية، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط1.

18. رسلان شاهين(2015)، الشباب وخطر الإرهاب، مصر، دار غريب للطباعة والنشر.

20.محفوظ ماجدي عاطف(2010)، العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية، السعودية، دار الزهراء.

21. زهران سماح خالد(2014)، العنف كظاهرة مجتمعية في محاولة للفهم والتحليل، مجلة علم النفس، العددان (102 - 103)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

22. وكالة عمون الإخبارية، 16 - 9 - 2018.

23 .Archetti Cristina(2013), "Understanding Terrorism in The Age of Global Media" ,(U.S.A، Palgrave Macmillan.

24. Schmidt Alex(2011),"The Definition of Terrorism" The Routledge Handbook of Terrorism Research
(London.New York، Routledge).

25.Feldstein Steven(2018),"Do Terrorist Trends in Africa Justify the U.S. Military's Expansion?" carnegieendowment.org\...\do.terrorist. in Africa Justify.u's.mi.

26. Office of intelligence and analysis(2016), Sovereign citizen extremist ideology will drive violence at home, during travel, and at government facilities, Washington، Homeland security. November, accessible at https، \\google gl\\vwH7b.

الشعور بالسعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل (دراسة مقارنة)

Feeling of psychological happiness among the students of the universities of Baghdad and Mosul (a comparative (study

د.ايمان محمد الطائي، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة بغداد-العراق

د.علاء الدين علي حسين، جامعة بغداد-العراق

ملخص: يهتم هذا البحث أساسا بأسباب السعادة الإيجابية وتفسيراتها وكيف يمكن استخدام هذا الفهم لجعل الناس ونحن معهم-سعداء كذلك. فمن الممكن' أن تكون بعض الأساليب ولا أقول كلها التي ثبت نجاحها في تخفيف الاكتئاب مفيدة أيضا في زيادة الشعور بالسعادة لدى الأفراد السعداء والتعساء ينظرون للعالم بطرق مختلفة .فالسعداء ينظرون للجوانب الايجابية أما التعساء يرون الجوانب السيئة أكثر ويفسرون الأحداث سلبياً ويقيمون أنفسهم تقييماً دونينا ويعممون من حادث فشل واحد ويعتنقون عدداً من 'المعتقدات الواهنة االمزيفة.

يهدف البحث الحالي إلى: التعرف على مستوى السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل، التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاُ لمتغير الجامعة: (بغداد – الموصل)، التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاُ لمتغير النوع: (ذكر- أنثى)، التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقا لمتغير التخصص: (علمي- إنساني)، التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقا لمتغير الصف الدراسي(أول – رابع)

يتحدد البحث الحالي بالطلبة الموجودين في جامعتي بغداد والموصل للتخصصات العلمية والإنسانية ومن كلا الجنسين للعام الدراسي 2018-2019، إعتمد الباحثان على مقياس السعادة النفسية الذي أعده "Hauser & Springer 2006، تم اختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية المرحلية، حيث بلغ عدد أفراد هـــذه العــينة (500) طالب تم من كليات جامعتي بغداد والموصل وبواقع (235) من الذكور و(265) من الإناث موزعين على وفق متغيرات التخصص والمرحلة.

توصل البحث إلى وجود دلالة إحصائية لدى عينة البحث مستوى مقبول من السعادة النفسية بشكل عام، كما أظهرت وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة جامعة بغداد وطلبة جامعة الموصل في السعادة النفسية ولصالح جامعة بغداد

وتوصل البحث إلى وجود تفوق للإناث على الذكور في مستوى السعادة النفسية، وان الطلبة من ذوي التخصص الإنساني لديهم مستوى أعلى من السعادة النفسية، كما أكدت الدراسة على وجود فرق ذي دلالة إحصائية ولصالح طلبة الصف الرابع في الشعور بالسعادة النفسية، وأخيرا خرج البحث بعدد من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: السعادة النفسية، الطالب الجامعي، التخصص، المرحلة.

Abstract: This research is mainly concerned with the causes of positive happiness and their explanations and how this understanding can be used to make the people we are with them - happy as well. It is possible that some، but not all، methods that have proven successful in relieving depression are also helpful in increasing individuals' happiness

Happy and unhappy people look at the world in different ways. The happy look at the positive، the unhappy see the more bad، interpret the events negatively، assess themselves without us، generalize from a single failure and embrace a number of 'false' false beliefs.

The current research aims to :to identify the level of psychological happiness among the students of the universities of Baghdad and Mosul, Identify the differences in psychological happiness among the students of the universities of Baghdad and Mosul according to the variable of the university: (Baghdad – Mosul), Identify the differences in psychological happiness among the students of the universities of Baghdad and Mosul according to the variable type: (male – female), Identify the differences in psychological happiness among the students of the universities of Baghdad and Mosul according to the variable of specialization: (scientific – human), Identifying the differences in psychologicall happiness, among the students of Baghdad and Mosul Universities according to the grade variable (first – fourth), The current research is determined by the students who are in the universities of Baghdad and Mosul for scientific and humanitarian specializations and from both sexes for the academic

year 2018 _ 2019, The researchers used the psychological happiness scale prepared by Springer & Hauser 2006, The sample of the research was chosen by random method، where the number of the sample of this sample (500) students were from the colleges of the universities of Baghdad and Mosul، by (235) males and (265) females distributed according to the variables of specialization and stage.

The research reached a statistical significance in the research sample ace ptable level of psychological happiness in general... It also showed a statistically significant difference between the average grades of students of the University of Baghdad and students of the University of Mosul in psychological happiness and for the benefit of the University of Baghdad, The research concluded that there is a superiority of females over males in the level of psychological happiness... and that students with human specialization have a higher level of psychological happiness, The study also confirmed the existence of a statistically significant difference and for the benefit of fourth grade students in the feeling of psychological happiness, Finally, the research came up with a number of recommendations and proposals.

Keywords: psychological happiness, university student, specialization, stage.

الفصل الأول

أهمية البحث والحاجة إليه:

إن الغاية الأساسية لعلم النفس هي مساعدة الفرد على أن يحيا الحياة الطويلة التي يشعر فيها بالسعادة وقد تجاهل علماء النفس لسنوات طويلة المشاعر الإيجابية الشخصية وظلت الانفعالات السلبية مثل: القلق، الاكتئاب، الضغوط النفسية، والتشاؤم الأكثر تناولا واهتماما في بحوثهم ودراساتهم.

وقد توصلت عدد من الدراسات الحديثة الأوسع نطاقا إلى وجود عامل عام واضح هوعامل)الرضا الشامل(ويشمل هذا العامل الشعور بالرضا عن جوانب محددة مثل العمل أوالزواج أوالصحة أوالقدرات الذاتية أوتحقيق الذات،كذلك قيست معايير السعادة التي يغلب عليها الطابع الانفعالي: مثل "الشعور بالبهجة ممزوجة بالتفاؤل وغيرها من المشاعر الإيجابية.(ارجايل، 1997، ص34).

وتعد دراسات (Ryff 1989 - 2007) عن السعادة النفسية من أكثر الدراسات التي رسخت لهذا المفهوم وطرق البحث فيه وكيفية قياسه وأهم المؤشرات للتعرف عليه حيث وضعت نموذج العوامل الستة للسعادة النفسية وهي)الاستقلال الذاتي، والتمكن البيئي، والتطور الشخصي، والعلاقات الإيجابية مع الآخرين، والحياة الهادفة، وتقبل الذات)(ارجايل، 1997، ص49).

إن مفهوم السعادة النفسية من المفاهيم الرئيسية في علم النفس الإيجابي لما له من مكانة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، وقد سعى الجميع في الثقافات المختلفة إلى السعادة بوصفها هدف أسمى للحياة لارتباطها بالحالة المزاجية الإيجابية، والرضا عن الحياة وجودتها وتحقيق الذات والتفاؤل(ابو هاشم، 2010، ص57).

ويرى مايكل ارجايل (1997) أنه يمكن فهم السعادة النفسية بوصفها انعكاسا لدرجة الرضا عن الحياة أو بوصفها انعكاسا لمعدلات تكرار حدوث الانفعالات السارة، وشدة هذه الانفعالات، لذلك ينبغي أن نأخذ أربعة عناصر للسعادة في الاعتبار وهي: الرضا عن الحياة ومجالاته المختلفة والاستمتاع والشعور بالبهجة، والعناء بما يتضمنه من قلق واكتئاب، والصحة العامة والسعادة النفسية هي مفهوم معقد نظرا لتأثره بالتغيرات التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية السريعة والمتلاحقة في حياة الإنسان خاصة في الفترة المعاصرة، لذلك فدرجة شعور الفرد بالسعادة النفسية مرتبط بحالته النفسية وعلاقاته الاجتماعية ومدى إشباعه لدوافعه الأولية والثانوية(سعد، 1999، ص75).

إن السعداء والتعساء من الناس ينظرون للعالم بطرق مختلفة فالتعساء يرون الجوانب السيئة أكثر ويفسرون الأحداث سلبياً ويقيمون أنفسهم تقييماً دونياُ ويعممون من حادث فشل واحد ويعتنقونن عدداً من الممعتقدات الواهنة االمزيفة، كذلك فان قضاء وقت الفراغ مع الأصدقاء والأسرة الأقارب بوجه عام فيه كمٌّ كبير من اللهووالمتعة وتناول الطعام أو الشراب مع الأصدقاء والرقص والحفلات من شأنها أن توفر الكثير من االمشاعر الإيجابية .وهذه أحداث يمكن أن تحدث كل ليلة أو مرة أو مرات في الأسبوع ولهذا يمكن الاعتماد عليها لأنها سوف تحقق حالات مزاجية جيدة للأفراد(ارجايل، 1997، ص31).

وتتضح الفروق بين الجنسين في معدلات السعادة النفسية في مراحل عمرية معينة (فالنساء اسعد في مرحلة الشباب) حيث يتمتعن بقيمة جاذبيتهن، أما الرجال فيكونون اسعد في مرحلة منتصف العمر) حيث يصلون إلى قمة المكانة الاجتماعية(ابوهاشم، 2010، ص212)، وبالرغم من وجود فروق بين الجنسين في معدلات السعادة فإن هناك مصادر للسعادة متشابهة وهي: الأسرة -التفاعل الاجتماعي (وهي مصادر متاحة للجنسين بفرص متساوية)(علام، 2008، ص87) وأظهرت تتابع بعض البحوث المرتبطة بالسعادة النفسية وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في بعض مؤشرات السعادة النفسية لصالح الذكور والبعض الآخر لصالح الإناث، أو وجود تأثير موجب دال إحصائيا للجنس بصفة عامة على السعادة النفسية أوعدم وجود تأثير دال إحصائيا للجنس بصفة عامة على السعادة النفسية، أما عن الفروق بين الجنسين في السعادة النفسية فقد هدفت دراسات أخرى إلى التعرف على الفروق بين الذكور والإناث في السعادة النفسية(محمد، 2017، ص7).

ويهتم هذا البحث أساسا بالتعرف على مستوى السعادة النفسية وتفسيراتها وكيف يمكن استخدام هذا المفهوم لجعل طلبة الجامعة وبقية أفراد المجتمع العراقي ونحن معهم سعداء كذلك فمن الممكن أن تكون بعض الأساليب ولا نقول كلها التي ثبت نجاحها في تخفيف الاكتئاب مفيدة أيضا في زيادة الشعور بالسعادة النفسية لدى الأفراد.

إن هذا البحث يروم لدراسة الشعور بالسعادة النفسية لدى طلبة الجامعة لشعور الباحثين بأهمية هذا الموضوع في الحياة الجامعية والمستقبلية لطلبة الجامعة باعتبارهم قادة المستقبل، مما يحتم علينا دراسة وإبراز أهمية السعادة النفسية لطلبة الجامعة خاصة ومن ثم نقل تأثير هذا المفهوم الايجابي إلى المجتمع المحيط بهم.

هذا وتتجلى أهمية البحث في الكشف عن مستوى الشعور بالسعادة النفسية لدى طلبة الجامعة نظراً لأهميته ودوره الفعال في حياتهم، ومساهماته الواضحة في نجاحهم وقدراتهم الايجابية على التكيف في المواقف الحياتية، لذا فإن هذا البحث بجانب أهميته العلمية برفد المكتبة العراقية ببحث يتناول الشعور بالسعادة النفسية لدى شريحة لم تتطرق لها الدراسات السابقة على حد علم الباحثان، ويجعل له أهمية عملية، وحاجة واقعية، كون عينة البحث تشكل شريحة واسعة من أفراد المجتمع، لاسيما وان الباحثين قد اختارا عينتين متباعدتين تعيش في بيئة متفاوتة نسبياُ في العديد من الظروف.

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى:

-التعرف على مستوى السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل.

-التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاُ لمتغير الجامعة: (بغداد – الموصل)

-التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاُ لمتغير النوع(ذكر- أنثى).

-التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقا لمتغير التخصص(علمي- إنساني).

-التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقا لمتغير الصف الدراسي(أول-رابع).

حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بطلبة الدراسة الصباحية في جامعتي بغداد والموصل للتخصصات العلمية والإنسانية ومن كلا الجنسين للعام الدراسي (2018-2019).

مصطلحات البحث

السعادة النفسية:

النيال وخميس(1995): إنها شعور وانفعال متكامل يتراوح ما بين الطفولة السوية المشبعة وتحقيق إشباعات الحاضر كما أنها مشاعر راقية، وانفعال وجداني ايجابي مازال الإنسان ينشد الوصول إليه باعتباره من الغايات الأساسية(النيال والخميس، 1995، ص19).

الجندي (2009):

إنها حالة وجدانية ايجابية تعكس شعور الفرد بالسعادة نتيجة لما يتعرض له من مصادر السعادة النفسية متمثلة في(الصحة، وجود أهداف محددة، التدين، الثقة بالنفس، التعليم والنجاح الدراسي والمستقبل المهني) ومصادر السعادة الاجتماعية والمتمثلة في (الحب الأسري الأصدقاء، نشاط، وقت الفراغ) وذلك كما يعبر عنها الفرد وقت إدراكه لها(الجندي، 2009، ص26).

التعريف النظري للباحثان: أنها شعور الرضا الشامل وإشباع الحاجات وطمأنينة النفس وتحقيق الذات والشعور بالبهجة الممزوجة بالتفاؤل وتحقيق أهدافه في ظل علاقات اجتماعية ناجحة.

التعريف الإجرائي: وهوالدرجة التي يحصل عليها المفحوص(الطالب) على مقياس السعادة النفسية المعتمد في البحث الحالي

الفصل الثاني:

الإطار النظري:

أولا. مفهوم السعادة النفسية:

Psychological Well-Being هي مجموعة من المؤشرات السلوكية التي تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن حياته بشكل عام وحددتها ((Ryffفي ستة عوامل رئيسية هي:

الاستقلالية Autonomy وتشير إلى استقلالية الفرد وقدرته على اتخاذ القرار وعلى التفكير والتصرف بطرق معينة وتقييم نفسه وفقا للمعايير الاجتماعية أي مدى قدرته على تحديد ذاته وثقته في أرائه الخاصة، وعلى مقاومة الضغوط الاجتماعية، وضبط وتنظيم السلوك الشخصي الداخلي أثناء التفاعل مع الآخرين، اي مدى قدرته على تقرير مصيره بنفسه واستقلاله بذاته وأيضا مدى قدرته على اتخاذ قراراته بنفسه دون الاعتماد على الآخرين.

التمكن البيئي Environmental Mastery التمكن من تنظيم الظروف المحيطة به ومدى الاستفادة بطريقة فعالة من هذه الظروف المحيطة، وتوفير البيئة المناسبة، والمرونة الشخصية أي تغيير البيئة وفق ما يراه الفرد ويتناسب معه أي من خلال خبراته الماضية والحاضرة وما يتوفر له من فرص يتم الاستفادة منها في تحقيق أهداف حياته ومدى الإحساس بالكفاية والقدرة على إدارة البيئة حتى ولو كانت على درجة من التعقيد، والتحكم فيها إذا تعد هذه السمة من سمات الصحة النفسية والتي تتمثل في القدرة على التجديد والابتكار، وخلق شخصيات ذات سياقات مناسبة.

التطور(النمو) الشخصي Personal Growth وهو قدرة الفرد على تنمية وتطوير قدراته وزيادة فعاليته وكفاءته الشخصية في الجوانب المختلفة، والشعور بالتفاؤل، أي مدى قدرة الفرد على إدراك طاقاته والارتقاء بها لكي تتقدم وتتسع باستمرار لكي يكون منفتحا ومستعدا لتلقي أي خبرات جديدة تضاف إلى رصيده من الخبرات التي تساهم في مثل هذا التطور والنمو بحيث يكون لديه الإحساس بالواقعية والتي سيجد الفرد نفسه بعدها قد تطور بمرور الزمن، إذن تعد الحياة هنا بالنسبة للفرد عملية مستمرة من التعلم والتغير والنمو.

العلاقات الإيجابية مع الآخرين Positive Relations WithOthers وهي قدرة الفرد على تكوين وإقامة صداقات وعلاقات اجتماعية ايجابية متبادلة مع الآخرين على أساس من:الود،

والمحبة والألفة، والثقة المتبادلة والمتمثلة في القدرة على التعاطف القوي بينهم، والتفهم، والتأثير والدفء، والصداقة، والأخذ والعطاء .وغيرها من العلاقات الإنسانية وهذه من أهم عناصر الصحة النفسية لأنها تعد معيار للنضج والتوافق والقدرة على تحقيق الذات وتقاسم الوقت مع الآخرين.

الحياة الهادفة Purpose In Life إن يحدد الفرد أهدافه في الحياة بشكل موضوعي،وأن يكون له هدف ورؤية توجه أفعاله وتصرفاته وسلوكياته مع المثابرة والإصرار على تحقيق أهدافه أي أن الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية دائما ما يحمل أهدافا وأفكارا توفر له معنا واضحا لحياته أي يعتبر هو الشخص الذي يمتلك إيمانا بأن أفعاله في الماضي والحاضر كانت ذات مغزى وتوجهه نحو مستقبله حتما وتجعله مدركا للغرض من حياته والتي يحاول من خلالها إيجاد المعنى لها.

تقبل الذات Self – Acceptance وتشير إلى القدرة على تحقيق الذات والإتجاهات الإيجابية نحو الذات والحياة،وتقبل المظاهر المختلفة للذات بما فيها من جوانب ايجابية وأخرى سلبية أي مدى القدرة على تكوين موقف إيجابي تجاه نفسه أي الإعتراف بقبول جوانب متعددة من النفس أي الشعور الإيجابي تجاه الحياة الماضية(Ryff & Singer, 2008, p100)، (جودة، 2011، ص17).

وتتأثر سلوكيات الأفراد في المواقف الحياتية المختلفة بالحالة المزاجية لهم، وان كل من التمكن البيئي، والأهداف في الحياة، وتقبل الذات تسهم بحوالي 20%_29% في هذه السلوكيات، بينما يسهم كل - من النمو الشخصي، والعلاقات الايجابية مع الآخرين والاستقلالية بحوالي (16% _ 27 %)(Ryff, 1995, p103).

ثانيا. نظريات السعادة النفسية:

نظرية السعادة عند ارسطو: ميز ارسطو بين السعادة عن اللذة، والثروة، والمجد لأن الحالات الثلاث تفيد وضعيات مؤقته غير دائمة أما السعادة يجب أن تكون دائمة بما أنها غاية الإنسان.

الشروط الأساسية لتحقيق السعادة عند ارسطو:

- داخلية: وتتمثل بالعقل والإرادة ، لماذا اشترط أرسطوالعقل والإرادة ؟

لأن العقل هو ملكة التمييز بين الخير والشر – والإرادة هي القدرة على تحقيق الأفعال.

- خارجية: وتتمثل في:

أ-قدر من الثروة.

ب-قدر من الصحة الجسدية.

ج-حياة عائلية مكتفية.

- معياري: وهوالاحتكام إلى معيار الاعتدال أو التصرف وفق مبدأ الاعتدال.

مبدأ الاعتدال ه: مبدأ (لا إفراط ولا تفريط) أو مبدأ (الوسط الذهبي) أو(الوسطية) ويرى (ارسطو) إن الخير بالنسبة إلى الإنسان هو أن يعمل بموجب قوة العقل وعلى أساس ما يتميز به من قدرات(حجازي، 2015، ص87).

نظرية السعادة عند مسكويه: ميز مسكويه بين نوعين من السعادة:

ـالسعادة النفسية: هي سعادة خلقية تمكن الإنسان من أن يعيش هانئاً حسب أصول الفضيلة تهدف إلى تحقيق(انسجام الإنسان مع تصرفاته ومع غيره).

ـالسعادة القصوى: هي خير مطلق لأنها سعادة الإنسان من حيث هوكائن عاقل (هي في ذاتها تتحقق بقوة العقل).

الشروط الأساسية للسعادة عند مسكويه:صحة البدن – المزاج المعتدل – حياة من اليسر – الاجتماع بالناس – تحصيل الحكمة النظرية والعملية(المطلق، 2009، ص134).

نظرية المنفعة عند بنتام ومل: مؤسسي نظرية المنفعة الفيلسوفان الانجليزيان (جيرمي بنتام وجون ستيوارت مل)، تقوم نظريتهم على قاعدة أساسية هي: (تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة لأكبر عدد من الناس)، يشترك الفيلسوفان في تصور واحد هو (أن السعادة هي نوع من اللذة إلا أنهما يختلفان في كيفية تحقيقها).

أهم الأفكار التي ركزت عليها نظرية المنفعة:

- السعادة هي الخير المرغوب من الناس بحيث يكون نافع لنا ولغيرنا بنفس الوقت.
- السعادة أو الخير تكمن في فائدته ومنفعته.
- السعادة مرتبطة بالمنفعة، والمنفعة مرتبطة باللذة.
- المنفعة الشخصية مرتبطة بالمنفعة العامة(Gonzalez & et al, 2006, p80).

المبادئ التي تقوم عليها السعادة عند (بنتام):

أ.مبدأ المساواة: يميل الناس بالقدر نفسه من القوة إلى السعادة فيجب أن يتمتعوا بفرص متساوية.

ب.مبدأ الاستقرار: استقرار الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مهم لبلوغ السعادة.

ج.مبدأ التنظيم: يتطلب تحقيق السعادة تنظيم لحياتنا.

د.مبدأ الكم:هناك عوامل مثل الشدة واليقين والامتداد تساعد على كمية اللذة أو مقدارها.

ومن أهم العوامل ما يعرف بالامتداد في مبدأ الكم: لأنه يسمح بأن تشمل اللذة أكبر عدد من الأفراد بحيث يربط بين خير الفرد والجماعة.

المبادئ التي تقوم عليها السعادة عند (مل):

أ.اللذة هي الشيء الوحيد المرغوب لدى الناس.

ب.السعادة العامة خير بالنسبة للجميع.

ج.أخلاق المنفعة هي التي توفق بين مصلحة الذات ومصلحة الغير(المرشود، 2011، ص92).

الدراسات السابقة

دراسة (benjet &hernandes ،2001)

هدفت إلى التعرف على الفروق بين الذكور والإناث في السعادة النفسية وتكونت العينة من 1102 فرداً من المكسيكيين منهم 526 من الذكور و576 من الإناث ومتوسط أعمارهم 11)-8) سنة طبق عليهم بعض المقاييس التي تعتبر مؤشرات للسعادة النفسية وهي:

صورة الجسم والتوافق النفسي والاجتماعي والاتجاه نحو الآخرين وتقدير الذات والاكتئاب، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في كل من صورة الجسم والاتجاه نحو الآخرين والاكتئاب لصالح الإناث بينما لم توجد فروق بينهم

في تقدير الذات والتوافق النفسي والاجتماعي (Benjet&Hermandes, 2001, p215)

دراسة (Roothman & et'al, 2003) سعت الدراسة إلى التحقق من الفروق بين الذكور والإناث في السعادة النفسية لدى عينة مكونة من 378 فردا منهم و 90رجل و 288امرأة أعمارهم (من 8-16سنة)، طبق عليهم 13 مقياس للمظاهر المختلفة للسعادة النفسية العامة General والجسمية، Physical والذاتية Self والروحية Spiritual والمعرفية Cognitive وأظهرت النتائج وجود فروق بينهم، حيث حصل الرجال على درجات مرتفعة في المظاهر الجسمية والمعرفية والذاتية بينما أظهرت الإناث درجات مرتفعة في المظاهر العامة والروحية والاجتماعية(Roothman & et al, 2003, p357).

علام، (2008) هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى السعادة النفسية لدى طلبة المرحلة الإعدادية والثانوية وتالف مقياس السعادة الحقيقية من(: الحكمة، المعرفة، الحب، الإنسانية، العدالة ،التسامي) طبق المقياس على عينه مكونة من 510 طالب وطالبة بالمرحلتين الإعدادية والثانوية منهم 206 طالب و 304طالبة، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الحكمة والمعرفة والشجاعة والاعتداء لصالح الذكور، بينما كانت الفروق في الحب والإنسانية والتسامي لصالح الإناث(علام، 2005، ص12).

الجندي، (2009) أجريت الدراسة على عينة مكونه من 555 طالبا وطالبة، وتوصلت إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في مصادر الشعور بالسعادة) نشاط وقت الفراغ - والصحة النفسية والجسمية -الثقة بالنفس (لصالح الذكور بينما لم توجد فروق بينهم في كل من (الحب -الأسرة-الأصدقاء -وجود أهداف محددة التدين -التعلم -النجاح الدراسي -المستقبل المهني)(الجندي، 2009، ص11-70).

السيد(2010) هدفت إلى معرفة مدى وجود فروق بين متوسطات الذكور والإناث في السعادة النفسية بمكوناتها الفرعية التي طبقت على عينة مكونة من 405 طالبا وطالبة بكلية التربية جامعة الزقازيق، منهم109 طالبا و 296طالبة طبق عليهم مقياس السعادة النفسية وأظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات الذكور والإناث في السعادة النفسية ومكوناتها الفرعية: الاستقلال الذاتي – التمكن البيئي – التطور الشخصي – العلاقات الإيجابية مع الآخرين –الحياة الهادفة – تقبل الذات(السيد ، 2010، ص269).

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

أولاً. منهجية البحث: استعمل الباحثان المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي لملاءمته وطبيعة البحث ومتغيراته، وهذا المنهج من أكثر المناهج شيوعا وانتشارا، ولا سيما في البحوث التربوية والنفسية

ثانياً. مجتمع البحث: يشتمل مجتمع البحث الحالي على طلبة جامعتي بغداد والموصل للعام الدراسي (2018 – 2019) من الكليات (العلمية والإنسانية) ومن كلا الجنسين (ذكور، إناث)، إذ

بلغ عددهم (36977) و(31550) طالباً وطالبة على التوالي موزعين على (24) كلية في جامعة بغداد و(21) كلية في جامعة الموصل.

ثالثا. عينة البحث: اعتمد الباحثان في اختيار عينة بحثهما على الطريقة العشوائية المرحلية، حيث بلغ عدد أفراد هـــذه العـــينة (500) طالب تم اختيارهم بصـــورة عشـــوائية من كليات جامعتي بغداد والموصل وبواقع (235) من الذكور و(265) من الإناث موزعين على وفق متغيرات التخصص والمرحلة.

والجدول (1) يوضح ذلك:

جدول (1) عينة التحليل الإحصائي موزعين على وفق الجنس والتخصص والجامعة

الجامعة	الجنس		التخصص		المجموع
	الذكور	الإناث	علمي	إنساني	
بغداد	141	136	134	122	277
الموصل	94	129	143	101	223
المجموع	235	265	277	223	500

رابعا. أداة البحث: إعتمد الباحثان على مقياس السعادة النفسية الذي أعده "Springer&Hauser2006 " وقام بترجمته الى اللغة العربية (ابوهاشم، 2010) ثم عمل على تقنينه في البيئة العراقية (سعيد، 2017).

خامسا. وصف المقياس: يتألف مقياس السعادة النفسية من ستة أبعاد وهي كالآتي:

الاستقلالية Autonomy، التمكن البيئي Environmental Mastery، التطور الشخصي Personal Growth، العلاقات الايجابية مع الآخرين Positive Relations With Others، الحياة الهادفة Purpose In Life، تقبل الذات Self-Acceptance) تم توضيحها بالتفصيل في الفصل الثاني من البحث.

تكون المقياس من (54) فقرة موزعة على الأبعاد الستة وببدائل إجابة سداسية هي: (ارفض بشدة، ارفض بشدة متوسطة، ارفض بدرجة قليلة، أوافق بدرجة قليلة، أوافق بدرجة متوسطة، أوافق بشدة) وتكون درجات الإجابة (1،2.3،4،5،6) للفقرات الايجابية وتنعكس للفقرات السلبية.

صلاحية المقياس وفقراته: للتحقق من مدى صلاحية فقرات مقياس السعادة النفسية والبالغ عددها(54) فقرة وتعليماته وبدائله قام الباحثان بعرضه على مجموعة من الخبراء في التربية وعلم النفس والأخذ بآرائهم حول صلاحية فقرات وتعليمات المقياس وفي ضوء آرائهم وتوجيهاتهم، تم الإبقاء على الفقرات التي نالت نسبة اتفاق (80%) فأكثر، وقد قبلت جميع الفقرات مع تعديل بعضها لغوياً.

عينة وضوح التعليمات وحساب الوقت: طبق المقياس على عينة عشوائية مؤلفة من (60) طالب من طلبة جامعتي بغداد والموصل، وتبين أن تعليمات المقياس كانت واضحة وفقراته مفهومة وإن الوقت المستغرق للإجابة على فقرات المقياس كان(25-17) دقيقة.

تطبيق المقياس: قام الباحثان بتطبيق المقياس على عينة البحث والبالغ حجمها (500) طالب، لغرض تحليل الفقرات إحصـــائياً، واختيار الصالحة منها، واستبعاد غير الصالحـــة، اعتماداً على القــوة التمييزية (بأسلوبي المجموعتين المتطرفتين والاتساق الداخلي) لكل منها وكذلك لاستخراج مؤشرات الثبات والصدق للمقياس.

التحليل الإحصائي لفقرات المقياس

تمييز فقرات مقياس السعادة النفسية: من أجل الكشف عن الفقرات المميزة، قام الباحثان بتحليل الفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين، إذ تم تحديد الدرجة الكلية لكل استمارة من الاستمارات البالغ عددها (500) استمارة. وبعد ترتيب الدرجات تنازلياً من الأعلى إلى الأدنى، تم أخذ نسبة (27%) من الاستمارات الحاصلة على أعلى الدرجات وأدناها بغية الحصول على مجموعتين متطرفتين، وفي ضوء هـــذه النســـبة فإن عـــدد كل من المجموعتين المتطرفتين كان (73) اســـتمارة أي أن (144) استمارة خضعت للتحليل من أصل (500) استمارة. وقد تراوحت حدود درجات المجموعة العليا ما بين (225-181) درجة، أما درجات المجموعة الدنيا فقـد تراوحت ما بين (64-117) درجة.

وبعـــد اســـتعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وذلك للمقارنـــة بين متوسطات درجـــات المجموعتين العـليا والـدنيا لكل فقرة من فقرات المـقــياس تبين أن القــيم التائية المســتخرجة تتراوح ما بين (0.251 – 32.047) ومن خـــلال مقارنتها بالقيمـــة التائية الجـــدولية والبالغة تســـاوي (1.960) ومســـتوى دلالـــة (0.05) وبدرجـــة حريـة (144)، فأظهرت النتائج أن جميع الفقرات مميزة. حيث كانت القيم التائية المحسوبة أكبر من الجدولية وبذلك أصبح المقياس مكون من (54) فقرة. وكما هو موضح بالجدول (2)

جدول (2) تمييز فقرات مقياس السعادة النفسية بأسلوب المجموعتين المتطرفتين علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس

الفقرات	المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت
1	عليا	73	3.5205	0.50303	4.578
	دنيا	73	2.9589	0.91952	
2	عليا	73	4.6438	0.85586	4.245
	دنيا	73	3.7808	1.51150	
3	عليا	73	3.2877	0.75424	5.885
	دنيا	73	2.4110	1.02518	
4	عليا	73	4.7671	0.85830	4.761
	دنيا	73	3.7808	1.54782	
5	عليا	73	3.0685	1.25087	6.511

	0.84580	1.9178	73	دنيا	
4.559	0.74841	5.0959	73	عليا	6
	1.74605	4.0822	73	دنيا	
5.312	0.70684	3.4384	73	عليا	7
	0.98428	2.6849	73	دنيا	
11.661	0.64491	5.0274	73	عليا	8
	1.41583	2.9041	73	دنيا	
10.003	0.66838	3.5342	73	عليا	9
	0.76774	2.3425	73	دنيا	
5.423	0.72675	4.8356	73	عليا	10
	1.82449	3.5890	73	دنيا	
6.184	0.72701	4.2603	73	عليا	11
	1.21930	3.2329	73	دنيا	
12.298	0.53847	4.9589	73	عليا	12
	1.40395	2.7945	73	دنيا	
3.063	0.48218	3.3562	73	عليا	13
	0.82484	3.0137	73	دنيا	
6.805	0.73482	4.9589	73	عليا	14
	1.40124	3.6986	73	دنيا	
9.588	0.57636	4.0206	73	عليا	15
	0.84804	3.0548	73	دنيا	
4.720	0.88256	5.4521	73	عليا	16
	1.72103	4.3836	73	دنيا	
10.466	1.18109	3.6575	73	عليا	17
	1.02777	1.7397	73	دنيا	
3.984	0.87106	4.8630	73	عليا	18
	1.63299	4.0000	73	دنيا	
9.693	0.60816	4.1370	73	عليا	19
	0.87128	2.9315	73	دنيا	
15.172	0.48415	5.0411	73	عليا	20
	1.21883	2.7123	73	دنيا	
2.985	0.86206	3.0822	73	عليا	21
	0.96475	2.6301	73	دنيا	
7.496	0.78222	5.2603	73	عليا	22
	1.63346	3.6712	73	دنيا	
7.396	0.84467	4.3014	73	عليا	23
	1.08732	3.1096	73	دنيا	

24	عليا	73	5.1233	0.64432	8.988
	دنيا	73	3.3425	1.56542	
25	عليا	73	3.4110	0.76077	3.893
	دنيا	73	2.8219	1.04539	
26	عليا	73	4.8219	0.90281	2.790
	دنيا	73	4.2055	1.65797	
27	عليا	73	3.2740	0.60691	6.379
	دنيا	73	2.4110	0.98370	
28	عليا	73	5.1507	0.63838	7.946
	دنيا	73	3.5342	1.61660	
29	عليا	73	3.2466	0.66208	3.113
	دنيا	73	2.8356	0.91308	
30	عليا	73	5.1918	0.87651	6.691
	دنيا	73	3.6712	1.73249	
31	عليا	73	3.3425	0.80310	6.116
	دنيا	73	2.4795	0.89922	
32	عليا	73	5.0959	0.88450	6.442
	دنيا	73	3.6438	1.71083	
33	عليا	73	3.3699	0.80806	4.374
	دنيا	73	2.7397	0.92837	
34	عليا	73	5.2877	0.84129	6.247
	دنيا	73	3.9452	1.63206	
35	عليا	73	4.1096	0.92138	6.066
	دنيا	73	2.7945	1.60692	
36	عليا	73	5.0548	0.81463	7.177
	دنيا	73	3.5342	1.61660	
37	عليا	73	3.2055	0.76301	4.826
	دنيا	73	2.5068	0.97359	
38	عليا	73	4.8219	1.12228	2.879
	دنيا	73	4.1096	1.79166	
39	عليا	73	3.4110	0.64195	4.135
	دنيا	73	2.8630	0.93266	
40	عليا	73	4.9315	0.80500	6.429
	دنيا	73	3.6164	1.55126	
41	عليا	73	3.5479	0.50114	6.168
	دنيا	73	2.8493	0.82784	
42	عليا	73	5.0959	0.85252	6.606

	1.63346	3.6712	73	دنيا	
7.383	0.48611	3.3699	73	عليا	43
	0.79907	2.5616	73	دنيا	
7.160	0.82230	5.1781	73	عليا	44
	1.59909	3.6712	73	دنيا	
5.612	0.49541	3.5890	73	عليا	45
	0.89370	2.9178	73	دنيا	
4.166	0.83356	5.1644	73	عليا	46
	1.74997	4.2192	73	دنيا	
7.648	0.98428	3.3151	73	عليا	47
	0.89668	2.1233	73	دنيا	
6.332	0.85542	5.1781	73	عليا	48
	1.63858	3.8082	73	دنيا	
4.307	0.71726	3.2329	73	عليا	49
	1.02388	2.6027	73	دنيا	
4.848	0.83607	5.0959	73	عليا	50
	1.57897	4.0822	73	دنيا	
5.953	0.99657	4.0822	73	عليا	51
	1.39006	2.8904	73	دنيا	
6.007	0.91225	5.2055	73	عليا	52
	1.67759	3.8630	73	دنيا	
3.989	1.35934	4.2329	73	عليا	53
	1.20911	3.3836	73	دنيا	
11.661	0.64491	5.0274	73	عليا	54
	1.41583	2.9041	73	دنيا	

يعتمد هذا الأسلوب بالدرجة الأساس لمعرفة فيما إذا كانت كل فقرة من فقرات المقياس تسير في المسار نفسه الذي يسير فيه المقياس، لذلك يعد هذا الأسلوب من أدق الوسائل المعتمدة في حساب الاتساق الداخلي لفقرات المقياس (عيسوي، 1985، 95)، وتشير انستازيAnastasi (1976) إلى أن الدرجة الكلية للمقياس هي أفضل محك داخلي عندما لا يتوفر المحك الخارجي(Anastasi, 1976, p206).

مؤشرات صدق وثبات مقياس السعادة النفسية:

الصدق Validity: تحقق الباحثان من صدق المقياس من خلال أنواع الصدق الآتية:

أ. الصدق الظاهري Face Validity:

وقد تحقق هذا النوع من الصدق للمقياس من خلال عرضه على الخبراء والأخذ بآرائهم حول صلاحية فقرات وتعليمات المقياس وكما مر ذكره أنفاً في صلاحية الفقرات.

ب. صدق البناء Construct Validity:

وقد تم التحقق من صدق البناء من خلال حساب تمييز الفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين ومعامل الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية باستعمال معامل ارتباط بيرسون.

ثبات المقياسReliability:_تم حساب ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية، ولتحقيق ذلك قام الباحثان بتطبيق مقياس السعادة النفسية على (40) طالب وطالبة، ومن ثم قاما بتقسيم المقياس بعد الإجابة على فقراته إلى قسمين يشمل الأول الفقرات الفردية، والثاني الفقرات الزوجية، إذ بلغ معامل الثبات قبل التصحيح (0.72) وبعد التصحيح بمعادلة (سبيرمان – براون) كان (0.83) وهو معامل ثبات جيد يمكن الركون إليه.

عينة التطبيق النهائي: قام الباحثان بتطبيق أداة البحث على عينة البحث النهائية البالغة (500) طالب، موزعين على جامعتي بغداد والموصل، وقد بدأ التطبيق بتاريخ (2019/1/7) وانتهى بتاريخ (2019/1/17).

خامساً. الوسائل الإحصائية: استعمل في هذا البحث الوسائل الإحصائية آلاتية:

-معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation Cofficient لحساب ثبات المقياس، ولمعرفة العلاقة بين كل فقرة والمجموع الكلي للمقياس. (عودة والخليلي، 1988، 138)

-الاختبار التائي لدلالة معامل الارتباط. T_test to denote correlation coefficient(علام، 2015، ص154)

معادلة سبيرمان – براون لتعديل معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية(ربيع، 2009، ص90).

-الاختبار التائي لعينة واحدة T - Test for one Independent Sample: لمعرفة الفرق بين الوسط الحسابي للمقياس والوسط الفرضي لدى افراد العينة النهائية للبحث الحالي(عودة والخليلي، 1988، ص181).

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين T - Test for two Independent Samples لحساب تمييز الفقرة وللمقارنة في متغيرات البحث على وفق متغيرات الجامعة الجنس والتخصص والمرحلة(عودة والخليلي، 1988، ص185).

الفصل الرابع

نتائج البحث

الهدف الأول: لتحقيق الهدف الأول والذي نص على "التعرف على مستوى السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل". قام الباحثان بجمع البيانات واستخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومقارنته بالوسط الفرضي للمقياس والقيمة التائية، والجدول (3) يبين ذلك.

جدول (3) مستوى السعادة النفسية لدى افراد العينة بشكل عام

نوع العينة	العدد	المتوسط الحسابي	المتوسط الافتراضي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
العينة الكلية	500	220.3320	189	12.48268	56.126	1.960 (499)(0.05)	يوجد فرق دال
جامعة بغداد	277	221.7942		12.81293	42.598	1.960 (276)(0.05)	يوجد فرق دال
جامعة الموصل	223	218.5157		11.83857	37.231	1.960 (222)(0.05)	يوجد فرق دال

ويتبين من الجدول (4) أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (56،126) وهي أكبر من القيمة الجدولية (1.960) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (499) وهذا يعني وجود دلالة إحصائية أي أن لدى أفراد عينة البحث مستوى مقبول من السعادة النفسية بشكل عام، ويعود السبب إلى أن طلبة الجامعة قد وصلوا إلى مستوى من الثقافة والاطلاع على التجارب الشعوب الأخرى وبإمكانهم التخلص من الأمور والمنغصات التي قد تدخلهم في عالم الحزن والأفكار السلبية.

الهدف الثاني: لتحقيق الهدف الثاني والذي نص على "التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاً لمتغير الجامعة (بغداد – الموصل)" لتعرف دلالة الفروق في السعادة النفسية تبعاً لمتغير الجامعة (بغداد، موصل) فقد تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات طلبة جامعة الموصل فكان (221.7942) درجة بانحراف معياري (12.81293)، وكذلك حسب المتوسط الحسابي لدرجات طلبة جامعة الموصل فكان (218.5157) درجة بانحراف معياري قدره (11.83857)، ثم استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين فكانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (2.942) أكبر من القيمة التائية الجدولية (1.960) عند مستوى دلالة (0،05) ودرجة حرية (498) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة جامعة بغداد وطلبة جامعة الموصل في السعادة النفسية ولصالح جامعة بغداد باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من الجامعتين، ومقارنتها مع القيم الجدولية والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق تبعاً لمتغير الجامعة

الجامعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة
جامعة بغداد	277	221.7942	12.81293	2.942	1.960 (498)(0.05)	يوجد فرق دال لصالح جامعة بغداد
جامعة الموصل	223	218.5157	11.83857			

وتؤشر هذه النتيجة إلى انخفاض مستوى السعادة النفسية لدى طلبة جامعة الموصل مقارنة بجامعة بغداد وذلك بسبب الظروف الأمنية والتهديدات الإرهابية التي تعرضت لها مدينة الموصل ومن ضمنهم طلبة جامعة الموصل سواء من بقي داخل المدينة أثناء احتلالها من قبل تنظيم داعش الإرهابي أو الذين غادروا المدينة وأصبحوا نازحين في مدن أخرى.

الهدف الثالث: "التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاً لمتغير النوع (ذكر- أنثى)" لتعرف دلالة الفروق في السعادة النفسية تبعاً لمتغير الجنس (ذكور، إناث) فقد تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات الذكور فكان (217.9660) درجة بانحراف معياري (11.90197)، وكذلك حسب المتوسط الحسابي لدرجات الإناث فكان (222.7698) درجة بانحراف معياري قدره (12.97243)، ثم استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين فكانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (4.295) أكبر من القيمة التائية الجدولية

(1.960) عند مستوى دلالة (0،05) ودرجة حرية (498) مما يدل على وجود فرق ذو دلالة احصائية بين متوسط درجات الذكور والإناث في السعادة النفسية ولصالح الإناث، والجدول (5) يوضح ذلك.

جدول (5) نتائج الاختبار التائي لدلالة الفروق تبعاً لمتغير الجنس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
ذكور	235	217.9660	11.90197	4.295	1.960 (498)(0.05)	يوجد فرق دال لصالح الإناث
إناث	265	222.7698	12.97243			

وتؤشر هذه النتيجة إلى وجود تفوق للإناث على الذكور في مستوى السعادة النفسية ويعزو الباحثان هذا التفوق إلى طبيعة الفروق بين الجنسين في مجتمعاتنا العربية والتي تلقي المزيد من الضغوط الحياتية والاقتصادية على الذكور أكثر منها على الإناث مما يسبب زيادة الضغط النفسي والتوتر والقلق النفسي لدى الذكور من الطلبة وبالتالي يؤدي كل هذا إلى انخفاض مستوى السعادة النفسية لدى الذكور.

الهدف الرابع "التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقا لمتغير التخصص (علمي- إنساني)" لمعرفة دلالة الفروق في السعادة النفسية تبعاً لمتغير التخصص (علمي– إنساني) فقد تم حساب المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة من التخصص الإنساني فكان (221.9385) درجة بإنحراف معياري (12.38080)، وكـذلك حسـب المتوسـط الحسـابي لـمجموعة الطلبة من التخصص العلمي فكـان (218.7070) درجة بانحراف معياري قـدره (12.59178)، ثم اسـتعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين فكانت القيمة التائية المحسـوبة البالغة (2.892) أكبر من القيمة التائية الجدولية (1،960) عند مستوى دلالة (0،05) ودرجة حرية (498) مما يدل على وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة في التخصص الإنساني والطلبة في التخصص العلمي في السعادة النفسية ولصالح طلبة التخصص الإنساني، والجدول (6) يوضح ذلك.

جدول (6)الفروق في مستوى السعادة النفسية لدى أفراد عينة البحث وفق متغير التخصص.

التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
علمي	256	218.7070	12.59178	2.892	1.960 (498)(0.05)	يوجد فرق دال لصالح التخصص الإنساني
إنساني	244	221.9385	12.38080			

وتؤشر هذه النتيجة إلى أن الطلبة ذوي التخصص الإنساني لديهم مستوى أعلى من السعادة النفسية، وقد يرجع السبب حسب رأي الباحثان إلى طبيعة التخصص الإنساني واقترابه من الحياة الواقعية التي يعيشها الطالب الجامعي على عكس التخصص العلمي الذي يتميز بالجدية والخيال والتركيز في الثوابت والنظريات العلمية.

الهدف الخامس "التعرف على الفروق في السعادة النفسية لدى طلبة جامعتي بغداد والموصل وفقاً لمتغير الصف الدراسي (أول – رابع)" لمعرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية في السعادة النفسية تبعاً لمتغير المرحلة (اول- رابع). قام الباحثان باستخراج المتوسطات الحسابي لدرجات

طلبة الصف الأول فكان (218.9249) درجة وبانحراف معياري (12.60875) وكذلك حساب المتوسط الحسابي لدرجات الطلبة في الصف الرابع، فكان (221.4928) وبانحراف معياري (12.28341)، وتم استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين فكانت القيمة التائية المحسوبة (2.267) اكبر من القيمة التائية الجدولية (1.960) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية(498) مما يدل على وجود فرق ذي دلالة إحصائية ولصالح طلبة الصف الرابع والجدول (6) يوضح ذلك.

جدول (6) الوسط الحسابي والانحراف المعياري لأفراد عينة البحث بحسب متغير المرحلة

الصف الدراسي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		الدلالة
				المحسوبة	الجدولية	
أول	293	218.9249	12.60875	2.267	1.960 (498)(0.05)	يوجد فرق دال لصالح الرابع
رابع	207	221.4928	12.28341			

ويرى الباحثان أن سبب تفوق طلبة الصف الرابع من طلبة جامعتي بغداد والموصل على طلبة الصف الأول قد يرجع إلى تكيفهم مع الحياة الجامعية بما تحوي من مناهج وأساتذة وزملاء وأجواء جامعية إضافة إلى بلوغهم مرحلة عمرية جديدة هي مرحلة الرشد.

التوصيات: في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثان بالآتي:

-الإفادة من المقياس الحالي في مجالات الإرشاد والصحة النفسية.

-العمل على تقنين الصورة المختصرة للمقياس الحالي والإفادة منها.

-تفعيل دور الإرشاد النفسي في الجامعات العراقية لمساعدة الطلبة إلى الوصول إلى أعلى مستويات السعادة النفسية.

-تفعيل عمل وحدات التربية الرياضية والفنية ودعم الطلبة في ممارسة الأنشطة الاجتماعية التي تسهم في رفع مستوى السعادة النفسية لديهم.

المقترحات: في ضوء نتائج الدراسة يقترح الباحثان بالآتي:

-إجراء دراسات تتبعية للسعادة النفسية لغرض تكوين تصور واضح عنها وعن تأثيرها في سلوك الطالب الجامعي مستقبلاً.

-إجراء دراسات تربط استراتيجيات استخدام السعادة النفسية مع متغيرات أخرى.

-بناء برامج إرشادية لرفع مستوى السعادة النفسية لدى طلبة الجامعة بشكل عام ومن ظهر لديهم انخفاض في هذا المتغير بشكل خاص.

قائمة المراجع:

1.الجندي، امسية السيد(2009)، مصادر الشعور بالسعادة وعلاقتها بالذكاء الوجداني لطلاب كلية التربية جامعة الإسكندرية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد (19)، العدد (62) فبراير.

2.جودة، أمال وابو جرار حمدي(2011)، التنبؤ بالسعادة في ضوء الأمل والتفاؤل لدى عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة ،مجلة جامعة القدس المفتوحة عدد(24).
3.حجازي، عوض الله جاد ومحمد السيد نعيم(2015)، في تاريخ الفلسفة اليونانية، دار الطباعة المحمدية، ط2، القاهرة.
4.ربيع، محمد شحاته(2009)، قياس الشخصية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، عمان
5.سعد، علي(1990)، مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي، مجلة جامعة دمشق، المجلد15، العدد1.
6.سعيد، ئاس وصالح(2017)، فاعلية برنامج إرشاد ديني في تنمية الشعور بالسعادة النفسية لدى طلبة الجامعة.
7.السيد محمد أبو هاشم(2010)، النموذج البنائي للعلاقات بين للسعادة النفسية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية وتقدير الذات والمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مج 20، ع81.
8.علام، صلاح الدين محمود(2015)، الأساليب الإحصائية الاستدلالية في تحليل بيانات البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ،ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
9.علام، صلاح الدين محمود(2005)، الأساليب الإحصائية الاستدلالية في تحليل بيانات البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية (البارامترية واللابارامترية)، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
10.علام، سحر فاروق(2008)، معدلات السعادة الحقيقية لدى عينة من طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية، مجلة الدراسات النفسية، المجلد 18، العدد(يوليو).
11.عودة، احمد سليمان، وخليل يوسف الخليلي(1988)، الإحصاء للباحث في التربية والعلوم الإنسانية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
12.العيسوي، عبد الرحمن محمد(1985)، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
13.مايكل مايكل ارجايل(1997)، سيكولوجية السعادة: ترجمة فيصل عبد القادر يونس، مراجعة شوقي جلال، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
14.محمد، السيد عبد الرحمن(1998)، دراسات في الصحة النفسية، الجزء 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة
15.المرشود، جوهرة صالح(2011)، السعادة وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى طالبات الجامعة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، السعودية، مج 4، ع2.
16.المطلق، عبد المحسن بن علي(2009)، الحياة الطيبة أو قاموس السعادة في الإسلام، مكتبة التوبة، الرياض.
17.النيال وخميس، مايسة أحمد وماجدة علي(1995)، السعادة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والشخصية لدى عينة من المسنين والمسنات" دراسة سيكومترية مقارنة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب مجلة علم النفس، السنة التاسعة، العدد36.

18.Anastasia(1976),psychological testing Macmill publing,6ed, camping, new York.
19.Benjet, C & Hernandez – Guzman, L (2001), Gender Differences In Psychological ،Well –Being Mexican Early Adolescents ،Aeolescence, 36(141).
20.Furr, R(2005), Differentiating Happiness and Self Asteem, Individual Differences Research, 3 (2).
21.Gonzalez, M, Casas, F & Coneders, G(2006), Complexity, Approach To Psychological Well- Being In Adolescence: Major Strengths and Methodological Issue, Social Indicators, 80.
22.Roothman & et 'al(2003), Gender Differences in Aspects of Psychological Well-Being, South African journal of psychology.
23.Ryff, C & Singe, B(2008), Know Thyself and Become What You Are: A Eudemonic Approach To Psychological.
24.Ryff, C(1995), Psychological Well- Being in Adult Life ،Current Directions in Psychological Science, (4).

استراتيجيات مقترحة لتطوير كفايات التقويم لدي المعلم

Suggested strategies for developing teacher evaluation competencies

د.خنيش يوسف، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

ملخص: لضمان جودة التقويم يجب البحث في أساليب تطوير كفاياته عند المعلم والتي يمكن أن تشكل استراتيجيات لمواجهة العراقيل التي تعترضه حيث تعد عملية التدريب على تحديد الأهداف بدقة من أولويات هذه الإستراتيجيات لأن التحديد الدقيق للأهداف يسمح بمراقبتها وقياسها، كما يجب تزويد المعلم باستراتيجيات تنفيذ ما تعلمه وهذا بربط النظري بما هو عملي أو عملية الصهر حسب " فيري" ومساعدته على اختيار الطريقة والوسائل التعليمية المناسبة، وتدريبه على مراقبة السلوك والتدريب على كيفية إعداد الأدوات التقويمية بأسلوب قابل للتميز تراعي فيها الفروق الفردية الموجودة بين التلاميذ. والاهتمام بتوفير الظروف المناسبة وضبط التوقيت ومنح نفس الفرصة لجميع التلاميذ للوصول إلى نتائج معبرة تكون بتقديرات كمية يجب أن تعالج بصورة دقيقة.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات، كفايات، التقويم، كفايات التقويم، معلم.

Abstract: to nsure quality of evaluation in educational systems. So the question for teachers to develop the competence to implement the procedures used for evaluation is a strategy whose operational of the objectives of the teaching learning process with respect all specifications is a priority.

The teacher must formulate learning objectives in an operational manner so that it can monitor and measure their level of achievement among students, and then to equip learners with learning how to conduct linking theoretica l knowledge by expertise, or it is required by Ferry's actions resemble, which will allow better regulation and remediation activities and student behavior.

Keywords: Strategies, evaluation, evaluation competence, teache.

مقدمة ومشكلة البحث:

يعتبر التقويم من المواضيع الهامة ومن العناصر الجوهرية التي تشكل أساس أي عملية تعليمة وتكوينية ويقوم بدور أساسي في تطوير هذه العملية، إذ عن طريقه يمكن التمييز بين نقاط القوة والضعف في أي برنامج تعليمي في مختلف المستويات والمراحل التعليمية، وقد أثبتت مختلف الممارسات التربوية مدى أهمية هذا الموضوع وضرورته لكل عناصر العملية التعليمية التي تشمل المعلم، المتعلم، المنهاج بمكوناته. ووسط هذه المكونات العامة للعملية التعليمية تتجلى أهمية البحث في سبل تطوير أساليب القيام بهذا التقويم من خلال الاهتمام بإعداد القائم بها وهو المعلم، وهذا بتطوير كفاياته التي تسمح له بممارسة التقويم بشكل جيد والتي تشمل مهارات وكفايات التخطيط والتنفيذ والتقويم وتطبيق معاييرها بدقة وجودة عالية.

كما أن التقويم التربوي من أهم العناصر المطلوبة لضمان الجودة في التعليم، فضمان الجودة وتحسين مستويات تعلم الطلاب لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عملية التقويم ومعرفة مدى تكامله مع عناصر العملية التعليمية الأخرى. تتحقق الجودة في التقويم بتوفير معلمين أكفاء مدربين تدريبا مناسبا حتى يتمكنوا من توظيف معاييرها بفعالية وتوجيهها بحكمة صوب الأهداف التربوية الذي يسعى النظام لتحقيقها وقد اعتبر الكثير من المختصين أن تطوير العلمية التعليمية يمر حتما بتطوير قدرات المعلم وتحسين كفاياته بدون استثناء ومن أهمها كفايات التقويم وهو ما أشارت إليه دراسات راتس (Rates, 1987)، نوازات (Noizet G , 1961)، بيرون (1963, H.Pieron) ، بونيـــــــــول(J.J.Bonnial, 1969) أيمــــــــــدون (Amidon, 1966) ، أرموند(M.B.ormond,1987)

إن التخطيط لمختلف الأساليب التقويمية وتنفيذها يقتضي وجود ظروف مناسبة، وتهيئة الشروط العامة المحيطة للوصول إلى نتائج معبرة. وهي عناصر محيطة بالفعل التقويمي ولكن تمثل استراتيجيات تساعد التقويم على القيام بدوره الفعال فالعمل على تنميتها يمنح نتائج ايجابية على العملية التقويمية التي يقوم بها المعلم، ومن خلال هذا يحاول الباحث الغوصفي بعض من هذه الحلول التي اعتقد انها تشكل بعض الزوايا المهمة للعملية التعليمية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتقويم ويؤي التحكم فيها الى التحكم في العملية التعليمية ككل، والتي ساحاول التطرق اليها من خلال هذا البحث. كما يسعى البحث إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين التقويم والتعليم حيث يمثل التقويم دور المحرك الذي يدفع بالمنظومة إلى الأمام .

1-الإستراتيجية والإستراتيجية في التقويم :

يستعمل لفظ الإستراتيجية للدلالة على التخطيط الجيد والذي يعتمد عليه لمواجهة الظروف الصعبة، وينطلق جوهر التفكير الاستراتيجي على المنهجية العلمية المحددة بدقة لمواجهة المشكلات، وتبحث عن الوصول إلى النتائج الجيدة وتعمل على التفضيل في الحلول المقترحة المقدمة لحل المشكلات.

والإستراتيجية في التقويم هي البحث عن الحلول المسبقة لمختلف الصعوبات التي تعترض القائم على العملية التقويمية لغرض إيجاد حلول لكل الوضعيات التقويمية سواء تعلق الأمر بالتخطيط لها أو تنفيذها أو تصحيح نتائجها(الفاربي، 1994، ص300).

حاولت بعض الدراسات وضع نماذج للاستراتيجيات اللازمة للعملية التقويمية حيث أشار القص سمير(1980) إلى استراتيجيات تحديد الأهداف، وأضاف لها سليمان ممدوح محمد(1982) استراتيجيات التعرف على المجموعة المقومة أو التلاميذ. أما صلاح الدين محمود علام فأشار إلى استراتيجيات الانتقاء، وبناء الاختبارات، تنفيذها وتصحيحها، وتفسير نتائجها(علام، 1993، ص101- 106).

يمكن الوصول إلى هذه الاستراتيجيات بالإعداد اللازم للمعلم وفي هذا الصدد أكدت دراسة (غنيم، 1988) أن تزويد المعلم بالعلوم التربوية هو الذي يسهل له إيجاد حلول للوضعيات الصعبة(الأزرق، 2000، ص13).

وربط جابر عبد الحميد جابر(1990) التحكم في الاستراتيجيات بالتدريب الجيد قبل وأثناء الخدمة. وهناك من أكد على دور الخبرة والتعرض لنفس المواقف للتحكم في هذه الاستراتيجيات، كما أن الرغبة في التعلم واطلاع على التراث النظري للتقويم والاستفادة من توجيهات المشرفين يمكن أن تكون كمصادر للاستراتيجيات.

2-الكفاية:

جاء في لسان العرب كفى الرجل كفاية، فهو كاف، إذ قام بالأمر فكفى الشيء يكفيه كفاية فهو كاف(ابن منظور، 1988، ص269).
وقد جاء في المعجم الوجيز بأنه الاستغناء(مجمع اللغة العربية، 2000، ص538).

الكفاية عبارة عن قدرة المعلم على توظيف مجموعة من المعارف، وأنماط السلوك، والمهارات أثناء أدائه لأدواره التعليمية داخل الفصل نتيجة لمروره في برنامج تعليمي محدد، بحيث ترتقي بأدائه إلى مستوى معين من الإتقان يمكن ملاحظته وتقويمه. وقد عرفها رشدي طعيمة بأنها :" مجموع الاتجاهات وأشكال الفهم والمهارات التي من شأنها أن تيسر للعملية التعليمية تحقيق أهدافها العقلية، والوجدانية، والنفس حركية(طعيمة، 1999، ص25).

تحتوي الكفاية على أربع مكونات: كفايات معرفية، كفايات أدائية، كفايات وجدانية، كفايات إنتاجية.

3- كفايات التقويم:

هي مجموعة من المهارات، والقدرات التي يجب أن يمتلكها المربي أو القائم بالعملية التعليمية والتي تبدوا كمهارات واتجاهات، ومعارف تظهر عند القيام بالخطوات المهمة في العملية التعليمية وهي خطوة التقويم وما يرتبط بها من إجراءات كالتحديد الدقيق للأهداف وتمثيلها

للنواتج المرغوبة واستعمال الأساليب التقويمية المناسبة والقدرة على بناء الاختبارات وتنفيذها وتصحيح نتائجها.

4– استراتيجيات مقترحة لتطوير كفايات التقويم:

تدفع هذه الاستراتيجيات إلى الاستفادة قدر الإمكان من التقويم وتحقيق الغرض من وجوده وهو الذي يدفع إلى تطوير العملية التعليمية .

لابد للمدرس أن يعمل جاهدا على البحث عن هذه الإستراتيجيات بالاستفادة من خبرته الشخصية وهذا لحاجته الماسة لها، منها الدعوة إلى تحديد الأهداف بدقة لغرض التمكن من تحقيقها ، البحث عن سبل إعداد المعلم في ميدان التقويم بصورة جيدة ، وتبيان أهم الطرائق التدريسية التي تبعث الحيوية والتفاعل الإيجابي داخل القسم الدراسي مما يمكن استعمال أكبر عدد ممكن من الأساليب التقويمية والعمل بصورة دقيقة على حسن إعدادها واستعمالها.

إن مختلف هذه الإستراتيجيات المتعلقة بإعداد، واستعمال الأساليب التقويمية لا يمكن فصلها عن إيجاد الحلول المناسبة لكيفيات تطبيقها وتصحيح نتائجها والاستفادة من كيفيات ترتيبها، وتنظيمها وتفسير نتائجها وسيحاول الباحث عرض بعض من هذه الحلول للمساهمة في تطوير العملية التقويمية .

4-1-تحديد الأهداف التعليمية:

تعد الأهداف التعليمية أحد أهم العناصر التي تمكن المعلم من التحكم في العملية التعليمية، هذا ما يجعله لا يكتفي بتحديد الهدف من الاختبارات فقط، بل تحديد أهداف كل درس والعمل بجدية على وضعها في صيغتها الإجرائية الدقيقة، لهذا فأهداف تعلم وحدة تدريسية يجب أن توضع ضمن أولويات التخطيط للتعليم، وقد بينت دراسة (الكلزة، 1987) أهمية توضيح الأهداف بدقة لأنها الاتفاق الضمني بين المدرس وتلاميذه حول القيم التي يجب أن يحصلوا عليها من المادة التعليمية. وهو ما يمكنه من المسايرة الدقيقة لها ومن بين النقاط التي يجب عليه مراعاتها:

- أن يقوم بالصياغة الإجرائية الدقيقة للأهداف والابتعاد عن العمومية و عدم الاكتفاء بالأهداف العامة.

- العمل على تحديد نوع السلوك بدقة والمجال الذي ينتمي إليه حيث يمكنه ذلك من ضبط الهدف، وعدم ترك فرصه للتغيرات السلوكية الأخرى التي قد تكون كعناصر دخيلة.

وأوصت دراسة (آل الحسين، 1984) على ضرورة تحديد الأهداف وفق مختلف الصنافات والعمل على التنويع في استعمالها.

- على المربي أن يربط الهدف الذي يريد تحقيقه بالمراحل التعليمية المتسلسلة للدرس وهو ما يجعله أكثر واقعية.

- يجب على المربي أن ينطلق من درجة أهمية تلك الأهداف، والمدة التي يستغرق تحقيقها وهذا ما يمنحه الاعتماد على جدول المواصفات لأنه يشمل على العناوين الرئيسية لمحتوى المادة الدراسية، ونسبة التركيز فيها، وعدد الأسئلة المخصصة لكل عنصر من عناصرها ويمكن له أن يتعرف على العبارات التي يعتمد عليها لقياس الأهداف التعليمية حسب أهميتها بقسمة عدد الحصص أو الساعات المخصصة للوحدة الدراسية على عدد الحصص والساعات المخصصة للمادة الدراسية(حمدان، 2001، ص129)

2-4-التكوين والإعداد الجيد لممارسة مهنة التعليم:

-لتدريب على معرفة دور التقويم في العملية التعليمية: يجب مراعاة التكوين والإعداد الجيد للمعلم قصد الوصول إلى المخرجات التعليمية المناسبة، ويكون ذلك باللجوء إلى نماذج محددة عند إعداده وتهيئته لمواجهة المهنة بأكثر نضج وفعالية، والعمل على إبراز المهارات التعليمية المرغوبة والمساعدة على أداء دور المدرس.

ولهذا يجب أن يركز التكوين على مساعدة المعلمين على تنفيذ عملية التعليم وتقويمها مع مراعاة الظروف التي تمر بها، وتسجيل كل الحوادث في بطاقات ملاحظة ومعالجة كل المواقف بدقة إلى غاية إحداث التغيير المناسب في سلوك المتعلمين.

ولكي يكون المربي قادرا على أداء الدور اللازم وإبراز مكانته وإثارة عاطفة التلاميذ نحوه يجب اختيار انسب العناصر لمهنة التدريس، إضافة إلى الصفات الجسدية من سلامة الحواس والنطق، والصفات الذهنية من مستوى تعليمي حسن، يجب التركيز على دور ثقافة الفرد وصفاته الأخلاقية التي تبرز حبه للمهنة والميل اللازم للتعامل مع فئة عمرية تتمثل في الطفولة المتأخرة والمراهقة، هذا ما يمكن أن تكشف عنه اختبارات الدافعية والميول، حيث تحدد وجود العوامل الوراثية والمكتسبة المؤهلة لأداء هذا الدور، وقد حدد أيميدون (Amidon,1966) بعض الأدوار الرئيسية التي يجب أن يتقنها المدرس بعد نهاية فترة إعداده لممارسة المهنة كمعرفته للتخطيط الإيجابي لمختلف النشاطات الصفية، وقدرته على تحفيز تلاميذه على التعلم، ومعرفته لنوع المساعدة التي يحتاجون إليها أثناء التعلم والتحكم التام في الحوار والمناقشة الفعالة، بالإضافة إلى هذه الأدوار لم يستثني أيمدون قيام المدرس بعملية التقويم ومختلف العمليات المرتبطة بها لإصدار الحكم عن مدى قدرته على أداء دور تنفيذ العملية التعليمية بصورة إيجابية(الأزرق، 2000، ص12).

-التدريب على إحداث الجودة التعليمية: تدريب المدرسين إلى درجة الإتقان كان محل اتفاق العديد من الدول وذلك ما جاءت به المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم" اليونسكو" التي اعتبرت أن جودة أي نظام تعليمي يتوقف بالدرجة الأولى على جودة القائمين عليه, وخاصة المدرسين وفي دراسة قام بها لان دافياس Lan Davies توصل إلى أن عينة من المدرسين اللذين لم ينالوا قدرا كافيا من التكوين والتدريب لا يتحكمون في بعض النشاطات المدرسية، كعدم القدرة على استعمال الوسائل التقويمية، وتفسير نتائجها. بينما تتحكم العينة الثانية بطريقة فعالة

في مراقبة نشاطات التلاميذ ولهم القدرة الكافية على التقويم والاستفادة من نتائجه، وتفوق تلاميذهم في دراستهم وذلك يعود لنوع التكوين الذي تلقاه المعلمون قبل وأثناء مباشرتهم لمهنة التدريس(محمد عبد الرزاق، 2003، ص17).

يجب أن يواكب هذا التكوين الثورة التكنولوجية السريعة التي يمتاز بها القرن الحالي وذلك بتزويدهم بمختلف المعلومات المتعلقة بالطرائق التدريسية، وإشباع مختلف حاجيات التلاميذ الوجدانية والجسمية والعقلية و الاجتماعية ، ووجوب العمل وفقا للكفايات التي تفرض الوصول إلى مستوى عال من الأداء والقدرة على تعديل مختلف السلوكات وهذا هو الهدف الأسمى للتقويم وهو ما ذهب إليه " الدمرداش سرحان " إذ يرى أن هذا الاتجاه يؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى رفع مستوى مهارات المعلم وان التدريس الناجح ما هو إلى سلسلة من المهارات. والذي سماه "فيري"" G.Ferry" النموذج المتركز حول الاكتساب والذي يكون عند ربط النظري بما هو عملي أو الصهر. وينتج التحكم في هذه المصاهرة مجموعة مهارات يجب أن تراعي في عملية التكوين في المعاهد والجامعات. وهو ما أكد عليه " قنديل" 1994 الذي يرى أن تدريب المدرسين هو كل ما يتعلمه من كافة البرامج والمقررات والربط بينها (تلوين، 2002، ص67).

4-3-اختيار الطرائق التدريسية واستعمال الوسائل التعليمية المناسبة:

الاستعمال الجيد للطريقة التربوية والوسائل التعليمية وحسن اختيارهما يعود بالفائدة على العملية التعليمية ويسهل بدرجة كبيرة مهمة التقويم. يسمح التحكم في طريقة الإلقاء بحصر انتباه تلاميذه، كما تسمح الطريقة الحوارية القيام بالتغذية الراجعة في الوقت المناسب لها وتمكن المناقشة الجماعية داخل حجرة الدراسية التلاميذ من التقويم الذاتي، وملاحظة التقدم الذي يحدث على العملية التدريسية وتصحيح ما يجب تصحيحه مباشرة عند حدوثه.

إن التوجه الحديث لدول المعمورة نحو خلق كفايات عالية في منظوماتها التربوية اقتضى العمل بطريقة حل المشكلات التي تجعل التلاميذ يتدربون على مواجهة المشكلات، ويعملون على حلها واختيار البدائل المناسبة هذا ما يجعلهم يتدربون على التقويم الذاتي. وتدريب المدرس لنفسه وتكييف تلاميذه على طريقة حل المشكلات يعتبر من السبل المهمة المؤدية إلى تحقيق الأهداف، وهي أيضا التي تمكنه من القيام بتعديل وتصحيح وضعياتهم. وهذه الطريقة تتطابق مع خطوات التفكير العلمي، رغم ما يؤخذ عنها باعتبارها تؤدي إلى البطء في التعلم. ولكن قد يكون تعلم وحدة بجدية وإتقانها بفعالية أحسن من التسرع في التدرج في الوحدات التدريسية. وعدم الوقوف عند تحقيق كل وحدة لأهدافها وهو ما يلاحظ عند القيام بالتقييمات النهائية، حين تكون نتائجها بعيدة عن التطابق مع النتائج المتحصل عليها خلال السنة التدريسية.

4-4- اكتشاف ميول واتجاهات التلاميذ وإثارة دافعيتهم للتعلم:

تعتبر مختلف العوامل الشخصية وميول التلاميذ من العوامل التي يجب الأخذ بها في تسيير مختلف النشاطات المدرسية وعند الرغبة في تحقيق أهداف هذه النشاطات، والعمل على تصحيح العمليات التي تسايرها من تخطيط سليم، وصولا إلى تقويمها وهذا ما يكون بمعرفة المدرس لميول التلاميذ نحو التعلم أو نحو المادة الدراسية، والقيام بالمعالجة اللازمة لها وتوفير الرغبة للتعلم باعتبار توفير الحالة النفسية الجيدة هي التي تكون منبهات ذاتية تجعل المتعلم قريبا من مجال تعليمه، لأن الميل هو النزوع النفسي للمتعلم لتحقيق غاية أو هدف محدد، مما يجعل درجة تحقيقه لهما قريبا من السهولة.

تتخذ ميول التلاميذ عدة أشكال وتحمل عدة مؤشرات سلوكية فقد تكون من خلال حكم التلاميذ على المادة أو من خلال درجة مثابرتهم. وقد حدد " سوبر Super أربعة مظاهر للميول وهي التي يعبر عنها لغويا أو من خلال النشاط أو التي تكشف عنها الاختبارات التي يقوم بها أو مختلف الاستفتاءات.

على المدرس أن يعتمد على عدة أساليب تقويمية تمكنه من الوصول إلى هذه الميول ولعل أهمها، استطلاعات الرأي وسجلات الحوادث والقيام بالمقابلة الشخصية أو الاعتماد على بطاقات ملاحظة السلوك وتحليل مختلف هوايات التلاميذ. أو توجيه أسئلة استطلاعية قبل بداية الدرس بطريقة دقيقة تقيس ميل محدد ولا بطريقة تقيس ميول مختلفة ، كما يستحب وضع أسئلة متدرجة وذلك لغرض تحديد اتجاه الميل بدقة والعمل على تجريب مختلف مقاييس الميول مرات عديدة قبل الاعتماد النهائي على نتائجها، وذلك لصعوبة الوصول إلى الأحكام الموضوعية، وصعوبة صلاحيتها لقياس الهدف باعتبار الميول في تغير دائم ويصعب قياسها مثلما هو الحال لمختلف اتجاهات التلاميذ وتغير الاستجابات الشخصية باختلاف المثيرات التي تؤدي إلى ذلك.

إن توفر الميل للتعلم هو الذي يفتح أبواب التمكن حسب كارول لأنه يمكن من سرعة التعلم، ولأن مقدار الوقت الذي يحتاجه المتعلم يتأثر بدرجة كبيرة بمدى استعداده وقدراته للتعلم، وهو ما ذهب إليه أيضا "بلوم" حين اعتبر الإسراع في التعلم ينتج عن توفر القدرة ability والوقت time اللازمين والتي حددها " كارول" بالمعادلة التالية: (مصطفى محمد كامل، 1999، ص12).

درجة التعلم = دالة [الزمن المنقضي فعلا في التعلم]

الوقت المطلوب للتعلم

إن القدرة الجيدة على تقويم نتائج التلاميذ وتصحيح وضعياتهم التعليمية تكون عند التعرف على اتجاهاتهم باعتبارها تبين الاستعداد العقلي والانفعالي لسلوك المتعلم، والاتجاه الذي يأخذه سواء كان إيجابيا أو سلبيا نحو تلقي معلومات عن المادة الدراسية، ويمكن للمدرس أن يتوصل إلى معرفة هذه الاتجاهات باستعمال سلالم الاتجاهات.

أما عن إثارة دافعية المتعلمين، فإنه لا يمكن فصلها عن مهام التقويم باعتباره مسئولا عن معالجة وتشخيص المنطلقات والعمل على توفير الدافعية اللازمة للتعلم، ويكون ذلك بطرح أسئلة استطلاعية مع بداية الدرس ، وإيصال التلاميذ إلى مستوى عالي من التعلق وإحداث التفاعل الإيجابي

4-5- العمل بمبدأ التغذية الراجعة:

تكون التغذية الراجعة فور حدوث التحصيل الدراسي وقبل التطرق إلى عمليات أخرى، وتصحيح الأخطاء فوريا حتى تجعل التلاميذ يتذكرون أداؤهم ويقومون بتصحيحه، ويكون ذلك شفهيا أو بتقديم ملاحظات مكتوبة والابتعاد عن الملاحظات العامة أو الشاملة كما أن للتلاميذ الحق في المطالبة بتعزيزهم الإيجابي بالثناء على إيجابياتهم وطلب الاستمرار والمثابرة كما يستحسن أن يلجأ المدرس إلى كتابة السؤال المناسب لإجابة التلميذ الخاطئة عن سؤاله الأصلي كما دعا " هنتر" "Hunter " 1982 إلى عدم لجوء المدرس نحو إيجاد الإجابة الصحيحة له. والتأكد من مدى وصول التلاميذ إلى تحقيق العملية أو اكتساب معلومة وذلك بلجوء المدرس إلى أخذ الدور الذي يبرز للتلاميذ بدقة الإجابة الصحيحة وتميزها عن الخاطئة.

إن تحكم المدرس في التغذية الراجعة بصورة جيدة يمكنه من إجراء عملية التقويم في الوقت المناسب لها ويمنحه فرصة تطوير مهاراته، وإدراك ما يقوم به من أجل تطوير الدرس والتسلسل به نحو الأهداف وكشف كل العيوب في الوقت المناسب لها لغرض التعديل وتصحيح الأخطاء والانتقال إلى خطوات أخرى وإمكانية تنبؤه بتحقيق الأهداف بصورة إيجابية(جابر، 1999، ص41).

4-6- تطبيق الأدوات التقويمية:

للوصول إلى كشف حقيقي للنواتج التعليمية التي حققها التلاميذ يجب العمل على تسلسل مراحلها من تخطيط وتنفيذ للعملية التقويمية وتصحيح نتائجها ومن خلال هذا التسلسل يتبين مكانة التنفيذ. رغم الاعتقاد أن تطبيق الوسائل التقويمية عملية آلية لا تستدعي معرفة مهارات للقيام بها إلا أن ما يجب أن تكون عليه عملية التطبيق لا يختلف عن ما يجب أن تكون عليه كل من التخطيط و التصحيح, هذا ما يبرز حاجة التطبيق إلى الكثير من المهارات والإستراتيجيات التي على الأستاذ العمل بها.

من أول المبادئ التي يجب على القائم بالعملية التقويمية العمل بها هو اعتبار التقويم في حد ذاته أداة لتحسين مردود العملية التعليمية ,هذا ما يدفعه إلى ضبط العوامل الدخيلة التي قد تؤثر سلبا على نتائج التقييمات كالقلق وانخفاض مستوى الدافعية، وعدم الألفة بالاختبارات وما ينجر عنها من قلق الامتحانات ,والتحكم فيها يجعل االمربي ملزما على تهيئة تلاميذه وتوفير بيئة إنسانية يسودها التفاهم والحرص التام والمسؤولية باعتبار توفير الظروف النفسية اللازمة هي التي تقرب من معرفة المستوى الحقيقي للتلاميذ وهو ما عبر عنه " هولمن" "Holmen " 1972 حين أكد

أن العنصر البشري سوف يظل هو العامل الأساسي في جميع مراحل العملية الإختبارية(علام، 1993، ص105).

على المقوم أن يدرب تلاميذه على جو والتصرف بطرق عادية في حالة تغيير الظروف التي يقوم فيها، كما أن الوصول إلى الحكم على مدى ثبات نتائج التلاميذ يتطلب منه القيام بإعادة تطبيق الاختبار أو التنويع في استعمال الأدوات التقويمية، وعدم الاكتفاء بما أفرزته نتائج امتحان معين. بل اللجوء إلى سجلات التلاميذ وبطاقات ملاحظة سلوكهم لإجراء مقارنة بينها والعمل على إبراز العوامل التي أثرت على نتائج التلاميذ وإيجاد الحلول المناسبة لها. وحد الغش حيث يعيق المدرس ويحيل دون الوصول إلى نتائج معبرة عن مستوى التلاميذ ، وهذا ما يتطلب منه العمل على المراقبة الشديدة وإبراز رغبته في تبيان مدى فهم التلاميذ وقدرتهم على التحليل والتركيب وعدم مطالبتهم بالحفظ التام لما يكون قد ورد في البرنامج الدراسي(أبو الرؤوس، 1996، ص73).

4-7-تصحيح التقييمات وتفسير نتائجها:

التحكم في العملية التقويمية يفرض معرفة الإستراتيجيات الممكنة في تصحيح ما تم تنفيذه، والبحث عن سبل التغلب على العراقيل منها ما يرتبط بذاتية المصحح حيث يجب الاعتماد على إجابات نموذجية ووضع تقديرات كل جواب قبل التطرق إلى تصحيحها، لأن ذلك يقلل من درجة ذاتية المصحح التي تفرض نفسها بصورة كبيرة في بعض الحالات ,كما يجب على المدرس أيضا أن يبتعد قدر الإمكان عن العوامل المؤثرة، كعدم الإطلاع على أسماء تلاميذه من خلال أوراق إجاباتهم، وعمله على تصحيح أوراق التلاميذ عندما يشعر بالاتزان وعدم القلق أو الفرحة والسعادة الزائدتين

من المبادئ الهامة التي يجب العمل بها هو قيام المدرس أو مجموعة المدرسين اللذين يدركون جيدا معنى السؤال أو يقومون بتدريس نفس المادة الدراسية بتصحيح إجابات التلاميذ. فقد يكون هؤلاء أكثر عدلا حين يعتمد التلاميذ على إعطاء تفسير لا يبتعد عن التفسير الذي يراد من وراء السؤال، أو حين يلجئون مثلا إلى الاعتماد على نفس مرادفات الكلمات التي قد تكون في الإجابة النموذجية .

إن تأثير إجابة التلميذ على السؤال الأول قد يؤثر في العلامة التي يمنحها الأستاذ للتلميذ في السؤال الموالي.لهذا يستحسن القيام بتصحيح نفس الأسئلة في كل الأوراق إجابات التلاميذ ثم اللجوء إلى تصحيح الأسئلة الموالية بنفس الطريقة ، وهذا لكي تكون تقديرات الأستاذ سليمة وأقرب إلى الدقة. ويمكن استعمال الطريقة الكلية في التصحيح وذلك بوضع إجابات التلاميذ في الفئات وذلك بالإطلاع عليها وتصنيفها ومنح التقديرات المناسبة لكل فئة منها(عدس، 1999، ص11).

والتوزيع الدقيق للتقديرات العددية على كل جواب فيه مع تحديد المدة الزمنية التي يمكن أن تستغرقها الإجابة عن كل سؤال، وعليه أن يدرك مدى مواجهته لعامل التخمين في إجابات التلاميذ.

على المدرس أن يتخذ القرار المناسب بمحاسبة التلاميذ عند حشو المعلومات في حالة كتابة مقال أو تصحيح الإجابات من أثر التخمين، ويكون هذا القرار بالالتزام في تطبيقها بالتساوي على جميع التلاميذ ووجوب منح العلامة التي يستحقها التلميذ كاملة مهما كانت قريبة من العلامة الكلية الواجب تحقيقها حتى تكون الأحكام إن مختلف التقديرات العددية أو اللفظية التي تمنح للتلاميذ يجب أن تليها عمليات أخرى حتى تستخلص من مختلف الأحكام التي تدفع بالعملية التعليمية نحو التقدم ولعل من أولى خطوات ذلك تصنيف علامات التلاميذ إلى المستوى الذي تنتمي إليه من حيث درجة الاقتراب أو الابتعاد من الأهداف، لهذا يتطلب من المدرس أن يقوم بترتيبها تنازليا وتصاعديا وهذا ما يمكن التلميذ من معرفة موقعه في هذا الترتيب, أوحين تحديد مركز التلميذ مقارنة بهذا الترتيب أو تحديد الرتبة المئينية للتلميذ أو النسبة المئوية من زملائه اللذين يتفوق عليهم ,وذلك عن طريق تحديد عدد هؤلاء التلاميذ ثم ضرب الكسر في مائة.

لابد للمدرس أن يستفيد من علم الإحصاء باعتباره العلم الذي يمكنه من جمع معلومات والعمل على تحليل نتائجها واستقرائها واتخاذ ما يناسبها من قرارات ومن بين المهام التي يجب على المدرس العمل بها معرفة طرق عرض النتائج التي توصل إليها بطرق سهلة مثلما تمنحها له التوزيعات التكرارية من جداول التوزيعات التكرارية البسيطة التي تمكنه من تحديد المستوى الأعلى والأدنى في نتائج تلاميذه وترتيبها تنازليا ,أو الاعتماد على جداول التوزيع القائمة على الفئات الحسابية التكرارية ، وملاحظة المدرس الدقيقة للفئات التي كانت أكثر تكرارا مما يسمح له بإصدار الحكم عن درجة نجاح العملية التدريسية.

إن من أهم النشاطات التي يتكفل المدرس القيام بها تحويل الجداول التكرارية إلى توزيعات بيانية تكون كحوصلة لمختلف النتائج التي يتحصل عليها التلاميذ, لأنها تمكن من التميز بينها ومعرفة تكتلها أو انتشارها, ومن أهم هذه التوزيعات البيانية نجد: المدرجات التكرارية والرسومات والمضلعات التكرارية والمنحنيات(حمدان، 2001، ص168-176).

استنتاج عام:

أظهرت هذه الورقة البحثية أن عملية إعداد وتدريب المعلمين عملية جوهرية والتي يجب أن تشمل مختلف المهام التي يتكفلون بها وهي مهام: الإعداد والتخطيط الجيد للعملية التعليمية. تنفيذها وتقويم نتائجها. ويجب أن تكون عملية التكوين لهذه العناصر (التخطيط. التنفيذ. التقويم) في إطار موحد وعدم الاعتقاد بوجود انفصال بين هذه المهام الثلاثة. حيث تمنح عملية التخطيط الجيدة للدرس سهولة في تنفيذه. كما يمنح التحكم في تنفيذ جيد لخطوات الدرس والاستعمال المناسب للطريقة التربية نتائج حقيقية عن مستوى المتعلمين من خلال دقة عملية التقويم.

لهذا يمكن التحكم في بعض العناصر المرتبطة بالعملية التعليمية بصورة عامة للوصول إلى الجودة وإحداث الفعالية في العملية التعليمية بصورة عامة أو في احدي مكوناتها وهو ما أراد الباحث توضيحه من خلال التطرق إلى بعض العوامل المساعدة والتي تمثل استراتيجيات تسهل للمعلم وتمنح له الدقة في العملية التقويمية التي يقوم بها من خلال عرض بعض الاستراتيجيات أو الحلول

التي ترتبط بالعملية التقويمة بشكل مباشر كتنفيذ عملية التقويم وتصحيحها.أو التي ترتبط بعملية التقويم بشكل غير مباشر ولكن تعد عناصر مهمة يؤدي التحكم فيها إلى قدرة على التحكم السليم في عملية التقويم منها التحكم في الأهداف واختيار الطريقة التربوية المناسبة أو الوسائل اللازمة.

قائمة المراجع:

1.ابن منظور(1988)، لسان العرب، المجلد الخامس بيروت: دار الجيل.

2.أبو الرؤوس، أيمن (1996)، دليل المعلم الذكي في فن التدريس ومعاملة الطلاب،القاهرة: دار الطلائع.

3.الأزرق، عبد الرحمن صالح (2000)، علم النفس التربوي للمعلمين، بن غازي : دار الكتب.

4.تلوين، حبيب(2002)، التكوين في التربية. وهران: دار الغرب.

5.جابر، عبد الحميد جابر(1999)، إستراتيجيات التدريس والتعلم. القاهرة: دار الفكر العربي.

6.حمدان، محمد زياد(2001)، تقييم التعلم والتحصيل، اختباراته وإجراءاته وتوجيهه للتربية المدرسية، القاهرة: دار التربية الحديثة.

7.طعيمة، رشدي أحمد(1999)، المعلم كفاياته إعداده تدريبه، القاهرة: دار الفكر العربي.

8.عدس، عبد الرحمن(1999)، دليل المعلم في بناء الاختبارات التحصيلية، ط2، عمان: دار الفكر.

9.علام، صلاح الدين محمود(1993)، شروط وضوابط تطبيق واستخدام أدوات القياس والتقويم في مجالات الخدمات النفسية من منظور عربي. مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي، فلسطين، العدد 01.

10.الفاربي، عبد اللطيف وآخرون(1994)، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا و الديداكتيك. الدار البيضاء: النجاح الجديدة .

11.مجمع اللغة العربية(2000)، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية.

12.محمد عبد الرزاق، إبراهيم(2003)، منظومة تكوين المعلم.عمان: دار الفكر.

13.مصطفى، محمد كامل(1999)، استخدام إستراتيجية التعلم حتى التمكن في تدريس مقرر في التقويم التربوي، مجلة علم النفس، العدد51، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر.

تحـولات نمـط السـكن بواحـات درعـة الوسـطى واحــة اكتــاوة بالــجنوب الشــرقــي (المــغرب)

Shifts in the Housing style of Central Draa Oases Ktaoua Oasis in the southeast (Morocco)

أ. محمد الدفالي، جامعة محمد الخامس- الرباط- المــغرب
أ. عبد العزيز احديبي، جامعة ابن زهر- أكادير- الــمــغرب
د. أحمد بوحامد، جامعة الحسن الثاني –الدار البيضاء- المـــغرب

Mohamed Eddafali, Researcher in the field of geography/ Mohamed V University Rabat, Morocco;

Abdelaziz Ahdibi, Researcher in the field of geography/ Ibno Zohr University Agadir, Morocco;

Ahmed Bouhamed, PhD in geography/ Hassan II University Casablanca, Morocco.

ملخص: شهدت واحات الجنوب المغربي، الواقعة بين جبال الأطلس الكبير شمالا والصحراء جنوبا، استيطانا بشريا قديما خلف إرثا عمرانيا وثقافيا تشهد عليه القصبات والقصور، لكن سرعان ما عرفت تحضرا سريعا وتقوقعا في ظاهرة العولمة؛ حيث ظهرالسكن العصري(الإسمنت والحديد)، الشيء الذي ساهم في حدوث اختلالات مجالية مهمة أدت إلى اندثار خصوصيات الواحات.

تسعى هذه الدراسة، إلى تبيان مظاهر تحولات نمط السكن الواحي بالجنوب الشرقي المغربي وتحديدا واحة "اكتاوة"، مع إبراز بعض الاختلالات المجالية لهذا النوع من السكن داخل الواحة. وذلك ارتكازا على منهجية جغرافية، قائمة على الملاحظة والتحليل والاستنتاج، ومنهجية تاريخية من خلال فهم تحولات السكن بالواحة. وذلك بالاعتماد على تقنيات متعددة: العمل البيبلوغرافي، والعمل الميداني، وصور الأقمار الاصطناعية.

الكلمات المفتاحية: واحة اكتاوة، الجنوب الشرقي المغربي، القصر، السكن الواحي، اختلالات مجالية، استدامة الإرث العمراني.

Abstract: The oases of the south of Morocco, located between the High Atlas Mountains in the north and the desert in the south, witnessed an ancient human settlement which has left an urban and cultural heritage that is witnessed by the "Kasbahs"and "Qsors". However, they soon witnessed a rapid urbanization and have been influenced by globalization, where modern housing (cement and iron) wreaked important field

imbalances which have led to the extinction of the peculiarities of the oases.
This study seeks to show the manifestations of the changes in the pattern of oasis housing in the southeast of Morocco, specifically the "Ktaoua oasis" while highlighting some of the field imbalances of this type of housing within the oasis. This is based on a geographical methodology, relying on observation, analysis, and conclusion, and a historical methodology through an understanding of the housing transformations in the oasis, using multiple techniques: bibliographic work, field work and satellite images.

Keywords: Ktaoua oasis, South-eastern Morocco, Qsar,oasis housing,field imbalances, the sustainability of urban heritage.

مقدمة:

تغطي الواحات الجنوبية المغربية مساحة جغرافية شاسعة تمتد على مسافة تقدر ب 650 كلم (Aba Sadki, 2007, p 16)، كما تعد كيانا صحراويا جديدا وامتدادا للأطلس الكبير المغربي، حيث أشار إلى ذلك الباحث الفرنسي "هنري طيراس" حينما تخطى لأول مرة سنة 1938 حدود الأطلس الكبير في اتجاه الجنوب الشرقي، فقال: "بمجرد تجاوزنا لمضايق الأطلس الكبير، أدركنا أننا على أبواب بلد جديد، هنا ينتهي العالم المتوسطي، وهنا يبدأ العالم الصحراوي. هنا، على الرغم من القرب الشديد من سواحل إفريقيا، موقع الحدود بين أوربا وإفريقيا الحقيقية" (أبا صدقي، 2013، ص3)وقوله "بلد جديد" و"إفريقيا الحقيقية"، هو أن الجنوب الشرقي المغربي عالم فريد من نوعه، حيث يضم خصوصيات ثقافية واجتماعية وعمرانية متنوعة.

وعلى الرغم من أن واحات الجنوب الشرقي المغربي، تنتشر في مجال جغرافي أوسع تتخللها مغروسات النخيل، ومزروعات الحناء، وكثبان رملية وغيرها، على طول أودية شبه صحراوية منحدرة من الأطلس الكبير الشرقي، إلا أنها تتميز بانتشار تراثها اللامادي الذي يتجلى في القصور، والقصبات، والزوايا (محمد البوزيدي، 2020، ص216). الشيء الذي جعل هذه الواحات تتميز بخصوصيات ثقافية واجتماعية وعمرانية متنوعة، قَلّ ما نجدها في المعمور.

تعتبر الواحات كذلك من أهم المشاهد الريفية العتيدة، والمعبرة عن الاستقرار البدوي بالمغرب؛ ذلك أنها من أقدم المناطق استيطانا بالنظر إلى الارتباط الاقتصادي المتعلق بالفلاحة والنشاط التجاري الدولي قديما عبر شمال افريقيا.

إن هذا النشاط أتاح إمكانية استقرار بعض السكان في نقط جغرافية ذات خصائص طبيعية بسيطة: موارد مائية ضئيلة، وتربة مساعدة على الإنتاج وغيرها،إلى جانب شساعة المجال الرعوي، الشيء الذي ساهم في التطور العددي للسكان وتنوع أنماط استغلالها بهذا المجال، والذي انكب على النشاط الفلاحي، لتنتج بذلك سلسلة من الواحات الممتدة على ضفاف وادي درعة من عاليته إلى سافلته.

لقد صاحب هذا النشاط استيطان بشري خلف إرثا عمرانيا وثقافيا تشهد عليه القصبات والقصور، التي أصبحت تعاني من ظاهرة التحضر وتطورات العولمة، الأمر الذي أصبح يقلق ذاتية الكيان الواحي بشكل خاص والبوادي بشكل عام، ومنه فنحن أمام تحول البوادي من طبيعتها ووظيفتها الأساسية إلى وضعية بيئية –شبه حضرية/ بدوية-.

إن مظاهر التحول تبدو شاخصة للعيان إذا أمعنا النظر في المجال العمراني الواحي لدرعة الوسطى بواحة "اكتاوة" ، وخاصة عندما تكون من زاوية كرونولوجية تشخيصية، فإنها توحي بتغير عميق على مستوى الشكل الخارجي وعلى مستوى التنظيم الداخلي، فالقصور والقصبات أمست في حلة جديدة ومختلفة مقارنة بما كانت عليه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد هذا التحول مرتبط بالمجال الاجتماعي حيث لم نعد نشهد الأعمال المشتركة في النشاط الزراعي (التْوِيزَة) وغيرها، ومن جهة ثالثة فإن بعض القصور آلت إلى الزوال وأخرى مهدمة بالكامل.

إشكالية الدراسة:

شهدت واحة "اكتاوة" استقرارا سكانيا قديما ارتبط بممارسة الأنشطة الفلاحية في بيئة صحراوية جافة، مستغلا مياه وادي درعة ومياه الفرشة الباطنية. هذا الوضع، فرض على الساكنة منذ القدم تشييد نمط سكني يلائم خصوصيات المجال والتأقلم مع الظروف المناخية الصعبة.

لكن في الآونة الأخيرة حدثتتحولات عدة في نمط السكن بالواحة، حيث أدخل الإنسان الكْتَاوي الإسمنت المسلح وكل مواد بناء السكن العصري على السكن التقليديوالمتمثل في القصور، والقصبات، والزوايا وغيرها، في الوقت الذي كان يشكل فيههذا السكن التقليدي إرثا عمرانيا وثقافيا. فأصبحنا أمامازدواجية النمط السكانيوالانتقال من واحة قصور وقصبات إلى واحة متمدنة. هذا التمدن السريع ساهم بشكل كبير في تغيير المشهد الخارجي المعماري واندثار العمل الاجتماعي والتضامني الذي يميز المجالات الواحية. إضافة إلى حدوث اختلالات مجالية أخرى، استدعى ذلك اتخاذ تدابير عاجلة لإنقاذ هذه المجالات الواحية واستدامتها.

بناء عليه يمكن صياغة إشكالية الدراسة في الأسئلة الآتية:

- ماعلاقة السكن بالاستقرار البشري بواحات درعة؟؛
- ما أنواع السكن التقليدي المتواجد بواحة اكتاوة؟؛
- أين تتجلى مظاهر تحولات نمط السكن داخل الواحة؟؛
- كيف أثر السكن العصري الحديث على خصوصيات الواحة؟؛
- ما الحلول التي يمكن اتخاذها لتحقيق تنمية مجالية مستدامة للواحات الجنوبية المغربية؟.

منهجية الدراسة وأدواتها:

لمعالجة إشكالية تحولات السكن الواحي؛ ولكون الواحة نظام تتفاعل وتتداخل فيه مختلف المكونات الطبيعية والبشرية، كان من اللازم اتباع المراحل الآتية:

مرحلة الدراسة البيبليوغرافية: من خلال الاطلاع على أهم الدراسات التاريخية والجغرافية التي تناولت المجال. نذكر منها، دراستين للباحث "أحمد البوزيدي" الأولى: (التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17مومطلع القرن 20م، دراسة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال وثائق محلية)، والثانية: (الزوايا العلمية بواحة الكتاوة على عهد السعديين والعلويين)،

ودراسة في بحث الماستر للباحث عبد اللطيف السملالي (تدخلات الدولة ودور والمجتمع المدني في التنمية القروية بجماعة تاكونيت، واحة اكتاوة). جل الدراسات التي تناولت المجال اهتمت بتحولات تاريخية، واقتصادية، واجتماعية. لذلك كان شغلنا الشاغل الوقوف بشكل خاص لدراسة تحولات نمط السكن بواحة اكتاوة، حيث يشكل السكن التقليدي عنصرا مهما ضمن خصوصيات الواحات الجنوبية المغربية بشكل عام.

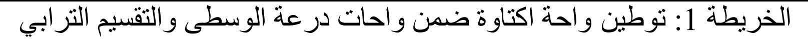
مرحلة العمل الميداني: يتجلى ذلك من خلال جمع البيانات الإحصائية والمنوغرافية التي تعنى بمجال البحث بكل من جماعتي (اكتاوة وتاكونيت). وكذا المقابلات الميدانية مع الفاعلين المحلين: الساكنة المحلية، والمسئولون، وجمعيات المجتمع المدني، وغيرهم.

بعد معالجة المعطيات السابقة، تمت الاستعانة بالعمل الكرطوغرافي خصوصا صور الأقمار الاصطناعية، قصد تبيان تحولات نمط السكن بمجال واحة الكتاوة، مستثمرين الإمكانات التي يوفرها برنامج نظم المعلومات الجغرافيةArc gis.

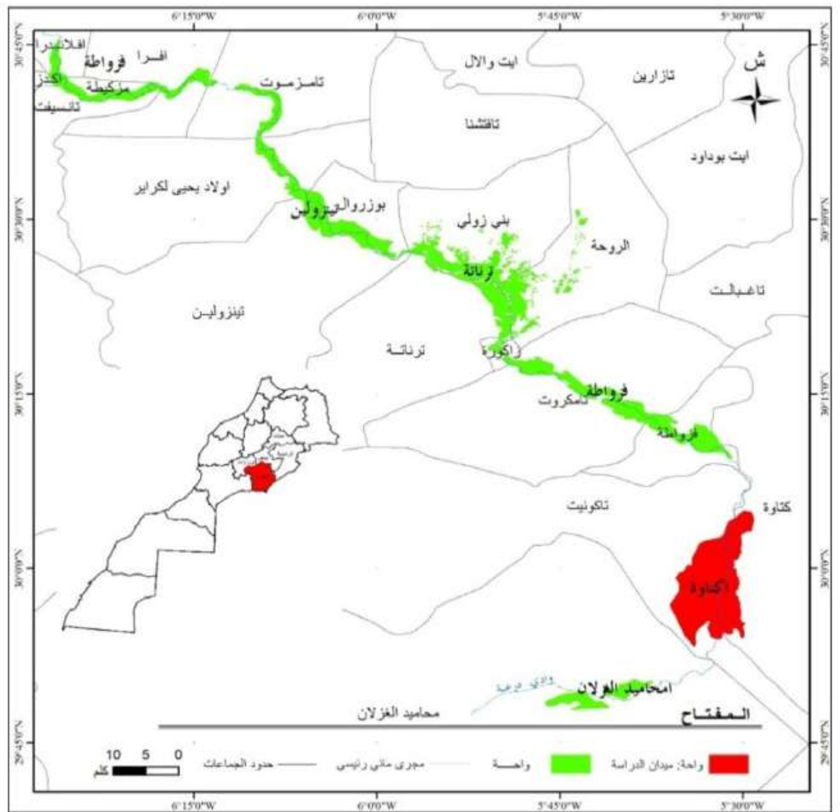
تقديم منطقة الدراسة:

تقع واحة "اكتاوة" في سافلة حوض درعة الأوسط، وتضم ترابيا الجماعة الترابية اكتاوة والجماعة الترابية تاكونيت، يحدها من الشمال واحة فَزْوَاطَة، ومن الجنوب واحة امحاميد الغَزْلاَن (خريطة رقم 1). يبلغ عدد سكانها حوالي 26024 ساكن (الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب، 2014). وتعد قصور: نَصْراط،وبني صْبِيح، وبني حَيُون، ولقصر لكبير، وبني سَمْكِين، والبْلِيْدَة، من أقدم القصور وذات ساكنة مهمة داخل الواحة.

تتميز الواحة بسيادة مناخ صحراوي قاحل، حيث ارتفاع درجة الحرارة صيفا، وانخفاضها شتاء، وما يرافق ذلك من قلة التساقطات وارتفاع نسبة التبخر (عبد اللطيف السملالي، 2016، ص55)، الشيء الذي أثر بشكل كبير على وضعية الموارد المائية، وتعد نباتات الطَّلْحْ، والسَّدْرَة، من أهم أنواع الغطاء النباتي التي تنتشر بين العروق (مساحات شاسعة من الكتبانالرملية) والحمادات (هضاب صخرية جردتها الرياح من التكوينات الرملية)؛ حيث تتأقلم هذه النباتات مع الظروف المناخية الجافة السائدة، (Jacques Franchimont, 2001,p19)، كما تساهم الرياح في استفحال ظاهرة الترمل التي تغزو الأراضي الفلاحية ومجالات السكن. ويؤدي هذا المناخ القاحل، والنمو السكاني المتزايد، والجفاف المتكرر، إلى الضغط على الموارد الترابية وبالتالي اختلال التوازن الإيكولوجي بالواحات(Aziz bentaleb, 2011,p66).



الخريطة 1: توطين واحة اكتاوة ضمن واحات درعة الوسطى والتقسيم الترابي



المصدر: التقسيم الترابي بالمغرب سنة 2015، باعتماد نظم المعلومات الجغرافيةArc gis

ومن الناحية الاقتصادية، تشكل الفلاحة المورد الأساسي للإنسان الواحي رغم قساوة الظروف الطبيعية والمناخية، ويرجع الفضل في ذلك إلى تكيف السكان مع هذه الظروف من خلال تنظيم المجال بطريقة تمكنه من توفير حاجياته المادية اعتمادا على وسائل إنتاج تقليدية. وتعد التمور في مقدمة المنتوجات الأخرى المستغلة داخل الواحة.

إن الربط بين المقومات الطبيعية والبشرية يعد من بين المسلمات المعتمدة في رصد تطور الظواهر الجغرافية داخل كل مجال. فالمعطيات البشرية لواحات درعة الوسطى، تؤكد قدم التعمير السكاني على شكل قصور وقصبات داخل الواحات وتشير إلى أن عدد السكان في تزايد مستمر، رغم ارتفاع وثيرة الهجرة وقساوة الظروف الطبيعية.

نتائج الدراسة:

1. ارتبط السكن الواحي بالاستقرار البشري وممارسة الأنشطة الفلاحية

أ . لمحة تاريخية عن السكن بواحات درعة

لقد عرف السكن بواحات درعة تحولات عدة منذ أن استقر الإنسان إلى يومنا هذا، ورغم أننا لا نعرف شيئا عن السكن في العصور الميلادية الأولى فإن أولى الإشارات التاريخية نجدها عند الشريف الإدريسي بقوله: " ودرعة ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير، وإنما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة ومزارع كثيرة (الشريف الإدريسي، 1862،ص99)، وعليه يتضح أن السكن في الواحات بدرعة لم يكن مسورا في البداية، لكن ماحصل من تطورات في القرون اللاحقة، من توغل الأعراب بهذه المناطق، وكذلك القبائل الأمازيغية فيما بعد وما كانت تسببه غاراتها، وهجوماتها على السكان المستقرين جعل الأهالي يغيرون موقع سكناهم وتحويل مواقع هذه القصور وإقامتها في أماكن مرتفعة، كما كانوا يحيطونها بأسوار خارجية تتخللها أبراج عالية للمراقبة والحراسة بالإضافة إلى حفر خندق خارجي يحول دون تسرب المهاجمين إلى أسوار القصر(أحمد البوزيدي، 1994، ص202).

وقد اعتمد الإنسان الدرعي في بناء مساكنه هذه، على ما أنتجته البيئة المحلية، فالقصور والقرى مبنية بالحجر غير المنحوت والطين، والسُقوف كلها من جدوع النخيل وكذلك الخشب(الحسن بن محمد الوزان الفاسي، 1983، ص118) بالإضافة إلى جريد النخيل، والقصب، وأعواد الفَرْسِيكْ، والنْثَل، وكذلك الدِيسْ (أسماء نباتات محلية تنتشر بالرقوق والعروق وعلى جنابات الوادي، والسواقي)، مما أعطى مسكن متواضع وبسيط.

تتجمع المساكن داخل القصر في شكل تراكمي متماسك فيما يشبه القلعة، تحيط به الأسوار. ومصطلح القصر، الذي تقابله كلمة "المدشر" ببعض أنحاء المغرب، يستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات وادي زيز، ووادي غْرِيس، ووادي دَادسْ، ووادي دَرْعَة (عبد الواحد مهداوي الصادقي، 2020، ص232).

فالقصر هو بناء متماسك لمجموعة من المنازل تتخذ شكل مربع تنتصب في زواياه الأربع أبراج، ويحيط به سور أو سورانيتكاملان مع الأبراج (محمد البوزيدي، 2020، ص215) كلها أعدت لحماية القصر من غارات الأعداء والقصور المجاورة، وتسهيل المراقبة، ويتوسط السور من أحد الأوجه باب كبير يسمى"بفم القصر" يكون دائما مرتفعا نسبيا عن بقية أجزاء القصر السكني المحيطة به – ماعدا الأبراج- من جدران مستوية أو وحدات بنائية(عبد اللوي علوي، 1996، ص217) ، ويتكون القصر من عناصر أساسية، هي:

باب القصر: يكون عادة مصنوع من الخشب(جذوع النخيل – النْثَل)، وهو ضخم يحرسه دواب القصر الذي يلازم المكان، ويقوم بفتح الباب ومراقبة الداخل والخارج من القصر، والتعرف على الغرباء، وماذا يحمل الناس، ومراقبة كل كبيرة وصغيرة، ويرتبط الباب بشكل مباشر بزقاق رئيسي، يعرف ب"الزْكَاكْ" تتفرع عنه باقي الأزقة والأحياء.

دار القبيلة: التي تخصص لاستقبال الوافدين على القصر، والزائرين والغرباء، وعابري السبيل، كما تخصص لوضع بعض الأغراض الخاصة بالقبيلة كالقمح والشعير، والثمر الذي يعطيه سكان الدوار للقبيلة كواجب لتغطية بعض النفقات.

المَسْجِد: كباقي قصور الواحات بالجنوب الشرقي المغربي عادة ما يوجد المسجد بالقرب من دار القبيلة، وبالقرب من المدخل الرئيسي وهو مخصص لممارسة الشعائر الدينية، وكذلك للتدريس.

الدُكَانَة: وهي عبارة عن سور صغير لا يتعدى علوه متر، وكذلك من حيث العرض أو أقل وتوجد بالقرب من الباب الرئيسي على جنبات الزْكَاكْ، أو بالقرب من المسجد، وتستغل عادة في أوقات الفراغ حيث يتجمع الشباب وكبار القصر عادة.

المنازل: بنايات متلاصقة ببعضها البعض، مبنية من الطين(اللُوحْ المَدْكُوكْ)، أو الطَابْيَة، وتتكون في الغالب من طابقين، أرضي توجد به الدار ذات الأربع ركائز(أربع سَوارِي)، وطابق علوي المسطبل وبعض الغرف، ومن مكونات المنزل الأخرى: لَعْلُو، وعِينْ الدَارْ، والسَلُومْ، والعَلِيَة، والمَصْرِيَة، والغُرْفَة، والكْنِيفْ، والرْوَا(مكان مخصص للبهائم من الخيل، والبغال، والحمير، وقطيع الماشية). ويلاحظ أن شكل القصور وشكل بناء الدور لم يدخل عليه أي تغيير محسوس طوال القرون الماضية، فهو في صورته الحالية امتداد لما كان عليه في الماضي(أحمد مزيان، 1988، ص54).

يتضح من طبيعة البناء، أنها تستجيب لوضعية الإنسان الدرعي والواحي بصفة عامة، فهي تراعي الجانب العسكري والأمني من تحصينات تتمثل في الأبراج، والسور، والباب الواحد، وأحيانا الخندق خاصة في فترات الصراعات المسلحة والهجمات المتبادلة ما بين القبائل وسكان القصور المجاورة.

كما تتميز هذه القصور بالطابع الجمالي المعماري من حيث شكلها، والذي يتبين من الأبراج، أو الزخرفة التي تزين الأبواب، ودار الضيوف وكذلك شكل السقف والطريقة التي يتخذها (طريقة نظم القصب)، وخاصة لدى العائلات الكبيرة والميسورة، في حين أن غالبية السكان يكتفون باستعمال جذوع النخيل وأغصانها.

زيادة على ذلك يشكل هذا النوع من السكن، فضاء ملائما للسكان لمواجهة البرد القارس خلال فصل الشتاء لكونه دافئا، كما أنه يمكن من امتصاص الحرارة المفرطة والعالية أثناء فصل الصيف، لكنه في المقابل يبقى سكنا ملائما لانتشار الطفيليات والبكتيريات فبداخل نفس المنزل يوجد الكْنِيف(المرحاض)، وكذلك "الرْوَا"، وفي نفس المكان يتكدس عدد كبير من الناس فالعائلة الدرعية إلى حدود فترة غير بعيدة من الزمن كانت عائلة ممتدة، ولم تعرف التفكك والانشطار إلا في السنوات الأخيرة.

عموما، يمثل السكن في واحات درعة مظهرا من مظاهر التعايش والتساكن بواحات الجنوب المغربي، ويعبر عن التعدد الاثني والعرقي داخل مؤسسة القصر، حيث نجد الدْرَاوِي (حَرْطَاني) بجوار عَطَّاوي، والشريف بجواره الحر حيث لا مجال للإقصاء والانعزال بل يسودالتداخل والتضامن بين المجموعات العرقية المختلفة، وهو ما يؤكده "F. De la chapelle" في دراسته لقصر نصراط، حيث يكتب" تصل ساكنة نصراط حوالي 2500 شخص تنقسم إلى سبعة فَخْدات(عظام)، ليس لها أي أحياء خاصة هم:أَقْلِيلَن، واحَرْضَانِين، وآيت الزاويت، وآيت عِيسَى، وآيت بُوبُوكَرُوم، وآيت تَشْتُوكَتْ، وآيت بُولُوكْ" (F. De lachapelle, 1929, p31).

ب. أنواع السكن بواحة اكتاوة

إلى جانب القصور الكبرى والقديمة بالواحة (نصراط، وبني صْبِيح،وبني حَيُون، ولقصر لكبير، وبني سَمْكِين، ولَبْلَيْدة)، تنتشر بواحة اكتاوة مجموعة من الزوايا والقصبات التي تم بنائها في مراحل تاريخية مختلفة، والتي تعكس التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة.

الزوايا: كانت تحظى بمكانة متميزة بالمنطقة وكان لها وزنها الاجتماعي والسياسي والديني في حياة سكان القصور، ولا تختلف في شيء عن القصور الأخرى في شكلها وأدوات بنائها، ماعدا أنها بنيت في البداية من طرف شخص له مكانة دينية، وما يميزها أنها مرتبطة بضريح الشيخ المؤسس، وأحفاده غالبا، وقد لعبت أدوارا مهمة في التوسط لفك النزاعات بين القبائل، وكانت قبلة لعابري السبيل، بالإضافة إلى اشتهارها بالعلم والتدريس، فكانت قبلة للطلبة من مناطق مختلفة من المغرب،على عكس القصور الأخرى، كما احتضنت المواسم والأسواق، ومن أهمها:

زاوية سيدي صالح: من أهم الزوايا بواحة "اكتاوة" وأقدمها، توجد على بعد 8 كلم من جماعة تاكونيت، وقد أسسها صالح بن عبد المومن الذي كان يقيم بقصر بني صبيح بالزاوية الدخلانية، وقد حصل ذلك سنة 1088ه/1677م وأسست رسميا بظهير السلطان المولى إسماعيل العلوي مؤرخ في أوائل المحرم 1090هجرية(المهدي بن علي الصالحي، 2008، ص48)، وهي الفترة التي قصد فيها ابن محرز منطقة درعة،حيث كان السلطان يهدف إلى محاصرة ابن عمه(أحمد البوزيدي،2001، ص54)، وجلب مزيد من الأنصار لصفه، والتمكن من المنافد الصحراوية الجنوبية حتى لا تكون نقط ارتكاز للمعارضين، كما يمكن أن يكون هناك بعد آخر وهو تشجيع السلطان على تأسيس هذه الزاوية ودفعها لتقوم بدور المنافس الممكن لزاوية "تامكروت" التي بدأت شهرتها تتجاوز النطاق المحلي(أحمد البوزيدي، 2001، ص55).

زاوية أَدْوَافِيل: توجد هذه الزاوية على مقربة من مركز جماعة تاكونيت، ومؤسس هذه الزاوية هو الفقيه محمد بن محمد أدفال الذي يرجع له الفضل في تأسيس مدرسة علمية ب"أدوافيل" في زمن غير معروف من النصف الأول من القرن العاشر الهجري/16م(أحمد البوزيدي، 2001، ص48).

زاوية لَكْنَازْطَة: توجد على مسافة قريبة من زاوية "أدوافيل"، ومؤسسها مولاي أحمد بن سعيد الذي تتلمذ على يد صالح ابن ابراهيم صاحب الزاوية الصالحية وقد حظيت هذه الزاوية بمكانة مهمة، وحظي شيخها بالتقدير والاحترام، وكان قبلة للمتخاصمين، وأهل النزاع والشقاق، فبجوار قبره يؤدى اليمين لعدة مرات لحسم النزاعات وتحديد الظالم من المظلوم.

ومن الزوايا الأخرى التي لا يتسع المجال للتفصيل حولها نذكر: زاوية مولاي الشريف، وزاوية سيدي يحي، وزاوية لقضية، وزاوية لالة حليمة وغيرها.

بناء على ما سبق،يتبين أن الزوايا ظهرت في مجملها بواحة اكتاوة بعد القرن العاشر/16م، وقد أسسها أشخاص عرفوا بالفقه والتدين وكسبوا احتراما وتقديرا وسط المجتمع، وأصبحت فيما بعد تمارس أدوارا أخرى بالإضافة إلى نشر الدين والتدريس، كإيواء دوي السبيل، وتفريق الطعام، والتدخل لفك النزاعات سواء بين القبائل أو الأفراد، وقبلة لمرتكبي جرائم القتل للاستحرام. وأغلب هذه الزوايا اليوم تراجع دورهاوأصبحت لها مكانة محدودة داخل المجتمع.

القصبات: عبارة عن قلاع حصينة، شيدت لأهداف عسكرية ودفاعية محضة، تنتشر على طول الوادي، وتختلف فترات تشييدها وبنائها، فمنها من يرجع تاريخه إلى العهد السعدي، وبعضها حديث البناء. ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القصبات:

قصبات مخزنية: بنيت لأغراض عسكرية، لمراقبة القبائل والأعداء يوجد بها عدد مهم من العساكر، يرجع أغلبها إلى العهد السعدي كقصبة لعلوج بمحاميد الغزلان (لم يبق منها اليوم سوى الاسم، وما تبقى من أطلالها دفن تحت الرمال) جنوب اكتاوة، وقصبات أخرى بنيت خلال نفس الفترة بالواحات الشمالية كقصبة المخزن بتنزولين.

قصبات القبائل (العطاوية): شيدت في غالبها خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، من طرف قبائل أيت عطا التي تحمل اسمها وهي عبارة عن قصور صغيرة، وقلاع للمراقبة وحراسة القبائل المتعاقدة مع مختلف فخذاتأيت عطا من سكان القصور في إطار الرعية، ومن أهم هذه القصبات:قصبة أيت عيسى أوبراهيم،وقصبة آيتاسفول، وقصبة آيت خردي وغيرها.

قصبات الشيوخ والقواد:وهي تحمل أسماء أصحابها، عبارة عن حصون مسورة بجدران، وبها أبراج (أربعة في الغالب)، يحرسها جنود أو أتباع صاحب القصبة، وهي قصر مصغر من الداخل فيه الخدم والحشم والإيماء وكل أنواع الأطعمة والأشربة وأغلى الأثواب والزرابي كدليل على غنى أصحابها، ويمكن التمييز فيها بين:

- قصبات بنيت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كقصبة مولاي فضيل، وقصبة اعمامو، وقصبة الناني، وقصبة حماد الطاهر، وجلها عبارة عن قصور، رغم أنها تحمل اسم القصبات.
- قصبات بنيت خلال الفترة الاستعمارية، وهي تعود لكبار القواد والخلفاء كقصبة الباشا الكلاوي (بمركز تاكونيت)، وقصبة سالم أوباها خليفة آيتاسفول بقصر البليدة.

عموما، جل هذه القصبات تهدمت أو تعرضت للإهمال، كما أصبحت توجد وسط المباني (كانت قصبات معزولة كما في أماكن أخرى، وتطورت إلى قصور أو أنها منذ البدايةأخذت الشكل الذي هي عليه اليوم رغم أنها تحمل اسم قصبات)، وهي لاتختلف في شيء عن باقي القصور التي يسكنها "دراوة" سواء من حيث الشكل، أو من حيث المجموعات التي تسكنها(باستثناء دار لكلاوي بمركز تاكونيت).

2- تحولات نمط السكن بواحة اكتاوة

2.1.مظاهر تحولات السكن بالواحة

أ. الخروج من القصر، وظهور السكن المستقل

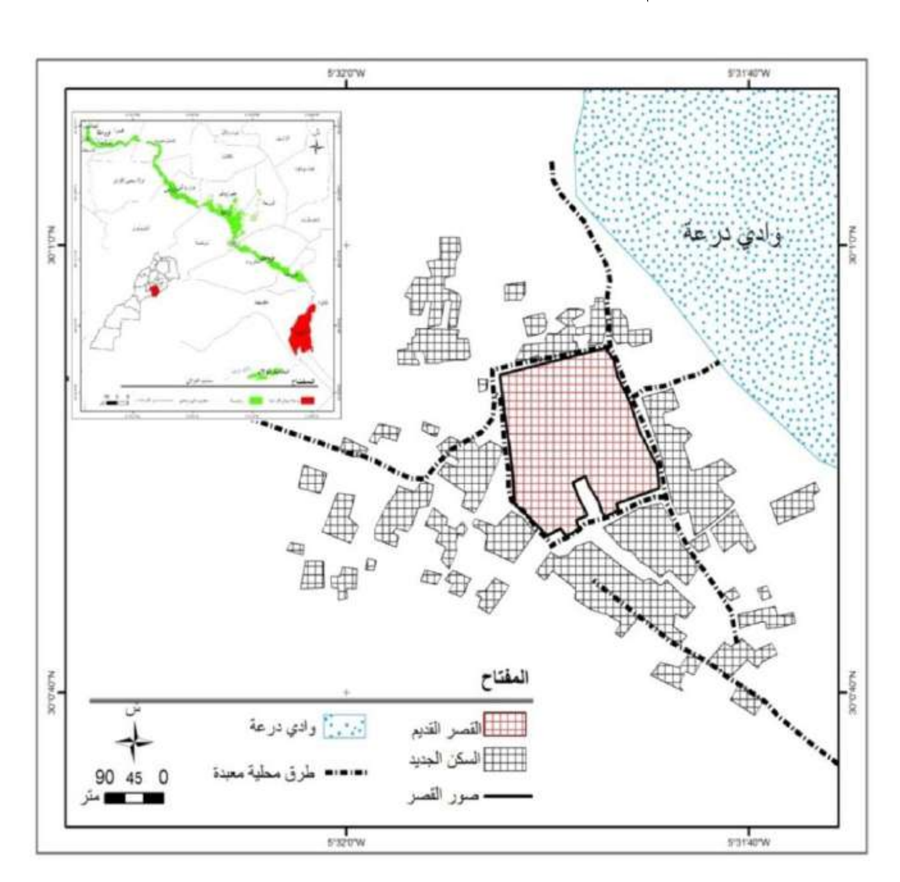
عرف السكن بواحة اكتاوة تطورا كبيرا وتحولات مهمة في شكله ونوعه، فبعد مرحلة أولى تميزت بالسكن داخل القصر، تم الانتقال إلى مرحلة أخرى سمتها الأساسية ظهور السكن المستقل عن القصر الأصلي، طيلة النصف الثاني من القرن العشرين.

والجدير بالذكر أن القوانين والأعراف السائدة قبل هذه المرحلة، وقبل تدخل الاستعماري الفرنسي بالمنطقة في بداية الثلاثينات، وحتى بعد دخول فرنسا كانت تمنع السكن خارج أسوار القَصَر(Azam Pierre, 1947, p13)، ويغرم كل من يقوم بذلك. ولم يكن يسمح بالبناء إلا للرعيان (المقصود الأشخاص اللذين يقومون بحراسة وحماية قصر معين من هجومات القصور

الأخرى أو القبائل المترحلة، والرعية هي قيام قبيلة قصر "دْرَاوَة" معين بالتعاقد مع قبيلة من آيت عطا لحمايتها مقابل جزء من المحصول أو جزء من الممتلكات يكون في الغالب الرُبُع) المكلفين بحماية ومراقبة القطة (مفردها قَطّة، وجمع قَطَاطِي، أي التراب الجماعي لقبيلة القصر، ويشمل السكن والمجال الزراعي والرعوي، والأراضي البورية. ولكل قصر قطته الخاصة به أي المجال الحيوي الذي يوجد تحت تصرفه)، وهم في غالب الأحيان ينتمون إلى قبائل آيت عطا اللذين يستطيعون بناء خيامهم في مناطق محددة(Niclause,1954 , p8)تكون غالبا في حدود القطة أو بالقرب من المناطق المزروعة أو النخيل المثمر، والهدف حمايتها من السرقة وسهولة المراقبة والتمييز بين أهل القطة والغرباء.

إلا أن ما حصل هو انفجار القصر، والذي يتضح بشكل جلي من خلال خريطتي2 و3لقصر "نَصْرَاطْ" وقصر "البْلَيْدَة" كنموذجين، لما عرفته قصور الواحة من رغبة الجميع في البناء خارج الأسوار.ورغم أن القصرين يلتقيان في هذه النقطة، إلا أنهما يختلفان في الشكل الذي اتخذه التحول في كليهما.

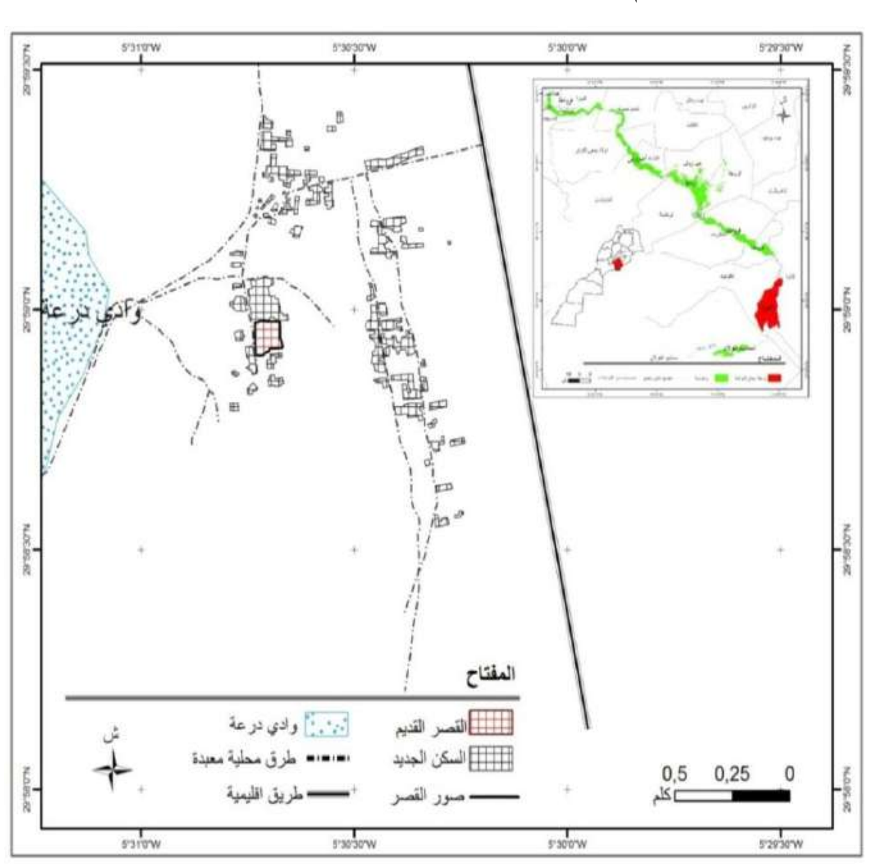
خريطة رقم2: تطور وضعية السكن بقصر "نَصْراط"



المصدر: التقسيم الترابي بالمغرب سنة 2015+ صور الأقمار الاصطناعية 2019، باعتماد نظم المعلومات الجغرافية Arc gis

ففي قصر "نَصْراط" (خريطة رقم 2)، يتضح أن انفجار القصر جعل الساكنة تقدم على البناء في هوامشه، حيث يمكن التمييز بسهولة بين القصر القديم، والسكن الجديد الذي يطوقه من مختلف الجنبات، ويمكن تفسير ذلك بتواجد هذا القصر في وسط الحقول وبالتالي فالتوسع حصل بشكل دائري، متحرر من السور، لكنه محدود في الامتداد وغير متفرق، لحاجة الناس لحقولها التي تبقى أساس العيش.

خريطة رقم 3: تطور وضعية السكن بقصر "البْلَيْدَة"



المصدر: التقسيم الترابي بالمغرب سنة 2015+ صور الأقمار الاصطناعية 2019، باعتماد نظم المعلومات الجغرافية Arc gis

أما قصر "البْلِيْدَة" (خريطة رقم 3)، فهو يعطينا نموذجاأخرا للتوسع والانفجار الذي عرفه القصر القديم، حيث يمكن ملاحظة أن البناء في الأول كان خارج السور وبشكل طولي حيث تتلاصق الأبنية في ثلاثة أحياء أو أربعة (حي وراء القصر، وحي تَاطُوبْتْ، وحي لَحْدَبْ)، في حين أن باقي السكن وهو البناء المتأخر جاء متناثرا ومشتتا يغلب عليه السكن المستقل.ويفسر ذلك بتواجد

مساحة مهمة غير مزروعة خاصة في الجهة الشرقية، والتي عرفت بناء مجموعة من المؤسسات كمركز الجماعة، والمستشفى، والثانوية... مما شجع السكان على البناء في هذه المناطق.

إن السكن خارج القصر أي خارج الأسوار، يعتمد في بنائه على نفس الأدوات والشكل التي تميز نمط البناء داخل القصر، لكنه يعكس التحول على مستوى نمط الإنتاج المتأثر بسيادة الروح الفردية، والقيم الرأسمالية التي اخترقت المجتمع الواحي حيث بات الفرد يحب التملك أكثر، وتفتت العائلات والملكيات الكبيرة، فتراجعت روح التعاون، فأصبح الفرد يفضل الاستقلال عن العائلة الكبيرة. دون أن نغفل التحول السياسي و"ظروف الأمن" المحققة منذ التدخل الاستعماري بإخماد الصراعات بين القصور"كسر القصور" مع بعضها البعض، واستقرار جل القبائل، فلم تعد الحاجة إلى الأسوار والتحصن بداخلها.

ب. السكن العصري بديل للسكن التقليدي

حيث يتم تهديم السكن القديم وإحداث بناء جديد إسمنتي مع الاحتفاظ بالشكل التقليدي للبناء (لَعْلُو + القُبَة + المَصْرِية...)، أو بناء عصري بكل المقاييس أي من حيث الشكل والمواد المستعملة نتيجة التحولات السيوسيوثقافية، وقد ظهر هذا البناء في أواخر القرن العشرين(ويعتبر بعض المهاجرين إلى الخارج السباقين إلى بناء مساكن ضخمة وسط الدواوير الطينية)،ويمكن تفسير هذا التحول كالآتي:

أولا: الاستقرار السياسي والأمني والقضاء على الحروب الداخلية، وانتهاء زمن الفتن، والهجومات المتكررة على القصور من طرف الرحل، أو سكان القصور المجاورة والتي دامت إلى حدود التدخل الفرنسي.

ثانيا: تطور أساليب البناء وأدواته وصلابتها مقارنة مع المواد المحلية المستعملة خاصة أمام الفيضانات المفاجئة والأمطار العاصفية.

ثالثا: الاحتكاك بالمدن، وبنمط البناء العصري، مما أثر على العقلية المحلية التي اضطرت إلى إدخال النمط الجديد كرمز للتطور والتقدم والغناء أحيانا.

جدول رقم 1 : توزيع الأسر حسب مكان السكن ببعض قصور واحة اكتاوة

اسم الدوار	عدد الأسر داخل القصر	عدد الأسر خارج السور	مجموع الأسر
القصر الكبير	6	9	15
زاوية القُضْيَة	00	06	06
الرَكْبَة	4	16	22
أولاد علي	2	04	06
البْلِيْدَة	04	116	120

بني سْكُوكَن	00	24	24
أولاد عْمَر	16	104	120
لَغْلاَض	08	30	38
الزراهنة (الزاوية الجديدة)	4	51	55
بني سَمْكِين	4	48	52
نصراط	9	180	189
قصبة الرَمْلة	16	9	25
لكنازطة	14	61	75
بني حيون	68	106	174
قصر الجديد بني امحمد	16	50	66
بني هْنِيت	4	23	27
بني صْبِيح	150	70	220
خَسْوَان	03	26	29
زاوية سيدي صالح	80	74	154

المصدر: بحث ميداني، سنة 2019

يظهر من خلال الجدول، أن النسبة الكبيرة من سكان الواحة تسكن خارج أسوار القصر القديم، ولا تتجاوز الأسر التي بقيت تسكن داخل القصر في الغالب الثلث أو ربع مجموع السكان؛ وهو ما يجعل هذه القصور عبارة عن خربات وبقايا بنايات مهدمة كما هو الحال بقصر نصراط العريق، وقصر البليدة، وقصر خسوان، وقصر الركبة وغيرها.

في المقابل تبقى القصور الكبيرة بالواحة تحتضن نسبة لا يستهان بها داخل القصر الأصلي وهو ما نجده في قصر بني صبيح 150 أسرة داخل القصر مقابل 70 أسرة خارجه، وزاوية سيدي صالح 80 أسرة داخل القصر و74 أسرة خارجه، ثم بني حيون 68 أسرة داخل القصر و106 أسرة خارج القصر وهي نسب مهمة مقارنة بدواوير أخرى. ولذلك نجد أن هذه القصور بقيت إلى حد ما محافظة على تماسكها العمراني، رغم التغيرات الحاصلة على المساكن وتجهيزها بالوسائل الحديثة (صورة رقم 1).

صورة رقم 1: قصور حافظت على تماسكها العمراني (قصر بني حَيُون)



التقطت الصور بتاريخ (2109/04/21)

في المقابل توجد القصور التي يسكنها القليل من الناس في حالة سيئة ومتدهورة، وأصبحت عبارة عن خربات وأطلال كما هو الحال بقصر نَصراط والبْلِيْدَة وقصر الجديد بني امحمد(صورة رقم 2) وغيرها.

صورة رقم2: قصور في حالة سيئة ومتدهورة (قصر الجديد بني امحمد)



التقطت الصور بتاريخ (2109/04/21)

2.2. السكن العصري ومسألة الحفاظ على الخصوصيات الواحية

يكتسي السكن الواحي التقليدي أهمية كبرى في تحقيق تنمية مجالية متعددة الأبعاد، فإضافة إلى كونه يشكل فرصة للتعايش والتساكن لساكنة الواحة، ويعبر عن التعدد الاثني والعرقي داخل مؤسسة القصر ومناسبة للتضامن الاجتماعي من خلال تلاقي وتجمع السكان في مكان عمومي

يسمى "فم القصر". فهو أيضا يشكل دور الحماية من التغيرات المناخية؛ إذ يكون باردا خلال فصل الصيف ودافئا في فصل الشتاء.

لكن التحولات التي مست هذا النوع من السكن (ظهور بنايات عصرية خارج سور القصر)، ساهمت في خلق اختلالات مجالية، يمكن إجمالها في ما يلي:

- غياب الجمالية على السكن الواحي، بفعل التداخل بين السكن الطيني والإسمنتي (الصورة رقم 3)؛

صورة رقم 3: جانب من البناء العصري الدخيل على نمط السكن التقليدي بالواحة



التقطت الصورة بتاريخ (2019/08/15)

- ارتباط عملية بناء السكن العصري بالحديد والإسمنت وتغيير النمط العمراني الأصيل؛ حيث لا يلائم شكل السكن الواحي وبذلك فهو ضرب في تاريخ وعرق الواحة المغربية؛
- غياب التلاحم والتضامن الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة وفيما بين الساكنة الواحية؛
- تشجيع أجانب غير منحدرين من نفس القبيلة والقصر لاقتناء أراض وبناء مساكن لها، مما حال دون حدوث الانسجام والترابط الأسري بينهم وبين ساكنة القصر. وهذا ما نلاحظه اليوم بمنطقة الدراسة، حيث تتوافد مثلا بعض الأسر من قصور للاستقرار بقصور قريبة لها؛
- تميز السكن العصري بمميزات ارتفاع الحرارة في فصل الصيف وشدة البرودة في فصل الشتاء، مما يصعب الاستقرار في هذا النوع من السكن، وهذا يعكس السكن التقليدي؛
- تشييد المساكن العصرية على أراض زراعية، في الوقت الذي تعد الزراعة المورد الأساسي لساكنة الواحات.

مناقشة نتائج الدراسة:

من خلال نتائج الدراسة، اتضح ما يلي:

- عرفت واحة اكتاوة خاصة والواحات الجنوبية المغربية عامة، استيطانا بشريا قديما ارتبط بممارسة الأنشطة الفلاحية، خلف إرثا عمرانيا وثقافيا، المتمثل في القصور، والقصبات، والزوايا.
- تعود ظاهرة انفجار القصور والزحف الإسمنتي على المجال الزراعي في الآونة الأخيرة، إلى الضغط الديموغرافي والتحول الاقتصادي بالواحات، مما يُسهم في تغير النمط العمراني الأصيل ومن ثم الإخلال بالمشهد العمراني لهذه المجالات؛
- أدت تحولات الواحة، إلى تغيير المظهر الخارجي المعماري (حيث ضهور السكن المستقل) مما ساهم في اندثار العمل الاجتماعي التضامني بين ساكنة القصور المعروف ب "التويزة" في حفر السواقي مثلا، حيث ظهور العمال الفلاحين فأصبح العامل الفلاحي يتقاضى أجرا؛
- بينت نتائج الدراسة الميدانية، أن هناك نسبة مهمة من ساكنة الواحة تسكن خارج أسوار القصر القديم، نتيجة التفكك الأسري والانتقال من الأسرة الممتدة إلى الأسرة الصغيرة، فتم تشييد مساكن على حساب الحقول الزراعية، لتصبح القصور القديمة في حالات متدهور وسيئة وعبارة عن خربات وأطلال، كما هو الشأن بالنسبة لقصر "الجديد بن امحمد"؛
- ساهمت تحولات نمط السكن الواحي، في حدوث عدة اختلالات، مست كل عناصر ومكونات المجال الواحي؛
- يمكن تفسير هذا الزحف في السكن إلى غياب تدخلات الدولةوانعدام المراقبة للحد من خطورة هذه الظاهرة، وكذا عدم تفعيلما جاء به قانون حماية الواحات(قانون 06-01 المتعلق بالتنمية المستدامة لمناطق النخيل) الذي يمنع منعا كليا من إحداث تغييرات على البنايات القديمة داخل الواحات.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة لواحة "اكتاوة"، تبين أن القصر بالواحة والذي عمر لفترة طويلة وكان حاضنة للسكان من الظروف الطبيعية القاسية (سكن بارد في فصل الصيف ودافئ في فصل الشتاء)، وظروف الأمن غير المستقرة، قد عرف تحولات كبيرة في الخمسين سنة الأخيرة ولازال يعرفها في وقتنا الحالي. ومجمل هذه القصور تعرف تدهورا يوما بعد يوم نظرا لهجرتها أو إهمالها، والبحث عن سكن عصري بمواصفات جديدة، وهو ما يعني تدمير جزء من تاريخ المنطقة، والذاكرة الجماعية في السنوات القليلة القادمة في ظل صمت الجميع من مسئولين حكوميين، ومنتخبين، ومجتمع مدني...، وعدم طرح برامج واضحة لصيانة وتأهيل هذه المآثر التاريخية والعناية بها قبل فوات الأوان.

فلا يمكن الحديث عن استمرارية الواحات، إلا إذا توفرت شروط التفاعل بين الإنسان والمجال، والتي اختفت بسبب عدم معرفة الساكنة الواحية لقيمة التراث اللامادي بالواحات من جهة، وخضوع هذه الأخيرة لسياسة مجالية قطاعية، حيث اهتمام الدولة المغربية بالمدن، في حين هناك تهميش ونسيان تطاله الأرياف والواحات المغربية من جهة أخرى، مما يشكل تفاوتا واضحا على مستوى التنمية.

وفيما يلي بعض التوصيات والمقترحات الممكن اتخاذها للحفاظ على خصوصيات الواحات المغربية واستدامتها:

- تجديد قصبات وقصور الواحات وتأهيلها، ثم تحسيس الساكنة المحلية بأهمية الحفاظ عليها كتراث مادي وأحد المؤهلات الأساسية بالمنطقة خاصة في القطاع السياحي، حتى تصبح تراثا إنسانيا عالميا من طرف منظمة "اليونسكو"؛

- الحفاظ على التماسك الاجتماعي والثقافي والأسري لساكنة الواحات، مثل صلة الرحم بين الأسر في الأعياد والمناسبات الدينية، والعمل الجماعي (التْوِيزَة) وغيرها؛

- رفع الهشاشة والتهميش عن الأرياف المغربية عامة والواحات خاصة، وإيلاؤها حقها من التنمية على غرار المجالات الأخرى، كما يجب وضع التراث الواحي في صلب الاهتمام من طرف المسئولين عن هذا التراث؛

- يجب أن يحظى التراث اللامادي الواحي المتمثل في القصور والقصبات وغيرها، باهتمام الباحثين والمتخصصين في المجالات العلمية المختلفة (الآثار، التاريخ، الأنثروبولوجيا، العمارة، الفنون وغيرها)؛

- يجب على الدولة تشجيع البحث العلمي في مجال التراث الثقافي والمعماري بالواحات؛

- وضع استراتيجيات متنوعة (سياحية وثقافية) من أجل إعادة تأهيل التراث اللامادي الواحي(قصور وقصبات وغيرها)، كما هو الشأن بالنسبة لبرامج تأهيل المدن العتيقة بالمغرب؛

- وباعتبار القصبات إرث تاريخي مشترك وتعبير ثقافي اتنوغرافي ...، فتوظيفها سينشط العجلة الاقتصادية بالواحات الجنوبية المغربية ويدمج السكان في التنمية البشرية والحفاظ على التراث الثقافي؛

- تنظيم أيام ثقافية في إطار التسويق الترابي، تعنى بإشهار تراث الواحات اللامادي (القصور، والقصبات، والزاوايا)، لاستغلالها في صناعة السينما العالمية، كما هو الشأن بالنسبة لقصبة "آيت حدو يوسف" بمدينة ورززات التي تعد قبلة لأشهر الأفلام السينمائية العالمية؛

- توظيف نظم المعلومات الجغرافية (SIG) في تدبير الكوارث بالواحات والحد من المخاطر التي يتعرض لها التراث اللامادي بها، لما لها من دور في عملية الحماية والارتقاء بالمواقع الآثارية والتراثية.

قائمة المراجع:

1.أبا صدقي(2013)، الإشكالات التقنية والقانونية لتدبير التراث المعماري بواحات الجنوب الشرقي المغربي، مقال منشور في كتاب "التراث المعماري بالمغرب"، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، عدد الصفحات 1-19.

2. أحمد البوزيدي(1994)، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17 مطلع القرن 20م دراسة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال وثائق محلية، مجلة آفاق، صدر الكتاب بدعم من مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء؛

3. أحمد البوزيدي(2001)، الزوايا العلمية بواحة "اكتاوة" على عهد السعديين والعلويين، ضمن مجلة أمل عدد مزدوج 22-23، نظيمة الزوايا في علاقتها بالمجتمع والسلطة2؛

4. أحمد مزيان(1988)، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر فجيج مابين (1845م-1903م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب،مطبعة فجر السعادة، الجزء الأول؛
5. أحمد عبد اللوي علوي(1996)، مدغرة وادي زيز إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،ج 1؛
6. الحسن بن محمد الوزان الفاسي(1983)، وصف إفريقيا، جزءان في مجلد،ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الجزء الثاني، بيروت؛
7. الإحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب(2014)؛
8. المهدي بن علي الصالحي(2008)، الرحلة الدرعية الكبرى، ديوان صدر عن مطبعة "بيبلي سيد" بورززات؛
9. الشريف الإدريسي(1862)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 99، رابط التحميل على شكل www.al-mostafa.com :pdf؛
10. عبد اللطيف السملالي(2006)، تدخلات الدولة ودور والمجتمع المدني في التنمية القروية بجماعة تاكونيت (واحة اكتاوة)، بحث نيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل، القنيطرة، المغرب؛
11. عبد الواحد مهداوي الصادقي(2020)،التنظيم العمراني والمعماري بقصور المغرب الشرقي قصر الزاوية الصادقية نموذجا، مقال منشور في مجلة المناهل، ملف العدد: مدن وحوضر مغربية، عدد الصفحات 231-248؛
12. محمد البوزيدي(2020)، قصور واحات الجنوب الشرقي بين الماضي والحاضر، مقال منشور في مجلة المناهل، ملف العدد: مدن وحوضر مغربية، عدد الصفحات 215-229؛
13. Aba Sadki(2007), environnement, paysage et projet de territoire, vers une approcheterritoire pour la sauvegarde et la mise en valeur de la réserve de biosphère des Oasis du sud Marocain, mémoire de master, Université Senghor, France;
14. Aziz Bentaleb(2011), pompage de l'eau et désertification dans la vallée du Draâ moyen: cas de la palmeraie de Mezguita (Maroc), article publié dans le Revue Algérienne d'Anthropologie et de sciences sociales, p 65-81, p 66;
15. F. De lachapelle(1929), une cité de l'oued Draa sous le protectorat des nomades, Nesrat, Revue d'histoire, p 29-42, pp 223-224;
16. Jacques Franchimont(2001), national study on biodiversity in Morocco, synthetisis report, Ministery of Territorial Planing, Water and Environment, Morocco;
17. Niclausse(1954), rapports entre nomades et sédentaires dans le coude du Draa, la Raia, 120 p, C H.E.A.M;
18. Pierre Azam(1947), la structure politiques et sociale de l'oued Draa, 20 p, C.H.E.A.M.